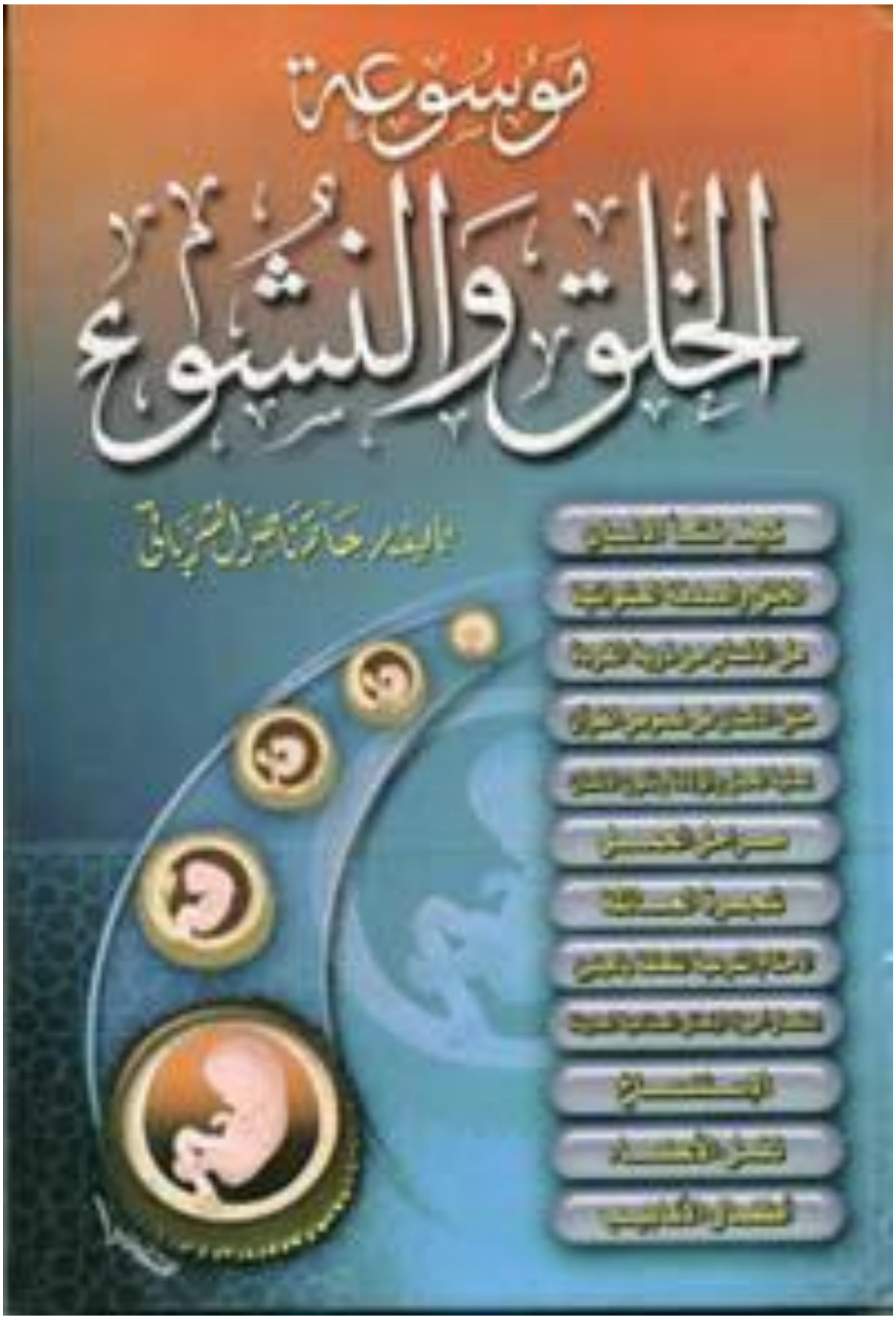

موسوعة
الخلق والنشوء

موسوعة الخلق والنشوء

تأليف

حاتم ناصر الشرباتي

1424هـ - 2003م

مكتبة علوم النسب

بسم الله الرحمن الرحيم

إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً إلا قال في غدة :

لو غير هذا لكان أحسن ....
ولو زيد هذا لكان يستحسن
ولو قدم هذا لكان أفضل
ولو نزل هذا لكان أجمل
وهذا` من أعظم العبر ....

وهو دليل على استيلاء النقص على مجموع البشر
[العماد الأصفهاني]

214,3

شرباتي، حاتم ناصر أحمد
موسوعة الخلق والنشوء/ حاتم ناصر أحمد الشرباتي
الخليل: المؤلف ***1424*** **هـ/*2003***م.
[*487*] صفحة
[*1*] الإسلام – خلق الإنسان.
[*2*] العقائد والفلسفات – نظريات الخلق والنشوء.

الإهــداء

. إلى والدَيّ اللذان تعهداني وأنشأني على الدين القيّم

• والى أساتذتي اللذين علموني الطريق المثلي للتفكير

• والى زوجتي عاشت معي في السّراء والضرّاء

• والى أبنائي وأحفادي زينة الحياة الدنيا

أهدي كتابي هذا

شاكراً كل الأخوة الأعزاء الذين شجعوني على كتابة هذا البحث ونشره، وأتقدم بشكر خاص لكل من الأخ عطية عبد المعطي زاهدة لقيامه بمراجعة النّص والحث على نشره والأخ غالب بشير ياسين أبوشخدم الحسيني للتشجيع وإمدادي بمراجع قيمة، وأختي الحاجة نافذة أول من شجعني على ذلك ولمراجعتها للنص، ولابنتيّ أم عبيده ودعاء والآنسة يسرى فضل الحداد التي وضعت اللمسات الأخيرة على برمجة الكتاب على الحاسوب، على ما بذلنَ من جهد شاق في إخراج هذا الكتاب وبرمجة طباعته على الحاسوب.

أملاً أن يفي بالمطلوب، وأن يحقق الهدف من كتابته

مُقـــدمـــــة

أحمد الله تعالى حمد الشاكرين وأتوب إليه وأستغفره، أحمده تعالى حمد الشاكرين القانتين، وأشهد أن لا الـه إلا الله وحده لا شريك لـه الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفواً أحد، وأصلي وأسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على هديه إلى يوم الدّين، رب اغفر لي ولوالديّ ولأساتذتي وأصحاب الفضل علي، وأنر قلبي واشرح لي صدري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، ووفقني لصالح الأعمال.

إنّ أساس العقيدة في الإسلام قائم على إعطاء الأجوبة المقنعة لتساؤلات الإنسان عن أصل وحقيقة هذا الوجود، ويركز على حقائق ثابتة أولها الإيمان الراسخ بالله تعالى خالقا لهذا الوجود ومسيراً لـه، مشترطاً أن يكون هذا الإيمان آتياً عن طريق العقل وإعماله بالتفكير المستنير ليصل الإنسان عن طريقه أنّ وراء تلك الموجودات الثلاث (الكون والحياة والإنسان) خالقاً أوجدها من العدم وأنّ لهذه الحياة الدنيا ما قبلها وهو الله تعالى، وأنّ لها ما بعدها وهو يوم القيامة حيث يبعث الإنسان ليحاسب على ما قدمت يداه كما أوجب الإسلام الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته والملائكة والرّسل جميعاً ويوم القيامة والقدر خيره وشره من الله تعالى.

أما الشيوعيّة فهي مبدأ مبني على المادة وليس العقل، لأنّ فكرتها الأساسية والتي تفرعت عنها كل أفكارها أنّ جميع الموجودات من كون وحياة وإنسان هي مادة فقط، وأنّ المادة هي أصل الموجودات وأنّ التّطور المادي تبعا لوسائل الإنتاج هو المحرك الفعلي والوحيد للمجتمع وعلاقاته جميعاً، وأن المادة أزلية واجبة الوجود لم يخلقها خالق، وأن ليس للمادة ما قبلها ولا يوجد بعدها شئ، فهم ينكرون فكرة الخلق وبالتالي وجود خالق خلق الموجودات أي أنهم يرفضون الناحية

الروحية في الأشياء من كونها مخلوقة لخالق ويعتبرون فكرة الناحية الروحية خطراً على الحياة، وبالتالي فالدّين عندهم إنما هو أفيون الشعوب المخدر لأمانيهم وتطلعاتهم وهو بالتالي من عوامل تخلف المجتمعات.

أما نظرتهم للفكر فهي مادية أيضا، إذ هو عندهم انعكاس للواقع على الدّماغ كما تنعكس الصورة على صفحة المرآة، فالمادة عندهم هي أصل الفكر وأصل الحضارة، وهي أصل كل شيء ومن تطورها المادي توجد الأشياء ولا بد، هذه هي حتمية التّطور عندهم.

لقد ضلّت الشيوعية الطريق لمصادمتها الفطرة التي جُبِلَ عليها الإنسان باعتمادها نظرية التّطور المادي تبعا لوسائل الإنتاج فأعمت نفسها عن حقيقة وجود خالق لهذا الكون، وأكثر ما روّج له الشيوعيون في دعم نظرياتهم حول إنكار الخلق كانت " نظرية داروين " تلك النظرية التي وافقت ما روجوا له من إنكار الخلق. ومع أن كثيرا ممن ابتدعوا تلك النظرية السّقيمة أو ساهم في نشرها

والترويج لها قد كفر بها بعد أن أتاه اليقين واقتنع بزيفها، إلا أن نفرا ممن يستهويهم كلّ شاذ وغريب لا زال يتشدّق بها، لذا رأيت أن أقوم باستعراض تلك النظرية نقاشا ومناقشة ونقضا وأن أبين صحة وحقيقة نظرة الإسلام حول الخلق.

لقد انهارت إمبراطورية الشيوعية وتفسخت أركانها لفساد عقيدتها القائمة على الإلحاد، فهي فكرة خيالية سقيمة لا تستند إلى الواقع وتتصادم مع الفطرة التي جُبل عليها الإنسان لجحودها وإنكارها وجود الخالق، فأي مبدأ هذا الذي ينهار بعد سبعين عاما من محاولة فرضه وتطبيقه ؟ إنه الباطل الذي يحمل جذور فنائه، لذا فليس من المستغرب أن ينهار هذا النظام وأن ينقلب رجاله ودعاته إلى الصّف المعارض له المطالب بالإجهاز عليه، فقد شهد العالم حديثا انهيار إمبراطورية الشيوعية المتمثلة بالاتحاد السوفييتي انهيارا منبئا بفشل ذريع إذ كان هذا الانهيار ناجما عن مصادمة الشيوعية لفطرة البشر وفساد وعقم أفكارها، ومن الأفكار

والعقائد الفاسدة تلك كان عقيدة التّطور المادي وإنكار الخلق اللذان هما الأساس العقائدي عندهم.

أمّا المبدأ الرأسمالي الديموقراطي فهو والشيوعية صنوان، إذ هو مبدأ كفر لا يرتكز على الإيمان بالله الخالق، لقد كان الأجدر أن يتهدم هذا النظام الفاشل لقيامه على عقيدة الكفر قبل قرينه إلا أن عمليات الترقيع والتجميل عملت على إطالة عمره وإن غدا لناظره قريب، فسيشهد العالم قريبا إن شاء الله انهيارا ثانيا سيدمر ويزيل كل إمبراطوريات الرأسمالية الديموقراطية وزوال حضارتهم واندثارها ولعنة الناس كافة لها لِما جرّت عليهم من ويلات ونكبات وانقلاب رجالها عليها وذلك لقيامها على أفكار وعقائد فاسدة، ولعجزها عن موافقة الفطرة الإنسانية، ولن ينسى البشر أن تلك الأنظمة كانت المغذي الناشر لكل فساد في العالم بما في ذلك أفكار التّطور ومعتقداته السّقيمة.

نعم، ستزول أنظمة الديموقراطية الفاسدة وتندرس وستصبح أثرا بعد عين لتفسح الطريق أمام نظام سماوي كامل شامل موافق لفطرة الإنسان لقيامه على الإيمان بالله تعالى خالقا ومدبراً، ويومها فقط ستعيش الإنسانية بالأمن والاستقرار والطمأنينة.

لقد كُتب هذا البحث لأول مرّة مختصرا قبل ثلاثون سنة ليقدم للجمعية الإسلامية في مخيم النصيرات بغزة، حيث نال المرتبة الأولى أمام الأبحاث المقدمة يومها، ومن يومها كنت أراقب وأراجع كل ما استجدّ من أبحاث في موضوع البحث فأرجع للبحث أجري عليه التعديلات والإضافات اللازمة على ضوء ما استجد من مواضيع وأبحاث.

لقد طُرِحت تساؤلات عدة في موضوع حياة الإنسان والتباين في وجهات النظر حوله بين الحكم الشرعي ورأي الطّب، وحول حكم أجهزة الإنعاش الطبية الحديثة ورفعها بعد الحكم بموت الإنسان طبيا خلافا لما يراه الحكم الشرعي بعدم

موت الإنسان، وهل يعتبر رفعها في مثل تلك الحالة قتلاً ؟ وتساؤلات أخرى حول موضوع نقل الأعضاء والتبرع بها قبل أو بعد الوفاة .... كما استجد موضوع أطفال الأنابيب بعد أن تجاوز الموضوع مرحلة الاختبارات ..... وأخيراً استجدت مسألة الاستنساخ البشري بعد أن نجح العلماء في مختبرات (بي بي إل تيرابوتيكس B.B. L. Terabotix) الاسكتلندية في أول عملية استنساخ حيوان بالغ بإعلانهم ولادة النعجة "دللي" بطريق الاستنساخ ، ومن ثم تصريحات العالم الأمريكي (ريتشارد سيد) تصميمه على بدأ العمل في حقل الاستنساخ البشري والتوقعات بنجاح ذلك.

لـــذا فقد تمّ إجراء تعديلات وإضافات عدّة اقتضتها ما استجد من مواضيع. وحسبي أني قد بذلت الوُسع في ذلك، فمن وقف معي عند هذا الحد فقد اكتفى، ومن طلب المزيد فالباب مُشَرّعٌ أمامه، وعليه فقد قمت في نهاية الكتاب بتزويد القارئ بكشف حاوٍ لأسماء المراجع التي اعتمدتها وتلك التي اعتمدها غيري ممن سبقني إلى الكتابة في الموضوع، والتي يمكن لمن شاء الرجوع إليها رغبة في التَوَثق أو زيادة في الفائدة والتوسع.

لقد آثرت في بحثي هذا أن تكون جميع مواضيعه مُدَعّمَة بالأدلة وموجزة في العبارة لتكون أبلغ في التأثير، وقد استدللت بأقوال وآراء علماء التّطور المادي المؤيدين لنظريات التّطور المادي المختلفة، وكذلك آراء المعارضين لها من العلماء والمفكرين مثبتا آرائهم كما وردت في كتبهم وأبحاثهم بالتفصيل أو بتصرف مني بالنّص حيث يقتضي الأمر ذلك، مشيرا لكل في موضعه.

أما في الأبحاث المتعلقة بالفكر الإسلامي فقد تمّ الاستدلال بنصوص القرآن الكريم وما صحّ أو حَسُنَ عندي من الحديث مستبعدا أي حديث ضعيف أو موضوع، ثمّ آراء واجتهادات وتفسيرات مشاهير الفقهاء والمفسرين، إمّا حرفيا أو بتصرف مني بالنّص حيث يقتضي الأمر ذلك مشيرا لكل في موضعه.

وإني إذ أتشرف بنشر بحثي المتواضع هذا وإخراجه من محبسه فلا أدعي لنفسي الفخر بالقيام بعمل فريد متميز، بل قد قمت بجمع ونقل وترتيب آراء من سبقني إلى ذلك حيث لم أعثر على بحث متكامل يفي هذا الموضوع الهام حقه باستكمال كافة جوانبه مضيفا وجهة نظري المعتمدة وترجيحي الرأي الأرجح في كل موضوع حيث تناولت نقاش كافة وجهات النّظر نقاشا هادفا ونقض ما يحتاج منها إلى ذلك موصلاً القارئ إلى الرأي الأرجح والأصح، فأتى الكتاب شاملاً وافياً خلافاً لكل ما نشر في الموضوع على ما أعلم.

لقد تم تصنيف مواضيع الكتاب من خلال خمسة أبواب، كل باب منها يحوى عدّة فصول حسب ما يقتضيه طبيعة البحث.

لقد جرى تقسيم **الباب الأول** وهو "نظريات التّطور المادي" إلى خمسة عشر فصلاً تبحث في التّطور ومذاهبه وتاريخ ومشاهير تلك المذاهب، وجرى فيه استعراض كافة المذاهب التّطورية علماً بأنه قد جرى التركيز بصورة خاصة على مذهب " داروين " وتفصيلاته باعتباره أشهرها.

أما **الباب الثاني** وهو " نقض نظريات التّطور المادي " فقد جرى تقسيمه إلى خمسة فصول روعي فيه أن يكون شاملاً مستعرضاً آراء مشاهير العلماء في الموضوع.

أما **الباب الثالث** وهو " الإسلام وخلق الإنسان " فقد جرى تقسيمه إلى ثلاث فصول تناولت وجهة نظر الإسلام حول خلق الإنسان، رُكز فيها على نصوص القرآن الكريم المصدر الأول في الأدلة الشرعية، كما حوى الفصل الثالث منها مواضيع: خلق آدم أبو البشر عليه السّلام وخلق زوجته حواء، وخلق عيسى بن مريم عليه السّلام، وقصة أصحاب الكهف والرقيم، وموضوع إعادة الحياة.

أما **الباب الرابع** وهو "عملية الحمل والولادة وتكون الإنسان" فقد قسم إلى تسعة فصول تناولت مواضيع الزوجية والتكوين والحمل والولادة وأطوار الحمل

وكل ما يتعلق بخلق الإنسان حسب وجهة النظر الإسلامية، كما أُضيف إليه موضوع " من هو الأصلح للبقاء " رداً على أشهر أسس وقواعد نظريات التّطور بالصراع لبقاء الأصلح، كما أضيف إليه موضوع نسب الإنسان مرفقا بالنماذج والأمثلة.

أمّا **الباب الخامس** فقد جرى تقسيمه إلى فصلين:

الفصل الأول " الإدراك الفكري والتمييز الغريزي " والذي قُسّم إلى ستة فروع تناولت مواضيع التفكير وطرقه والتمييز الغريزي والفرق بينهما.

الفصل الثاني " الحياة والموت والأحكام الشرعية المتعلقة بهما " وقد قُسِّم إلى ثمانية فروع تناولت مواضيع الحياة والموت وأجهزة الإنعاش الطبية ونقل الأعضاء وأطفال الأنابيب والاستنساخ البشري والأحكام الشرعية المتعلقة بكل تلك المواضيع، علما بان كل تلك المواضيع مرتبطة بموضوع الخلق والنشوء لارتباطها الوثيق بنشوء الإنسان وحياته.

لـذا فإنّ هذا الكتاب موجه لكل مهتم بمواضيع الخلق والنشوء وبشكل خاص فهو موجه:

- إلى كلّ من تقلّب وجهه في السّماء وأعمل عقله النير في التفكر في الموجودات الكونية، فتوصّل إلى حقيقة أنّ لكل تلك المخلوقات خالقاً أوجدها من العدم.
- وإلى كل من قصر عقله عن إدراك حقيقة هذه الحياة الدنيا فكفر أو ألحد أو تشكك
- وإلى كل من لا زال يبحث عن الحقيقة ليثبتها ببرهان قاطع.
- وإلى كل الباحثين عن الحقيقة بصدق وإخلاص ونزاهة.

علهم يجدون في كتابي هذا ضالتهم المنشودة، معيناً لهم على الوصول إلى الحق واليقين.

لقد بذلت الوُسع في بحثي هذا :

- ليكون الكافي لمن رغب في الحقيقة.
- وليكون المرشد لمن نشد ضالته.
- وليكون الدليل لمن بحث عن أدلة توصله
- وليكون الجواب الشافي لكل حائر أو متسائل.
- وليكون الموسوعة الشاملة لبحث لم أجد في المكتبة كتاب أعطى هذا الموضوع حقه من كل الجوانب.
- وليكون المنارة للمبحرين المخلصين السائرين إلى الهدى بحزم وثبات، تنير لهم الطريق لتوصلهم إلى شاطئ النور والسلامة.

فإن تحقق ما قصدت فالحمد والشكر لله تعالى وحده، وإن خفي علي شئ أدى إلى نقص، فأدعو الله تعالى الصفح والمغفرة وقد اقتضت حكمته تعالى استيلاء النقص على كافة البشر.

والله تعالى أسأل حُسْنَ العمل وخير الثواب، والحمد لله رب العالمين.

حاتم ناصر أحمد ألشرباتي
صندوق بريد [*370*]
فاكس : *02-2225837*
الخليل – فلسطين

الأول من شهر جمادى الأولى سنة *1424*هـ
الأول من شهر تموز سنة *2003*م



[للمبحرين المخلصين منارة]

شعر جواد عبد المحسن الهشلمون

ما ضرّ لو كان القريضُ دواة		أهدي – كزهرٍ طيبٍ – أبياتِ
فالزهرُ يَذبُلُ والنضار مُشوهٌ		والشعر يبقى الشعر بعد رفاتِ
وقد زعموا بأن الخل يندر عندما		تُتَصارف العملات في الطرقاتِ
فالحب خير وسيلة يرجى بها		نيل المصالح من قلوب ثقاتِ
قالوا.. وإن قالوا فلا أحفِلْ بهم		فكلامهم غثّ ولؤمٌ ذاتي
فالضوء يضفي للآلئ رهبة		والضيق يضفي للكرام سِماتِ
والتبرُ يبقى التبرُ أنى وجدته		والجودُ يبقى أن تقلْ عَثراتِ
والودَّ يبقى الودّ جسرٌ واصلٌ		والحبّ كل الحب لحاتم الشرباتي
اسم ووصفٌ قد جمعت وفي الذرا		عَلَمٌ ... وبيت واسع الغرفات
لولاك يا ذا الوفاءُ فما ترى		في هذه الدنيا مِنَ اللذات
نظر المحب إلى الحبيب تشوقاً		والعينُ تغني عن الكلماتِ
كلٌ يعيش لموقفٍ يحيا له		ما عاش من راقت له الظلماتِ
قد سار نحو النور يحفر مسلكاً		ما عاقه صعبٌ من العقباتِ
ما عاقه عقلٌ كصخرٍ جامدٍ		فكأنه النقاش للصخراتِ
للمبحرين المخلصين منارةٌ		للسائرين إلى الهدى بثباتِ
ما عاشَ من أجل (الأنا) فكأنه		في كل عقلٍ عَقلهُ مرآةِ
جيلٌ من الشباب قد شهدوا له		فذٌ أبِيٌ واضحُ الطرقاتِ
شعر الوفاء أخطهُ لمعلمي		(الحق نطلبُ أو علا الجناتِ)
ما ضرَّ شِعري خفضة أو رَفعة		فالشوكُ يُكمِل رَونقَ الزهراتِ

1995/03/03م



[وإنَّ لكم في الأنعام لعبرةً نُسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافعُ كثيرةٌ ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفُلك تُحمّلون][1]



[1] المؤمنون [21-22].

الباب الأول

[نظريات التطور المادي]

[*1*] التّطور
[*2*] تاريخ المذاهب التّطورية
[*3*] أشهر المذاهب التّطورية
[*4*] داروين ونظريته حول خلق الإنسان
[*5*] شجرة الأحياء
[*6*] الحياة
[*7*] تطور الإنسان
[*8*] كيف نشأ الإنسان ؟
[*9*] تاريخ تطور الحياة حتى ظهور الإنسان وسيادته
[*10*] عصور التّقدم البشري الأولى
[*11*] على هامش نظرية التّطور والارتقاء المادي
[*12*] عوامل التّطور
[*13*] الخلق والصدفة العشوائية
[*14*] هل الإنسان من سلالة القرود ؟
[*15*] الإنسان البدائي

التطـــور[2] *Evolution*

إنّ التّطور يعني التحول أو الانتقال من حال إلى حال. جاء في "لسان العرب" :- (الطّور هو التّارة – الحال – الحد بين ألشيئين، والجمع أطوار، والأطوار هي الحالات المختلفة والتارات والحدود واحدها طور)[3]، وهو في عرف علماء التطور "التحول من نوع حي إلى نوع حي آخر".

أما جريدة " هوستن بوست *Houston Post* " فقد عرّفت التطور التعريف التالي: " أنه يعني ارتقاء الحياة من جهاز عضوي ذي خلية واحدة إلى أعلى درجات الارتقاء، وهو بالتالي: التغير الذي طرأ على الإنسان نتيجة حلقات من التغيرات العضوية خلال ملايين السنين."[4]

ونظرية التّطور ترتكز على ثلاث قواعد رئيسية كما حددتها "الموسوعة العالمية"

[*1*] إنّ الكائنات الحيّة تتبدل أشكالها جيلاً بعد جيل تبدلاً بطيئاً، وتنتج في النهاية أنسالاً تتمتع بصفات غير صفات أسلافها.

---

[2] البحث منقول بتصرف عن كتاب (خلق لا تطور) – د. إحسان حقي.

[3] لسان العرب – ابن منظور – مجلد (4) صفحة (507)

[4] خلق لا تطور، صفحه (13)، نقلاً عن Houston Post

[2] إنّ هذا التّطور قديم وُجد يوم وُجدت الكائنات، وهو السّبب في وجود كلّ الكائنات الحيّة من حيوان ونبات في هذا الكون وتلك التي انقرضت، وهذا هو "التناسخ*Reincarnation*"[5] الذي تقول به بعض الديانات.

[3] إنّ جميع الكائنات الحية من حيوان ونبات مرتبط بعضه ببعض ارتباط صلة وقرابة، وكلها تجتمع عند الجد الأعلى للكائنات جميعا.[6]

وفي وصف التّطور يقول الكاتب " بلات *Platt*" قي كتابه " نهر الحياة " ما يلي:

(حينما خرجت الكائنات الحيّة لتعيش فوق اليابسة انقلبت زعانفها أرجلاً وخياشيمها رئات وفلوسها جلوداً)[7]

بقي أن نسأل: هل يحدث التّطور في عرفهم فجأة وبدون مقدمات أم أنه يحتاج إلى زمن معين، وإن احتاج إلى زمن فما هو الزمن اللازم للتّطور ؟. ويجيب على هذا التساؤل "دوبز هنسكي" الأستاذ في جامعة كولومبيا في كتابه "الوراثة وأصل الأنواع" قائلاً: (إنّ التّطور يحتاج إلى نحو ملياري سنة وإن هناك عوامل فاعلة يمكن دراستها دراسة تجريبية)[8].

يقول بعض علماء التّطور القدامى –وهم قليل– بأن هناك خالقاً هو الذي يحرك آلية التّطور لكن أكثر علماء التّطور وخاصة غير القدامى منهم يدّعون أن الحياة قد نشأت من مادة غير حيّة بدون أي تدخل الهي، أي أن المادة قد أوجدت نفسها بنفسها دون وجود خالق أوجدها، ويقف في مقدمة من قال بذلك " سير جولين هكسله " حيث يقول:

(إننا نقبل كل أحداث التّطور، وتطور الحياة واقع وليس نظرية وهو أساس أفكارنا)[9]

لكن هذا القول لم ينفرد به "هكسله" بل هو رأي مجمع عليه من كل العلماء المنادون بفكرة التطور المادي، فنفس الفكرة لكن بألفاظ أخرى قد وردت في كتاب "علم الحياة لك" حيث يقول:

(إن كل علماء الحياة المحترمين يقرون بأن تطور الحياة على الأرض أمر واقع)[10]

---

[5] التناسخ أو التقمص هو الإيمان بأن النفس البشرية تتقمص بعد موت صاحبها جسداً آخر، سواء أكان هذا الجسد لإنسان أو حيوان أو نبات، وبذلك يكون لها وجود جديد أو أكثر من وجود. ومن أقدم من قال بالتناسخ الفيلسوف اليوناني " فيثاغورس " وبعض الديانات الشرقية كالهندوسية.

[6] خلق لا تطور صفحه (14) نقلاً عن:الموسوعة العالمية – طبعة 1966. *World book encyclopedia*

[3] المصدر السابق ، صفحه (13 – 14) نقلا عن: *Ruthe Ford Platt: Le Fleuve de la vie.*

[4] المصدر السابق ، صفحه (14) ، نقلا عن: *T. Dobzhansky : Genetics and the origin of Species.*

[1] *Sir Julian Huxley* من كبار علماء التطور، وكلمته المذكورة كان قد عبر فيها عن آراء زملائه في الكلمة التي ألقاها في الذكرى المؤوية للداروينية واتي أقيمت في شيكاغو سنة *1959*.

– خلق لا تطور صفحه (*15*) : نقلا عن جريدة " نيويورك تايمس " بتاريخ *1959/11/29* .

وفـي تصـريح لمـدير إحـدى الجامعـات الأمريكيـة معبـراً فيـه عـن رأي أكثريـة الأسـاتذة المنـادين بالتطور ورد ما يلي:

(لا بدّ أن يكون المرء قد اعتمد على فكرة مسبقة وتمسك بها حتى يجرؤ على أن يرفض الواقع، وإن كل من يفحص أدلة التّطور لا بدّ له من أن يعترف بأنها واقع تاريخي)[11]

كما أن فريقا من رجال الآوكليروس يحملون نفس الرأي ويدعون لـه، وفـي ذلك كتبت جريدة " ميلوكي جورنال *Milwaukee Journal*" (صرّح خوري كنيسة سان جاك الكاثوليكية مؤيداً التّطور بقوله: ليس هناك شكٌ بأن التّطور حقيقة واقعة)[12]

---

[2] المصدر السابق، نقلاً عن: *Biology for you.–B.F., B.B. Vance Miller*

[3] المصدر السابق نقلاً عن:جريدة " *New Orleans Times Picayune* " عدد *7 / 5 / 1964*.

[4] المصدر السابق نقلا عن جريدة:*Milwaukee Journal.*

لقد أصبحت فكرة التّطور مقبولة بصورة عامة في أوساط علماء الغرب، وذلك مما يمكن استنتاجه من أقواهم، ومن ذلك على سبيل المثال قول أحد رواد الفضاء نتيجة تجاربه خارج كبسولته، وقد علقت جريدة " نيويورك تايمس " الأمريكية في افتتاحية عددها الصادر بتاريخ *14 / 11 / 1966* على **قوله بما يلي:**

(إنّ كل ردود الفعل والغرائز المنطوية في أفكار الناس وأجسامهم بفعل ملايين السنين من التّطور العضوي الأرضي قد أخضعت لتجربة قاسية بتعريضها لوسط غريب ومختلف وأعني به الفضاء)[13]

ويؤكد نفس الأقوال عالم تطوري شهير وهو "دويز هنسكي " حيث يقول في كتابه " الأساس الحيوي لحرية الإنسان ": (لقد ثبت بما لا يجعل مجال للشك حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر بأن التّطور أمر واقع)[14]

وبناء عليه فالتّطور في نظر القائلين به " وهم كثير " هو حقيقة حتمية لا نقاش فيها ولا مجال لديهم للشك بها أو الطّعن بصحتها، وذلك يقتضينا دراسة تلك النّظرية بأدلتها ودراسة أقوال وأدلة من نادى بها وأقوال وأدلة من عارضها، ومن ثم نحكم على صحتها أو بطلانها على ضوء ذلك، خاصّة وأن غالبية وسائل الإعلام في بلادنا تروج لها، كما أصبحت مادة من المواد التي تفرضها دول المنطقة على طلابنا في المدارس والمعاهد والجامعات كجزء من التوجيه الثقافي الذي تفرضه عليهم سفارات وأجهزة الدول الغربية بغطاء ما يسمى بالتعاون الثقافي، ويفرضه عليهم الكافر المستعمر تثبيتا لاستعماره الثقافي بواسطة مراكزه المتعددة وأشهرها "اليونسكو" والاتفاقات الثقافية وغيرها.

[*1*] المصدر السابق، صفحه (*16*) نقلا عن: جريدة "نيويورك تايمس" في عددها الصادر بتاريخ *1966/11/14*

[*2*] المصدر السابق ، صفحه (*17*) نقل عن : *T. Dobzhansky , Genetics and the Origin of Species*

تاريخ المذاهب التطورية[15]

إنّ مذهب التّطور بالنشوء والارتقاء هو مذهب قديم ترجع جذوره إلى آلاف السنين، فقد ظهر أثره في أقوال علماء بابل وأشور ومصر والإغريق، وقد أبدى بعض فلاسفة اليونان آراء يمكن وصفها بأنها تطورية، إلا أن أي من نظرياتهم لم تُقبل إذ كانت نشازاً بين الأصوات المنادية للإيمان وذلك نظراً لأنّ الإنسان مفطور على التدين الذي هو إحدى غرائزه الفطرية الرئيسية. وعلى سبيل المثال فقد تطرق من الفلاسفة اليونان لموضوع التّطور" اناكسمندر *Anaximander* " المولود سنة " *610* ق.م. " قائلاً : (أما الإنسان فظهر بعد الحيوانات كلها ، ولم يخلُ من التقلبات التي ظهرت عليه ، فخلق أول الأمر شنيع الصورة ناقص التركيب ، وأخذ يتقلب إلى أن حصل على صورته الحاضرة)[16]

وفكرة التّطور هي فكرة مصاحبة لفكرة الخلق التلقائي أو التّولد التلقائي أو التولد الذّاتي . *(Spontaneous generation)* التي هي إحدى النّظريات القديمة التي وضعت قديما لتفسير أصل نشأت الكائنات الحيّة وتقول بأن تلك الكائنات قد نشأت من تفاعل بين مواد غير حيّة . ويعود تاريخ جذور الاعتقاد بالخلق التلقائي إلى العصور الغابرة، فأرسطو[17] أشهر الفلاسفة الإغريق كان يؤمن بالخلق التلقائي، (فقد لاحظ أن صغار أنواع بعض الأسماك ظهرت في برك كانت مياهها قد جفّت تماما ، فاعتقد أن صغار تلك الأسماك تنشأ من قطرات النّدى المتساقطة على أوراق

الشّجر، وينشأ بعض آخر منها من العشب الأخضر والعشب الجاف أو من شعر الحيوانات أو من اللحم المتعفن أو من النفايات)[18]

إنّ مثل تلك المعتقدات قد استندت على ملاحظات عابرة وغير دقيقة، إلا أنه نظرا لمنزلة أرسطو بين علماء العصور المظلمة كعالم ومعلم فقد ظلّت تعاليمه ونتاج أفكاره تسود خلال عهود العصور المظلمة ثمّ لعدة قرون بعد ما يسمى بعصر النّهضة. لقد ظلّ العلماء يتعلمون وينقلون عن أرسطو أكثر مما يحصلون عليه من تجاربهم واستنتاجاتهم العقلية، فقد كانت الملاحظة المباشرة

---

[1] في تاريخ المذاهب التّطورية، وخاصة القديم منها، يمكن الاستزادة والإسهاب بالرجوع إلى المصادر التالية : من الإغريق إلى داروين – اوزبورن * مقدمة إسماعيل مظهر على أصل الأنواع لداروين * خلق لا تطور – د. إحسان حقي * دائرة المعارف العربية للبستاني.

[2] دائرة المعارف العربية للبستاني.

[3] أرسطو Aristotle (384 – 322 ق.) هو الفيلسوف الإغريقي الشهير.

[1] عن كتاب "البيولوجيا" د. عدنان بدران وآخرين – طباعة وزارة التربية والتعليم/عمان. – وطباعة الضفة الغربية.

والتجارب الخاصة وإعمال العقول في التّفكر من الموجودات النّادرة في تلك العصور، إذ كان السائد بينهم الانبهار والنّقل بلا تدبر عمن كان في نظرهم من المشاهير وكمثال عليه ننقل ما كتبه العالم فان هيلمونت *Van Helmont* في كتاب نُشر له عام *1652* متأثراً بمقولة أرسطو الآنفة الذكر: (إنك إذا وضعت بعضاً من حبوب الحنطة مع قميص قذر في وعاء، فإنّ فئراناً تنشأ من تفاعل حبوب القمح مع القذر العالق بالقميص)[19]

كما أن الاعتقاد كان سائدا عن نشأة يرقات الحشرات في اللحم المتعفن، مما أدى بالتالي إلى الاعتقاد بالخلق التلقائي، حيث أتى بعد ذلك من أثبت بالدليل فساد تلك التّرهات، وكان منهم الطبيب الإيطالي "فرانسيسكو ريدي *F. Redi*" الذي بدت له تلك المعتقدات غير مقبولة، فقرر أن يختبر الأمر بنفسه، فقام بسلسلة من التجارب على لحوم وأسماك وحيات ميتة داخل دوارق زجاجية مكشوفة وأخرى مغطاة ، وبعد إخضاعها لعدة تجارب خرج بنتائج تجاربه التي نشرها، ومفادها: **(انه بعد أن نشأت الحيوانات والنباتات الأولى على أرضنا فإن جميع الكائنات**
الأخرى نشأت عن طريق التّكاثر، ولم يعد هناك خلق تلقائي)[20] إلا أن ريدي لم يتطرق إلى أصل النشأة الأولى للكائنات كما يوحي بذلك ما نشره.

أما العالم البيولوجي "لويس باستور *Louis Pasteur* " (*1822 – 1859*) وفي أثناء تجاربه وبحوثه المنصبة على محاولة دراسة عملية التخمر وعلاقة ذلك بالبكتيريا وتكاثرها بغرض استنباط طريقة لمنع الحليب وغيره من السوائل من التّعرض للفساد، خرج بإثبات قاطع بفساد مقولة الخلق التلقائي مثبتا أن كل المخلوقات بلا استثناء قد وُجدت بطريقة خلق مباشر ومتقصد، ونتيجة ذلك فقد قام بالدعوة إلى الإيمان بوجود خالق خلق الموجودات جميعا من العدم كما وسنّ قوانين التكاثر والتناسل وألزم المخلوقات به.[21]

لقد أصبح تأييد نظرية الخلق التلقائي محصور في قلة قليلة من النّاس، إذ أصبح من الثابت غير المطعون به أن كل النباتات والحيوانات لا تنشأ إلا بطريقة واحدة هي التّناسل والتكاثر الذي هو السّنة الوحيدة للنشوء. وفي القرون الوسطي وجدت كتابات في "علم الحيوان" احتوى بعضها على وصفات لإبداع مخلوقات من الجماد مثل الذباب والنمل وحتى الفئران، كما أن كثير من الناس وبعض علماء البيولوجيا كانوا يعتقدون أن نوعا من أنواع الأوز ينشأ من حيوان قشري ذي صدفتين.22 كما كان يشاع في كثير من بلاد العالم عن وجود شجرة تنتج خرافا.[23] ويحاول مؤيدي فكرة التّطور المادي الاستناد إلى ما جاء في "رسائل إخوان الصفا" حيث جاء في إحدى رسائلهم :

---

[2] عن كتاب "البيولوجيا–علم الحياة" د. عدنان بدران وآخرين، طباعة ومقرر وزارة التربية والتعليم–عمان. الصفحات (92 – 93)

[1] المصدر السابق – الصفحات (95 – 97)

[2] المصدر السابق – ارجع إلى الصفحات (90 – 101).

[3] المصدر السابق.

[4] المصدر السابق.

(... وأمّا النخل فهو آخر مرتبة الحيوان مما يلي الحيوانية، وذلك أن النخل نبات حيواني لأن بعض أحواله وأفعاله مباين لأحوال الحيوان وأن كان جسمه نباتا)[24]

ويستطردون في نفس الرّسالة:

(... وفي النبات نوع آخر فعله أيضا فعل النّفس الحيوانية وإن كان جسمه نباتيا وهو " الأكشون " وذلك أن هذا النّوع في النّبات ليس له أصل ثابت في الأرض كما يكون لسائر النبات وليس له أوراق كأوراقها، بل يلتف على الأشجار والزروع والبقول والحشائش ويمتص من رطوبتها، ويتغذى كما يفعل الدود)[25]

وهم يستدلون بذلك على أن المشابهة بين حالات في النبات وحالات في الحيوان قد يجوز اعتبارها خطوة تخطوها الصّور الحيّة في سبيل دور انقلابي من النشوء والتّطور تتحول به صور الحيوان والنبات. ويستدل التطوريين العرب من رسائل إخوان الصفا أنهم كانوا من المنادين بنظرية النشوء والتطور لما توحي به الفقرة التالية من شرح للانقلاب ألنشوئي:

(... إن أدنى الحيوان وأنقصه هو الذي ليس له إلا حاسّة واحدة وهو الحلزون، وهو دودة في جوف أنبوبة نبتت في تلك الصخور التي تكون في سواحل البحار وشطوط الأنهار وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق إلا اللمس فحسب ... لأن الحكمة الإلهية لم تعط الحيوان عضو لا يحتاج إليه في وقتِ جَرِّ المنفعة أو دفع المضرّة ... فهذا النوع حيواني نباتي، لأنه ينبت كما ينبت بعض النبات ومن أجل أنه ليس له إلا حاسة واحدة فهو أنقص عن الحيوان رتبة، وتلك الحاسّة هي التي يشاركه النّبات فيها وذلك أن النبات لم حسُ اللمس فحسب.)[26]

ومن تحليلهم لتلك العبارة خلصوا إلى استنتاجات لها في نظرهم الشّأن الأكبر والمهم في مذاهب التكوين والنّشوء، خاصّة وأن علماء التّطور يذكرون في الحلزون فقدانه كلّ الحواس عدى حاسّة اللمس التي يشترك بها كلّ من الحيوان والنبات حقائق يثبتها علم الحيوان والتاريخ الطبيعي وهو من استدلالاتهم على اشتراك بعض الحيوان والنبات في بعض الصّفات العامة ومؤيداً لما ورد في الفصل الرابع من كتاب داروين "أصل الأنواع" في موضوع "الانتخاب الطبيعي"[27] في حين أن إخوان الصّفا يسمون تلك الظاهرة كما ورد في النّص السابق " حكمة إلهية "وداروين يطلق عليها "انتخاباً طبيعياً" .

---

[1] رسائل إخوان الصفا – الرسالة العاشرة – طبعة بومباي. مجلد (4) صفحة (282) وما بعدها.

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

[1] داروين – أصل الأنواع – ترجمة إسماعيل مظهر – الفصل الرابع " الانتخاب الطبيعي ". الصفحات (213 – 280) طباعة مكتبة النهضة – بيروت وبغداد. ويسمى فيما بعد " **المرجع** ".

ويستندون كذلك إلى أقوال وردت في كتب " ابن مسكوية "[28] وهي " الفوز الأصغر" و" تهذيب الأخلاق " . كما يأولون بعض ما ورد في " مقدمة ابن خلدون " بتأويلات يذهبون بها إلى أن كلا الكاتبين كانا ممن حمل فكرة " النشوء والارتقاء " ودعى لها، كما يذهبون في ذلك نفس المذهب في استعرضهم لكتاب الجاحظ "الحيوان"، أمـــّا " أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه الخازن " المتوفى عام *421* هـ فيقول في كتابه" الفوز الأصغر " :

(إنّ أول أثر ظهر في عالمنا هذا نحو المركز بعد امتزاج العناصر الأولى أثر حركة النّفس في النبات ، وذلك أنه تميز عن الجماد بالحركة والإغتذاء وللنبات في قبول الأثر غرضاً كبيراً .... إن مرتبة النبات الأولى في قبول هذا الأثر الشريف هو لما نجم من الأرض ولم يحتج إلى بذور ولم يحفظ نوعه ببذر كأنواع الحشائش ، وذلك أنه في أفق الجماد ، والفرق بينهما هو هذا القدر اليسير من الحركة الضعيفة في قبول أثر النّفس).

والنباتات المقصودة في هذا القول هي "الفطريات" أي النباتات التي تتكاثر بانقسام الخلايا الجرثومية التي يقول فيها علماء النبات في عصرنا هذا أنها قسم عظيم من أقسام العالَم النباتي تحتوي الفطريات والطّحالب وغيرها من النباتات البسيطة التركيب وهي " الثالوسيات " والتي تدعى أيضاً " المشريات والبارضيات *Thallophytic* " وهي كما صنفها علماء النبات شعبة من النباتات تشمل أكثر أشكال الحياة النباتية بدائية وتضم الأشنّة أو الطحالب والفطور التي لاجذور لها ولا سوق ولا أوراق، إذ هي جسم نباتي بسيط غير متخلّق الأعضاء وتتركب من خليّة واحدة أو من جرم من الخلايا المتصلة .

ويستطرد ابن مسكويه قائلاً : (... ولا يزال هذا الأثر يقوى في نبات آخر يليه في الشّرف والمرتبة إلى أن يصير له من القوّة في الحركة بحيث يتفرّع وينبسط ويتشعّب ويحفظ نوعه بالبذور ويظهر فيه أثر الحكمة أكثر مما يظهر في الأول، ولا يزال هذا المعنى يزداد شئ بعد شئ إلى أن يصير إلى الشّجر الذي له ساق وورق وثمر يحفظ نوعه ، وغراس يضعونها بها حسب حاجته إليها ، وهذا هو الوسط من المنازل الثلاث) ويقصد بهذا مرتبة الحشائش والأعشاب. ويستطرد الكاتب قائلاً : **(إلا أنّ أول هذه المرتبة متصل بما قبله وواقع في أفقه ، وهوما كان من الشّجر على الجبال وفي البراري المنقطعة وفي الغياض وجزائر البحار ولا يحتاج إلى غرس بل ينبت لذاته وإن يحفظ نوعه بالبذور، وهو ثقيل الحركة بطئ النّشوء)**

أمّا المرتبة الثالثة : (ثم يتدرّج في هذه المرتبة ويقوى الأثر فيه ، ويظهر شرفه على ما دونه حتى ينتهي إلى الأشجار الكريمة التي تحتاج إلى عناية من استطابه التّربة إلى استعذاب الماء والهواء لاعتدال مزاجها وإلى صيانة ثمرها كالزيتون والرُمان والسفرجل والتفاح والتين وأشباهها). ومقصد ابن مسكويه بذلك "النباتات كاسيات البذور من مرتبة ذوات الفلقتين" حسب التقسيم الذي يجريه النباتيون الآن. ثم يتدرج بعد ذلك قائلاً: (إذا انتهى إلى ذلك – أي النبات – صار في الأفق الأعلى

---

[2] هو العلامة: أبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه الخازن المتوفى سنة 421 هجرية.

من النبات، وصار بحيث إذا زاد قبوله لهذا الأثر لم يبق له من صورة النبات، وقَبِلَ حينئذٍ صورة الحيوان) .

بعد استطراد ابن مسكويه في مراتب النبات يأتي لذكر" النخل " ذاكراً حالات التّشابه التي ذكرها "إخوان الصفا" والتي مَرّ ذكرها إلى أن يصل إلى حركة النبات الانقلابية إلى الحيوان حيث يقول : (إنّ هذه المرتبة الأخيرة من النبات وإن كانت في شرفه فإنها لأول أفق الحيوان وهي أدنى مرتبة فيه وأخَسها وأول ما يرقى النبات في منزلته الأخيرة ويتميّز بها عن مرتبته الأولى، هو أن ينقلع من الأرض ولا يحتاج لإثبات عروقه فيها بما يحصل له من التّصرف بالحركة الاختيارية، وهذه المرتبة الأولى من الحيوان ضعيفة لضعف أثر الحس فيها، وإنما يظهر فيها بجهة واحدة أعني حساً واحداً هو الحس العام الذي يقال له حس اللمس كما في الصّدَف وأنواع الحلزون الذي يوجد على شواطئ الأنهار وسواحل البحار).

كان هذا هو وصف لمراتب انتقال النبات من مرتبة إلى أخرى كما يراها "ابن مسكويه" مطابقا لما ذكره دُعاة التّطور والنشوء من نشوء النبات من الجماد ونشوء الحيوان من النبات ونشوء الإنسان من الحيوان، مستطرداً إلى الإنسان الناشئ من آخر سلسلة البهائم، حيث يقول في مراتب تدرج الإنسان : (مراتب القرود وأشباهها من الحيوان الذي قارب الإنسان في خلقة الإنسانية وليس بينها إلا اليسير الذي إذا تجاوزه صار إنساناً). ويوضح تسلسله للرُتب من الحيوانية إلى الإنسانية قائلاً في كتابه الثاني "تهذيب الأخلاق" :

(... ثم يصير من هذه المرتبة[29] إلى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الإنسان من تلقاء نفسه من غير تعليم كالقرود وما أشبهها ، وتبلغ من ذكائها أن تستكفي من التأديب بأن ترى الإنسان يعمل عملاً فتعمل مثله من غير أن تحوج الإنسان إلى تعب بها

ورياضة لها، وهذه غاية أفق الحيوان الذي تجاوزها وَقَبِلَ زيادة يسيره خرج منها عن أفقه وصار في أفق الإنسان الذي يقبل العقل التمييز والنُطق والآلات التي يستعملها والصّور التي تلائمها، فإذا بلغ هذه المرتبة تحرّك إلى المعارف واشتاق إلى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقي والإمعان في هذه المرتبة كما كان ذلك في المراتب الأخرى التي ذكرناها، وأول هذه المراتب من الأفق الإنساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني، مراتب النّاس الذين يسكنون في أقاصي المعمورة من الأمم التي لا تتميز عن القرود إلا بمرتبة يسيرة، ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم إلى أن يصيروا إلى أواسط الأقاليم، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل، وإلى هذا الوضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمحسوسات)

هذا بعض ما ورد في كتب "ابن مسكوية" والتي يستشهد بها دعاة التّطور على قدم مذهبهم ، والملاحظ أن ابن مسكويه أيضا وكذلك "إخوان الصفا" يردون حدوث هذا التطور من المراتب النباتية إلى

---

[1] المقصود هنا مرتبة الحيوانات التي في نظره لم تعط الفهم وقوته إلا النذر اليسير وهي قبل مرتبة القرود التي أعطيت من قوة الفهم أكثر منها.

الحيوانية ومن ثم إلى صورة الإنسان إلى قوانين وسنن فرضها الله تعالى على المخلوقات وألزمها التّطور في نطاقها، فلا يردون ذلك إلى الصدفة العشوائية ولا إلى الخلق التلقائي.

وأما استشهادهم بأقوال " ابن خلدون " فلما جاء في كتابه " مقدمة ابن خلدون " وبالتحديد لما ورد في المقدمة الثالثة منه في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم ، **وهذا نصه :**

(وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات أن السودان وهم ولد حام بن نوح، اختصوا بلون السّواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله الرّق في عقبه، وينقلون في ذلك خرافات من القصص، ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السّواد ، وإنما دعا عليه بأن

يكون ولده عبيدا لولد أخوته لا غير . وفي القول بنسبة السودان إلى حام[30] غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وبما يتكون فيه من الحيوانات ، وذلك أن هذا اللون شمل أهل الإقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة في الجنوب ، فإن الشّمس تسامت رؤسهم مرّتين في كل سنة قريبة إحداهما من الأخرى فتطول المسامتة عامة الفصول ، فيكثر الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد وتسود جلودهم لإفراط الحر .)[31]

فيستدلون من ذلك موافقة بين مذهبهم وبين رأي ابن خلدون إذ يتقولون أنه يرى ما يرون من أثر تأثير الطبيعة في الأحياء، وهذا ما ذهب إليه " لامارك " الذي اعتبر أن العادة تغير من صفات العضويات بمثل ما يغير الطقس ، وهذا القول هو من النظريات الأولية التي بنى عليها " لامارك " مذهبه في النشوء .

أما في المقدمة الرّابعة من كتابه في أثر الهواء في أخلاق البشر فيقول : (ولما كان السودان ساكنين في الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وأقليمهم ، فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الإقليم الرابع أشد حراً فتكون أشد تفشيا ، فتكون أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطا ويجئ الطيش على أثر هده .وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية ، لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه أضواء بسيط البحر وأشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة)[32]

---

[1] ينسب القلقشندي الشهير بابن غدة في كتابه " سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب " صفحة (12) إلى حام بن نوح أنه أبو السودان بجميع أجناسهم – الحبشة والنوبة والزنج – ويقول: وكان حام حسن الصورة بهي الوجه فغير الله لونه وألوان ذريته من اجل دعوة أبيه لأنه دعا عليه بتسويد الوجه وسواد ذريته وأن يكون أولاده عبيداً لأولاد سام ويافت .....

[2] مقدمة ابن خلدون – سلسلة كتاب التحرير – طبعة 1376 هـ / 1966 م صفحة (76)

[3] المرجع السابق صفحة (78)

أما في مقدمته الخامسة والتي تبحث في أثر اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع فيقول : (وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم من أهل التلال المنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وإشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات.)[33]

فيقارنون بين هذا وبين أثر التحولات التي تعتمد عليها بعض نظريات النشوء، زاعمين أنها من أقوى الأسباب في استحداث الضروب التي تحدث في الأنواع بمضيها متدرجة في قبول تلك الصفات حالاً بعد حال. وأتى مطابقاً لما يقوله " أندورايت ANDREWNIT " من احتمال أن يكون لتغاير الأغذية أثر في تغاير الأشكال الظاهرة في الحيوانات ما جاء في ختام المقدمة الخامسة حيث يقول : (ومن تأثير الأغذية في الأبدان ما ذكره أهل الفلاحة وشاهده أهل التجربة أن الدجاج إذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الإبل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون، وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحضن فيجئ دجاجها في غاية العظم، وأمثال ذلك كثير، فادا رأينا هده الآثار من الأغذية في الأبدان فلا شك أن للجوع أيضاً آثاراً على الأبدان، لأن الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه، فيكون تأثير الجوع في نقاء الأبدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلفة المخلة بالجسم والعقل كما كان الغداء مؤثرا في وجود دلك الجسم، والله محيط بعلمه.)[34]

أما في مقدمته السادسة فيقول في "تفسير حقيقة النبوة" : (ثم أنظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج ...... آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متّصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون

والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط. ومعنى الاتصال في هذه الكائنات أنّ آخر كل أفق منها مستعدٌ بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التّكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والرّوية، ترتفع إليه من عالم القردة[35] الذي اجتمع فيه الحس والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك في أول أفق الإنسان بعده، وهذا غاية شهودنا.)

كان هذا بعض ما ورد في "مقدمة بن خلدون" مما يعتبره دعاة التطور غير بعيد عما ذكره داروين في ملخصه التاريخي الذي وضعه لكتابه. أما "الجاحظ" فقد أورد في كتابه "الحيوان" مشاهدات يعتبرها باحثوهم من مقومات مذهب النشوء، منها ما قاله في التلاقح وتزاوج الضروب وإنتاج الأنسال الجديدة، حيث قال في فصل "باب القول في الجعلان والخنافس" ما يلي : (والجعل يظل دهراً لا جناح

---

[1] المرجع السابق صفحة (79)

[2] المرجع السابق صفحة (82)

[1] هكذا وردت في نسخة " كتاب التحرير ". وفي نسخة د. علي عبد الواحد وافي. إلا أنها وردت في نسخة الطبعة الأميرية صفحة (80) – **(عالم القدرة).**

له ثم ينبت له جناحان كالنمل الذي يغبر دهراً لا جناح له ثم ينبت له جناحان وذلك عند هلكته، والدعاميص قد تغبر حيناً بلا أجنحة، ثم تصير فراشاً وبعوضاً، وليس كذلك الجراد والذبان، لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور الأيام، وزعم ثمامة عن يحيى بن خالد أن البرغوث قد يستحيل بعوضة، والجعل يحرس النيام فكلما قام منهم قائم فمضى لحاجته تبعه طمعاً في أنه إنما يريد الغائط.)[36]

ويرجع دعاة فكرة النشوء إلى "القزويني"[37] صاحب كتاب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" حيث يستدلون لتأييد ما يدعون إليه بما جاء في صفحة (*241*) من كتابه : (فأول مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة، فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات، والنبات متصل

أوله بالمعادن وآخره بالحيوان، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية، والله تعالى أعلم بالصواب.)[38]

أما ما هو نوع هذا الاتصال فالفقرة التي سبقتها في نفس الموضوع تفسّر بجلاء تام ووضوح أن ما قصده القزويني لم يكن أبداً كما أولوه وفسروه حيث يقول: (... وأنها متّصلة بعضها ببعض بترتيب عجيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.)[39] وربما يكون ما جاء في نفس الكتاب بعنوان "في النبات" ما يكون أوضح في إبعاد القزويني عما يصفوه به من الهرطقة والكفر والسّفه حيث يقول:

(النبات متوسط بين المعادن والحيوان، بمعنى خارج عن نقصان الجمادية الصرفة التي للمعادن وغير واصل إلى كامل الحسن والحركة اللتين إختص بهما الحيوان، لكنه يشارك الحيوان في بعض الأمور لأن الباري تعالى يخلق لكل شئ من الآلات ما يحتاج إليهما في بقاء ذاته ونوعه، وما زاد على ذلك تكون ثقلاً وكلاً عليه لا يخلفه، ولا حاجة للنبات للحس والحركة بخلاف الحيوان.)[40]

إنّ أشهر وأقدم نظريات النشوء بالتطور الحديثة كانت نظرية العالم الإنجليزي "ايراسموس داروين *Erasmus Darwin*" وهو جد صاحب نظرية التطور الشهيرة والذائعة الصيت "تشارلس داروين *Charles Darwin*"، ثم نظرية "كونت بوفون *Conte De Buffoon*" وكان ملخص النظريتين ما يلي : (إن وجود نباتات أو حيوانات تحت تأثير وسط معين يكسبها صفات جديدة، وهذه الصفة تنتقل إلى نسليهما فتحدث انقلابات هي عوامل التطور.)

---

[2] كتاب " الحيوان " للجاحظ. دار صعب – بيروت. جزء (3) صفحة (591).

[3] زكريا بن محمد بن محمود القزويني (600 – 682".).صاحب كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات " .

[1] عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. "القزويني" طبعة دار الآفاق الجديدة – بيروت. صفحة (241)

[2] المصدر السابق. صفحة (241).

[3] المصدر السابق. صفحة (281).

ثم تبعهم العالم الطبيعي الفرنسي "جان باتيست لامارك *Jean Baptiste Lamark*" الذي نشر كتاباً في تأييد نظرية وراثة الصفات المكتسبة مشترطاً وجود ضرورات كوسيلة للتطور.[41]

وبعد ذلك ظهر أستاذ علم الحياة الألماني "اوغست وايزمن *Augest Weissma*" حيث حاول الوصول إلى نتيجة التطور بطريق الصفات المكتسبة، فحاول تربية فئران بلا ذنب بعد ان قطع أذناب فئراناً قبل تلاقحها .....)[42]

إن العلماء المختصين استنادا لتحقيقاتهم العلمية وبعد إعمالهم عقولهم في تجاربهم، قد رفضوا وبصورة قاطعة نظرية التحول الوراثي للصفات المكتسبة، وأثبتوا فسادها بالأدلة العلمية، إلا أن تلك النظرية لم تتلاشى تماماً بالرغم من تحول الكثير عنها وقيامهم بنقضها ومهاجمتها، فقد بقي لها أنصار ومؤيدون ودعاة، منهم من حمل النظرية على علاتها، ومنهم من طفق يدعمها بأدلة ومنهم من حاول إدخال التحسينات عليها مع الإبقاء على أصلها.

لقد أثار العالم الكيميائي السويدي "سفانت آرهينوس *Savante Arrthenius*" نظريته أن أصل الحياة قد أتى من الفضاء الخارجي (*Panspermia*) بطريق إنتقال وحدات شبه جرثومية من كوكب إلى آخر عن طريق الضغط الإشعاعي، وقد نُظر إلى تلك النظرية أنها قد تأثرت بقصص الخيال العلمية وأنه ليس لها أدلة تدعمها، وأنها هرطقة، لذا فلم ترد تلك النظرية في سياق التسلسل التاريخي للمذاهب التطورية إلا نادراً.[43]

أما "هيلر *Heller* " (*1772–1844*) وهو عالم فرنسي وصاحب النظرية الحاملة لاسمه فتقول نظريته بأن الأنواع المختلفة من الكائنات الحيّة تنشأ استجابة لظروف البيئة فظروف البيئة تتغير باستمرار مما يسبب تغيرات في الكائنات الحيّة، فإذا كانت التغيرات ملائمة للبيئة فإن الأفراد تعيش وتتكاثر مكونة نوعاً جديداً وإذا كانت التغيرات غير ملائمة فإن أفراد هذا النوع تهلك وتنقرض.)[44]

أما في روسيا فقد ظهر فيها العالم البيولوجي الروسي "ايفان فلاديميروفيتش ميتشورين *Ivan Vladimirovich Michorin*" (*1855–1935*) والذي رفض قانون الوراثة الذي وضعه الراهب "مندل *Mendel*"[45] ووضع مذهباً في التطور العضوي سمي "الميتشورينية *Michurinism*" نسبة له، وهو مذهب في التطور العضوي تعتبر شكلاً من أشكال اللاماركية، والذي يقول بأن الصفات المكتسبة تنتقل

---

[1] *Jean Batiste De Mont: chevalier de Lamark.*

[2] يمكن الرجوع إلى الرد على تلك الطريقة إلى كتاب " علم الحياة " المطبوع سنة *1966* م.
Milltown, Mark, A. Hall S. Lesser: Review text in Biology.

[3] جولدزبي – البيولوجيا. جزء (*1*) صفحة (*10–11*)

[1] المصدر السابق. صفحة (*123*).

[2] غر يغور جوهان مندل *Gregory Johann Mendel* (*1822 – 1884*) راهب وعالم نبات نمساوي، يعد مؤسس علم الوراثة (*genetics*) أجرى في حديقة الدير الذي يقيم فيه تجارب على نباتي البازيلا والفول أدت إلى اكتشافه قواعد الوراثة الأساسية والتي يطلق عليها اسم (قوانين مندل) أو (المندلية) (*Mendel's Laws*).

بالوراثة إلى الذرية.[46] وظهر بعده في روسيا من أتباع اللاماركية العالم البيولوجي "ترو فيم دينبوفيتش ليسينكو *Trofim Denisovich Lysenko*" (*1898–1976*) والذي عمل بتشجيع من ستالين على إنتاج أنماط جديدة من المحاصيل في فترة شكى الاتحاد السوفييتي خلالها من أزمة خطيرة في الإنتاج الزراعي (*1927–1929*) فوضع مذهبا في التطور العضوي نُسبَ إليه إذ أطلق عليه اسم "الليسينكورية *Lysenkorism*" وهو مذهب في التطور العضوي وضعه عام *1930*، ويعتبر امتداداً وتطويراً لٍ ً "الميتشورينية" والمذهب يقوم على إنكار وجود المورثات (*Genes*) والهرمونات النباتية ودور الصبغيات (*Chromosomes*) المتخصص، ويقوم على قاعدة أساسية هي الوحدة بين المتعضي (*Organism*) وبيئته، مؤكداً أن جميع أجزاء المتعضي تُسْهم فيما ندعوه الوراثة وأن في إمكان البيئة أن تتحكم في هذه الوراثة.[47]

لقد كتب الأستاذ "دوديسويل *Dowd swell*" في كتابه "آلية التطور" المطبوع سنة *1960*: (إن آخر جديد في النظرية اللاماركية[48] هو ما جرى في روسيا سنة *1948* تحت إشراف الأستاذ ليسينكو حيث استبعدت تلك النظرية من الميدان العلمي، ولكن استبعادها جرى على أسباب عقدية "أيدلوجية" أكثر من كونها علمية)[49] ثم أعقبت مجلة " تايم *Time* " ذاكرة الخبر التالي في عددها الصادر في تشرين ثاني سنة *1965* ما يلي: (إن الأستاذ ليسينكو أعفي من منصبه، وأن الشيوعيون أيضاً رفضوا هذه النظرية علمياً، لأن الوراثة تحددها "المولدات" وهذه تبقى ثابتة خلال الكائن الحي مدى حياته) والمولدات أو "المضادات *Antigens*" هي البروتينيات التي ينتجها الجسم في حال تسرب الأجسام الغريبة إليه ، وتدعى أيضاً "الأجسام المضادة *Antibody* " وهي تتميز بقدرتها على جعل الأجسام الغريبة عديمة الضرر.[50]

إلا أن كلا المذهبين "الميتشورينية والليسينكووية" يصنفان ضمن قائمة المدرسة اللاماركية التي يطلقون عليها حديثاً اسم "اللاماركية المُحْدَثَة*Neo Lamamrkism*" وهي كل تلك النظريات التي نشأت عن اللاماركية في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر والتي تعتمد على التأكيد على أثر البيئة المباشر في التطور العضوي للحيوانات والنباتات . ومن أبرز دعاة تلك النظرية "الفريد ماتيو جيبار *Giard*" (*1846–1908*) في فرنسا و "إدوارد دينكر كوب *Cope*" (*1840–1897*) في الولايات المتحدة الأمريكية.[51]

****

[*3*] موسوعة المورد العربية – المجلد الثاني – صفحة (*1182*).

[*1*] المصدر السابق. صفحة (*1054*).

[*2*] اللاماركية نسبة إلى عالم النبات "لامارك*Lamark*" القائل بالتحول الفجائي، وهو صاحب كتاب (فلسفة الحيوان).

[*3*] *W.H. Dowdesweell: The mechanism of Evolution.*

[*4*] موسوعة المورد العربية. مجلد (*1*) صفحة (*388*).

[*1*] المصدر السابق . مجلد (*2*) صفحة (*1025*)

لقد وضع "هيربرت سبنسر *Herbert Spenser* " الأسس والبراهين المرتكزة عليها قواعد نظرية النشوء والارتقاء في أواخر القرن التاسع عشر، مؤكداً أن قانون الارتقاء عامة ينحصر في التغاير من حال التّجانس التركيبي إلى التنافر فيه، وتلك النظرية هي نفس "نظرية داروين" إلا أن النظرية قد نسبت إلى "شارلس روبرت وارنج داروين *Charles Darwin*" المولود سنة *1809* والمتوفى سنة *1882* وأخذت اسمه، فداروين كان أشهر وأجرأ من تكلم بها وكتب عنها، وكان أشهر الكتب التي اشتهرت في ذلك هو كتابه "أصل الأنواع *The Origin of Species* " الذي ظهر سنة *1859*م.

بعد أن نشر داروين كتابه المذكور، نشر بعده عدة كتب في التطور والنباتات، وفكر أن يطبق نظريته على الإنسان، فأكب على المعلومات التي استجمعها يرتبها ويجمع بينها، ويستخلص منها النتائج التي قد يستطيع أن يثبت منها أن الإنسان ناشئ من صورة دنيا هي اقرب إلى القردة العليا منها إلى أي صورة من صور الأحياء. وقد فرغ من كتابة فصول كتابه الجديد في ثلاث سنوات، ونشره في شباط سنة *1871*م، أي بعد *13* عاماً من نشر كتابه الأول "اصل الأنواع" فكان الكتاب الثاني "نشوء الإنسان *Evolution of Man* ".

لقد ثارت عاصفة هوجاء حول الكتابين، وجرى معارضة ونقض الأفكار التي حوتها كتب داروين من قبل علماء وباحثين، إلا أنه بعد داروين والعاصفة التي ثارت حول نظريته نشر " اوزبورن *Osborn* "كتابه المعروف" من الإغريق إلى داروين *From the Yreeks to Darwin* " شارحاً تأريخ تدرج الفكر في التأمل في تطور الأشياء، محاولاً البرهنة على خطأ نظرية "الخلق المستقل *Sjecal Creation*"، واثبات نظرية داروين القائلة بتطور المخلوقات (*Evolution*).

إلا أنّه حتى داروين الذي اشتهرت النظرية باسمه لم يكن أول من حاول البحث في نفس الموضوع، ولم يكن مبتدعاً لنظرية جديدة ، فقد سبقه العالم الفرنسي "كونت بوفون*Conte de Buffoon*" الذي كان أول من كتب في الموضوع بأسلوب علمي، وقد تبعه "لامارك *Lamark* " سنة (*1809*م) أي قبل ظهور كتاب داروين بخمسين سنه، وكان قد نشر كتابه "فلسفة الحيوان" ثم أتبعه كتاب "تأريخ الفقاريات الطبيعي" فأيد في كلا الكتابين نظرية أن الأنواع جميعاً– بما فيها الإنسان– ناشئة من أنواع أخر، وركّز في بحوثه أن ضروب التحول في العالم العضوي وغيره ناشئ عن سنن طبيعية صرفة، وتوالى بعد ذلك العلماء والباحثين متجهين نفس الاتجاه، وكان أشهرهم قبل ظهور داروين:

01	جفروي سانتيلير	*1795*	A.G. Sant Lieer
02	د. ويلز	*1813*	D. Wills
03	وليم هيربرت	*1822*	W. Heirbert
04	جرانت	*1826*	Grant
05	باتريك ماتيو	*1831*	Partik Matio

V. B. Leopold	*1836*	فون بوخ ليوبولد	***06***
Von Baer	*1837*	فون باير	***07***
Domallius Daliwah	*1846*	دوماليوس دالوى	***08***
Richard Owen	*1849*	رتشارد أوين	***09***
Heirbert Spinser	*1858*	هيربرت سبينسر	***10***
Sir Josef Dalton Hooker	*1859*	هوكر	***11***

حتى ظهر داروين بكتابيه: الأول سنة *1859*، والثاني سنة *1871*، فكان ظهور داروين ونظريته أكثر ما شاع وأجرأه، إذ حاول إثبات فكرة التطور وإخراجها إلى حيز النظريات، **لذا** فقد نسبت النظرية له واشتهرت باسمه .

****

لم يكن داروين ونظريته آخر المطاف، بل لقد حمل الفكرة فلاسفة وعلماء وأدباء كثيرون بعده وروّجوا لها في كتبهم وفي محاضراتهم وفي جميع وسائل الإعلام، كان منهم " البروفيسور ماندير *A.E. Maunder* " الذي يعلق على نظرية التطور العضوي قائلاً:

(لقد ثبت صدق هذه النظرية حتى أننا نستطيع أن نعتبرها أقرب شئ إلى الحقيقة)[52] أما العالم التطوري الشهير " جورج سمبسون *Gaylord Simpson*" فيقول : (إن نظرية النشوء والارتقاء حقيقة ثابتة أخيراً وكلياً، وليست بقياس أو فرض بديل صيغ للبحث العلمي)[53]

أما محرر "دائرة المعارف البريطانية" فيعتقد أن نظرية الارتقاء في الحيوان حقيقة، وأن هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامة بين العلماء والمثقفين بعد داروين.[54]

أما " ر. س. ليل *R.S.Lille* " فيدلي برأيه قائلاً : (ظلّت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد يوما بعد يوم بعد داروين حتى أنه لم يبق شك لدى المفكرين والعلماء في أن هذه هي الوسيلة المنطقية الوحيدة التي تستطيع أن تفسّر عملية الخلق وتشرحها)[55]

ولقد بلغ بِ "سير آرثر كيت" الذي يعتبر محامياً متحمساً للنظرية وأحد أبرز الشخصيات الداعية لها، أنّه لم يعتبرها مجرد ملاحظة أو نظرية أو تسلسل منطقي، بل لقد اعتبرها عقيدة حيث يقول : (ان نظرية الارتقاء هي عقيدة أساسية في المذهب العقلي)[56] وهو إذ يفسر إيمانه بتلك العقيدة يعترف بأنها عقيدة بلا أدلة ولا براهين!!! ملمحاً إلى الأسباب الخفية الدّافعة لاعتناقها : (إن نظرية النشوء

---

[1] الإسلام يتحدى، صفحه (*49*)، نقلاً عن : *Ibid , P : 113*

[2] المصدر السابق، نقلا عن: *Meaning of Evolution.p.127.*

[3] المصدر السابق، نقلا عن: دائرة المعارف البريطانية (*1958*).

[4] المصدر السابق، نقلا عن: *Organic Evolution. 15*

[1] المصدر السابق، نقلا عن: *Revolt against reason P: 112*

والارتقاء لا زالت بدون براهين وستظل كذلك، والسبب الوحيد الذي في أننا نؤمن بها هو آن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا غير وارد على الإطلاق)[57]

أما الداروني الملحد " جوليان هُكسلي *J.Huxley* " فيقول عن النظرية :

(هكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أنعم عليه كسيد للمخلوقات كما تقول الأديان..... من المسلم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر)[58] وهو يزعم بأن الإنسان قد اختلق فكرة "الله" إبان عصر عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آن واحد، إلى أن يقول : (بعد نظرية داروين لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً)[59]

أما "د. هـ. سكوت" المشهور كدارويني شديد التّعصب فيقول : (إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولايمكن أن نتخلى عنها ولو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد)[60]

أما الفيلسوف الملحد الشهير "برتراند راسل *Bertrand Russell* " فيشيد بالأثر الدارويني مركزاً على الناحية الميكانيكية في النظرية، حيث يقول : (إنّ الذي فعله جاليلاي ونيوتن من أجل الفلك فعله داروين من أجل علم الحياة)[61]

****

لقد سُخِرَ لنشر نظريات التطور عموماً، ونظرية داروين تحديداً، معظم وسائل الإعلام العالمية، ونُشر حولها العديد من المقالات والأبحاث في الجرائد والمجلات والكتب والموسوعات، وقام بتدريسها أساتذة المدارس والمعاهد والجامعات، ورَوَجَت لها الجرائد والمجلات والإذاعات وكل وسائل الإعلام، وتبنى شرحها كثير من الأساتذة والعلماء في شرق العالم وغربه على السواء، فانتشرت في أوروبا وانتقلت بعدها إلى جميع بقاع العالم، وما زالت تلك النظرية تُدَرَسَ في كثير من الجامعات العالمية، كما أنها قد وَجَدَت أتباعاً لها في العالم الإسلامي من الذين تربوا وتثقفوا تربية وثقافة غربية حيث درسوا في جامعات أوروبية وأمريكية، وبالأخص "جامعة السوربون" الفرنسية.

---

[2] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. صفحة (211)

[3] المصدر السابق. صفحة (211)

[4] المصدر السابق . صفحة (212)

[5] المصدر السابق. صفحة (212)

[1] المصدر السابق. صفحة (212)

أشهر المذاهب التطورية

إنّ أشهر من إقترن اسمه بفكرة التطور العضوي هو " تشارلس داروين *Charles Darwin* " إلا أنه وكما أسلفنا في الفصل السابق لم يكن أول من ابتدع الفكرة، بل لقد سبقه إلى ذلك كثير من علماء الإغريق الأقدمين، مثل " أناكسيماندر *Anaximander* " و "أمبيدوكلس *Ampedocles* " و "أرسطو *Aristole* ". كما أن النظريات التطورية الحديثة تختلف إحداها عن الأخرى في المضمون وأحياناً تتضارب، وأشهر المذاهب التطورية هي :

"*1*" نظرية "لامارك" في الاستعمال وعدم الاستعمال :

لقد وضع هذه النظرية العالم الفرنسي " لامارك *Lamark* " وافترض فيها تعرض البيئة للتغيير، وأن الاستعمال أو عدم الاستعمال قد تُبَدِل من صفات الأفراد، وافترض فيها أن الصفات التي يكتسبها الفرد أثناء حياته تنتقل إلى ذريته بالوراثة *Heredity*، وقد ضرب لذلك مثلاً عنق الزرافة، فهذا العنق وصل إلى درجة غير عادية من الطول، وَفُسِّرَ ذلك بأنّ الزرافة تمد عنقها لتصل إلى أوراق الشّجر العالية، ومن ثمّ زاد العنق تدريجياً في الطول، وازداد بتوالي الأجيال حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، ومن ناحية أخرى ضمرت أجنحة بعض الطيور نتيجة عدم استعمالها في الطيران.

من المعلوم أن النظرية اللاماركية في توارث الصفات المكتسبة قد جوبهت بالرّفض من علماء الأحياء لافتقارها إلى البرهان والأدلة، وقد سدَّد "وايزمان *Weismann*" ضربة إلى هذا المذهب بنظريته حول الخلايا الجرثومية.[62]

---

[1] د. فؤاد خليل وآخرين، علم الحيوان العام، صفحه (1108).

– د. مصطفى عبد العزيز وآخرين، النبات العام، صفحه (1001).

"2" نظرية داروين في الانتخاب الطبيعي :

وسنسهب في استعراض وشرح تلك النظرية قدر الإمكان في الفصل التالي، ومذهب داروين يعتمد ويرتكز على المشاهدات التالية:

01	التناحر بين المخلوقات على البقاء .	*Struggle for existence*
02	البقاء للأصلح .	*Survival for the fittest*
03	الوراثة وتأثيرها .	*Heredity*
04	الانتخاب الطبيعي .	*Natural Selection*
05	التجاوب أو الملائمة مع البيئة أو عدم الملائمة.	*Environmental*
06	أصل الأنواع .	*The Origin of Species*

هذا ولم يَدَّعِ داروين أن يكون شرحه لقواعد نظريته التي نتجت عن تلك المشاهد ذات نهائية، إنما لمس منذ البداية ضعف وهزال الأدلة التي قَدَّمَها، وقد تنبأ أنّ كثيراً مما كتب قد يثبت أنه هراء، ولكنه يرجو أن يظلّ الهيكل ثابتاً.[63] وهذا ما حدث بالفعل إذ أنّ "يوهانسن*Johannsen*" (*1855–1927*) قد سَدَّدَ ضربة إلى البند الخامس من المشاهدات التي اعتمدها داروين، حيث أثبت أن الملائمة للبيئة أو عدمها ليستا مما يُوَرِث التطور العضوي، كما سَدَّدَ العالم الهولندي "هيجو دي فريز *Hugo de Vries* " (*1848–1935*) ضربة إلى المشاهدات الرئيسية التي اعتمدها داروين وهي "الانتخاب الطبيعي" في إثبات نشوء النّوع وارتقائه، وعزا ذلك إلى "الطفرة *mutation*" أو التنوع غير المستمر.[64]

[1] المرجع – الفصل السادس – باب مشكلات النظرية.

[2] عن كتاب " علم الحيوان العام " صفحه (1110) و " النبات العام " صفحه (1002).

"*3*" نظرية "وايزمان" حول البلازم الجرثومي:[65]

صاحب هذا المذهب هو عالم الأحياء "اوغست وايزمان *August Weissman*" (*1834–1914*)[66] الذي حاول نقض النظرية اللاماركية عن طريق إثبات أن الصفات التي يرثها الفرد عن أبويه إنما تأتي عن طريق الخلايا الجرثومية ولا دخل للخلايا الجسمية فيها، وأن الخلايا الجرثومية لا تخضع لمؤثرات البيئـة التي تتطلب من بعض التراكيب استعمالاً أو إهمالاً، فالحداد مثلاً يستعمل ذراعيه كثيراً فتنمو عضلاتها ومن ثمّ تغلظان وتقويان، ولكنَّ ابنه إذا لم يمارس الحدادة حرفةً فلن يكون في قوّة أبيه الحدّاد، وتتلخص تلك النظرية بما يلي :

1. **تنقسم خلايا الجسم الحي إلى نوعين: خلايا جسدية *Somatic cells* تحتوي على البلازم الجسدي، وخلايا جرثومية *Germ cells* تحتوي على البلازم الجرثومي .**
2. **تكمن الخلايا الجرثومية داخل الجسم ولكنها ليست جزءاً منه.**
3. **تنشأ الخلايا الجرثومية منحدرة مباشرة من الخلايا الجرثومية التي سبقتها.**
4. **البلازم الجرثومي في تسلسل مستمر ويقوم الجسد بصيانته.**
5. **تنشأ التنوعات عن امتزاج الصفات المختلفة المستمدة من الوالدين.**
6. **تنشأ الموجهات من البلازم الجرثومي، وتنتقل خلال الخلايا الجرثومية إلى الأجزاء المختلفة من الجسد النامي، ويتم بهذه الطريقة تنويع الكائن الحي.**
7. **لا ينشأ طراز جديد من الكائنات إلا نتيجة لطراز متغير من الخلية الجرثومية.**

ومن ثمّ فان نظرية وايزمان تناقض تماماً نظريتي –لامارك وداروين–، إذ الأخيران يعتقدان أنّ مرد التّنوع هو الجسد ثم ينتقل إلى الخلايا الجرثومية، أما وايزمان فقد أبرز أهمية الوراثة في حدوث التطور مغفلاً تأثير البيئة.

---

[1] علم الحيوان العام، صفحه (1108). النبات العام، صفحه (1001).

[2] وايزمان أو فايزمان أو فايسمان.

"4" نظرية الطفرة أو " مذهب دي فريز "[67]

وضع عالم النبات الهولندي " هيجو دي فريز *Hugo de Vreis* " عام *1901*م، نظريته حول "الطّفرة" في تفسير نشوء النّوع وارتقاؤه ناقضاً بذلك نظرية داروين واعتمادها "الانتخاب الطبيعي" والاختلافات الصغيره المستمرة الحادثة عن الاستعمال أو عدمه والتي اعتمد عليها كل من داروين ولامارك، وحاول إثبات أنّ التطور العضوي ناجم عن التنوع غير المستمر أو ما يسمى "الطفرة *Mutation*" التي تعني وجود تغيير مفاجئ أو تنوع مفاجئ يختلف به النتاج عن الأصل بشكل واضح، فيحدث في بعض الأحيان أن تظهر أنواع جديدة –لا يرجع نشوءها إلى تأثير عوامل البيئة – بل تنتقل الصفات الجديدة منها إلى ما يليها من أجيال حسب قوانين الوراثة المعروفة، وذلك ما يسمى بالطفرة.

"5" نظرية التّطور الكيماوي أو "مذهب اوبارين وهولدين"[68]

هناك نظرية أخرى عن أصل الحياة والنشوء ابتدعها في عشرينات القرن العشرين كل من العالم البيوكيميائي الروسي "الكسندر أوبارين *Alexander Oparin*" والعالم البيوكيميائي الإنجليزي " هولدين *J.B.S.Haldne* ". وتتلخص النظرية بأن الأشياء الحية قد نشأت عن طريق " التّطور الكيماوي *Chemical Evolution*"، فمن العناصر والمركبات البسيطة التي كانت موجودة في الجو القديم للأرض وبحارها تكونت جزئيات أكبر، ثم تبع ذلك تجميع لمركبات أكثر تعقيداً وفي النهاية ظهرت وحدة كيماوية كانت قادرة على وحدات مثلها، وهكذا فقد بدأت الحياة.

وملخص النظرية برمتها أن الحياة قد حصلت تبعاً للقوانين الفيزيائية، إذ تنفي أن هناك عملاً خاصاً بالخلق أو قوة غامضة وراءه، أو خارقاً للطبيعة.

وفي رأي أوبارين وهو من اشتهرت النظرية باسمه : (لا يوجد فرق أساسي بين الكائن الحي والمادة التي لا حياة فيها، وأن المجموعة المعقدة للظواهر والخصائص المميزة للحياة لا بدّ أنها ظهرت عن طريق تطور المادة)[69]

وقد حاول كل من "ستانلي ميلر *Stanley Miller*" وأستاذه العالم الكيميائي "هارولد يوري *Harold Urey* " عام *1952* مساندة تلك النظرية ودعمها عن طريق إجراء تجارب معينة بتكوين جو مشابه للجو البدائي للأرض حيث اشتهرت تلك المحاولة باسم " تجربة ميلر *Miller's Experiment* "، إلا أن تلك النظرية وما رافقها من محاولات وتجارب لم تشتهر، لأن العلماء قد نظروا إلى كل من المحاولة والنظرية أنها لا زالت افتراضية.[70]، وقد أطلق على تلك النظرية اسم "نظرية أوبارين وهولدن *The Oparin-Haldane theory*".

---

[1] علم الحيوان العام، صفحه (1110). النبات العام، صفحه (1002 – 1003).

[2] جولدزبي. " البيولوجيا " ريتشارد م. جولدزبي . الصفحات (12–25) من الجزء الأول – الترجمة العربية.

[1] المصدر السابق. الصفحات (12 – 25).

[2] المصدر السابق. الصفحات (12 – 25).

نــرى من استعراض المذاهب الخمسة اختلافاً واضحاً فيما بين تلك المذاهب في تعليل حدوث التّطور، إلا أنّ كل تلك المذاهب قد اتفقت وأجمعت على حدوث التّطور العضوي، وأنها حقيقة ثابتة مع وجود الاختلاف البين في تعليل كيفية حدوث هذا التطور العضوي.

إن تلك المذاهب هي أشهر المذاهب التطورية – مع وجود غيرها – وكل أصحاب المذاهب التطورية قد دارت نظرياتهم في حدود تلك النظريات التي ذكرنا، مع أن أكثرهم كان أقرب إلى مذهب داروين. وكما أسلفنا فإن داروين لم يكن السّباق في ذلك وإن برز واشتهر بين العامة عن الجميع، فقد كان هناك من سبقه، كما كان هناك من زامنه، وكذلك من أتى بعده، لذا فسنستعرض باختصار أشهر من ارتبط اسمه بنظريات التطور العضوي، **وهــــــم :**

1. **كونت بوفون** : جورج لويس لكلار *Conte De Baffon* عالم فرنسي ولد سنة *1707*م، وتوفي في باريس سنة *1788*م، له كتاب في التاريخ الطبيعي ظهر في عدة مجلدات من سنة *1749* ولغاية سنة *1788*، أي سنة وفاته، وعالج الكثير من مشكلات الحيوان.

2. **لامارك** : جان باتيست بيير أنطوان ده مونت شيفالييه *Jean Baptiste Lamark* (*1744–1829*) عالم نباتي وبيولوجي فرنسي، درس الظواهر الجوية وعلم النبات، له كتاب في نباتات فرنسا في ثلاثة مجلدات، وظهر كتابه "فلسفة الحيوان" في باريس سنة *1808* في ثمانية مجلدات، وله أيضاً كتاب "تاريخ الفقاريات الطبيعي"، له مذهب في التطور العضوي يقول بأن التغيرات التي تكتسبها المتعضيات خلال حياتها تنتقل بالوراثة إلى الذرية، علاوة على قانون الاستعمال وعدمه بالنسبة لأعضائها، ويدعى هذا المذهب نسبة لواضعه بِ "اللاماركية *Lamarkism*".

وفي الشطر الأخير من القرن التاسع عشر برزت عن اللاماركية مدرسة جديدة اطلق عليها اسم "اللاماركية المحدثه *Neo-Lamarkism* " قوامها التأكيد على أثر البيئة المباشر في التطور العضوي للحيوانات والنباتات. ومن أبرز دعاة تلك النظرية "الفريد ماتيو جيبار *Girad*" (*1846–1908*م) في فرنسا، و"إدوارد دينكر كوب *Cope*" (*1840–1897*) في الولايات المتحدة.

3. **سفانت أرهينيوس *Savant Arrthenius*** عالم كيميائي سويدي، أثار نظريه بأن أصل الحياة أتى من الفضاء الخارجي*Panspermia* بطريق انتقال وحدات شبه جرثومية من كوكب إلى آخر عن طريق الضغط الإشعاعي، وَيُنْظَر إلى تلك النظرية أنها قد تأثرت كثيراً بقصص الخيال

العلمية، وأنه ليس لها من الأدلة ما يدعمها، وأنها مجرد هرطقة، **لـذا** فان تلك النظرية ترد فقط في سياق التسلسل التاريخي للمذاهب التطورية**.**

4. **وليم هايد وولاستون(*1766–1828*) *W. H. Wollaston*** كيميائي وفيزيائي وفيلسوف إنجليزي، نبغ في الكيمائيات والبصريات، يُعَدُّ واحداً من أغزر العلماء إنتاجا وأبعدهم

أثراً، أدّت دراساته للبلاتين إلى اكتشاف عنصرين شقيقين هما "البلاديوم*Palladium*" عام *1803* و"الرّوديوم *Rhodium*" عام *1803* أيضاً.

وقد أكثر داروين من الاستشهاد بأقوال " وولاستون " في أكثر من موضع من كتابه " أصل الأنواع " . ولا يخفى على كل من قرأ الكتاب أنّ داروين إنما وضع كتابه المذكور بمشاركة عدد ممن أشار إليهم من أمثال: وولاستون، الفريد والاس، وطسون ود. أساغري وآخرين .

5. **هيللر (*1772 – 1844*) *Heller*** عالم فرنسي. صاحب النظرية المعروفة باسمه والتي تقول بأنّ الأنواع المختلفة من الكائنات الحيّة تنشأ استجابة لظروف البيئة، والتي تتغير باستمرار مما يسبب تغيرات في الكائنات الحيّة، فإذا كانت التغيرات ملائمة للبيئة فإنّ الأفراد تعيش وتتكاثر مكونة نوعاً جديداً، وإذا كانت التغيرات غير ملائمة للبيئة فإنّ أفراد هذا النوع تهلك وتنقرض.

6. **آتيين جفروي (*1772 – 1844*) *A.G.Sant lieer*** عالم فرنسي. قدم إلى مصر سنة *1791* في بعث استعماري مرافقاً الكافر المستعمر نابليون بونابرت في غزوه الصليبي لمصر، ومكث بها حتى جلاء الغزاة الكفرة عنها سنة *1801*م. من أشهر كتبه "فلسفة التشريح" سنة *1818*

و "مبادئ فلسفة الحيوان" سنة *1837* و"تاريخ الثدييات" في ثلاثة مجلدات بين السنوات (*1818 – 1842*). وله رسالة نشرها ابنه واعتمدها دعاة التطور تقول بأنّ الصور المتماثلة لم تكن منذ بدأ الخليقة على ما هي عليه الآن. وكان جل اعتماده في تعليل أسباب التحول على حالات الحياة أو البيئة المؤثرة.

7. **سير جون ريتشاردسون (*1782 – 1865*) *Sir J.Richardson*** عالم طبيعي درس الطب والجراحة، والتحق بالبعث القطبي الأول إلى القطب الشمالي بإمرة فراكلين (*1819–1822*) له أبحاث كثيره في التطور وفي حيوانات القطب الشمالي، ويعد ريتشاردسون من المشاهير في فكرة التطور، وقد أكثر دعاة التطور من الاستشهاد بأقواله، ونقل عنه داروين كثيراً في كتابه "أصل الأنواع".

8. **سانتيلير : ايزيدور جفروي (*1805–1861*) *E.G.Sant lie*** عالم فرنسي، ولد في باريس وتوفي فيها، من كبار علماء وظائف الأعضاء أخذ عن أبيه "أتيين" علم المواليد "التاريخ الطبيعي" ثم عكف على دراسة الأسباب الطبيعية التي تساعد على ظهور الشواذ الخلقية ونشوئها، نشر العديد من المؤلفات في علم الحيوان وتاريخ العضويات الطبيعي. ومن

أشهر كتبه: "تأريخ النظام الطبيعي في الإنسان والحيوان" سنة *1837*. وكتاب "إيلاف الحيوانات النافعة واستيحاشها" سنة *1854*.

حاول في خطبة ألقاها عام *1850*، وظهرت في مجلة "عالم الحيوان" في يناير عام *1851* إثبات صحة اعتقاده في أنَّ الصفات النوعية تبقى ثابتة في كل نوع ما دام باقيا في بيئة تحفظ عليه مؤثرات ظروف واحدة وتتحول إذا اختلفت تلك الظروف، وأن ملاحظة الحيوانات البرية
تثبت تحول الأنواع، وآن التجارب التي تناولت حيوانات أليفة أو حيوانات رجعت إلى الاستيحاش والبرية بعد إيلافها تزيد ذلك بياناً، وإن التجارب تثبت عدا ذلك، وانّ التحولات الناتجة قد يحتمل أن تكون ذات قيمة نوعية.

9. **د. ويلز *D.Wills*** هو أول من قرّر صراحة ولأول مرّة مبدأ الانتخاب الطبيعي في خطبة له ألقاها في "المجمع الملكي" عام *1813*. إلا أنه أطلقها على السلالات البشرية وقصرها على بعض صفاتها دون البعض الآخر، وقام بنشر خطبته بعد أن نشر مقالتين له: الأولى في ظاهرة "النّدى" والثانية بعنوان "الرؤيا الفريدة" سنة *1818*.

10. **لايل : سير تشارلس (*1797-1830*)** ***Sir Charles Lyall*** عالم جيولوجي بريطاني. قام بالاشتراك مع د.هـ وكر بالإطلاع على أفكار كل من "داروين ووولاس" وتشجيعهما على نشر نظريتهما وربما يكونا قد قاما بمهمة إعدادها بالاشتراك مع آخرين. أشهر كتبه : "مبادئ الجيولوجية" (*1830*)، نقض فيه مذهب "النكبات الجيولوجية *Catastrophist*" وأقام مذهبه في هذا العلم على أساس التطور التدريجي. انتخب سنة *1850* رئيساً للمجمع الجيولوجي ورئيساً لجماعة تقدم العلوم البريطانية في سنة *1864*.

11. **جرانت *Grant*** أحد مشاهير نظرية التطور العضوي. له مقالات عدّه في موضوع الانتخاب العضوي نُشرت في الجرائد والمجلات في الأعوام (*1826–1834*م)، فقد نشر في مجلته المعروفة "جريدة أدنبرة الفلسفية" سنة *1826* (مجلد *14* صفحة *339*) مُعْتَقَده في أنّ الأنواع متولدة من أنواع أخر، وأنها ارتقت بدوام تكيف الصفات، وجهر بذلك الرأي عينه في خطابه الخامس والخمسين الذي طبع في مجلة " اللانست" سنة *1834*.

12. **وليم هيربرت *William Heirbert*** أسقف مانشستر، برز حوالي العام *1820* كداعية تطوري. ورد في كتابه المطبوع سنة (*1822*) "مقررات فلاحة البساتين"، وفي كتابه "الفصيلة النرجسية" المطبوع عام *1837* صفحة (*19*) وصفحة (*339*) : (إنّ التجارب في فن زراعة الحدائق قد أثبت بما لا سبيل إلى دفعه أنّ في الأنواع النباتية مجموعة ضروب أرقى وأثبت

صفات من غيرها) ثم أطلق نظريته على عالم الحيوان معتقداً أنّ أنواعاً خاصة من كل جنس قد خلقت أصلاً وبها قابلية التّشكل وأنها أُنتجَت بالمهاجنة ثم بالتحول عن الأنواع الحالية.

13. بــاتريك مــاتـيو *Patrick Matio* عالم جيولوجي ألماني. صاحب كتاب "خشب السفن البحرية والأشجار الخشبية" المطبوع سنة *1831*. قال بنفس الأفكار التي وردت في كتاب "أصل الأنواع"، ودعى لنفس الأفكار التي حملها كل من "داروين وألفريد ولاس"، إلا أنّ أفكاره تلك قد وردت ضمن فصول شتى في سياق مواضيع كتابه، فظلّت أفكاره مجهولة حتى نبه إليها في "سجل جاردنز" في أبريل*1860*، ليس هناك فروق تذكر بين مذهبه ومذهب داروين – كما يقول الأخير – حيث يذكر في كتابه "أصل الأنواع": (وليست الفروق بين مذهبه ومذهبي بذات شأن، فالظاهر أنه يحدس أنّ العالم كان يخلوا من سكانه في أدوار متعاقبة ثم يعمر بعد ذلك، وأنه تعقيباً على ذلك تتولد صور أخرى جديدة من غير فطر عفني أو جرثومة سابقة. ولا أقطع أني فهمت بعض عباراته، غير أني تبينت أنه يعزو لفعل الحياة تأثيراً كبيراً كذلك قد وضحت له قدرة الانتخاب الطبيعي الفعالة كل الوضوح)[71]

14.فون بوخ ليوبولد *V.B.Leopold* عالم ألماني. ولد في بروسيا عام *1774*، وتوفي في برلين عام *1858*. اشتهر كداعية تطور عام *1836* حيث يقول في كتابه "وصف جزر كناري الطبيعي": (إن الضروب تستحيل ببطء أنواعاً ثانية لا تكون بعد ذلك قابلة للمهاجنة) وقال بنفس الأفكار في كتبه الأخرى: "سياحة في نرويجولابلاند" (*1810*) – "سلاسل الجبال في روسيا" (*1840*) – "مقالات في العمونيات *Ammonites*".

15.فون باير (*1792 – 1872*) *Von Baer* عالم طبيعي بروسي. تَخَصّصَ في علم الأجنّة، له نظريات في التطور الطبيعي الجنيني، أظهر في عام *1859* نظرية قائمة على سنن الاستيطان وانّ الصور المتباينة تبايناً كلياً في الوقت الحاضر متولدة من صورة سفلية واحدة. أشهر كتبه : "توالد الأسماك وتدرج وجودها" عام *1835* و "تطور الصور الأحيائية" عام *1837*.

16.دالوي دوماليوس *Daliwah Domallius* جيولوجي صاحب رسالة في التطور المقرون بتحول الصفات، عُرِفَ كصاحب مدرسة تطورية في عام *1831*، وقد نشر هذه الرّسالة في العام *1846* مجدداً بيَّنَ فيها رأيه في أنّ القول بنشوء أنواع جديدة بالتسلسل المقرون بتحول الصفات أرجح من القول بأنها خُلقت مُستقلة، وقد أُثبِتَت تلك الرسالة في "سجل مجمع بروكسيل الملكي" (صفحة *581*. جزء *13*).

---

[1] المرجع. الصفحات (106 – 107).

17. ريتشارد أوين (1820–1892) *Richard Owen* عالم إنجليزي من المبرزين في علوم التشريح والحيوان والأحفوريات، أشهر كتبه: "طبيعة الأطراف" (*1849*). "تشريح الفقاريات" زواحف جنوبي أفريقيا الأحفورية" (*1861*). يصنفه المؤرخون بين مشاهير دعاة التطور إلا أنّ المُراجِعَ لنصوص كتبه وخطبه المتعددة يجد أن هذا العالم متأرجح بين نظرية الانتخاب الطبيعي والخلق المستقل، وفي ذلك يقول داروين: (... إنّ كثير من القراء يجدون
كما أجد في جدليات الأستاذ أوين من الغموض والتنافر ما يعذر فهمه عليهم ويعنتهم في التلفيق بين أطرافها.)[72]

ومما يرجح القول بأنه ربما عدل عن دعوته لفكرة الانتخاب الطبيعي إلى الإيمان بالخلق لما ورد في خطبة له ألقاها في "الجمعية البريطانية" عام (*1858*): (إنَّ حالات مثل حالة "القطا الأحمر *Red Grouse*"، إذا وعاها العالِم بالحيوان ليستدل بها على خلق ذلك الطير خلقاً خاصاً واختصاصه بتلك الجزائر[73] يظهر قصوره دائماً عن إدراك السّر الخفي في وجود ذلك الطير في تلك البقعة واختصاصها به دون بقاع الأرض كافة، مستنجداً بفضل اعترافه بذلك القصور، إنّ كلاً من الطير والجزائر مدينان بأصلهما لسبب خلاق عظيم الحول).

18. هيربرت سبنسر (1820–1903) *Herbert Spenser* فيلسوف إنجليزي، صاحب "الفلسفة التركيبية *Synthetic philosophy* " وقد ألّفَ في موضوعها العديد من الكتب منها "مبادئ علم الاجتماع" – "مبادئ علم الأحياء" – "مبادئ الأخلاق" – "الفلسفة التركيبية". آمن قبل داروين بتطور الأنواع من أشكال بسيطة إلى أشكال معقدة. له نظرية مشهورة في التطور بالانتقال من حال التجانس إلى حال التنافر والاختلاف نشرها في جريدة "الليدار" شهر آذار عام *1852*، وأعيد طبعها في كتابه "المقالات"عام *1858*. وهو من أبرز القائلين بِ "الدّاروينية الاجتماعية *Social Darwinisim*" وهي نظرية في التطور الاجتماعي والثقافي نشأت في القرن التاسع عشر واستمدت اسمها من صلتها بدراسات داروين البيولوجيّة، والواقع أنّ الفكرة القائلة بأنّ
حياة الإنسان في المجتمع تمثل صراعاً من أجل الوجود يحكمه مبدأ "بقاء الأصلح" لم يستحدثها داروين ولكن دراساته منحتها الشُّهرة.

ويعتبر "هيربرت سبنسر" و "وليم غراهام" من أبرز القائلين بالداروينية الاجتماعية، إذ ذهبا إلى أن الجماعات كائنات حيّة تتطور بمثل الطريقة التي يتم بها تطور الأفراد، وقد استُخدِمَت تلك النظرية لتوطيد دعائم الاستعمار ولتبرير التمايز الطبقي على أساس من التفاوت الفطري بين الأفراد والأقوام فقد استخدمت لتأييد السياسات الكافرة المجرمة من استعمارية

---

[1] المرجع. صفحة (111).

[2] جزائر Natural في انجلترا.

وعنصرية وعرقية، ولتعزيز الزّعم القائل بتفوق بعض الشّعوب والأمم مثل: الأنكلوسكسونية أو الآرية أو اليهوديّة على غيرها تفوقاً بيولوجياً وثقافياً، وقد اضمحلّت هذه النظرية خلال القرن العشرين بعد أن ثبت أنها لا تقوم على أي أساس علمي سليم.

وفي عام (*1850*) أي قبل ظهور كتاب "أصل الأنواع" بتسع سنين كان هيربرت سبنسر يضع أسس نظريته عن التطور الاجتماعي ويربط ذلك بالتطور العضوي، وذلك في أول كتبه وهو كتاب "*Social statics*" مما يعني أن تفكير سبنسر كان مستقلاً عن داروين في بداية الأمر، والأرجح أنّ اتصاله بالتفكير التطوري كان أقدم من ذلك إذ يرجع إلى عام (*1840*) بالذات حين قرأ كتاب "سير تشارلز ليل" عن "مبادئ الجيولوجيا *Principles of Geology*" الذي تعرف فيه على تفكير لامارك التطوري، ولكن مع أنّ فكرة التطور كانت تدور في ذهنه منذ ذلك الحين فإنّها لم تصبح الفكرة المركزية في كل تفكيره إلا في العام (*1857*) وهو يراجع بعض مقالاته لكي ينشرها في كتاب، ففي تلك المقالات يظهر بوضوح دعوى التطور التي تقوم على "قانون باير في الفسيولوجيا *Beer physiological low*" الخاص بنمو وظهور المادة العضوية من حالـة

التجانس إلى حالة التغاير، أي من البقاء الموحد المطرد – كما هو الحال في الخلية الجنينية الأولى التي تحمل كل وظائف الحياة – إلى الكائن العضوي الكامل بكل بنائه ووظائفه المعقدة المتفاضلة. ولكن سبنسر لم يتمكن من الرّبط بطريقة محكمة بين النظريتين البيولوجية والاجتماعية في حدود وألفاظ الصراع العام الكلي والبقاء للأصلح – وهما المبدءان الأساسيان في النظرية الداروينية – وفي عام (*1863*) أي بعد ظهور كتاب داروين بأربع سنوات ظهر كتاب سبنسر عن "المبادئ الأولى *First Principles*" الذي يعتبر المدخل الأساسي لكل فلسفته الاجتماعية حيث يعرض كل نظريته عن التطور العام.

19* – وليم غراهام سَمْنَر (*1840–1910*) *William Graham Sumner عالم اقتصاد واجتماع أمريكي، يعتبر من أبرز القائلين بالداروينية الحديثة الاجتماعية ، عُرِفَ بايمانه الشديد بسياسة "دَعْهُ يعمل" أي سياسة عدم التّدخل وبالحريّة الفردية التي نادى بها المبدأ الرأسمالي وبعدم التكافؤ الفطري بين النّاس.

20* – ســير يـوسف دالتون هوكر *Sir Joseph Dalton Hooker عالم إنجليزي. (*1817 – 1910*) تخرّج طبيباً ثم عكف على دراسة علم النبات. زار القطب الجنوبي لإجراء أبحاث على نباتاته ثم رافق بعثاً إلى جبال همالايا عام (*1847*). أشهر كتبه "مذكرات بعث جبال هملايا" (*1854*) و "علم النبات" (*1862*). وقد قام عام (*1859*) بطبع كتابه "مجموعة استراليا النباتية" وقال في الجزء الأول منه بصحة تسلسل الأنواع وتحول صفاتها، وحاول إثبات مقولته بمشاهدات طبيعية عديدة.

21 – بادن باول (1896–1911) *Baden Baul* عالم إنجليزي دعى إلى دراسة الطبيعيات والرّياضة. له كتب كثيرة أشهرها "توافق الحقائق الطبيعية والإلهية" – "حقيقة الفلسفة الإستنتاجية" – "نظرة تاريخية في تقدم الطبيعيات والرياضيات". قام عام (*1855*) بنشر عدة مقالات في موضوع وحدة العوالم وتولد الأنواع التي وصفها بأنها "ظاهرة مطردة لا ظاهرة اتفاقية" واتفق مع "سير جون هرشل" أنها ظاهرة طبيعية قياسية ليست راجعة إلى أي معجزة.

22 – داروين : ايرازموس (1731 – 1802) *Erasmus Darwin* طبيب وشاعر بريطاني. جد تشارلس داروين. عُرِفَ بآرائه ونظرياته العلمية التي كان لها شأن مذكور في تاريخ نظرية التطور. يعتبر هو والكونت بوفون من أوائل ومشاهير المنادين بنظريات التطور المادي على أسس وقواعد علمية. من أشهر آثاره: "الحديقة النباتية" – "هيكل الطبيعة أو أصل المجتمع" – "معبد الطبيعة *Temple of nature*" الذي صدر عام (*1803*).

23 – داروين : تشارلس روبرت وانج *Charles Darwin* عالم طبيعة بريطاني. ولد في *1809/2/12*، خامس أولاد "روبرت وارنج داروين" وحفيد داعية التطور "ايرازموس داروين". كان فاشلاً في تحصيله العلمي، درس الطب وتوجه إلى دراسة الأحياء المائية، فشل في دراسة التشريح فالتحق بكلية اللاهوت في كامبردج عام (*1827*). ألحقه أستاذه "هنسلو" ليرافق البعث العلمي في سفينة "البيجل" سنة (*1831*).

بدأ يفكر في نظريات التطور منذ عام (*1837*)، زار خلال رحلته البحرية والتي امتدت حتى العام (*1836*) جزر الرأس الأخضر، جزر ازور، سواحل أمريكا الجنوبية، فجمع المعلومات عن نباتاها وحيواناتها وطبيعتها الجيولوجية، فكانت تلك الرحلة نواة لنظرياته.

أشهر كتبه كان كتاب "أصل الأنواع" المطبوع عام (*1859*). ويطلقون على مذهبه في التطور اسم "الدّاروينية *Darwinism*"، وهذا المذهب يرد أصل الأنواع جميعاً وتطورها إلى أنّ الكائنات الحيَّة تنزع إلى إنتاج مواليد تختلف اختلافا طفيفاً عن آبائها، وأنّ عملية الاصطفاء الطبيعي تفضي إلى بقاء الأصلح أو الأكثر تكيفاً مع البيئة، وبأن كل ذلك يؤدي في النهاية إلى ظهور أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل.

وقد قام داروين بشرح مذهبه هذا في كتابه "أصل الأنواع" الذي أثار عند نشره عام (*1859*) عاصفة هوجاء في الدّوائر العلمية والفلسفية والدينية، فَهَلّلَ له قوم وَسَفَهَهُ أقوام وقد اشتهر كتابه كمرجع لتفسير مقولات "التطور *Evolution*".

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهرت "الداروينية المحدثة *Neo-Darwinism*". وهي تطوير لنظرية داروين، وقوام هذا التطوير بأن الإصطفاء الطبيعي[74] هو العامل الأساسي في عملية التطور العضوي، وبأنّ الصفات المكتسبة لا يمكن أن تورث. ويعتبر "اوغست وايزمان *Wissman*" من أبرز القائلين بالداروينية المحدثة.

24 – الفريد روسل وولاس (1848–1935) Alfred Russel Wallace عالم طبيعي انجليزي. زميل داروين وأحد أشهر من ساعده في وضع نظريته، سَلَّمَ إلى داروين عام (*1858*) مذكرات وأبحاث في موضوع التطور أرسلت إلى "جمعية لينيه العلمي" ونشرت في المجلد الثالث من صحيفته العلمية. ساهم بالاشتراك مع تشارلز ليل ود. هوكر وآخرين في بلورة النظرية واعداد كتاب "أصل الأنواع". قضى أربع سنوات على ضفاف نهر الأمازون، وثماني سنين في جزر الملايو منقباً في مشكلات العلم الطبيعي. صدر له: "عالم الحياة" – "تاريخ جزر الملايو الطبيعي" عام (*1869*) – "تمهيد لنظرية الإنتخاب الطبيعي" (*1867*) – "طبيعة المناطق المعتدلة" (*1878*)– "المذهب الدارويني". ومقالات مجموعة عنوانها: "نظرات علمية وإجتماعية".

25 – هوجو دي فريز (1848 – 1935) Hugo de Vreis عالم تطوري هولندي. صاحب نظرية النشوء والارتقاء عن طريق "الطّفرة *mutation*" التي وضعها عام (*1901*) مخالفاً بذلك مذهبي داروين ولامارك، ملخصها أنّ الطّفرة[75] هو تغير أو تحول مفاجئ يطرأ على الكروموسات أو الجينات فيؤدي إلى مواليد جديدة ذات خصائص لم تكن لأي من الأبوين المنتجين. والطفرة أمرٌ نادرٌ حدوثه إلا أن في الإمكان إحداثه صنعياً عن طريق التعريض لأشعة إكس – حسب نظريتهم –. ويعتبر عالم النبات دي فريز هو أول من افترض وجود عامل الطفرة، ولقد أجرى العالم الأمريكي "هرمان مولر" تجارب في هذا الحقل على ذبابة الفاكهة.

26 – أوغسـت وايزمان (1834–1914) Augest Weissman عالم بيولوجي ألماني. يعد أحد مؤسسي علم الوراثة، وأحد مؤسسي الداروينية المحدثة، وصاحب نظرية التطور عن طريق البلازم الجرثومي. من آثاره المترجمة إلى اللغة الإنجليزية "نظرية النشوء والارتقاء *The Evolution theory*". عام (*1904*).

---

[1] *Natural Selection*

[*1*] الطفرة *mutation*: الإقتجاء أو التغايرالأحيائي.

27 – آرنست هاينريتش هيكل (*1914-1834*) *Ernst Heinrich Heakel* عالم بيولوجي وفيلسوف نشوئي ألماني. أيّدَ نظرية داروين تأييداً حماسياً. يُعزى إليه اكتشافات هامة في المُضغيات[76] وفي علم الحيوان أيضاً. له أقوال وتصريحات رعناء في محاولة التّدليل على صحة نظرية التطور العضوي يلقبونه: "رسول التحرر الفكري".

28 – توماس هنري هكسلي (*1825 – 1895*) *Thomas Henry Huxley* عالم بيولوجي بريطاني، جَد جوليان هكسلي، وأيضاً جد الروائي والشاعر الإنجليزي اولدس هكسلي. يُعَدُ من كبار علماء التشريح في القرن العشرين. التقى بشارلس داروين عام (*1851*)، حتى إذا أصدر داروين كتابه "أصل الأنواع" عام (*1859*) سارع هكسلي إلى تأييد الداروينية والدفاع عنها والعمل على نشرها بين الجمهور، وكان قد التحق بالبحرية الإنجليزية كمساعد جراح، ولم يعد إلى إنجلترا إلا سنه (*1850*). أشهر كتبه: "مرتبة الإنسان في الطبيعة".

يعتبر ثوماس هكسلي أقوى أنصار داروين في ذلك الحين لدرجة أن داروين نفسه كان يصغه بأنه "وكيله العام" بينما كان هكسلي يصف نفسه بأنه "كلب داروين الحارس" وقد كرّس جهوده ووقته وعلمه لجمع كل ما يمكن من أدلة وبراهين في مجالات الجيولوجيا ودراسات الإنسان القديم والبيولوجيا والأنثر بيولوجيا، بل وأيضاً من الانتقادات التي وُجِهَت إلى "الكتاب المقدّس" ذاته لتعضيد نظرية داروين، وأفلح إلى حد بعيد في الدفاع عنها ونشرها، خاصة وقد كانت له قدرة فائقة على المناقشة والجدل، وذلك فضلاً عن شخصيته العدوانية التي لم يكن داروين يتمتع بمثلها، وبذلك تولى الدّفاع عن النظرية خلال معظم المصادمات العديدة التي وقعت بين الكنيسة ودعاة التطور حينها حول القضية الداروينية ومشكلات نظريات التطور.

ولعلّ أشهر حالات الصدام الدرامي حول الداروينية كان اللقاء الذي تم أثناء اجتماع "الرابطة البريطانية*British Association*" في أكسفورد عام (*1860*)، وكانت الداروينية هي موضوع المؤتمر، وكان يقوم بدور "المدفع الضخم" – حسب تعبير داونز – على الجانب المعارض للفكرة الداروينية أسقف أكسفورد "صمويل ويلبر فورس *Wilberforce*" الذي التفت – في ختام خطاب طويل عنيف حاول به تحطيم نظرية داروين – إلى هكسلي الذي كان يجلس على المنصّة وقال له بسخرية: أحبُ أن أسأل الأستاذ هكسلي إذا كان ينتمي إلى القرود من ناحية جده أو جدته؟ وقد همس هكسلي إلى أحد أصدقائه: لقد أوقعه الله بين يدي، ثم نهض ليجيب على السؤال حيث قال:

إذا سألت عما إذا كنت أختار بين الانحدار من ذلك الحيوان المسكين ذي الذكاء المحدود والمشية المنحنية وبين الانحدار من صلب رجل على درجة عالية من المقدرة والمهارة ويحتل مكانة مرموقة، ولكنه يستغل هذه الملكات في الاستهزاء بالباحثين

[1] المضغيات: علم الأجنّة.

المتواضعين عن الحقيقة والعمل على هدمهم، فأنني لا أتردد في الإجابة على هذا السؤال: ليس للإنسان أن يخجل أن يكون قرداً، وإذا كان لي جدّ أخجل أن أذكره فإنّهُ لا بدّ وأن يكون هذا الجد إنساناً له عقل قلق متقلب وتفكير غير مستقر ولا يقنع بالنجاح في مجال نشاطه، وإنما يلقي بنفسه في المشاكل العلمية التي ليس له بها معرفة حقيقية، وكل ما يفلح أن يفعله هو أن يضفي عليها ستاراً من الغموض عن طريق الخطابة الجوفاء، وأن يصرف انتباه مستمعيه عن النقطة موضوع الخلاف وذلك بالاتجاه إلى الاستطرادات البليغة والاعتماد في حذق ومهارة على العاطفة اليدينية.[77]

29* – جوليان هكسلي (*1887 –1975*) *Juliann Huxley عالم بيولوجي بريطاني حفيد توماس هنري هكسلي، وفق إلى اكتشافات هامة في علم الأحياء "البيولوجيا"، وقد أكثر من التأليف في موضوع النّشوء والتطور، ونهج نهج جده في تأييد الداروينية والدفاع عنها والعمل على نشرها بين الجمهور، وعني بدراسة سلوك الإنسان السيكولوجي والأخلاقي والاجتماعي، وكان له خطاب طويل في مدح الداروينية في الذكرى المؤوية للداروينية التي أقيمت في شيكاغو عام (*1959*)، إلا أنّ جوليان هكسلي قد خالف نظرية سبنسر عن الصراع والتنافس كما سيرد لاحقاً.[78]

30* – ايفان فلاديميروفيتش ميتشورين *Ivan Vladimirovich Michurin عالم بيولوجي روسي (*1855–1975*) رفض قانون الوراثة الذي وضعه الراهب "مندل" ووضع مذهباً في التطور العضوي سمي نسبة إليه "الميتشورينية *Michurinism*" وهو مذهب في التطور العضوي يعتبر

شكلاً من أشكال اللاماركية والذي يقول بأنّ الصفات المكتسبة تنتقل بالوراثة إلى الذرية.

31* – تروفيم دينيسوفتش ليسينكو(*1898-1976*) *Trofim Denisovich Lysnko

عالم بيولوجي سوفييتي، عمل بتشجيع من ستالين على إنتاج أنماط جديدة من المحاصيل في فترة شكى الاتحاد السوفييتي خلالها أزمة خطيرة في الإنتاج الزراعي (*1927–1929*)، وضع مذهباً في التطور العضوي نسب إليه إذ أطلق عليه اسم: "الليسنكووية *Lusenkoism*" وهو مذهب في التطور العضوي وضعه حوالي العام (*1930*) يعتبر تطويراً لِ "الميتشورينية". والمذهب يقوم على إنكار وجود "المورثات *Genes*" والهرمونات النباتية ودور "الصبغيات *Chromosomes*" المتخصص، ويقوم على قاعدة أساسية هي "الوحدة بين المتعضي *organism*

---

[1] Downs, *R., Books that changed the world – Menetor Books, N.Y. 1956 pp. 162 - 74*

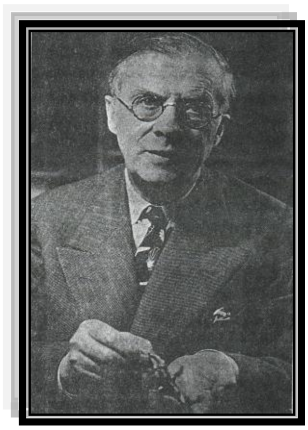
[2] انظر الفصل العاشر – " عصور التقدم البشري الأولى ".

وبيئته"، مؤكداً أن جميع أجزاء المتعضي تُسهم فيما ندعوه الوراثة وأنّ في إمكان البيئة أن تتحكم في هذه الوراثة.

لقد جرى استعراض أسماء مشاهير أصحاب النظريات والقائلين بالتطور العضوي حسب التواريخ الزمنية لظهورهم. إلا داروين الجد الذي ذُكر قبل اسم حفيده تشارلس داروين لكي يسهل على القارئ الرّبط بين الاسمين.

أمّا المصادر التي تم النقل عنها فهي كثيرة، ونظراً لأن النقل عن معظمهم جرى عن أكثر من مصدر فلم يجري الإشارة إلى تلك المصادر في محله، **إلا أنّ أهمها كان :**

- أصل الأنواع – داروين
- موسوعة المورد العربية – منير البعلبكي
- البيولوجيا – ريتشارد جولدزبي
- البيولوجيا – د. عدنان بدران وآخرين
- دائرة المعارف العربية للبستاني
- من الإغريق إلى داروين – أوزبورن
- خلق لا تطور – د. إحسان حقي .



جوليان هكسلي *1887–1975*
عالِم أحياء وطبيعة بريطاني
كان من أنصار الداروينية المتحمسين في القرن الحديث

داروين ونظريته حول خلق الإنسان[79]

إنّ أشهر من ضلّ وشطّ في نظرته إلى أصل الخلق والنشوء كان "تشارلس وارنج داروين *Darwin* " الذي برز بفكرته عام (*1859*) حول أصل الأنواع ونشوء الإنسان مُنكراً أنّ وراء هذا الكون خالقاً خلقه ومعللاً الوجود بالتطور *Evolution*، تلك الفكرة التي ما أن نشرها حتى أحدثت عاصفة هوجاء من النّقاش والجدل حولها، فأيدها قوم وعارضها أو رفضها ونقضها أقوام، تلك النظرية التي سنتعرض لشرحها باختصار والتي تقول:

طوال عهود من الزمان موغلة في القِدَم تنشأت صنوف مختلفة من الأحياء، ومضت متطورة ضاربة في سبيل الارتقاء، كما فَنيت غيرها وبادت واندثرت منقرضة لعجزها عن مسايرة مقتضيات التطور – كلياً أو جزئياً–، أمّا من فَنيَ وبادَ من الأحياء فقد احتلَ مكانه غيره من الكائنات لأنها أصلح للبقاء منها، وذلك لقدرتها على تحصيل الرّزق أو مقاومة أفاعيل الطبيعة مثل الحر والرّطوبة والجفاف وغير ذلك. وهذه الصورة المتفوقة خلال بعض الأزمان عادت فأخلت السَّبيل لغيرها من الصّور الحيَّة لَمّا نَضَبَ فيها معين التَّكَيُف التي من شأنها أن توائم بين حاجات حياتها وبيئتها التي تعيش فيها.

لقد ظهرت الحياة أول ما ظهرت في تلك الصورة الهلامية التي نسميها: الجبلة *Protoplasm*"[80] وهي المادة الحيّة الأولى التي هي الذّخيرة أو

---

[1] كتاب "**أصل الأنواع**" – تشارلس داروين – ترجمة إسماعيل مظهر –. طبعة مكتبة النهضه – بيروت وبغداد. الصفحات (39-45) ويسمى فيما بعد (**المرجع**).

[1] أما الجبلة فهي البروتوبلازم :Protoplasm وهي مادة لزجة تُعتبر قوام الخلايا الحية، وعليها يعتمد النمو والتكاثر وعمليات حياتية أخرى. تتألف الجبلة من: النواة، الحشوة، الغشاء البلازمي أو المصْلي. والنواة هي جسم شبه كروي يشتمل على صبغيات chloromosemes، وتؤلف الحشوة سائر الوحدة البروتوبلازمية وتشتمل عادة على حبيبات ذات أحجام مختلفة. أما الغشاء البلازمي فيشكل سطح الوحدة، ويقع عادة بين الغلاف الخارجي القاسي نسبياً وبين مادة الحشوة ذات القوام الهلامي.

أمّا الخلية *Cell* فهي الوحدة البنيوية الصغرى التي تتألف منها جميع الحيوانات والنباتات، وهي كتلة من البروتوبلازما، صغيرة مجهري عادةً، يحيط بها غشاء نصف مُنفذ يشتمل على (النواة *nucleus*) وعلى (الحشوة *cytoplasm*) وعلى مواد أحرى غير حية، وتضم النواة (الصبغيات *chromosomes*) والمورثات (*Genes*).

والكائن الحي قد يكون وحيد الخلية كالأميبة (*ameba*)، وقد يتألف من ملايين الخلايا، ويقدرون عدد الخلايا الموجودة في جسم الإنسان بآلف مليار خلية.

أما النواة *nucleus* فهي الجزء المركزي الموجب الشحنة من الذرة، والذي تدور حوله الإلكترونات (الشحنات السالبة) في مداراتها المستقلة. تشتمل النواة على كامل الكتلة الذرية تقريباً لكنها لا تشغل غير حيز صغير جداً من حجم الذّرة، وتتألف النواة من بروتونات ونيوترونات، ألا أن نواة الهيدروجين تتألف من بروتون واحد فقط.

الأصل الذي تعود إليه كل صور الحياة من نبات أو حيوان. فأبسط صور الحياة هو عبارة عن شذرّة صغيرة من الجبلة أو البروتوبلازم تتضمن جسماً مستديراً هو "النواة *Nucleus*" علاوة على الجبلة وهي ما يسميه الأحيائيون "الخلية *Cell*" والتي ليس في استطاعة العين المجردة رؤيتها دون الاستعانة بالمجهر، وكل الأحياء على إطلاق القول إمّا أن تتألف من خلية واحدة أو من خلايا متعددة ، والإنسان نفسه لا يتعدى أن يكون توليفة من عدد لا يحصى من الخلايا المختلفة، كما أن الحيوانات تنقسم إلى قسمين من ناحية تركيبها :

1. وحيدة الخلية، وتسمى " الأوالى أو البرزويات " *Protozoa*
2. متعددة الخلايا، وتسمى " المتزويات " *Metazoa*

إلا أنّ كافة الموجودات قد نشأ من أصل واحد وهو "وحيد الخليّة *Protozoa* "، وذلك يعني أنّ متعددة الخلايا كانت في أول أمرها بسيطة التّركيب، مثل: حيوان "المرجان *Corals*"، "قناديل البحر *Jelly-fish*"، "شقائق البحر *Sea-anemones* " وما إلى ذلك، وشجرة الأحياء التي اعتمدها أصحاب النظرية والتي سنثبتها لاحقاً[81] تؤكد بوضوح تام أنّ أصل الحيوانات جميعاً يعود إلى الجبلّة حسب ما قرروه في نظريتهم.

عقيب ذلك ظهرت صور جديدة من الحيوان الدودي الصورة أو "الحيوانات الدودية *Worms* " التي نشأ منها " الرّخويات *Mollusks* " مثل: المحار *Oysters* والحلازين *Spirally* والحبّارات *Cattle-fish* التي هي نوع من هي نوع من الأسماك *fish* . ثم ظهرت " الشوكيات*Rachidians*" والتي تعرف أيضا باسم: "*Echinodermata*" مثل: "نجوم البحر *star fish*" و "قنافذ البحر *sea-urchins*"

أما الصبغيات أو الكروموسات *chloromosomes:* فهي تلك الجسيمات الخيطية التي توجد أزواجا في نواة الخلية الحيوانية أو النباتية، والكروموسات بالغة الأهمية لأنها تحمل المورثات أو الجينات *genes* التي تحدد الصفات الوراثية المميزة، وعددها ثابت في كل نوع من الأنواع (*species*)، ففي خلية الإنسان *23* زوجاً منها، وفي خلية الحصان *30* زوجاً، وفي خلية الأضاليا 32 زوجاً.

أما المورثات أو الجينات (Genes) فكل جينة جزء من الكروموسوم يحدد الصفات الوراثية المميزة في الحيوانات والنباتات. ومن الصفات التي تتحكم فيها الجينات الحجم والوزن واللون (كلون العينين مثلاً)، ولا يرى العلماء حتمية أن تكون الجينات جميعها في الكروموسات فقط، بل يقولون أنّ لديهم تثبت وجود بعضها في الحشوة أيضاً، وعلى كل حال فالجينات تتألف في المقام الأول من حمض نووي يدعى (د.ن.أ.) أي (حامض ديوكسي ريبونيو كلييك) *Deoxyribonucleic acid (D.N.A.)* وهو حمض نووي يتواجد في نوى الخلايا خاصة وتتألف منه الجينات أو المورثات، وهذا الحمض يتحكم تحكماً كبيراً في عمليات الوراثة، وقد حدد العالم الحيوي الكيميائي البريطاني (فرنسيس كريك *Crick*) طبيعة البيئة الجزئية (*molecular*) بِ (*D.N.A.*) فاعتُبر هذا التحديد أعظم كشف بيولوجي وفق إليه العلماء خلال هذا القرن. ن. اعتبر العلماء (حمض الريبونيوكلييك) المعروف بِ (ر. ن . أ) (*RNA*) (*Ribonucleic acid*) بأنه الحمض النووي الوثيق الصلة بِ *(DNA)* وأن *(RNA)* له أثر كبير في السيطرة على النشاطات الكيميائية لخلايا الجسم.

[*1*] المرجع. صفحة (*41*). ارجع أيضاً إلى شجرة الأحياء ألمثبته بتصرف بعد هذا الفصل، وجدول تطور الأ الحياة (الفصل التاسع من هذا الكتاب).

و"خيـار البحـر *sea-cucumber* " . ثـم تلـي ذلـك " القشـريات *Crustaceans*" مثـل: السـراطين *Crabs* والجمبري *Prawn* ، ثم بعد ذلك ظهرت "الحشرات *Insects*".

ثمَّ بعد ذلك ظهرت صور جديدة من الحيوان هي عشائر ذات صفات مستحدثة دَلَّ وجودها على انقلاب كبير في سير الحياة، فكل الحيوانات التي ذكرنا من قبل كانت رخوة القوام لينة الأجسام معدومة العظام، ولو أنّ بعضاً منها مثل السراطين وقنافذ البحر والمحار قد اختصت بأصداف تقي ذواتها من العطب، أمـــــا الصـور الجديـدة فكـان لهـا حبـل متـين يمتد علـى طـول الجسم ويسـمى علميـاً "الرِّتمـة *Notochord*" وكان ظهور هذا الحبل أول مدارج التطور نحو تكوين واستحداث "الفقار أو الصلب-*Oxon-loin*" المؤلـف مـن أجـزاء عظميـة كـلٌ منهـا يسـمى "فقّـارة *vertebro*"، أي أنّ طبيعـة العـيش اقتضـت استحداث تطور أو انقلاب جديد بظهور "العظام *Bones*" فظهرت أولاً الحيوانات ذات الرّتمة، وقد سميت علميـاً "الرّتميـات أو الحبليـات *Phylum chordate*" فكانـت سـهمية الشّـكل ومـن أهـل المـاء وأشـهرها "الاطريـف" الـذي يسـمى أيضـاً "السـهيم أو الحريـب *March trefoil*" ومـن السـهيم ظهـرت "الأسـماك *Fishes*".

لقد بدأ ظهور الأسماك بالصورة ذات الهيكل الغضروفي "*Cartilage*" ثم ظهر بعد ذلك "الأسماك ذات الهيكل العظمي الصلب *Skeleton* " المسماة علمياً "*Bony fish* " مثل: "الصمون *Salmon*" و "القد *Cod*" و "الفرخ *Perch*"، كما تفرع من الحريب صور أخرى مثل السباذج والجلكيات *Sea squids* وهي نوع من الأحياء لا رتمة لها، أي ليس لها حبل ظهري إلا عندما تكون صغيرة وفي أول عهدها بالحياة.

أما الأحياء التي نشأت بعد ذلك فجميعها من ذوات الفقار *Vertebrata* **وبذلك تكون الأحياء قد انقسمت إلى قسمين هما :**

[*1*] الفقاريات [ذوات الفقار] *Vertebrata*

[*2*] اللافقاريات [معدومة الفقار] *Invertebrates*

ظهر بعد ذلك أسماك متطورة تستطيع أن تعيش في الطين اللازب إذا ما غاص الماء في فصول الجفاف، وبدلاً من أن تتنفس بخياشيمها كبقية الأسماك فقد نشأ لها مع هذا التطور جهاز آخر هو عبارة عن رئات أولية تحولت عن مثانة السّبح (العوامة) فتدرعت بجهازين للتنفس وسميت تلك الأسماك "الأسماك ذات التّنفسين *Diploids*".

ومـن ذوات التّنفسـين تنشـأت "البرمائيـات *Amphibians*" وهـي الكائنـات البريـة المائيـة مثـل الضـفادع *Frogs* وأمثالهـا، وتلـك الكائنـات البريـة المائيـة تسـتطيع العيش علـى سـطح اليابسـة تمامـاً كمـا تستطيع العيش في الماء.

ومن البرمائيات تنشأت "الزواحف *Reptiles*" أمثال: التماسيح *Crocodiles* والعظايا *Lizards* والحيّات *Ophidians*. ومن فرع الزّواحف تنشأت "الطيور *Birds*".

ومن الزواحف تنشأت أيضاً "الثدييات – ذوات الثدي – *Mammilla*" التي تغذي صغارها بالحليب (اللبن) **لذا** سموها نسبة للحليب "اللبونات *Mammals*" ثمَّ استعيض عن هذا الإسم بآخر هو "الثدييات ذات البيوض*Egg-laying Mammals*"ومن الثدييات ذات البيوض تنشأت "الجلبانيات ذوات الكيس *Pouched animals*" مثل الكنغر *Kangaroo* وغيره.

أمّا الجلبانيات فقد تفرع منها شُعَب متفرقة من الأحياء أهمها من وجهة النّظر البشرية " الصّعابير أو الليامير *Lemurs* " ومن تلك الصّعابير تنشأت:

1. **السّعادين** [ذوات الذيول] *Tailed Monkeys*

2. **القردة** [فاقدة الذيول] *Tailless Apes*

ومن نوع ما من الصّعابير نشأ "الإنسان *Man*". **أمّا** من أيٍ من الشعوب العديدة التي تنشأت عن الصعابير تنشأ الإنسان بالتأكيد فأمر لا زال محوطاً بالشّك عند داروين وزمرته من علماء التّطور ومن واضعي نظريات النّشوء والارتقاء عموماً!!! ولكن الرّاجح عندهم أنّ سلفاً من الأسلاف البشريّة المشابهة للإنسان[82] والأرطان *Orangutan*[83] والجبن[84]. ثمَّ جاء "الإنسان *Man*".[85]

ويتقول بعضهم أنّ "الإنسان القرد*Ape-man*" وهو أحد الرّئيسات *Primates* المنقرضة يُعتبر حلقة متوسطة بين القردة العليا والإنسان الحديث. ويظهر من نظرياتهم أنّه من الصّعابير جاء "السّغل *Dystrophy*" وهو حيوان صغير من الرّئيسات في دماغه تلك البلديات التي على غرارها تشكل الدماغ البشري، ومما يذهب إليه بعضهم أنّ السغل قد يكون الأصل الذي نشأ منه الإنسان[86] !!!.

ويجذم القائلون بنظرية داروين أنّهُ بالتّطور قد وُجِدَت جميع الكائنات الحيّة، فخَرَجَ بعضها من بعض على طول الأحقاب الجيولوجيّة. ومما يتقوّلُ به علماء الفلك والجيولوجيا بأنّ الزّمن الذي انقضى

[*1*] القردة الشبيهة بالإنسان (أشباه الإنسان) *anthropoid apes*: مجموعة من الرئيسات العليا تشمل الغوريلا الشمبانزي وإنسان الغاب والجبّون، وهي قردة لا أذناب لها قادرة على السّير منتصبة القامة وبارعة في التّسلق.

[*2*] الأرطان هو إنسان الغاب أو الاورانغوتان *Orangutan* وأحد " القردة الشبيهة بالإنسان ". موطنه الغابات السبخة في بعض مناطق بورينو وسومطره. يبلغ ارتفاع الذّكر البالغ منه *137* سنتيمتراً ويبلغ وزنه نحو *75* كيلو غراماً وهو ذو ذراعين مديدتين تكادان تبلغان الأرض حين يقف منتصباً ورجلين قصيرتين نسبياً وأذنين صغيرتين وشعر بني محمر. وإنسان الغاب شجري العادات يقتات بالثمار في المحل الأول.

[*3*] الجبن: نوع من القردة من مجموعة أشباه الإنسان.

[*5*] المرجع. صفحة (*44*) بتصرف.

منذ انفصال الأرض من السّديم الأصلي[87] حتى ظهور الإنسان يتراوح بين ثلاثة آلاف مليون سنة وبين خمسة عشر ألف مليون سنة، أي أنّ الفرق بين تقدير العلماء في قياس ذلك الزّمن يبلغ اثنى عشر ألف مليون سنة فقط[88]!!!.

كان هذا تلخيصاً شاملاً لتسلسل الحياة بدءاً بالجبلة الأولى مروراً بالديدان والحشرات والبهائم والقرود وصولاً بالإنسان، كما يفترض ذلك داروين في نظريته، فهو يرى أنّه بالتطور وُجِدَت جميع الكائنات الحيّة إلى أن ظهر الإنسان، أمّا من أي القرود تنشأ الإنسان بالتأكيد – ذوات الذيول أم فاقدتها – فأمر لا يزال محوطاً بالشَّك لديهم!!! ولكن الراجح لديهم أنّ سلفاً من الأسلاف البشرية المشابهة للإنسان قد تطور عنه بالتأكيد الغوريلا والشمبانزي والأرطان ، ومن ثمَّ جاء بعدهم الإنسان ومن أحدهم.

إنّ هذا التسلسل العجيب للحياة وتطورها قد رُسِمَ فيما أسموه "شجرة الأحياء" نثبتها كما وردت – وبتصرف – في كتاب داروين "أصل الأنواع"[89] **مع ملاحظتين:**

[*1*] رسمت شجرة الحياة من أسفل إلى أعلى وليس العكس، بناء على نظرية داروين "البقاء للأصلح" لذا فتقرأ من أسفل إلى أعلى وليس العكس.

[*2*] يؤكد داروين صحّة ما ورد في نظريته حول الأصول الأولى للأحياء المتناهية والموغلة في القِدَم، في حين لا يستطيع التأكد من الأصول القريبة نوعاً، فالإنسان نشأ من الصعابير التي أنتجت القرود والسّعادين، وبالتأكيد فالإنسان قد نشأ من أحدهم، أمّا أيهم بالتأكيد على وجه التحديد؟ فلا يستطيع التأكيد!!!.



[*1*] السّديم – الغيمة السديمية *(nebula* **):** كتلة سحابية الشكل من غاز أو غبار أو كليهما معاً تكون في الفضاء الواقع بين النجوم وتتوهج بفعل أشعة النجوم المجاورة المنعكسة عليها.

الفرضية السديمية (*nebular hypothels* **):** نظرية وضعها الرياضي الفرنسي **لابلاس** عام (*1796*). تقول بأنّ الشمس نشأت عن سديم غازي ضخم ساخن دوّار، بَرَدَ شيئاً فشيئاً تتقلّص متخذاً شكل كُرة. ولقد كان من نتائج هذا التقلص أن انفصلت عن الشمس حَلَقاتٌ غازية ما لبثت أن تقلصت بدَورها وشكلت الكواكب السّيارة، وهكذا نشأ النظام الشمسي. وقد أخذ علماء الفلك بهذه الفرضية طوال القرن التاسع عشر، حيث أهملت بعد التحول عنها واستبعادها.

وفي نهاية القرن التاسع عشر أخذ العلماء بفرضية جديدة بدلها هي **الفرضية الكويكبية** *Planetesimal hypothesis* وهي فرضية طلع بها العالمان الأميركيان **توماس تشمبرلين وفورست مولتون،** عام (*1906*) لتفسير نشوء الكواكب السيارة. وهي تقول إنّ الشمس لم يكن لها في الماضي السحيق كواكب سيارة تدور حولها، وأنّ كتلاً ضخمة من المادة فُصلت عنها بفعل جاذبية نجم أكبر منها، وان هذه الكتل التي تسمى الكويكبات اتخذت لها مدارات اهليجية حول الشمس ثم اتحدت لتشكل ما يُعرف بالكواكب السيارة.

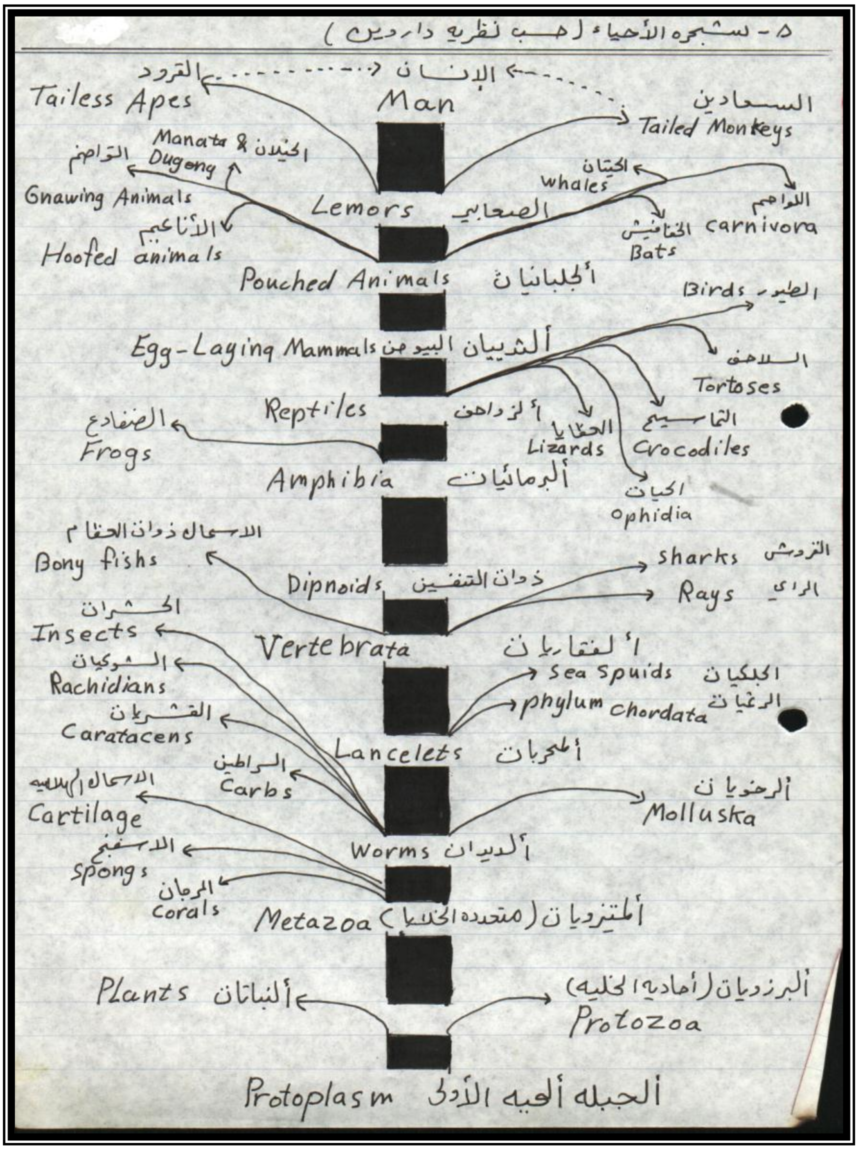
[*2*] المرجع. صفحة (*44*).

[1] المرجع. صفحة (41).



شجرة الحياة حسب نظرية داروين

شجرة الحياة حسب نظرية داروين[90]



[1] المرجع. صفحة (41)

نشـــــأة الحيـــــاة

تسرد كيفية نشأة الحياة دورية " عالم الفكر [91] كالتالي :

(وكيفية ظهور الحياة ما زالت موضع دراسة وإن كانت الأبحاث الحديثة في الكيمياء الحيوية *Biochemistry* وعلم الخلية *Cytology* والفيروسات *Viruses* قد ألقت بعض الضوء على هذه المشكلة، ولكن العلماء لم يصلوا بعد إلى حل لهذا السّر وربما لن يصلوا إليه إلى الأبد، وأقدم نظرية تفسّر نشأة الحياة هي: "**نظرية النّشوء الذّاتي أو التلقائي *Spontaneous Generation***" ، وتبعاً لهذه النظرية تنشأ الأنواع المختلفة من الحياة حتى المعقدة منها تلقائياً من مواد غير حيّة، فمثلاً كان الفيلسوف الإغريقي الشهير "أرسطو *Aristole*" يعتقد أن البعوض والبراغيث نشأت من المواد المتحللة، ولكن تمكن الطبيب الإيطالي "ريدي *Redi*" في القرن السابع عشر والقسيس الإيطالي "سبالانزاني *Spallanzani*" في القرن الثامن عشر من إثبات خطأ هذه النظرية، ولكن بعد اكتشاف البكتيريا *Bacteria* ظلَّ العلماء يؤمنون بإمكانية نشوء هذه الكائنات الدّقيقة جداً تلقائياً من أي وسط عضوي*Origanic medium* حتّى تمكن العالم البكتريولوجي الفرنسي الشهير "باستير *Pasteur*" من إثبات خطأ هذا الرّأي بالتجربة.

والنّظرية الثانية هي " النظريّة الكونيّة *Cosmozoic theory*" التي تنادي بأنّ البذور أو الجراثيم *Apores* الأولى للحياة وصلت إلى كوكبنا بطريقة ما من مكان آخر في الكون. ولكنَّ هذه النّظرية غير مقنعة **لسببين:** الأوّل أنها لا تفسر

كيفية نشوء الحياة على الإطلاق تغير منشأها من الأرض إلى مكان بعيد وغير محدد من الكون، والسبب الثاني أنّ الجفاف الشديد والبرد القارس والإشعاع القوي الذي يتميز به الفضاء فيما بين الكواكب المختلفة لا يسمح إطلاقاً لبذور الحياة بأن تمر من كوكب إلى آخر.)[92]

أمّا الآراء الحديثة لعلماء التّطور في كيفية نشوء الحياة وشرحها فهي معقدة وملخصها أنَّ حالة البحار البدائيّة من حيث درجة الحرارة والإشعاع والتركيب الكيميائي شجعت على تكوين وبقاء عدد كبير جداً من مركبات الكربون *Carbon* المختلفة، ثم بواسطة عدد لا يحصى من اتحادات هذه المركبات بعضها ببعض تكونت أجزاء فيزيائية كيماوية *Physic-chemical* لها طبيعة ثابتة نسبياً وتتميز بالصفات الأساسيّة للحياة معتقدين أنّ هذه الكائنات البدائيّة أو الأوليّة *Proto-organisms* كانت تشبه في أول مراحلها الجين *Gene* الحامل للصفات الوراثية، بينما يؤكد علماء آخرون مقارنتها بالفيروس *Virus* يعيش عيشة حرّة، إنما هم متفقون أنّ أول الأشياء التي ظهرت على الأرض لم تظهر بصفة خلايا إنما بصورة

---

[1] دورية " عالم الفكر ".العدد الرابع. المجلد الثالث. صفحة (15).

[92] المصدر السابق. صفحة (15)

أشياء هي أبسط من الخلايا بكثير يمكن تسميتها جزيئيات حيّة *Living molecules*، وأنّ الوقت الذي تحولت فيه تلك الجزيئيات الحيّة إلى مرحلة الخلية الواحدة مثل حيوان الأميبا *Amoeba* هو وقت طويل جداً نسبياً.[93]

[2] المصدر السابق. صفحة (15–16).

تطـــور الإنســـــان[94]

يتضمن سجل تطور الجنس البشري مجموعة من الأشكال اقتربت تدريجياً من هيئة الإنسان الحالي، ويمكن اعتبار إنسان جنوب أفريقيا القرد *Australopithecus africanus* أول نوع مشابه حقيقة للإنسان، ولقد عاش هذا النوع منذ حوالي مليون سنة وكان قصيراً نسبياً وبه شَبَه بالقرد الكبير من حيث شكل وصفات الجسم.

ولقد اكتشفت عدة حفريات من هذا النوع في أفريقيا بواسطة العالم "دارت *Dart*". ويعتقد الآن معظم العلماء أنَّ هذا النوع يتميز بصفات عائلة الإنسان وعائلة القرود وبذلك لا يمكن اعتباره قرداً أو إنساناً، وكان حجم مخه يساوي تقريباً نصف حجم مخ الإنسان الحالي، وكان يستطيع أن يصطاد الحيوانات ليأكلها بواسطة أسلحة حجرية.

أما النوع الذي يعتبر فعلاً إنساناً فيسمى "إنسان كرومانيون*Cro-Magnon*" الذي عاش *32000* سنة إلى *15000* سنة، ولقد كان هذا النوع طويلاً ومنتصب القامة والطّبع ذكياً نسبياً. ولقد اكتشفت حفريات هذا النوع في كهوف بوسط فرنسا، ولاحظ العلماء في هذه الكهوف وجود بقايا حضارة على هيئة أسلحة وعاج منحوت، بل أن هذا النوع كان يتمتع ببعض الموهبة الفنيّة لوجود رسومات وصور زيتية لحيوانات – انقرض معظمها الآن – على جدران الكهوف التي عاش فيها هذا النوع.

ولقد اكتشف علماء الحفريات عدداً من الأنواع المتوسطة بين الرّجل القرد الأفريقي وإنسان كرومانيون أذكر منها الأنواع التالية :

الإنسان القرد الجاوي : نسبة لجزيرة جاوه بإندونيسيا [*Java ape man*]

إنسان بكين : الذي اكتشفت بقاياه بالصين [*Pecking man*]

إنسان هايدلبرج : الذي اكتشفت حفرياته في ألمانيا [*Heidelberg man*]

إنسان نياندرثال : الذي اكتشف في وادي نياندرتال بألمانيا [*Neanderthal*]

وما زالت الاكتشافات بخصوص هذا الموضوع تتوالى حتى وقتنا الحاضر

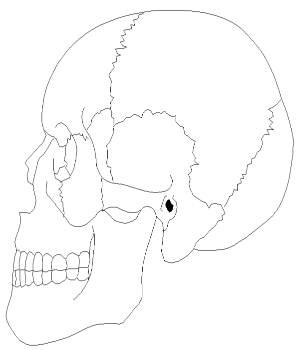
أما الإنسان الحديث فيسمى "الإنسان العاقل *Homo Sapiens*"، وقد بدأ ظهوره منذ حوالي *12000* سنة فقط والتغيرات التي أدت إلى تكوينه كانت عقليّة أكثر منها جسمانيّة وبمعنى آخر أدّت العمليات التّطورية – بإرادة الله سبحانه وتعالى – إلى زيادة قوّة العقل وليست قوّة البدن، ولقد مكَّنَ ذكاء

[1] جميع هذا البحث منقول من مقال للدكتور علم الدين كمال. الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة في دورية " عام الفكر " العدد الرابع – المجلد الثالث. الصفحات (32 – 34).

الإنسان من أن يكيّف نفسه حسب البيئة ويتحكم فيها وبذلك أصبح الإنسان الحيوان السّائد فوق الأرض في العصر الحديث.

أما أول مكان ظهر فيه الإنسان الحديث فلا نستطيع تحديده حتى الآن، فبعض العلماء يعتقدون أنه ظهر أولاً في آسيا وبعضهم يقول أنها أفريقيا، وعلماء التّطور لا يقولون أنَّ الإنسان انحدر من القرد كما يعتقد العامّة من النّاس وإنما يعتقدون أنّ الإنسان والقرد كان لهما سّلَفٌ مشترك.

وفي بداية هذا الشهر[95] أذاعت وكالات الأنباء ملخصاً لاكتشاف هام قام به "الدكتور ريتشارد ليكي" مدير المتحف الوطني في كينيا، فقد أعلن هذا العالم – في تقرير قدّمه إلى الجمعيّة الجغرافيّة الوطنيّة في واشنطون – أنّه اكتشف في جبل حجري بصحراء تقع شرق بحيرة رودلف في كينيا بقايا جمجمة وساق يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام، ولذلك تعتبر هذه البقايا أقدم أثر للإنسان الأول لأنها تمتد في قِدَمِها مليوناً ونصف مليون عام من أقدم أثر أمكن الحصول عليه حتى الآن.[96] وأكَّدَ ليكي أنّه بالرغم من أنّ هذه الجمجمة لا تشبه جماجم الإنسان الحديث ألا أنها تختلف كذلك عن جميع أشكال الجماجم التي عُثِرَ عليها للإنسان الأوّل، والاكتشاف الجديد يبين أنّ المخلوق الإنساني المنتصب ذا الساقين لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه القرد بل كان يعاصره منذ حوالي مليونين ونصف مليون عام، وذكرت الجمعيّة الجغرافيّة الأمريكيّة في تعليق لها أنّ نظرية هذا العالم تقوم على أساس أنّ الرجل القرد الأفريقي (وكان أساساً من أكلة النباتات) قد وصل إلى مرحلة تطورية مسدودة بينما استطاع الإنسان (الذي استخدم اللحم في غذائه) أن يبقى على قيد الحياة، ولــــذا اختتم ليكي تقريره قائلاً أنّ اكتشافه يمكن أن يقلب النظريات القائمة بشأن كيف ومتى تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التّاريخ.[97]

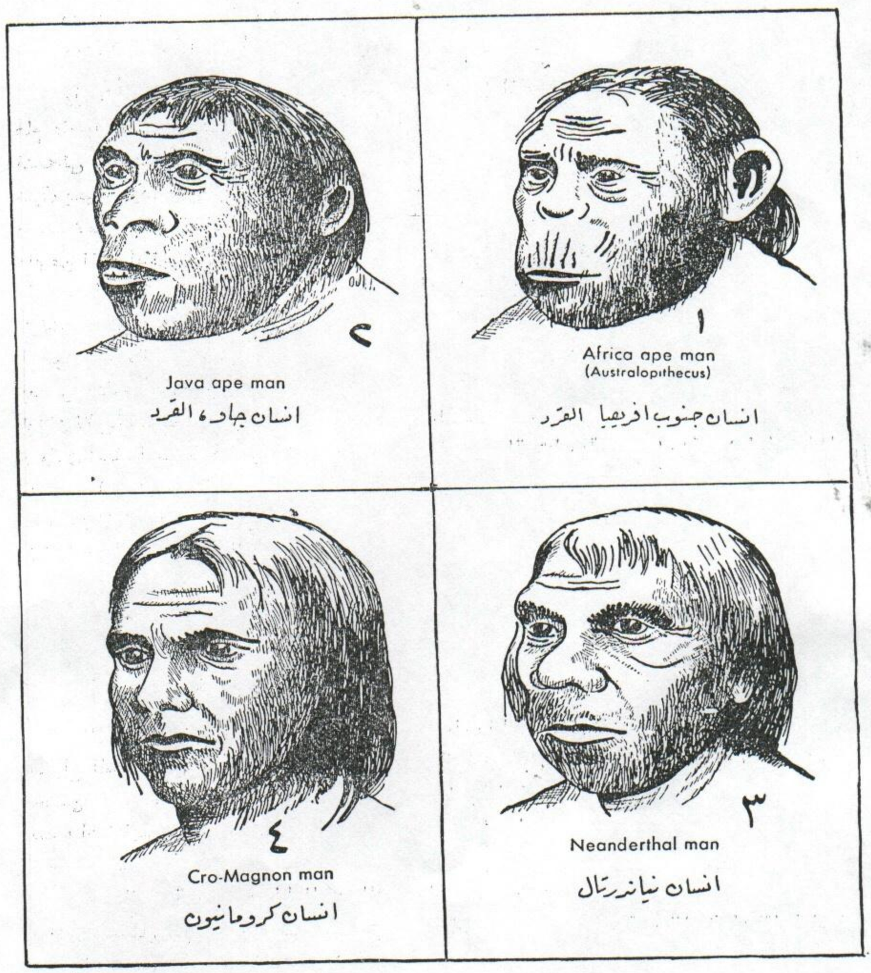


[1] نوفمبر عام (1972).

[2] (الرجل الأفريقي الذي عاش منذ مليون عام).

[3] المصدر السابق. صفحة (32 –34).

نماذج بعض أشكال مراحل تطور الإنسان قبل الوصول إلى مرحلة الإنسان العاقل



تطور الانسان : ١ ـ انسان جنوب افريقيا القرد ٢ ـ انسان جاوه القرد ٣ ـ انسان نياندرثال ٤ ـ انسان كرومانيون .

كيف نشـــأ الإنســــــان[98]

إنَّ ذلك لا يزال موضع شكٍّ عند داروين وأمثاله، ولكنَّ نظرتهم أنَّ أوالي البشر لم يكونوا على صورة الإنسان الحالي بل كانوا أكثر مشابهة للقردة العليا كالغوريلا والشمبانزي والأرطان منهم إلى الإنسان الحالي، ومن أجل انهم أول ما عاشوا في الكهوف والمغاور وقد اغتذوا بالجذور والدَّرنات والجوز، واتخذوا من أدوات الدّفاع عن النّفس عصياً وأحجاراً صنعوها خبط عشواء. غير أنهم اصطنعوا بعد ذلك أدوات من الصوان جلبوها بالنحت – لتتفق مع أغراضهم – وتركوها غير مصقولة.

واستمر الإنسان يستعمل تلك الأدوات الحجرية الغشيمة أزماناً طويلة، ولكن بمرور الزَّمن اكتسب قدرة على تحسين الصناعة، فأخذت أدواته ترتقي متدرجة مع تدرجه في سلم الارتقاء والتطور العضوي والذهني، وفي زمن ما عرف كيف يستعمل النّار أول ما رأى ناراً مشتعلة بسبب انقضاض صاعقة على الهشيم الجاف فاشتعلت ومضى محتفظاً بها يزكيها كلما كادت تخبو، ولكنه اهتدى بالصدفة بعد ذلك إلى الطَّريقة التي يوَلِّد بها النّار، وهي نفس الطَّريقة التي لا زال البدائيون يستعملونها إلى يومنا هذا. وقد كان لاستطاعته توليد النار أثر تطوري انقلابي في حياة الإنسان، حتى أنّه قد ألفت فيها الكثير من الحكايات والأساطير.

لما استطاع الإنسان أن يحسّن من أدواته خرج للصّيد وطبخ لحم الحيوان بعد أن كان مقتصراً على الجذور والدّرنات والجوز، واتخذ من جلد الحيوان كساءاً. وكان إنسان الكهوف فناناً بطبعه فَخَلَّفَ آثاره الفنيّة منقوشةً على العاج والعظام
والأحجار وغيرها، أو صَوَّرَها خطوطاً وتلويناً على جوانب الكهوف التي عاش فيها.

بعد ستمائة ألف من السنين خطا الإنسان خطوة أخرى نحو التّقدم والارتقاء. على أنّ تقدير الأطوار النُشوئية التي تعاقبت على الإنسان بالسنين هو أمر ظني تقريبي صرف، وكلما تقدمت البحوث العلمية وكشوفات علماء الآثار والأحافير ردت الإنسان إلى عهد أبعد وأعرق موغل في القِدَم.

كذلك تدرجت لديه القُدرَة على الكلام في مراحل لاحقة من التّطور استطاع أن ينقل إلى نسله عاداته الكلامية. ولما بلغ تلك الدَّرَجَةَ من القدرة على النُطق أصبح وجوده أثبت وعيشه أيسر مما كان في العهود السّابقة، غير أنّ أدواته كانت مصنوعة من الصّوان وغيره من الحجارة الصّلبة، بعد أن اتخذت صورة جديدة فصارت حديدة السنان ملساء الأسطح بعد أن صقلها وهذّبها واهتم بحسن مظهرها، واخترع القوس والسهام والصنانير والكلاليب التي اتخذها من قرون الأيائل. ونسج الملابس وصنع

---

[1] المرجع. صفحة (45 – 47) بتصرف ومصادر أخرى.

الفخار وزرع بعض أصناف الحنطة، كذلك فقد آلَفَ الكلب فكان لايلافه أثر بعيد في حياته وأسلوبها إذ اصبح له صديقاً ورفيقاً استعان به على الصيد ورَدِ عادية الذئاب والوحوش المهاجمة والتي كانت أعدى وألد وأضرى أعدائه في حياته البدائية.

وبالتأكيد أن الإنسان قد آلف أنواعاً من الذئاب والوحوش في بداية الأمر انحدرت منها بطريق التطور جميع سلالات الكلاب التي نعرفها اليوم، فذئب جريح فاقد الحيلة والقدرة قد يرتد بالتأليف والتعليم والتدريب أليفاً بعد أن يعنى به ويتعهد ويساس من قبل إنسان بدائي يضمد جراحه ويعوله ويتعهده فيصبح النواة الأولى في تأليف أترابه من بني جلدته وعقيب ذلك اهتدى الإنسان إلى طريقة إيلاف الحصان والحمار ومن ثمَّ الجمال والقطط، فأضاف إلى قدراته في المسيرة التربوية قدرات أخرى ساعدته في أساليب الحياة والتغلب على الصعاب.

ويؤكد العلماء أنَّ الإنسان منذ أن عمَّرَ هذه الأرض قد ترك آثاره المتحجرة في الطبقات الجيولوجية فلقد عثر العلماء على جماجم مطمورة في رواسب الكهوف والمغاور، وعلى عظام أخرى من الهيكل العظمي في رواسب الأنهار القديمة وفي المحاجر، ومن هذه الصور الأثرية استطاعوا أن يؤلفوا فكرة عن الصور التي لابست الإنسان في مراحل تطوره في تلك العصور الغابرة.

بجوار تلك العظام التي خلفها الإنسان من هيكله العظمي – وهي قلية لأنها سريعة العطب والانحلال – فقد خَلَفَ الإنسان أدواته التي استعملها كالحراب والمدى والمطارق والإبر والكلاليب والسهام وغيرها... وهي في الأكثر مصنوعة من الصوان أو غيره من المواد الصلبة، وقد مضى على الإنسان زمن طويل وهو يستعمل تلك الآلات الحجرية قبل أن يهتدي إلى المعادن، ومن دراسة تلك الأدوات فقد بنى علماء التطور نظرياتهم المختلفة حول التّطور والعصور البشرية ونمط حياة الإنسان ونهضته ورقيه والأزمان والفترات التي مَرَّ بها.

كان هذا هو ملخص لما ورد في كاتب داروين " أَصل الأنواع " في موضوع نشوء الإنسان . وهو ما يجمع عليه كافة التطوريين بالتركيز على الربط بين الأدوات المستعملة وبين نهضة الإنسان ورقيه وحضارته وأسلوب تفكيره . المطابق للفكرة الأساسية التي تبنتها الشيوعية بأن المادة هي أصل الموجودات وأن التّطور المادي تبعاً لوسائل الإنتاج هو المحرك الفعلي والوحيد للمجتمع وعلاقاته جميعاً ، واعتبار فكر الإنسان ووجة نظره نابعة وموجهة من الأدوات التي يستعملها، وتدوينهم تاريخ نشأته وحضارته بالمصدر الوحيد المعتمد لديهم لذلك وهو ما يكتشفونه في المغاور والكهوف من أدوات استعملها في الحقبات التاريخية المنصرمة .



تاريخ تطور الحياة حتى ظهور الإنسان وسيادته
جدول حسب افتراضات علماء التطور المادي والبيلوجيا

الدهر era	العصر (الحقبه) Period	الدّور (الحين) epoch	[99]* ملايين السنين
الحديث Cenozoic	الرابعي Quaternary الثلثي Teriary الكريتشي Kreche	الحديث البلستوسين Pleistocene البيوسين Piocene الميوسين Miocene الاوليغوسين Oligocene الايوسين Eocene البالوسين Paleocene	1/10 3 7 26 37 54 65 130
المتوسط Meozozoic	الجراسي Jurassic الترياسي Triassic البيرمي Permian الكربوني[100] Pennsylvanian		180 225 280 310
القديم Paleozoic	المسسبي Missisippian الديفوني Deovonian السيلوري Sillurian	الاردفيشي Ordovician الكامبري Cambirian	345 400 440 500 600
القبكمبري Preacamirian	الفجري Proterozoic العتيق Archeozoic		4.50 بليون

يقرأ هذا الجدول مع شجرة الأحياء وأهم الأحداث الواردين بعده في هذا الفصل. كما يقرأ من أسفل إلى أعلى وليس العكس كما في شجرة الأحياء. ويفسِّر كل منها الآخر.[101] كما يَسرد لاحقاً أهم الأحداث البيولوجية والجيولوجية. مع التنبيه على ما يلي :

1– هذا الجدول يُعنى بالعصور والأزمان التي تبين تطور الحياة حتى ظهور الإنسان. وهذا بداهة كان قبل عصور التقدم البشري بملايين السنين، أما بالنسبة لعصور التقدم البشري فيرجع إلى الفصل العاشر وما بعده.

---

[1] قبل الآن بملايين السنين.

[2] العصر الكربوني هو: العصر البنسلفاني.

[1] هذا الفصل بالكامل (الجدول وبقية الفصل) منقول عن كتاب " البيولوجيا ". تأليف ريتشارد جولدزبي – الجزء الأول، وعن موسوعة الموارد العربية لمنير البعلبكي – الجزأين الأول والثاني –.

2– إن جميع التواريخ والعصور والدهور والأدوار الواردة في هذا الجدول هي افتراضية خيالية، **لذا** نجد اختلافات جوهرية وعميقة في تحديد العصور والأدوار والتواريخ حتى في الأسماء بين مصدر وآخر، **لذا** يجدر الانتباه لعدم ذكر بعض الفترات التي وردت في مصادر أخرى – غير التي أخذنا عنها – مثل عصر الجليد والعصر الطباشيري ..... ألخ.

أهم الأحداث الجيولوجية حتى ظهور الإنسان وسيادته[102]

كان أهم الأحداث الجيولوجيَّة التي تعاقبت على مدى الدّهور والأزمنة ما يلي :

[*1*] في الدهر القبكمبري بعصريه : زحف الجليد على معظم القارات .

[*2*] في الدّهر القديم :

1. **في العصر السيولوري:** ظهور البحار الضحلة في أمريكا الشمالية.

2. **في العصر الديفوني :** ظهور جبال الالاباش .

3. **في عصر المسسبي :** البحار الضحلة تغمر مساحات واسعة من اليابسة.

[2] المصدر السابق.

[3] في الدّهر المتوسط :

1. **في العصر البنسلفاني (الكربوني) :**

زحف الجليد في معظم مناطق العالم ، ونشوء تشكيلات صخرية مشتمله على الفحم الحجري .

2. **فـي العصـر البيرمـي :** زحف الجليد وتشكل الصخور الرَّملية .
3. **في العصر الترياسي :** طقس دافئ شبه جاف .
4. **فـي العصـر الجراسـي :** دفـء الطقس وظهور سلاسل الجبال .

[4] في العصر الحديث :

1. **فـــي العصــــر الكريتشــــي :** ظهور الصخور .
2. **فـــي الـــدور الأيوســــين :** تقلب الطقس .
3. **فـــي دور الأوليغوســـين :** دفـء الطقس .
4. **فــــي دور الميوســــين :** برودة الطقس وتكوين الهمالايا .
5. **فــــي دور البيوســــين :** كثرة الشلالات .
6. **فــــي دور البلوسيســـتين :** امتداد الجليد وانحساره .
7. **فــــي الـــدور الحــــديث :** ظهور القارات الحديثة .

أهم الأحداث البيولوجية حتى ظهور الإنسان وسيادته[103]

أما أهم الأحداث البيولوجية فكانت :

[1] في الدهر القبكمبري :

1. **العصـر العتيـق :** الحفريات لهذا العصر قليلة جداً .
2. **العصـر الفجـري :** ظهور الحياة للمرة الأولى، لافقاريات رخوة ، طحالب

[2] في الدهر القديم :

1. **في الدور الكامبري:** تنوع الطحالب وانتشار اللافقاريات.
2. **في الدور الأردفيشي :** ظهور الأسماك البدائية لأول مرة، سيادة اللافقاريات البحرية.
3. **في العصر السيلوري:** انتشار الأسماك ذوات الدروع، انتشار الحزازيات والنباتات الوعائية البذرية، ظهور بعض القشريات الكبرى والحيوانات البرية.
4. **في العصر الديفوني:** ظهور النباتات معراة البذور، ظهور البرمائيات، سيادة الأسماك.
5. **في العصر المسسبي:** سيادة السراخس والليكوبسيدات، انتشار أسماك القرش والبرمائيات.

[3] في الدهر المتوسط:

1. **في العصر البنسلفاني:** ظهور الزواحف البدائية والأشجار، سيادة البرمائيات في مستنقعات الفحم والغابات.
2. **في العصر البيرمي:** استبدال البرمائيات بالزواحف ، انتشار الحشرات.
3. **في العصر الترياسي:** ظهور الديناصورات البدائية والبرمائيات، سيادة الزواحف، ظهور الثدييات.
4. **في العصر الجراسي:** ظهور الطيور البدائية، تشعب الحشرات، انتشار الزواحف والاموينبيس، استمرار ظهور الثدييات البدائية.

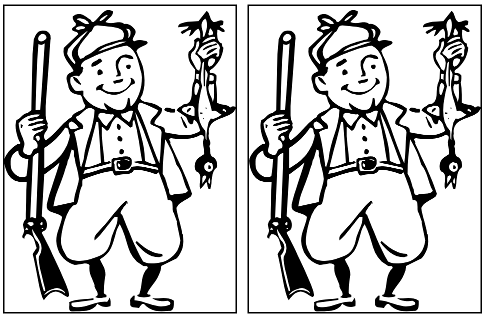
[4] في الدهر الحديث:

1. **في العصر الكريتشي:** سيادة النباتات، ظهور أكثر النباتات المزهرة، انتشار الزواحف والأمويبتس، انقراض الديناصورات.
2. **في دور البالوسين:** ظهور الطيور الحديثة، تنوع الحيوانات ذات الحوافر، ظهور الثدييات المشيمية.
3. **في دور الأيوسين:** ظهور الثدييات الحديثة وانتشارها.
4. **في دور الأوليغوسين:** ظهور كثير من العائلات الحيوانية الحديثة، تطور سريع في الثدييات.

---

[1] المصدر السابق.

5. **في دور الميوسين:** ظهور الحيوانات التي تتغذى على الأعشاب، ظهور القردة البدائية والحيات والماشية.
6. **في دور البيوسين:** ظهور الحيوانات المفترسة الكبيرة، ظهور الكثير من الثدييات.
7. **في دور البيلوستين:** بدأ ظهور الإنسان الأول، انقراض عدد كبير من الثدييات الكبيرة.
8. أما أهم الأحداث البيولوجية في الدور الحديث فهو الإنسان والحيوانات العليا.



عصور التقدم البشري الأولى[104]

بحسب تسلسل النظريات التطورية فالإنسان كان بدائياً "*Primitive*" ... بدائياً في تركيبه الحيواني، بدائياً في طريقة الإدراك والتمييز والتفكير، بدائياً في عدم استطاعته النطق والتعبير، بدائياً في كيفية استعمال الأدوات اللازمة، وبدائياً في أسلوب العيش.

لقد تدرج الإنسان في الارتقاء والتطور خلال مراحل متعدده "عصور *Periods* " أخذت أسماء أدواته التي كان يستعملها، لأنَّ تطوره يسير طبقاً لوسائل الإنتاج التي كان يستعملها، فتطوره مربوط ربطاً حتمياً ولازماً بتطور أدواته،[105] بتطور أدواته، وأول تلك العصور كان "العصر الحجري *Stone age*" وهو أقدم عصر من عصور الثقافة البشرية، **ويقسمه العلماء إلى أربع فترات هي :**

[*1*] العصر الحجري البدائي (الأيولتي = الظراني) *Eolithic period* وهو الفترة الأولى من العصر الحجري، يتميز باستخدام الإنسان الأدوات الحجرية البدائية إلى أبعد الحدود إذ كانت أدواته حجرية خشنة غير مهذبة، وقد عثر على مثال لها عالم إنجليزي اسمه "بنيامين هريسون" في الحصى المتراكم في قيعان الأنهر القديمة في "كينت *Kent* "الواقعة في مقاطعة" "سسكس *Sussex*" في إنجلترا، وفي غيرها من البقاع.

[*2*] العصر الحجري القديم (الباليوليثي) *Paleolithic period* وهي الفترة الثانية من العصر الحجري، يتميز باستعمال الأدوات الحجرية الخشنة والمهذبة على نحو بدائي.

[*3*] العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي) *Mesolithic period* وهي الفترة الثالثة من العصر الحجري، يتميز بظهور الكلب بوصفه أول حيوان أليف، وباستخدام القوس والنَّشاب والأدوات القاطعة ونشوء صناعة الفخار.

[*4*] العصر الحجري الحديث (النيوليثي) *Neolithic period* وهي الفترة الأخيرة من العصر الحجري، بدأ حوالي العام (*2000* ق.م) في الشرَّق الأوسط، وبعد ذلك في أماكن أخرى، وهو يتميز باختراع الزراعة وبصنع الأدوات الحجرية المتطورة نسبياً.

---

[1] المرجع، صفحه (47- 50) بتصرف.

- موسوعة المورد العربية ، الجزء الثاني ، صفحة (765 – 766) .

[2] يلاحظ أن ذلك مطابق تماماً للفكرة الأساسية التي تبنتها الشيوعية والقائلة بأن التطور المادي تبعاً لوسائل الإنتاج هو المحرك الفعلي والوحيد للمجتمع وعلاقاته جميعاً ، واعتبار أن فكره ووجهة نظره نابعة وموجهة من الأدوات التي يستعملها .

على أنَّ تلك العصور لا يفصل بين العصر والعصر الآخر منها فواصل محددة متفق عليها زمنياً بل يتداخل بعضها ببعض، حيث عثر على أدوات من العصر الحجري البدائي في نفس المكان مع أدوات من العصر الحجري القديم، ومما يجزمون به ويؤكدونه أن العصر الحجري بأقسامه الأربعة قد سَبَقَهُ عصر أخر استعمل فيه الإنسان الأول العصي والحجارة الغشيمة[106] مما يقع عليه بصره خبط عشواء[107]. على أن تلك العصور لا تدل على عهود زمنية معينة أو محددة، إنما تدل علمياً على درجات ثقافية أستدل عليها بواسطة الآثار التي عُثِرَ عليها.

ولما اكتشف الإنسان المعادن تسارع ارتقاؤه مستعملاً " النحاس الأحمر *Copper*"، في أول الأمر، إلاّ أنه أنِسَ فيه الطّراوة مما لا يتفق ومتطلباته فمزجه بالقصدير ليخرج منه سبيكة "البرونز *Bronze*"، ولما اهتدى إلى البرونز وضرب مسارعاً إلى التقدم بدخوله في مطاوي "العصر البرونزي *Bronze age*" حوالي العام (*3500* ق.م) بدأ يعيش في جماعات أكبر من تلك التي كان يعيش فيها من قبل، وكان قبل ذلك وفي أواخر العصر الحجري الحديث قد ترك العيش في الكهوف ونزع إلى العيش في الأكواخ، وتجاورت الأكواخ فتألفت منها مجموعات لتصبح كل مجموعة منها "قرية *Village*"، وظلَّ الإنسان يعيش في مجموعات قروية أزماناً متطاولة أقيم بعضها على جوانب أطراف البحيرات طلباً للأمن، وقد سميت تلك القرى "المرابي البُحَيرية *Lake villages*" – أي قرى الجيران –

أما بحلول العصر البرونزي فقد تمادت بعض القرى في الكبر والنمو والتضخم فصارت "بلاداً *Towns*"، وكبرت البلاد لتصبح "مدائن *Cites*"، وكبرت المدائن أيضاً لتصبح "عواصم *Capitals*"، كما أن طبيعة العيش والتطور ومتطلبات الحياة المتطورة قد أحالت الأكواخ البسيطة إلى بيوت مضت في الاتساع والتّشكل حتى برزت تلك القصور العظيمة والبروج المطوحة التي تقع على أمثالها في حضارات مصر وأشور وأثينا ورومية.

ولما اكتشف الإنسان "الحديد *Iron*" انتقل إلى "عصر الحديد *Iron age*" حيث صهر الحديد واستخدمه بدلاً من البرونز في صنع الأدوات والأسلحة، وذلك لتوفره ولندرة البرونز حيث الثاني أصلد، وكان ذلك قبيل العام (*1000* ق.م) في آسيا الغربية ومصر.

ولقد استغرق هذا التطور دهوراً تلو دهور، إذ أنه يتبع دائماً تطور المهارة والفراهة الهندسية والفكرة في تطويرات الحياة وزخارفها، ولما بلغت الجماعات القروية مبلغاً من الاتساع والكبر بدأ أفرادها يُغَيِرون نمط حياتهم فظهرت "الطبقات *Classes*"[108] لأول مرّة كالسماك والقناص والمُحارب وجابل الصوان وغير ذلك، وكان أولئك – أصحاب الطبقات – الذين أقاموا العلاقات الاجتماعية[109] والطبقات

---

[1] الغشيمة : غير المصنعة .

[2] العشوائية : عدم التقصد والتعمد .

[1] مجموعة الأشخاص الذين يؤدون عملاً واحداً ، أو الذين تجمعهم مصالح مشتركة ، أو الذين يشتركون في وضع واحد أو في حالة واحدة في مجتمع من المجتمعات . والمقصود في الجملة هو المعنى الأول .

[2] المقصود هنا العلاقات بين الناس في المجتمع الواحد ، وليس العلاقات الاجتماعية بمعناها الصحيح ، إذ أن الثانية تأخذ مفهوم اجتماع الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ، ومعظم الباحثين لا ينتبهون إلى الفرق بين المعنيين ، وبما أن القول منقول عن من لا يميز الفرق – وهو المرجع – لذا فقد حرصت على نقل الفكرة بنفس الألفاظ التي وردت في المرجع مع التنويه للفرق بين المعنيين .

المدنية وما ترتب على ذلك من النظم التبادلية والتجارية، وكان ذلك أول نشوء الحضارات الكبرى في تاريخ البشر.[110]

ويتكهن علماء التطور المعاصرون بأنه إذا كان الإنسان خلال تلك العصور والأحقاب المنصرمة منذ ظهور الإنسان الحديث قد عمل دائماً على تحسين أحواله والسَّيطرة على موارد الطعام والتحكم في الطبيعة وتسخيرها لصالحه، كما تمكن من ابتكار وسائل كثيرة ومتنوعة لتقوية روابطه الاجتماعية مما أدى إلى ظهور الحضارات العديدة السابقة عبر القرون الماضية، فالأغلب أنه سيستمر في مثابرته وجهاده تمهيدا للدخول في عصر جديد أو عصور جديدة متتالية يتميز كل منها بملامح وسمات خاصة. ويعتقدون أنَّ التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي سيكون أسرع وأوضح من التطور البيولوجي الذي يحتاج إلى عشرات الآلاف من

السنين، ولكن هذا التطور الاجتماعي والثقافي سيكون في الوقت ذاته تطوراً موجهاً وسفيراً يستعين بخبرات الآلاف الطويلة من السنين الماضية .[111]

لـذا فإن دراسة التطور البيولوجي والاجتماعي لا تقتصر دائماً على دراسة الماضي ولا تكتفي بالبحث عن المراحل التي مرَّ بها الكائن البشري خلال تاريخه الطويل، وإنما تمتد إلى دراسة الحاضر ومحاولة التّعرف على مستقبل الأجيال القادمة والتكهن بنوع التغيرات التي سوف تسود مستقبلاً.[112]

أما العالم الاقتصادي الألماني " كارل بيشر *Karl Bucher* " فقد ذهب إلى أن الاقتصاد البشري مَرَّ بثلاث مراحل قبل أن يصل إلى المرحلة الصناعية قي أوروبا في القرن التاسع عشر. وفي أولى تلك المراحل الثلاث كانت حياة الإنسان تعتمد إما على الجمع والالتقاط أو قنص الحيوان أو صيد السَّمك بحسب ظروف كل مجتمع على حدة، ثم انتقل الإنسان بعد ذلك إلى مرحلة الرعي، وأخيراً وصل إلى مرحلة الحياة المستقرة التي تعتمد على الزراعة.[113]

أما العالم الأمريكي " لويس مورجان *Lewis Morgan*" فيذكر في كتابه "المجتمع القديم *Ancient Society* " أن الإنسان قد مَرَّ بحقبتين كبيرتين هما "حقبة التَّوَحُش" و "حقبة البربرية" قبل أن يصل إلى "الحضارة الأوربية الحديثة". ثم يقسم كلاً من هاتين الحقبتين بعد ذلك إلى ثلاث مراحل أخرى هي "دنيا، وسطى، عليا". **وبناء عليه يكون المجتمع الإنساني قد مرَّ بحسب تقسيمه بالمراحل التالية:**

[*3*] هناك فرق بين لفظي " الحضارة *Civilization* " و " المدنية *Sciences* " من ناحية المدلول، فالحضارة هي مجموع وجهات النظر عن الحياة ، في حين أن المدنية هي أشكال التقدم في العلوم والصناعات مما لا يتعلق بالثقافة ووجهات النظر عن الحياة مثل : علوم الكيمياء والهندسة والصناعات وغيره ، وهذا هو المقصود في الفقرة ، لذا كان الأولى أن يقال " نشوء المدنيات والعلوم " بدل " نشوء الحضارات . لذا اقتضى التنويه .

[*1*] لورد تويدز ميور، في مقال له بعنوان "الجانب الآخر من التل". *Lord Tweedsmuir- The other side of hill*

[2] وليام هاولز، كتاب " ما وراء التاريخ " ترجمة أحمد أبو زيد، مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة نهضة مصر – القاهرة. طبعة (1965)، صفحة (21) وصفحة (465).

[3] تيلور، " نوابغ الفكر الغربي "، ترجمة دكتور أحمد أبو زيد،

أ. **مرحلة التوحش الدنيا:** وتبدأ من طفولة البشرية.

ب. **مرحلة التوحش الوسطى:** وتبدأ باستخدام النار، وكان الإنسان يعتمد في أساسها على صيد السمك.

ت. **مرحلة التوحش العليا:** وتبدأ منذ اخترع الإنسان القوس والنشاب والسهام، وبذلك كانت حياته تقوم في الأغلب على القنص.

ث. **مرحلة البربرية الدنيا:** وتبدأ باختراع الأواني الفخارية.

ج. **مرحلة البربرية الوسطى:** التي تتميز بحفظ واستئناس الحيوانات، وزراعة الذرة ، والاعتماد على الرّي.

ح. **مرحلة البربرية العليا:** وتبدأ باكتشاف طريقة سبك الحديد، وبالتالي استخدام الآلات والأدوات الحديدية.

خ. **وأخيراً** وصلت الإنسانية إلى المرحلة السابعة والأخيرة وهي: "مرحلة الحضارة الصحيحة": التي تمتاز باكتشاف حروف الهجاء والكتابة، وتمتد حتى عصرنا الحالي.[114]

أما فيما يتعلق بأدوات ووسائل العيش فيقول مورجان: أن الإنسان انتحل خمس طرائق في معاشه، ويرد اثنتين منها إلى حقبة التوحش، والثلاث الأخرى إلى البربرية، **وأولى** تلك الوسائل هي طريقة العيش الطبيعية عن طريق جمع الفواكه والبذور والجذور في المنطقة التي يسكنها الإنسان، **والثانية** هي صيد السمك. أما الوسائل **الثلاث** الأخرى فهي الاعتماد على زراعة الحبوب في الحدائق، والاعتماد على اللحم واللبن، ثم ممارسة الزراعة الواسعة في الجبال.[115]

ويبدو كما يقول "ايفانز ريتشارد "[116]:

ان معظم العلماء التطوريين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وأشهرهم:

- سير هنري مين، في كتابة "القانون القديم".
- تايلور، في كتابه "أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري".
- سير جون لبوك، في كتابه "أصل الحضارة ".
- ماكميلان، في كتابه الذي ظهر في مجلدين بعنوان "دراسات في التاريخ القديم".

كانوا يذهبون إلى أن الشعوب البدائية التي لا توجد الآن، أو على الأصح التي كانت تعيش إلى أيامهم ، تمثل أدنى المراحل التي مرت بها البشرية، وأنه بناء على ذلك فإنَّ ترتيب الشعوب والمجتمعات التي توجد الآن حسب درجة تقدمها وارتقاءها إنما يعطينا صورة واضحة ومتكاملة عن كل المراحل التي مرَّ بها المجتمع الإنساني منذ وُجِدَ حتى الآن، وهذا يعني أن الاهتمام الزائد الذي كان يبديه هؤلاء العلماء بما كان يعرف حتى عهد قريب باسم "الشعوب البدائية" لم يكن اهتماماً بتلك الشعوب بذاتها وإنما لاستخدامها في إقامة نماذج ومُثُل افتراضية كانوا يعتقدون أنها تمثل التاريخ المبكر للجنس البشري عامة، ولذا فليس من الغريب أن نجد علماء ذلك العصر يكتبون ما كانوا يعتبرونه تاريخاً، لأنَّ

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[1] المصدر السابق عن ريتشارد ايفانز، الانثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة دكتور أحمد أبو زيد، الإسكندرية (1958)، صفحه:(66).

العلوم والمعارف كانت تتجه في ذلك الوقت اتجاهاً تاريخياً في أساسه، وهي كلها مجهودات كانت تهدف دائماً إلى تفسير الشيء القريب بالشيء البعيد، أي قياس الحاضر بالغائب.

ولقد أدت تلك الافتراضات والدَّعاوى بأن الشعوب البدائية تمثل أدنى المراحل التي مرَّت بها البشرية إلى الوقوع في كثير من الأخطاء نتيجة لإطلاقهم بعض الأحكام العامة غير الصحيحة والتي لا تستند في كثير من الأحيان إلى حقائق ووقائع مؤكدة)[117]

فواضح إذن أن النظريات التي كان يضعها هؤلاء العلماء عن الماضي لم تكن تقوم على الحدس والتخمين فقط، وإنما كان يداخلها على ما يقول "ايفانز ريتشارد" كثير من العناصر التقويمية أيضاً !!!.[118]، ويذهب "ايفانز ريتشارد " إلى أن السبب الأول لكل ذلك الخلط لا يرجع إلى اعتقاد علماء القرن التاسع عشر في التقدم ورغبتهم في الوصول إلى طريقه يمكنهم بها أن يعرفوا كيف حدث ذلك التقدم، لأنهم كانوا يدركون تماماً أن النماذج التي يصفونها لم تكن سوى افتراضات لا يمكن تحقيقها، وانما كان ذلك الخلط يرجع في المحل الأول إلى الدعوى التي ورثها هؤلاء العلماء من عصر التنوير، ومؤداها أن المجتمعات أنساقٌ طبيعية أو كائنات عضوية تتطور بطريقة معينة وتمر أثناء تطورها بمراحل ضرورية يمكن ردها إلى مبادئ عامة أو قوانين.[119]

أما "دوجالد ستيوات *Dugald Stewart* " فهو يطلق على أبحاث تاريخ الإنسان التطوري "التاريخ الظني" أو "التاريخ التخميني" لمعرفة الصورة الأولى التي كانت عليها النّظم الاجتماعيّة، لإعادة تركيب تاريخ المجتمعات البشرية وتصنيفها من حيث درجة رقيها وترتيب مراحل الحضارة التي مرَّت بها تلك المجتمعات منذ نشأتها حتى الآن، وذلك حسب نظام عقلي دقيق يرسمون هم أنفسهم خطته ويحددون خطواته تجديداً تعسفيا، ولذلك فكثيراً ما كانوا يصلون إلى نتائج غريبة ومتناقضة.[120]

بل كثيراً ما كان العلماء الذين يستخدمون نفس الوسيلة، ويتبعون نفس المنهج في دراسة نفس الموضوع يصلون إلى نتائج مختلفة كل الاختلاف. فبينما نجد "سير هنري مين *H.S.Maine* " مثلاً يذهب إلى أن العائلة الأبوية التي ينتسب إليها الأبناء إلى الأب هي الشَّكل الأول للنظام العائلي على الإطلاق . فإنَّ "باخوفن

Bachofen " يدعي أنَّ الإنسانية عرفت أولاً بعد الإباحية المطلقة نظام العائلة الذي يرتكز على الانتساب إلى الأم قبل أن تصل إلى العائلة الأبوية. ومن الطريف أنَّ مين وباخوفن قد نشرا نتائج دراستيهما في نفس السنة أي عام (*1861*).[121]

---

[2] المصدر السابق، الصفحات (66 – 70) .

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[3] دورية، نوابغ الفكر الغربي، صفخه (24).

– دورية " عالم الفكر " ، المجلد الثالث ، العدد الرابع (1972) ، صفحه (122) .

[1] المرجع السابق.

وللحقيقة فإنَّ فكرة التّطور بمعنى التَّقَدُم والارتقاء قد استغلت لإثبات ما يسمى بالتطورية الاجتماعية، إذ امتدت من أسلوب لفهم أصل الحياة والكون إلى فهم الإنسان والمجتمع عن طريق الاستعانة بما يعرف باسم "المماثلة البيولوجية *Analogy*" ومحاولة تصور المجتمع ككائن عضوي حي ومقارنة ما يحدث فيه من تغيرات وتطورات بما يحدث في الكائنات العضوية الأخرى ... ولقد تغلغلت الفكرة إلى كل مجالات العلوم التي أصبحت بمثابة ميادين لاختبار مدى صدق تلك النظرية، وتمثل ذلك بوجه خاص في الكتابات الأنثربيولوجية والسوسيولوجية[122] والتاريخية والاقتصادية وفي النظرة السياسية[123] ونتج عن ذلك تأسيس أو قيام ما يسمى "التطورية الاجتماعية *Social Evolutionism* " وما يسمى "الداروينية الاجتماعية *Social Darwinism* " ومع ذلك فإنَّ فكرة التَّطور بمعنى التّقدم والارتقاء، وكذلك فكرة التّقدم الاجتماعي لم يسلما من كثير من الانتقادات العنيفة التي وجهها إليها عدد من العلماء الرّافضون لها، إذ يرفض هؤلاء المعارضون أن يتصوروا المجتمع البشري يسير في ذلك الخط الذي يرسمه له أصحاب مدرسة التقدم، **ويرون عكس ذلك تماماً أن الإنسان خُلق في الأصل على درجة عاليه نسبياً من الرّقي الثقافي، ولكن هذه الثقافة الأولى الرّاقية تعرّضت لبعض عوامل مضادة ولبعض الظروف غير المواتية التي دفعت بها إلى هوة التّدهور والتأخر والانحلال**. فتاريخ الثقافة بدأ – في رأي أصحاب تلك المدرسة – بظهور جنس بشري متحضّر على سطح الأرض، ثم لم تلبث هذه الثقافة الأولى **أن اتجهت وجهتين مختلفتين:** إما نكوص

وتدهور وانحطاط ترتب عليها ظهور المجتمعات المتوحشة، وإما إلى تقدم وارتقاء ورفعة أدّت إلى ظهور الشعوب المتحضرة الرّاقية.

ومن أكبر مشايعي هذه النظرية "الأسقف هويتلي *Whitely*" – أسقف كانتربري– إذ كتب في ذلك كتاباً بعنوان "مقال عن أصل الحضارة *Essay on the origin of civilization* " كان له دوي كبير في حينه، ويبني هويتلي كتابه على حجة استقاها من " نيبوهر *Niebuhr* " أحد أعداء النظرية التقدمية المتطرفين. وكان نيبوهر يُنكِرُ بشدَّة إمكان نهضة الإنسان الأول وتقدمه وارتقائه من مرحلة متوحشة أولى إلى المراحل الأكثر تحضراً عن طريق التطور التلقائي الذاتي ودون تدخل أية عناصر أو عوامل أخرى خارجية، وكان يتحدى العلماء التقدميين في أن يأتوا بمثال واحد لشعب بدائي واحد أمكنه أن يرقى إلى مرحلة التّحضر من تلقاء نفسه. **إنما البدائيون عنده وعند أتباع تدهور الثقافة الأولى هم سلالة متدهورة من شعب متحضر في الأصل .**

والحق الذي لا يُمارى فيه أنّ الله تعالى قد خلق آدم عليه السّلام وعَلّمه وأدَّبهُ ، لذا فآدم ومن سار على نهجه من نسله هم في قمَّة الثقافة والحضارة والتّقدم. وقد انحط وتدهور أقوام من عقب آدم نهجوا نهجاً مخالفاً لنهجه، فأرسل الله تعالى الأنبياء والرّسُل لهداية البشر وتقويم انحرافاتهم ولرفعهم إلى

---

[2] الاجتماعية

[3] *- Hofstadter, R., Social Darwinism in American thought. pp 3-4.*

المستوى اللائق بهم كبشر، فآمن واستقام منهم أقوام، وكذبهم أقوام استحبوا وألفوا ما هم فيه من الانحراف والانحطاط والتدهور. فالرّسل وأتباعهم هم في قمّة الثقافة والتقدم والرقي، أصحاب الفكر المستنير والحضارة الراقية، ومن خالفهم فقد استحبّ العمى على الإبصار وسار أشواطاً بعيدة في طريق التّخلف والجهل والانحلال والانحدار والتدهور، وما دمنا نؤمن أنّ آدم عليه السّلام هو أول البشر فالأصل في بني الإنسان العلم والتحضر والثقافة والرقي. أما التوحش والبدائية والانحطاط فهي خلاف الأصل إذ وجدت في سلالات متدهورة من أمم وشعوب متحضرة أصلاً.



وقد شايع نيبوهر في فكرته عدد من كبار العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مثل "الكونت دي ميستر *Count Josef De Maistre*" ومن قبله "دي بر وسس*De Brosses*" و "جوجيه *Goguet*".[124] إلا أنه يجب التنويه إلى إنّ عدداً غير قليل من التطوريين المعاصرين يُنكر أن يكون التنافس والصراع من وسائط ووسائل التقدم الاجتماعي، فكلمة **الأصلح** في رأيهم اصطلاح غير دقيق ومضلل، ولا يفيد بالضرورة الامتياز والسُّمو في الخصائص والقدرات والقوى في كلّ الأحوال، إذ قد يكون **البقاء** من نصيب **الفرد** الذي ينجب أكبر عدد من الذرية حتى وإن لم تكن لتلك الذّرية خصائص وقوى وقدرات متميزه.[125] وهذا معناه أنّ هؤلاء العلماء يميلون للتشكيك في الدور الذي يلعبه **الانتخاب الطبيعي** في التاريخ البشري والتهوين من أهميته وفاعليته، ومن هذه الناحية فإنهم ينظرون إلى الإنسان على أنّه **حيوان حامل للثقافة** وناقل لها عن طريق المحاكاة والتّعلم، وهما عمليتان تختلفان كل الاختلاف عن عملية نقل الخصائص والصفات الفيزيقية عن طريق التكاثر البيولوجي، وعليه فليس هناك ما يدعو إلى تفسير النظرية الاجتماعية تفسيراً بيولوجياً أو صياغتها في حدود مصطلحات وألفاظ البيولوجيا، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض أوجه التشابه بين التطور البيولوجي والتطور الثقافي.[126]

وعلى الرغم من أنّ جوليان هكسلي عالم بيولوجي تطوري فانه يقف موقفاً مماثلاً لذلك، ويذهب إلى أنّ التنافس داخل النوع الواحد لا يمكن أن يكون مصدراً للتقدم التطوري خلافاً لنظرية سبنسر عن الصراع والتنافس.

---

[1] Lewontin, R.C., The concept of Evolution in International. Encyclopedia of social science, En's – "Evolution"

[2] المرجع السابق، صفحه (91).

[3] المرجع السابق، صفخه (91).

على هامش نظريات التطور والارتقاء المادي

إنَّ داروين حاول جاهداً إثبات إنّ الإنسان نشأ من صورة دنيا هي أقرب إلى القردة العليا منها إلى أية صورة أخرى من صور الأحياء. ولإثبات ذلك فهو يرى أن من الحقائق التي لها دلالتها الواضحة القوية أن الإنسان مركب على نفس الغرار العام – وإن شئت فقل على نفس القالب – الذي انصبت فيه بقية الحيوانات ذوات الثدي " *Mammilla* "، كل العظام التي يتألف منها هيكله لها ما يماثلها في القرد أو السعدان أو الصيل *Seal* أو الخفاش " *Ordinary bats* " وكذلك عضلاته وأعصابه وأوعيته الدّموية وأمعاؤه، والدّماغ من أهم الأعضاء جميعاً لا يند عن ذلك القانون كما أبان المُشَرِّح هكسلي وغيره من مشاهير المُشرّحين، ناسياً أو متجاهلاً أنّ دماغ الإنسان وحده من دون الأدمغة هو الدماغ الصالح للتفكير، في حين أن بقية الأدمغة هي أدمغة غير صالحة للربط والتفكير.[127] ويستطرد الداروينيون في تبريراتهم الواهية **فيقولون:**

(قد يتقبل الإنسان من حيوانات أحط منه، كما ينقل إليها أمراضاً معينة مثل: السعار[128] والذيبة والزهري والكوليرا والهرس وغير ذلك، وهذه الحقيقة تقيم الدّليل على المشابهة بين الأنسجة والدّم سواء في التّركيب أم في التّكوين، على صورة من الوضوح والجلاء بحيث لا تبلغ إليها المقارنة بأقوى المجاهر أو أدق التحليلات الكيماوية)[129]

أما السعادين "النسانيس" فهي عرضة للإصابة بنفس الأعراض غير المُعدية التي يتعرض لها الإنسان، ولقد عرف "ريخر" بعد أن عكف طويلاً على ملاحظة نوع منها وهو المسمى "الحَوْدَل الإزاري" في مواطنه أن هذا السعدان كثير الاستجابة للزكام "*Coryza*" بنفس أعراضه المعروفة، وأنّ الزكام إذا عاوده في فترات قريبة فقد يكون سبباً في إصابته بالسّل " *Tuberculosis* "، وتصاب تلك السعادين أيضاً بأمراض: مرض التهاب الأمعاء "*Enteritis* "، الحمره "*Schweinerotlauf*" ومرض بياض العين "*Albugina ocali*". كما لاحظ أنّ صغارها قد تموت وهي تشقُّ أسنان اللّبن. وللعقاقير فيها نفس تأثيرها في الإنسان . وكثير من السعادين تهوى شرب القهوة والشاي والمشروبات الكحولية، وتدخن الطباق بلذة متناهية.[130]

ويؤكد برهم أنّ سكان شرقي أفريقية يصطادون الرّبابيخ وهي جنس من السعادين الكبيرة بأن يَترُكوا بمقربة من مرابعها أوعية مفعمة ببوظة المريسة لتشرب منها حتى تثمل.

---

[1] المرجع، صفحة (53).

[2] السعار: داء الكَلَب.

[3] المرجع، صفحه (53).

[1] المرجع، صفحه (54).

ويستطرد برهم أنّه رأى بعض تلك السعادين وكانت مأسورة عنده في مثل هذه الحال، ووصف من تصرفاتها وسلوكها وحركاتها ما يُضحِكُ وَيُسلي، وأردف قائلاً: أنها في صبيحة اليوم التالي كانت في خُمار شديد، كظيمة خائرة القوى، تُمْسِكُ رؤوسها المصدعة بيديها معبرة عن آلامها بما يثير الشفقة بها والعطف عليها، فإذا قدّمت لها المريسة أو الخمر ثانية عافتها وتنكرت لها ورفضتها، واستحبت شراب الليمون.[131]

وعرف عن سعدان أمريكي من نوع الكهول خَمِرَ مَرَةً بشراب البراندي فعافه ولم يمسه مرة أخرى، ويعلق الكاتب على ذلك الحادث قائلاً (فكان بذلك أعقَلَ من أبناء آدم)[132]

ويستدلون بأمثال تلك الحوادث على بساطتها بأنها تظهر إلى أي حد تصل المشابهة بين أعصاب الذّوق في الإنسان وبين أعصاب الذّوق في السعدان وعلى أي صورة من التماثل يتأثر الجهاز العصبي في كليهما، وقد قمت بتفسير وتعليل أسباب تلك الظواهر في فصل لاحقٍ من الكتاب تحت عنوان "الإدراك الفكري والتمييز الغريزي" فيمكن الرجوع إليه لمن شاء.[133]

يغزو الإنسان طفيليات جوفية " *Entozoan* " كثيراً ما يكون لها آثاراً مهلكة، كما أنه يصاب بطفيليات خارجية "*Entophyte*"، وكلها ترتد إلى ذات الأجناس أو الفصائل التي تصيب غيره من الثدييات، وفي مرض الجرب "*Scabies*" تكون من نفس النَّوع في كليهما، ويتعرَّض الإنسان كما تتعرض الحيوانات والطيور وحتى الحشرات لحكم تلك السُّنَة الخفية التي تسبب مظاهر سوية في الأفراد كالحمل ونضوج حضانة بعض الأمراض ومداها، والجروح في الإنسان تلتئم بنفس الطريقة التي تلتئم بها في الحيوان، وكذلك الجذامير التي تتخلف بعد بتر بعض أطرافه وبخاصة في بداية الطور الجنيني كثيراً ما تكون حائزة للقدرة على التّجدد كما يشاهد في أحط صور الحيوان.[134]

مما تقدم يذهبون إلى أنَّ علاقة الإنسان بما هو أدنى منه في عالم الحيوان هي علاقة تتجاوز وتتخطى حدُّ التّشابه الظاهري، بل تتخطى هذه العلاقة الظاهرية إلى علاقة النشأة والدّم والاستعداد الفسيولوجي، ويؤكد فون باير " *Von Baer* " أنه عندما يتقدم تخلّق الجنين البشري شيئاً ما تبدو أطرافه " اليدان والساقان " متخلقة على نفس الصورة السّوية التي تظهر بها أرجل العظايا "السّحالي" وذوات الثدي وأجنحة الطيور وأرجلها.[135] ويستندون في ذلك أيضاً إلى قول المُشَرِّح بيشوف حيث يقول: (إنَّ تلافيف الدّماغ في الجنين البشري عندما يبلغ الشهر السابع من العمر يكون مماثلاً من حيث النّماء والتكوين لدماغ الحبن[136] عند البلوغ).[137] إلا أنَّ بيشوف نفسه يقول: (من المسَلّم به أن كل شق وكل طية في

---

[2] المرجع، صفحه (54).

[1] المرجع، صفحه (54).

[2] الباب الخامس – الفصل الثاني .

[3] المرجع، الصفحات (54 – 55).

[1] المرجع، صفحه (55).

[2] الحبن هو نوع من " القرود المشابهة للإنسان ".

[3] المرجع، صفحه (56).

دماغ الإنسان لها ما يقابلها في الأرطان[138] وهو نوع من القردة، ولكن دماغيهما لا يتماثلان في أي طور من أطوار نمائهما، وذلك يعني عدم تماثلهما) إلى أن يخلص إلى نتيجة عدم تماثلهما ليبرهن على تفارقهما أصلاً، وذلك يعني عدم تماثل القدرات العاقلة في كليهما.[139]

أمّا العالم الطبيعي الإنجليزي "توماس هنري هكسلي" وهو عالم تشريح أيضاً ومن أشهر من ناصر داروين في الترويج لمذهبه فيقول: (في مدارج متقدمة من تطور الجنين البشري تبدو الانحرافات التي تميزه عن جنين القرد، في حين أنَّ جنين القرد ينحرف عن جنين الكلب في تخلقه بمقدار ما ينحرف جنين الإنسان عن جنين القرد، وبالرغم مما في هذه الحقائق من الرّوعة البالغة فإنها حقائق ثابتة تؤيدها المشاهدة.)[140]

أمّا العلامة "ويمان" فقد وجد أنّ إبهام القدم في جنين بشري طوله بوصة واحدة يكون أقصر من بقية الأصابع ويبرز منحرفاً عن القدم مكوناً في انحرافه زاويةٌ حادّة مقدارها كنفس مقدار نفس الزاوية التي ينحرف بها عن إبهام القدم في بقية الأصابع في الأيودات التي هي القردة بِأجناسها الأربعة المعروفة "الغرلي، الشمزي، الأرطان والحبن). في حين أنَّ المشرح المعروف ريتشارد أوين له رأي آخر في ذلك وهو أن إبهام القدم في الإنسان وهو مركز الاتزان عند الوقوف والمشي ربما يكون أخصُّ تركيب تشريحي فيه.[141]

وخلاصة القول في هذا الموضوع عند علاّمتهم هكسلي حيث يتساءل: هل يتولد الإنسان بأسلوب غير الأسلوب الذي تتولد فيه الكلاب والطيور والضفادع والأسماك وغيرها من ذوات الفقار؟ فيجيب على تساؤلاته قائلاً: (إنه لا يتردد لحظة واحدة في القول بأن أسلوب التّولد البشري وبخاصة في خلال المدارج الأولى من تخلقة الجنيني مماثل تماماً للأسلوب الذي تتوالد فيه أجنّة غيره من الحيوانات التي تنزل عنه في سلم التطور، وأنّ الإنسان من حيث علاقته النشوئية أقرب إلى القردة من علاقة القردة بجنس الكلاب، أي أن الفرجة بين الكلاب والقردة تتسع بينما تضيق بين الإنسان والقردة العليا)[142]

أما داروين نفسه فيقول: (إنّ نظام العظام لهو نفسه في يد الإنسان وفي جناح الخفاش وفي زعنفة سلحفاة الماء وفي رجل الحصان، ونفس العدد من الفقرات هو في رقبة الزرافة ورقبة الفيل، وحقائق أخرى لا تعد كلها تغدو مفسرة واضحة في الحال على أساس نظرية التطور عن طريق التحولات الطفيفة البطيئة المتتابعة. وكذلك تشابه النظام بين جناح الخفاش ورجله رغم استعمالهما في غرضين مختلفين، وبين فك سرطان البحر ورجله، كلها يسهل فهمها على أساس

---

[4] الأرطان: إنسان الغاب، وهو نوع من " القردة المشابهة للإنسان ".

[5] المرجع ، الصفحات (53 – 56) .

[6] المرجع، الصفحات (53 – 56).

[1] المرجع، الصفحات (53 – 56).

[2] المرجع، الصفحات (53 – 56).

التحول التدريجي للأشياء وللأجزاء أو الأعضاء التي كانت متشابهة في الأسلاف المبكرة في طائفة من الطوائف)[143]

وتبريرات أخرى في نفس الموضوع لتأكيد الأصل المشترك الواحد: (إنَّ التراكيب في بعض الحيوانات لها أصل واحد، مثال ذلك الأطراف الخماسية الأصابع في جميع فقاريات اليابسة نجدها مبنية على نظام واحد وإن كانت تختلف أحياناً في الوظيفة التي تؤديها، ومثل تلك التراكيب تسمى بالتراكيب المتشابهة تركيبياً " *homologous structures* "، فجناح الخفاش ومجداف الحوت ورجل الكلب متشابهة تركيبياً وإن كانت تؤدي وظيفة واحدة هي المعاونة على الحركة ولكنها حركة تختلف من مثال لآخر، **الأول** في الطيران **والثاني** في السباحة والثالث في المشي، وتختلف أجنحة الحشرات عن أجنحة الطيور والخفافيش اختلافا تاماً في التراكيب ولكنها تتشابه في الوظيفة وهي معاونة الحيوان على الطيران، ومثل تلك التراكيب المتشابهة وظيفياً " *analogous structures* " وغني عن البيان أنها مختلفة الأصول، وهناك أمثلة لا حصر لها عن هذين النوعين من التراكيب.

فالتعرف على التراكيب المتشابهة تركيبياً دليل قوي على التشابه الأساسي في التصميم، وهذا لا يمكن شرحه إلا بافتراض أنَّ الجماعات التي توجد بها هذه التراكيب لا بد أن تكون من اصل مشترك واحد.[144]



البهائم العجماء ، هل تشترك مع الإنسان في النّسَب والقرابة بالنشوء من أصل واحد؟

[143] المرجع، صفحه (765).

[144] دكتور فؤاد خليل وآخرين، علم الحيوان العام، صفحة (1102).

عـوامـــل التطـــور[145]

في سنة *1859* هاجم داروين بشدّة الاعتقاد بأنَّ كل نوع من الأنواع الحيّة قد خُلِقَ خَلْقاً مستقلاً *Special creation*، وأنَّ جميع الكائنات قد خُلِقَت من العدم، وأن الكائنات الموجودة هي ثابتة لم تتغيّر ولم تتطور، وأنها احتفظت على الدّوام بأشكالها التي خُلقت بها أولَ مرّة، فقد ادعي داروين أنّ الأنواع المختلفة نباتاً كانت أم حيواناً ومعها الإنسان إنما نشأت تدرجاً من طريق الاحتفاظ بمختلف التحولات التي تنشأ في أفراد كل منها، إلا أنّ هذا التَّحول قد استغرق أحقاباً طويلة وفقاً لما يقتضيه تأثير سنن طبيعية دائمة التأثير في طبائع الأحياء.

سميت مقولة داروين تلك "نظرية التطور *Evolution*" ولقد شرح داروين أنَّ في مستطاع الإنسان أن يبتكر في السلالات الداجنة من صور مستحدثة بالانتخاب الاصطناعي *Artificial selection* وأنَّ في مكنة الطبيعة أن تستحدث مثله بالانتخاب الطبيعي *Selection Natural*، وإن كان الانتخاب الطبيعي أبطأ أثراً في تحول الأحياء بالانتخاب الصناعي.

أمّا العوامل الطبيعية التي يؤدي فعلها إلى التّطور ونشوء الأحياء فحصرها في خمسة عوامل هي:

1- الوراثة *Heredity*: ومحصلها أنَّ الشَّبه يأتي بمشابهه، فالسنانير لا تلد كلاباً بل سنانيراً، أي أنَّ صغار كل نوع تشابه آبائها، ذلك في النبات كما في الحيوان.

2- التحولية "أي الاستعداد للتحول" *Variability*: وذلك أنَّ أفراد كل نوع تتشابه ولا تتماثل، أي لا تكون نسخة مطابقة لأصولها، فهي تشابه آبائها ولكن لا تماثلهم، ففي بطن من السنانير مثلاً لا تقع على اثنين متماثلين تماماً، وإن تشابه الجميع حتى في اللون فإنها تختلف في الظلال التي يمتد فيها اللون.

---

[1] المرجع، الصفحات (38 – 39).

3- التّوالد *Nasality*: وهو ناتج عن إسراف الطّبيعة، فإنَّ ما يولَد من النبات والحيوان أكثر مما يقدّر له البقاء، فالطبيعة تُسرف في الإيجاد كما تسرف في الإفناء، **ومن هنا ينشأ العامل الرابع وهو:**

4- التناحر بين المخلوقات على البقاء *Atuggle for existence* : أو ما يسمى "تنازع البقاء *Competition* " وهو عامل غير منقطع الفعل ، فكل نبات أو حيوان يبرز في الوجود ينبغي له أن يسعى إلى الرّزق وأن يجالد في سبيل ذلك وأن يجاهد غيره ويصارعه على ضرورات الحياة مما ينشأ عن ذلك " بقاء الأصلح " :

5- البقاء للأصلح *Survival for the fittest*: فالأفراد التي تتزود من بنائها بقوة أوفى أو حيلة أزكى أو تكون أقدر على مقاومة أفاعيل الطّبيعة تكون أكثر قابلية للبقاء، وإعقاب نسل فيه صفاتها التي مكنت له لها في الحياة.

هذه هي العوامل التي تؤدي إلى الانتخاب الطبيعي مما يؤدي إلى تطور الأنواع مما يُحدث نشوء أنواع جديدة ذات قدرات وصفات مُحسّنة متطورة، ومما يذكر أنّ تلك العوامل هي المعتمدة في المذهب التّطوري الأكثر شيوعاً والذي ينتمي إليه غالبية دعاة التّطور وهو المذهب الدارويني، في حين أنّ هناك مذاهب تطورية أخرى تخالف داروين في عوامل التّطور معتمدة غيرها كما ذكرنا في فصل سابق.[146]

والانتخاب الطبيعي في نظر داروين هو مصاحب لفكرة التكيف مع البيئة أو التبايؤ "*Adaptation*" أو هو نتيجة حتمية لها، الذي هو عملية يتكيف بها الحيوان أو النبات مع محيطه وإلا خيف عليه من الانقراض، كما يُعرَّف بأنّه وجود صفة أو صفات وراثية تزيد من قدرة الفرد على البقاء والتناسل في بيئته، فهو تَكَيُف الكائن الحي مع بيئته التي يعيش فيها.[147]

والتكيف لا يشمل الشكل والتركيب فقط، بل يشمل الوظيفة أيضاً، فهم يقولون أنَّ الكائنات الحية تتكيف كل حسب ظروف البيئة التي تعيش بها، فمثلاً تختلف أشكال المناقير في الطيور لتلائم نوع الغذاء التي تقتات به، والأسماك تتكيف بطرق عديدة في الشكل والتركيب لتناسب الوسط المائي الذي تعيش به، وقد فسّرَ داروين التّكيف الذي لاحظه في الكائنات الحية بأنّه نتيجة للانتخاب الطبيعي. فالأفراد المتكيفة مع بيئتها قد انحدرت من أسلاف ذات صفات ملائمة للبيئة أكثر من باقي أفراد نوعها في تلك البيئة ونقلت بعامل الوراثة هذه الصفات إلى نسلها، وهكذا فالانتخاب الطبيعي ينتج أفراداً متكيفة

---

[1] الفصل الثالث، أشهر المذاهب التطورية

[1] د. عدنان بدران وآخرين، البيولوجيا، صفحه (125).

- موسوعة المورد العربية ، منير البعلبكي ، جزء (1) صفحه (296) .

مع بيئتها. لـــــذا فقد استحدثوا علماً منفرداً بذلك سموه "البيئيات" أو"علم الأحياء البيئي"[148] " ecology " "environmental biology" الذي هو فرع من علم الأحياء يعنى بعلاقة المتعضيات[149] بعضها بالبعض الآخر وبعلاقتها بالبيئة الطبيعية، وهو يدرس في المقام الأول المناخ الجغرافي الملائم لحياة النوع، كما يدرس مسألة الغذاء لصلتها الوثيقة بالبيئة، ومسألة التكاثر والتناسل لأن هذه الظاهرة كثيراً ما تؤدي إلى مشاكل خاصة بالغذاء يضطر معها أفراد النوع إما إلى التكيف مع البيئة بالحد من التكاثر، أو إلى الهجرة إلى موطن آخر "*emigration*" أو البقاء بغير تكيف وبذلك يسير النوع في طريق الانقراض "*extinction*". وفي محاولتهم لإثبات مقولة الانتخاب الطبيعي فقد قاموا بإجراء تجارب في المختبر اعتمدوها للتدليل على مقولتهم منها: (**وضع في طبق معين *100* مليون خلية بكتيريا من نوع معين هو *Staphylococcus aurous* وقد عُرِضَ الطبق لجرعة بنسلين مخففة، فكانت النتيجة أن ماتت معظم الخلايا وبقي أقل من *10* خلايا تناسلت وأعطت نسلاً استطاع جميعه أن يقاوم هذه الجرعة المخففة، أما عند مضاعفة تركيز البنسلين في الطبق فقد ماتت جميع أفراد البكتيريا المقاومة للجرعة المخففة تقريباً ولم يبق سوى أفراد قليلة جداً. وقد أعيدت تلك التجربة خمس مرات فكانت النتيجة الحصول على بكتيريا تستطيع مقاومة جرعة بنسلين أقوى من الجرعة التي استخدمت في الجرعة الأولى *2500* مرّة، والحقيقة أنّ هذه البكتيريا المقاومة للبنسلين هي من نسل الأفراد القليلة التي كانت تنتخب في كل جيل، أي أنَّ هذه البكتيريا المقاومة هي نتيجة الانتخاب الطبيعي، وليست هي التي قامت بتكوين المقاومَة ضد البنسلين.)**[150]

ومثال آخر يوضح أثر الانتخاب الطبيعي هو الذباب وأحد المبيدات الحشرية "*D.D.T.*" الذي عندما استعمل لأول مرّة للقضاء على ذباب المنازل كان ناجحاً، على أننا ما لبثنا بعد عدة سنوات أن وجدنا أنّ ألذباب أصبحت له مناعة

لتلك المادة، وتفسير ذلك أنه في السنة الأولى لاستعمال ذلك المبيد الحشري قتل تقريباً جميع الذباب ما عدا قليل لم يقتل بسبب اختلافات وراثية موجودة به مميزة عن غيره من بقية الأفراد وتضفي عليه مناعة ضد المبيد الحشري، فكانت النتيجة أن بقي هذا العدد القليل وتناسل فأنتج أفراداً ذات مقاومة، وعندما

---

[2] البيئيات، علم الأحياء البيئي: فرع من علم الأحياء يُعنى بعلاقة المتعضيات بعضها ببعضها الآخر، وبعلاقتها ببيئتها الطبيعية.ينقسم عادةً إلى فرعين رئيسيين: بيئيات الحيوان وبيئيات النبات. وهو يدرس في المقام الأول المناخ الجغرافي الملائم لحياة النوع، كما يدرس مسألة الغذاء لصلتها الوثيقة بالبيئة، ومسألة التكاثر والتناسل لأن هذه الظاهرة كثيراً ما تؤدي إلى مشكلات خاصة بالغذاء يُضطر معها أفراد النوع إلى اتخاذ واحد من ثلاثة سبل: التكيف مع البيئة للحد من التكاثر، أو الهجرة إلى موطن آخر، أو البقاء دون تكيف وبذلك يسير النوع في طريق الانقراض. – علم البيئة البشري علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية، كما يدرس مشكلات معقدة أخرى كالهجرة من الأرياف إلى المدن، ونشوء المجتمعات الصناعية، وغير ذلك من المسائل الناشئة عن التطور الاجتماعي المتسارع.

[*1*] المتعضي " *Organism* " : كائن حي مؤهل للعيش بالاستعانة بأعضاء منفصلة من حيث الوظيفة، ولكن بعضها يعتمد على البعض الآخر. والحيوانات والنباتات كلها متعضيات. وبعض المتعضيات بالغ الصغر إلى حَد يتعذر معه رؤيته بالعين المجردة، ومن أجل ذلك ندعوه " المتعضي ألمجهري *microorganisms* " –

[2] المصدر السابق، صفحه (126).

استعمل ألـ " *D.D.T.* " بعد ذلك أصبح أقل تأثيراً وبقي الذباب المقاوم لـه بسبب الانتخاب الطبيعي وماتت الأفراد القليلة غير المقاوِمَة، وكان كلما يستعمل آل " *D.D.T.* " يبقى عندنا أكثر الذباب المقاوم حتى أصبح معظم الذباب الموجود في المنازل مقاوماً لمادة أل *D.D.T* " ويردون ذلك إلى أنّ الانتخاب الطبيعي هو الذي أنتج لنا الذباب المقاوم وليس مبيد أل "*D.D.T.*".[151]

ومثال آخر لوحظ في التلال الصغيرة ذات الرمال البيضاء، ففي نيو مكسيكيو شوهد أنَّ الحيوانات الموجودة عليها كالسحالي والحشرات والفئران كلها ذات لون أبيض تقريباً، بينما الحيوانات الموجودة حول تلك التلال حيث الرمال الحمراء كلها كانت ذات لون أحمر، أي أنَّ لون الحيوان يكون حسب لون الوسط الذي يعيش فيه، فيفسرون وجود الحيوانات بتلك الألوان في هذين الوسطين بالانتخاب الطبيعي أي من نتائجه، إذ أن كل وسط كان يحوى حيوانات ذات ألوان أخرى بالإضافة إلى المشابهة في ألوان تلك الحيوانات المخالفة للون الوسط لأنه يسهل رؤيتها من قبل أعدائها المفترسة، بينما بقيت الحيوانات ذات اللون المشابه للوسط لصعوبة رؤيتها من قبل أعدائها.[152]

هذه هي عوامل التطور في مذهب داروين وهو المذهب التّطوري الأكثر شيوعاً، في حين أنَّ مذاهب أخرى ترجعها إلى عوامل أخرى، **وأشهر تلك المذاهب هو مذهب لامارك الذي يردها إلى عاملين أو قانونين:**

[*1*] قانون الاستعمال والإهمال. **[*2*]** قانون توارث الصفات المكتسبة.[153]

في حين أنَّ دي فريز مثلاً يُرجع التّطور إلى عامل واحد فقط هو "الطفرة *Mutation*" والتي تعني التّحول المفاجئ الذي يطرأ على المادة الوراثية في الكائن الحي تؤثر على الحامض النووي " *DNA* " الذي تتركب منه الجينات فيؤدي إلى نشوء مواليد جديدة ذات خصائص لم تكن لأي من الأبوين المنتجين.[154]

أما "مذهب أرسطو" فيرجع ذلك إلى قانون الخلق التلقائي "*Spontaneous generation*" والذي يطلق عليه أيضاً التّولد الذاتي "*A biogenesis autogenesis*" وهي نظرية حاولت أن تفسر نشوء الحياة من مادة غير حية، ووفقاً لهذه النظرية اعتقد بعض الناس بأن قطع الجِبْن وكِسر الخبز الملفوفة في أسمال بالية والملقاة في زاوية مظلمة كانت تولد بعض الفئران، وذلك بسبب ظهور تلك الفئران في تلك الأسمال البالية بعد أسابيع محدودة، وقد آمن كثيرون بتلك النظرية لأنه كان يقدم لهم تفسيراً لظهور اليرقات على اللحم الفاسد، حتى إذا كان القرن الثامن عشر أصبح واضحاً أنَّ المتعضيات العليا لا

---

[1] المرجع السابق، صفحه (127) .

[2] المرجع السابق، صفحه (127 – 128) .

[1] المرجع السابق، صفحه (124) .

[2] المرجع السابق، صفحه (128). وموسوعة المورد العربية، المجلد الثاني، صفحه (740) .

يمكن أن تنشأ من مواد غير حية، علماً بأن علمائهم لم يتركوا تلك المقولة نهائياً وبشكل حاسم، إذ أنّ مسألة نشوء المتعضيات المجهرية كالبكتيريا مثلاً لم تُحْسَم لديهم نهائياً إلا بعد أن اثبت باستور في القرن التاسع عشر أنَّ المتعضيات المجهرية تتكاثر أو تتوالد.[155]

[3] موسوعة المورد العربية، المجلد الأول، صفحه (348).

الخَلــق والصُّدفــة العشوائيـــة[156]

يقول الفيلسوف "برتراند راسل": (ليس وراء الإنسان غاية أو تدبر، إنَّ نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة).[157]

أما هُكسلي فبسذاجة متناهية وتبريرات واهية تنم عن طيش ورعونة وعن خيال واسع فيقول: (لو جلست ستة من القرود على الآت كاتبة وظَلَت تضرب على حروفها لملايين السنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير "!!!" فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلَت تدور في المادة لبلايين السنين).[158] أما عالم البيولوجيا هيكل "*Heckle*" فقد تطاول أو تغابى حين قال في هرطقة متغابية: (ائتوني بالهواء والماء وبالأجهزة الكيماوية اللازمة وبالوقت وسأخلق الإنسان).[159]

أما تاريخ الخلق فيحدده جورج جامبوفي كتابه "تاريخ الأرض" وفقا لمعاييره واستنتاجاته وتصوراته كما يلي: (إنَّ الكون قد بدأ تطوره منذ بليون بليون سنه، أما الأرض فقد نشأت حديثا جداً إذ لم توجد إلا منذ بليونين من السنين، وظهرت الحياة على الأرض من بليون سنه، وظهرت الحيوانات البرمائية منذ *200* مليون سنه، أما الحيوانات الثديية التي يعتبر الإنسان أحد فروعها فقد بدأ ظهورها منذ *120*

مليون سنه، والإنسان وهو أحدث الوافدين على الأرض إذ بدأ على صورته الإنسانية منذ *50* مليون سنه).[160] في حين أنَّ علماء الفلك والجيولوجيا والأحافير يقولون بأنَّ الزمن الذي انقضى منذ انفصال الأرض من السَّديم الأصلي حتى ظهور الإنسان يتراوح بين مليون سنة وبين خمسة عشر مليون سنة !!![161]

أمّا دي نواي فتقول تقديراته: (لا بُدّ أنّ الأرض لم توجد إلا منذ بليونين من السنين، وأنّ الحياة – في أي صورة من الصُّور – لم توجد إلا قبل بليون سنة عندما بردت الأرض).[162]

---

[1] صدفةُ. صادفهُ. مصادفة: لَقِيَهُ على غير موعد ولا توقع. والعشوائية: عدم التعمد والتقصّد.

[2] *Limitations of science .*

– الله يتجلى في عصر العلم ، صفحه (51) .

[3] كتاب " الإسلام يتحدى "، صفحه (72) نقلاً عن: *The Mysterious Universe. pp. 3-4*

[4] المصدر السابق، صفحه (78).

[1] جورج جامبو، تاريخ الأرض.

[2] المرجع، صفحه (44).

[3] الإسلام يتحدى، صفحه (76)، نقلا عن: *Human Destiny, pp. 30-36*

لقد فسّر التطوريون وجود هذا الكون بنظامه الفريد وقوانينه الدقيقة بواسطة "قانون الصدفة" الذي هو في رأي "سير جيمس جينز" ليس بكلام فارغ بل هو كما يعتقد ويجزم تماماً وبلى أدنى شك على "قوانين الصدفة الرياضية البحتة*Purely mathematical Law of chance*"[163]. **لـذا** فإنّ أحد العلماء الأمريكيين يعلق قائلاً: (إنّ نظرية الصدفة ليست افتراضاً إنما هي نظرية رياضية عُليا، وهي تطلق على الأمور التي لا تتوفر في بحثها معلومات قطعية، وهي تتضمن قوانين صارمة للتمييز بين الباطل والحق، وللتدقيق في مكان وقوع حادث من نوع معين، وللوصول إلى نتيجة هي معرفة مدى مكان وقوع ذلك الحادث عن طريق الصدفة).[164]

أما "أ. كريسي موريسون *A.Cresy Morrison*" الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك فيعلق على قانون الصدفة قائلاً: (إنَّ حجم الكرة الأرضية، وبعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض وكمية الماء، ومقدار ثاني أكسيد الكربون وحجم النيتروجين، وظهور الإنسان وبقاءه على قيد الحياة، كل أولاء تدل على خروج النظام من الفوضى، وعلى التصميم والقصد، كما تدل أيضاً على أنه طبقاً للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد، مرة في بليون مرة – إن كان يمكن أن يحدث هكذا – ولكن لم يحدث هذا بالتأكيد. **وحين** تكون الحقائق هكذا قاطعة، وحين نعترف كما ينبغي لنا بخواص عقولنا التي ليست مادية، فهل في الإمكان أن نعقل البرهان ونؤمن بمصادفة واحدة في بليون ونزعم أننا وكل ما عدانا نتائج المصادفة؟

لقد رأينا أنَّ هناك *999 999 999* فرصة ضد واحد أي ضد الاعتقاد بأنّ جميع الأمور تحدث مصادفة، والعلم لا ينكر الحقائق كما بيناها، وعلماء الحساب يقرون أن هذه الأرقام صحيحة، والآن تقابلنا مقاومة عنيدة من العقل البشري الذي يكره النزول عن أفكار مستقلة، لقد كان اليونان القدماء يعرفون أنّ الأرض كروية، ولكن مضى ألفا سنة ليؤمن الناس بصدق هذه الحقيقة.[165] إنّ الأفكار الجديدة تلقى معارضة وسخرية وذماً ولكن الحقيقة تبقى وتثبت.

وهنا أكرر القول بأنّ قصدي من هذه المعالجة للمصادفة هو أن أبين بطريقة علمية واضحة تلك الحدود الضيقة التي يمكن الحياة بينها أن توجَدَ على الأرض، وان اثبت بالبرهان القطعي الواقعي أنّ جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد في وقت واحد بمحض المصادفة).[166]

---

[4] المصدر السابق، صفحه (73)، نقلا عن: *Mysterious Universe pp.3*

[5] الإسلام يتحدى، صفحه (73) نقلا عن: *The Evidence of Gad pp23.*

[1] في حين أن كروية الأرض هي نظرية افتراضية وليست من الحقائق، فقد ثبت أنها بيضوية الشكل " دحي " كما وصفها القران الكريم " والأرض وما دحاها " – الشمس (6). – المؤلف –

[2] أ. كريسي موريسون في كتابه " العلم يدعو للإيمان " الصفحات (191 – 196). بحث المصادفة.

والكتاب ترجمة لكتابه " *Man does not stand alone* " أي " الإنسان لا يقوم وحدة.

أما البروفيسور "أيودين كونكلين" فيعلق على قانون الصدفة قائلاً: (إنَّ القول بأنَّ الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي شبيه في مغزاه بأن تتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي في مطبعة).[167]

أما عالم الأعضاء الأمريكي "مارلين ب. كريدر" فيقول "(إنّ الإمكان الرياضي في توفر العلل اللازمة للخلق – عن طريق الصدفة – في نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شيء).[168]، ويقول "جون كليفلاند كوثران"[169] في مقال له بعنوان "النتيجة الحتمية":

(إننا لنرى أنّ التطورات الهامة التي تمت في جميع العلوم الطبيعية خلال المائة سنة الماضية بما في ذلك الكيمياء قد حدثت بسبب استخدام الطريقة العلمية في المادة والطاقة. وعند استخدام هذه الطريقة تبذل كل الجهود للتخلص من كل احتمال من الاحتمالات الممكنة التي تجعل النتيجة التي نصل إليها راجعة إلى محض المصادفة. وقد أثبتت جميع الدراسات العلمية بصورة ثبتت في الماضي ولا تزال ثابتة في الحاضر أنّ سلوك أي جزء من أجزاء المادة مهما صغر أو تضائل حجمه لا يملك أن يكون سلوكاً عشوائياً، بل أنه على النقيض من ذلك يخضع لقوانين طبيعية محددة. وفي كثير من الأحيان يتم اكتشاف القانون قبل اكتشاف أسبابه أو فهم طريقة عمله بفترة طويلة من الزمن، ولكن بمجرد معرفة القانون وتحديد الظروف التي يعمل في ظلها يثق الكيمويون فيه كل الثقة، ويظل القانون عاملاً ومؤدياً إلى نفس النتائج.

وليس من المعقول أن يكون لدى الكيماويين كل هذه الثقة في القوانين الطبيعية لو أنَّ سلوك المادة والطاقة كان من النوع العشوائي الذي تتحكم فيه المصادفة، وعندما يتم أخيراً إدراك الأسباب التي تجعل هذا القانون الطبيعي عاملاً وتفسر لنا حقيقته، فإنّ أي أثر لفكرة العشوائية أو المصادفة في سلوك المادة أو الطاقة سوف يندثر اندثاراً تاماً.

ومنذ مائة سنة تقريباً رتَّبَ العالم الروسي "مانداليف" العناصر الكيماوية تبعاً لتزايد أوزانها الذرية ترتيباً دورياً، وقد وجد أن العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة ويكون لها خواص متشابهة، فهل يمكن إرجاع ذلك إلى مجرد المصادفة؟

وهل يمكن أن نفسر على أساس المصادفة ما توصل إليه العلماء السابقون من تفاعل ذرات عنصر (أ) مع ذرات عنصر (ب) وعدم تفاعلها مع عنصر (ج)؟ كلا. إنهم قد فسروا ذلك على أساس أنّ هناك نوعاً من الميل أو الجاذبية بين جميع ذرات عنصر (أ) وجميع ذرات عنصر (ب)، ولكن هذا الميل أو الجاذبية منعدم بين ذرات عنصر (أ) وبين ذرات عنصر (ج) .... فهل يتصور عاقل أو يفكر أنَّ المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟. لا شك أنَّ الجواب سيكون سلبياً. بل إنّ المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة فإنَّ ذلك يتم طبقاً لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لهل المادة المعروفة التي وُجدت قبلها.

---

[1] الإسلام يتحدى، صفحه (72)، نقلا عن: *The Evidence of God p. 174*

[2] المصدر السابق، صفحه (77). نقلا عن: Ibid, p. 67.

[3] جون كليفلاند كوثران، هو من علماء الكيمياء والرياضة، حائز على دكتوراه من جامعة كورنل، رئيس العلوم الطبيعية – بجامعة دولت

وتدلنا الكيمياء على أنَّ بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فالمادة ليست أبدية[170]، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية[171] إذ أنَّ لها بداية، وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أنَّ بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية بل

وُجدَت بصورة فجائية، وتستطيع العلوم أن تحدد الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فإنَّ هذا العالَم المادي لا بُدّ أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خُلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان.

فإذا كان هذا العالَمُ المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي يخضع لها فلا بدَّ أن يكون الخلق قد تمَّ بقدرة كائن غير مادي. وتدل الشواهد جميعاً على أنَّ الخالق لا بُدَّ له أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة. إلا أنَّ العقل لا يستطيع أن يعمل في العالم المادي دون أن يكون هناك إرادة. ولا بدَّ لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجوداً وجوداً ذاتياً. وعلى ذلك فإنَّ النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها علينا العقل ليست مقصورة على أنَّ لهذا الكون خالقاً فحسب، بل لا بُدَّ أن يكون هذا الخالق حكيماً عليماً قادراً على كل شيء حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره، ولا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان. وعلى ذلك فإنه لا مفر من التسليم بوجود الله خالق هذا الكون ومدبره وموجهه. إنَّ التّقدم الذي أحرزته العلوم منذ أيام "لورد كلفن" يجعلنا نؤكد بصورة لم يسبق لها مثيل ما قاله من قبل من أننا إذا فكرنا تفكيراً عميقاً فإنَّ العلوم سوف تضطرنا إلى الإيمان بالله[172].)

أما "جورج هربرت بلونت" [173] فيقول في مقال له بعنوان "منطق الإيمان" :

(... فالأدلة الكونية تقوم على أساس أنَّ الكون متغير، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون أبدياً، ولا بد من البحث عن حقيقة أبدية عليا، أما الأدلة التي يبنى على أدراك الحكمة فتقوم على أساس أنَّ هنالك غرضاً معيناً أو غاية وراء هذا الكون ولا بد

لذلك من حكيم أو مدبر، وتكمن الأدلة الإنسانية وراء طبيعة الإنسان الخلقية، فالشعور الإنساني في نفوس البشر إنما هو اتجاه مشروع أعظم.

ولما كان اشتغالي بالعلوم ينحصر في التحليل الفيزيائي، فإنَّ الأدلة التي يتجه إليها تفكيري تعتبر من النوع الذي يبحث عن حكمة الخالق فيما خلق. ولاكتشاف القوانين التي تخضع لها الظواهر

---

[1] الأبدي هو دائم الوجود.

[2] الأزلي هو ما لا أول له ولا آخِر.

[1] كتاب " الله يتجلى في عصر العلم " الصفحات (21 – 25). والكتاب هو النسخة العربية لكتاب: " *The Evidence of God* ".

[2] جورج هربرت بلونت: أستاذ الفيزياء التطبيقية، وكبير المهندسين بقسم البحوث الهندسية بجامعة كاليفورنيا.

المختلفة لا بُدَ من التسليم أولاً بأنَّ الكون أساسه النظام، ثم يتجه الباحث نحو كشف هذا النظام.... ولا يمكن أن يتصور العقل أنَّ هذا النظام قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم أو من الفوضى، وعلى ذلك فإنَّ المفكر لا بد وأن يصل ويسلم بوجود إله منظم لهذا الكون[174]، وعندئذ تصير فكرة الألوهية إحدى بديهيات الحياة، بل الحقيقة العظمى التي تظهر في هذا الكون والمطابقة بين الفرض والنتيجة تعد برهاناً على صحة هذا الفرض. والمنطق الذي نستخدمه هنا هو أنه إذا كان هنالك إله فلا بد أن يكون هنالك نظام، وعلى ذلك فما دام هنالك نظام فلا بد من وجود إله.... فإذا قارنا بين الشواهد التي يستدل بها المؤمنون على وجود الله، وتلك التي يستدل بها الملحدون في إنكار ذاته العلية، يتضح لنا أنَّ وجهة نظر الملحد تحتاج إلى تسليم أكثر مما تحتاج إليه وجهة نظر المؤمن، وبعبارة أخرى نجد المؤمن يقيم إيمانه على البصيرة، أما الملحد فيقيم إلحاده على العمى، وأنا مقتنع أن الإيمان يقوم على العقل، وأنَّ العقل يدعوا إلى الإيمان)[175]

أما "وحيد الدين خان" فيقول: (ولو افترضنا أنَّ المادة وُجدَت بنفسها في الكون، وافترضنا أيضاً أنَّ تَجَمعها وتفاعلها كان من تلقاء نفسها – ولست أجد أساساً لأقيم عليه هذه الافتراضات – ففي تلك الحال أيضاً لن نظفر بتفسير الكون، فإنَّ صُدفَة أخرى تحول دون طريقنا، فلسوء الحظ أنَّ الرياضيات التي تعطينا نكتة الصُـدْفَة الثمينة هي نفسها التي تنفي أي مكان رياضي في وجود الكون الحالي بفعل قانون الصدفة).[176]

أما العالِم الطبيعي "إسحاق نيوتن" فيقول: (لا تشكوا في الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة الوجود)[177].

[1] الكون: هو مجموعة الأجرام السماوية.

[2] المصدر السابق، الصفحات (78 – 83).

[1] وحيد الدين خان، كتاب "الإسلام يتحدى"، صفحه (73)، وهو النسخة العربية المترجمة للكتاب باللغة الأردية باسم: *Jadeed Ka Ilme challenge.*

[2] العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، صفحه (17).

هـل الإنســان مـن ذريــة القـرود؟

تصور العلماء أنَّ "إنسان نياندرتال" كان وجهه يشبه وجه القرد حيث اختفى من أوروبا بطريقة غامضة!!! ومع الوقت اكتُشِفَت عشرات من قطع العظام في جنوب وشرق أفريقيا في محاولات مضنية للتعرف على الأجداد المفقودين في جب النشوء والارتقاء حيث تضاربت فيه الآراء، إلا أن إنسان نياندرتال كان جسمه براميلياً مكتنز اللحم كالإسكيمو وذو أنف عريض واسع ليدفيء الهواء البارد الذي كان يستنشقه في أصقاع أوروبا حيث كان يعيش في أواخر العصور الجليدية المتعاقبة.[178] ويعتبرون أنّ الإنسان الأول كان منتصب القامة، خرج من أفريقيا، وكان يصنع الآلة الصوانية كالفؤوس والأسلحة والمكاشط والشفرات الحادة. ويختلف إنسان نياندرتال عنه بأنفه العريض وضخامة عظام فكه وكبر حجم أسنانه الأمامية. لكنَّ العُلماء اكتشفوا فيما بعد عظاماً أقدم لها ملامح تشريحية مختلفة **ولم يعد بعدها نياندرتال الجد الأول ...** لهذا يظلُّ البحث جارياً عنه.[179]

والخطوات الأولى لسيناريو البشر منتصبي القامة أظهرتها – كما يَدَّعون – الحفائر التي اكتشفت في جنوب وشرق أفريقيا عندما عثر العلماء على آثار أقدام مطبوعة فوق رماد بركان قديم عندما عبرت الرئيسيات سهول تنزانيا في لاتولي منذ *3.6* مليون سنة، وهذا الاكتشاف جعل "فيونامارشال" يبذل كل جهوده للحفاظ على هذه البصمات القدمية لأنَّ علماء الوراثة من خلال تفسيرهم الجنيني اكتشفوا أنَّ الإنسان العاقل كان يعيش في أفريقيا وآسيا قبل ظهور "إنسان نياندرتال" لأنَّ أول إنسان ظهر منتصب القامة كان منذ نحو *1.5* مليون سنة في "بدو بأثيوبيا" و "تدوتو بتنزانيا" لأن ما وجد من عظامه كانت سميكة ومتينة عن ذي قبل مما يُمَكِنَهُ من الوقوف عليها بسهولة.[180]

أما الكاتب "ريك جو" وزميله المصور "كينيث جاريف" فقد سافرا مئات الأميال إلى تنزانيا وجنوب أفريقيا للتّعرف على الأسلاف ولمعرفة كيف خطا الإنسان أولى خطواته على قدميه فوق الأرض... وفي جنوب أفريقيا شاهد الكاتب حفائر معظمها اكتشف هناك بواسطة علماء جامعة جوهانسبرج، وقاموا من خلال دراستها باكتشاف الخطوات الأولى لأشباه الإنسان قبل أن يصبحوا بشراً وأوعزوا نسبه إلى القرد، كما أكدوا على أنَّ ثمة مجموعتين للبشريات قد ظهرتا خلال أربعة ملايين سنة، إحداها الجنس البشري الذي ظهر منذ *2.5* مليون سنة، وقالوا أن المجموعتين شملتا ظهور الإنسان

[1] مجلة العلم "، القاهرة – العدد 249 – يونيه 1997، صفحه (32).

[2] المرجع السابق . والمبحوث عنه المقصود في نهاية الفقرة هو: " الجد الأول للإنسان ".

[1] المرجع السابق.

الماهر والإنسان العاقل والإنسان منتصب القامة، لكنَّ العُلماء ما زالوا حائرين في كيف وأين حلَّ الجنس البشري محلَّ أشباهه الأوسترالوبيثكيسين الذين كانوا يشبهون القردة بأمخاخها الصغيرة إلا أنهم كانوا يسيرون على أقدامهم.[181]

والأسترالوبيثكس أو"شبيه الإنسان" كان عالِم التَشريح "ريمون دارت" هو أول من ادعى اكتشاف أول حفرية لها عام *1925* بكهف "توانج" الحجري بجنوب أفريقيا..... وكانت لطفل عمره *2.5* مليون سنه، واعتبر علماء جنوب أفريقيا أنَّ طفل توانج هو الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان حيث أطلقوا عليه اسم "استرا لوبيثكس أفريكارتر" أي "قرد جنوب أفريقيا". وبعد توانج اكتشف العلماء عظاماً لعدة أنواع من شبيه الإنسان منها " *H.Repust*" وأنواع عائلة "لوسي" الشهيرة التي عمرها *3.18* مليون سنة والتي اكتشفت عظامها في موقع "جيدار بأثيوبيا" عام *1974*، واعتبر العلماء وقتها أنَّ لوسي هي "أم البشر"، ومع هذا فقد أعلن عالما الحفائر الألمانيان "بيتر شميديت" و "مارتن هوسلر" بجامعة زيورخ أنَّ لوسي ليست

أم البشر كما يقال، بل ذكر كامل الذّكورة، وأكّد ذلك العالم "لوري هاجر" الذي شكك في أنوثتها مكذباً الادعاء بأنها أم البشر.[182] وقد اكتشف فريق جامعة بيركلي في بحيرة توركانا عظاماً عمرها *4.4* مليون سنة، واعتبر "هوايت" أنها لنوع آخر من أشباه الإنسان سماه "راميدس" وقالوا أنّه همزة الوصل بين أسلافنا والشمبانزي.[183]

وفي عام *1994* أعلن علماء الحفائر بجنوب أفريقيا عن مكتشفاتهم الحفائرية لشبيه الإنسان "أفريكاتر" مما جعلهم يؤكدون أنَّ شبيه الإنسان وُجِدَ أولاً في جنوب أفريقيا وليس شرقها، ويعلق العالم "بيرجر" من جامعة جوهانسبرج بأنَّ خاصية المشي على قدمين نشأت في موقعين: أحدهما في شرق أفريقيا حيث عاش والموقع الثاني في جنوب أفريقيا حيث كان نوع "أفريكاتر" الذي لم يكن بدائياً لأنَّ إصبعه يشبه إصبع الإنسان...[184]

وقد نشرت دورية "العِلم" مقالاً تحت عنوان " متاهة البحث عن الجذور!!! علماء أستراليا يهدمون نظرية داروين.... القرد أصله إنسان ترك الأرض وتَسَلقَ الأشجار فحدث له التحول!!!" حيث قالت: (في جامعة كانبيرا أعلن علماء الأجناس الأستراليون أنَّ القرد أصلهُ إنسان وهدموا مؤخراً نظرية داوين وقلبوها، واعتبروا إنسان أسترالوبيتكس القديم جَدُ القرد الإنسان، ويقول الأستراليون أنَّ الإنسان انفصل منذ أربعة ملايين سنة، وهذا يخالف قول علماء أصول الإنسان من أنَّ الانفصال تم منذ ثمانية ملايين سنة، ويضيف الأستراليون في نظريتهم أنَّ القرد لم ينزل من فوق الشّجرة ليتطور لإنسان، لكنَّ الإنسان ترك الأرض وتسلق الأشجار وظلَّ هناك حتى أصبح قرداً)[185]

---

[2] المرجع السابق، صفحه (33).

[1] المرجع السابق، الصفحات (33 – 34).

[2] المرجع السابق، صفحه (34).

[3] المرجع السابق، صفحه (34).

[4] المرجع السابق، صفحه (31 و 32).





ونحن بدورنا نتسائل: هل الإنسان من ذرية القرود؟ وأيٍ مِن أنواع القرود هو جد الإنسان؟

يؤكد دعاة فكرة التطور أن الإنسان من سلالة القرود، ويقولون أنّ الهوة بين الإنسان وبين الحيوان قد ملأها "إنسان ما قبل التاريخ" أو "الإنسان القرد" – الذي لم يوجد قط – وفي ذلك تقول دورية "العلوم":

(يتصور علماء التطور أجدادنا أجلافاً[186] وبلا ذنب، وهم أضخم بقليل من الإنسان القرد الذي يعيش في أيامنا هذه، وأنهم كانوا يتمتعون بعضلات وجه متحرك، ولكنهم لم يكونوا شديدي الذكاء، وكانوا يتسلقون الأشجار ويعيشون على الأكثر عليها كما يعيشون على وجه الأرض، وكانوا يستطيعون أن ينتصبوا انتصاباً غير تام، كما كانوا يمشون على أربع وعلى رجلين، ويبدو أنه لم تكن لهم لغة محكية.)[187]

أي أنّه كان هناك على زعمهم إنسان قردي ذو جسم حيواني وعقل غير ناضج، يجتمع فيه في آن واحد صفات بشرية وأخرى حيوانية، إنسان لا يعقل إلا قليلاً ولا يتمكن عن التعبير عما يجيش في صدره بالكلام، وهذا القول الافتراضي يحتاج إلى برهان يُثبته، والجواب هو ما قدمه "جان روستان" في كتابه "التطور": (مازال البحث جارياً، وسيظل مستمراً وقتاً طويلاً لمعرفة الصلات الحقيقية لكل هذه الأشكال... هل الإنسان ينحدر من قرد يشبه الإنسان القردي الذي نعرفه؟ أو أنه ينحدر من قرد دون ذلك، أو من حيوان بدائي لا يستحق حتى اسم قرد؟)[188]

---

[1] الجلف: الجافي في خَلْقِهِ وَخُلُقِه ، شُبِّه بجلف الشاة ، أي أنّ جوفه هواء لا عقل فيه ، قال سيبويه: الجلف جمعها أجلاف ، ويطلق على الأحمق أنه جلف لضعف عقله.

[2] خلق لا تطور، صفحه (95)، نقلاً عن: دورية " العلوم *Sciences* "، عدد أيار سنة 1965.

[3] المرجع السابق، نقلاً عن: ' كتاب " التطور Evolution "، جان روستان.

يتضح مما تقدم أنَّ كل ذلك هو مجرد افتراضات وهرطقات لا تمت إلى الحقيقة بصلة ما دام من يقول بها لا يملك الدليل على صحتها، ومعنى ذلك أنه توجد صعوبة في إثبات تلك المقولة بالبرهان الدامغ، **لذا** فإنَّ الدورية نفسها تضيف قائلة : (إنَّ إحدى الصعاب الرئيسية تكمن في ندرة وجود جماجم

إنسان في المستحثات ذات دلالة حقيقية ، وكل ما وجد من جماجم حتى الآن في توابيت كبيرة، وكل ما فيها من عظام لا علاقة له بالجمجمة)[189]

أما الصعوبة الثانية فهي كما ذكرها "جوليان هكسلي" في كتابه "التطور على اعتبار أنه امتداد" حيث قال: (في أكثر الحالات يكون وصف النموذج الذي يقدمه العلماء الذين يكتشفونه ينطوي على أهمية خاصة، أو يحتل مكاناً مرموقاً في عالم نسبة الإنسان المباشر إلى الأجداد في مقابل نسبته إلى القرود. ولكن حظّ هذا القول من الواقع قليل، وفي حالة الكلام عن تطور الإنسان الأول قلما تكون الاستنتاجات مدعومة بدليل بسبب قلة الوثائق)[190]

نعم، إنَّهُ مجرد وهم علق بمخيلتهم، إنها هرطقة يريدون وبكل الوسائل والأساليب إلباسها ثوب الحقيقة، ولكن فإنه لا دليل لديهم لدعم تلك الهرطقة سوى رغبتهم في نشر تلك المقولة، إنهم يحاولون التأويل والتأليف كيفما اتفق ليوهموا أنفسهم قبل أن يوهموا الناس أنّ في جعبتهم الأدلة والبراهين، إنّ كل ما تقدم لم يثنهم عن هرطقتهم أنَّ الإنسان وما يسمى بالإنسان القردي هما توأمان من أبوين من القرود!!!

وفي إصرار عجيب تؤكد مجلة " العالم الحديث " تلك القرابة المزعومة قائلة: (إنَّ القرابة التي لا شكَّ فيها بين الإنسان والإنسان القردي تدل بصراحة أنَّ لهما جداً مشترَكاً، ولكن هذا الجد لم يوجد حتى الآن، وقد نجد صعوبة في التّعرُف عليه)[191]

يتضح مما تقدم بجلاء أنَّ دعاة التّطور المنادين بتطور الإنسان من الإنسان القردي والذي بدوره قد انحدر من نفس الجد – وهو القرد أو السعدان – إنما يهرقطون بسفاسف القول، إنه الوهم الذي هم فيه عاجزون عجزاً كاملاً إثباته بدليل أو بشبهة دليل يُرضون به أنفسهم قبل أن يُقنعوا غيرهم من الناس، وفي ذلك تعترف جريدة "ستر دي ايفننج بوست" أنه على الباحثين عن أصل الإنسان أن يستمروا في البحث حتى يكتشفوا أصول أجدادهم القرود!!![192]

وكما عجز داروين صاحب النظرية المشهورة أن يؤكد من هو جد الإنسان الأول – القرد أم السعدان – فإنَّ مؤلف كتاب "الإنسان الأول" يؤكد ذلك العجز صراحة حين يقول (من المؤسف أن تظل حتى الآن المرحلة الأولى من التطور الإنساني سراً غامضاً)[193]

---

[1] المصدر السابق، صفحه (96)، نقلاً عن: دورية " العلوم *Sciences*"، عدد أيار سنة 1953.

[2] المصدر السابق، نقلا عن: *Julian Huxley. Evolution as a Process*

[3] المصدر السابق، صفحه (97)، نقلاً عن: مجلة " العالم الحديث *New Scientist* " عدد 25 / 3 / 1965.

[1] خلق لا تطور، صفحه (97)، نقلاً عن: *Saturday Evening Post*

[2] المصدر السابق، نقلاً عن: كتاب " الإنسان الأول " *Primates*

وفي أسلوب ينم عن اللباقة تفسر دورية "العلوم" الأمريكية العجز في ذلك قائلة:

(إنَّ نوعية نسب أجداد الإنسان ما زالت نظرية محضة)[194] – أي ليست من الحقائق – وبنفس الأسلوب نجد أنَّ " علماء الإنسان القردي "قد وضعوا في مؤتمرهم المعقود سنة *1965* تواريخ اعتمدتها مجلة "نيو يورك تايمس" حيث قرروا: (إنَّ جهلنا بشجرة نسب الإنسان ما زالت حتى اليوم جهلاً عجيباً فهناك ما زالت ثغرات.)[195] إلا أنهم مع ذلك وبتأكيد غريب مستهجن يدللون على وجود الإنسان القردي قائلين كما ورد في نفس المجلة: (منذ ما لا يقل عن ثلاثين مليون سنة بدأت تظهر الصفات التي تميّز الإنسان عن غيره من الحيوانات)[196] ويشير الجدول الذي اعتمدوه إلى التأكيد على أنّه في المقام الأول يوجد حيوان اسمه
"*Proplio Pithecus*" يشبه القرد المسمى "غيبون *Gibbon*"[197] والذي وجدت عظامه في مصر.

تلك كانت المرحلة الأولى من مراحل تطور وتحول الإنسان من قرد إلى إنسان، أمّا المرحلة الثانية فهي كما يقول جدولهم المعتمد: (إنَّ المرحلة الثانية كانت قبل *19* مليون سنة، وفيها ظهر حيوان تشبه أسنانه أسنان الإنسان والقردة)[198] لقد زعموا وجود بقايا من هذا الحيوان والذي أطلقوا عليه اسم "*Dryopithecus*"[199] في أفريقيا وفي أورازيا[200] وبعملية حسابية نجد أنّ الفرق بين الحيوان الأول وبين الحيوان الثاني هو فترة زمنية تقدر ب *11* مليون سنة ليس لدينا عنها أي علم في المستحاثات[201]. وتضيف المجلة (بعد انقراض الحيوان الثاني منذ نحو تسعة ملايين سنة لم نجد في الصخور أي معلومات خلال سبعة ملايين سنة)[202]. إلا أنَّ نفس المجلة وفي عدد آخر تستعمل الحكمة والتروي حتى يتم لهم الحصول على براهين مادية حيث تذكر: (إنَّ من الحكمة ألا نؤكد بأنّ الصلة بين الإنسان القردي والإنسان تعتمد على شهادة المستحاثات بل ننتظر اكتشافات جديدة)[203]

---

[3] المصدر السابق، نقلاً عن: مجلة " العلوم *Sciences* " عدد شهر 11 سنة 1966.

[4] المصدر السابق، صفحه (98)، نقلاً عن: مجلة " *New York Times* "، عدد 11 / 4 / 1965.

[5] المصدر السابق.

[1] غيبون: قرد هندي ماليزي يتسلق الأشجار بخفة بسبب طول ذراعه.

[2] المصدر السابق.

[3] لا يوجد ترجمة عربية لهذا الاسم، ويختصر باسم " *Droplio* ".

[4] أورازيا : اصطلاح يطلق على قارتي آسيا وأوروبا .

[5] المستحاثات – علم الإحاثة – paleontology – هو علم مستحدث يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية الغابرة، كما تمثلها الأحافير الحيوانية والنباتية، وقد نشأ هذا العلم في أوائل القرن التاسع عشر، قاصدين منه إلقاء الأضواء على المسائل النشوئية، وعلى مسائل تصنيف الحيوان والنبات والعوامل التي تحدد توزعها الجغرافي. أما الأحافير (المستحجرات) fossils: فهي بقايا أو آثار الحيوانات والنباتات التي هلكت أو بادت ودفنت في طبقات الأرض في أزمنة غابرة، وهي تكون عادة متحجرة في الصخور أو مطبوعة عليها.

[6] المصدر السابق.

[7] المصدر السابق: نقلا عن: المجلة ألأميركية، عدد تموز 1964.

وفي نِسْبـَة نَسَب الإنسان إلى الجَد الذي ادعته دورية نيويورك تايمس الذي هو " *Propilio*"[204] فإنَّ علماء تطور آخرين يرفضون ذلك النَّسَب، ويوصلون النَّسَب بالقرد المعروف باسم "غيبون" ويقولون بأنّه "*Dryopith*"[205]، مع رؤيتهم أنَّ أقدم أجداد الإنسان القردي هو حيوان "*Ramapith*"[206] أي أنَّ لكل منهم روايات توهمها كيفما اتفق!

وتدعي نفس المجلة أنه: (منذ نحو *12* مليون سنة أي في منتصف الطريق بعد ظهور الإنسان الأول "*Dryopith*" ظهرت مخلوقة جديدة أسمتها "*Simiesque*" لها ملامح الإنسان، اكتشفت في سلسلة جبال سيواليك)[207]

يتضح بداهة أنَّ الجَد المزعوم "رامابيت" والجَد الآخر "أوسترالوبيت" الذي هو "الإنسان القردي الأفريقي" الذي يطلقون عيه اسم "*Australo Pithecus*" وهو الجَد الثاني المزعوم في سلسلة النَّسَب توجد بينهما ثغرة عميقة، وفي هذا تقول جريدة "أخبار العلوم" في عددها الصادر بتاريخ *1967/1/28*: (من المؤسف أن يكون بين آخر رامابيت وبين أول أوسترالوبيت ثغرة تمتد نحو عشرة ملايين سنة ليس لدينا عنها أي أثر للمستحاثات وهكذا فأننا أمام هذه المعطيات نجد الصخور صامتة لا تدلي بأي دليل منذ *12* مليون سنة وحتى عشرين مليون سنة قبل عصرنا هذا)[208]

والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن كل عاقل ويحتاج إلى إجابة مقنعة هو: من هو الجد رامابيت هذا، وما هي أوصافه، وما هو الدليل على أنَّ هذا المخلوق المدعى يتصل بنسب الأبوة إلى الإنسان؟

ويجيب العلماء على هذا السؤال في مجلة " *Saturday evening post* ":

(**لَعَلَّ** الرامابيت كان الشمبانزي الصغير الذي يتمتع بأيد خفيفة وبخفة القرد، و**قد** يمكن أن يكون من أوائل المخلوقات التي عُرِفَت، ولكنه ليس بالمخلوق الأول في أُسرة الإنسان، وكان لا يقل ذكاء عن الشمبانزي الذي نعرفه الآن، وليس لدينا إلا فكرة عابرة عن صورة مقطوعة من فيلم طويل.)[209]

والذي نفهمه من هذا النّص والأوصاف التي يقدمها لنا علماء التطور بأنّ الرامابيت كان حيواناً من أُسرة القرد الإنساني المزعوم أو القردة كبيرة الحجم، أما ادعائهم أنَّه كان في سلسلة نسب الإنسان فإنَـهُ وَهم وخيال واسع لا يتصل إلى الحقيقة بسبب، **لا** سيما وأنَّ علماء تطور آخرين لا يؤكدون أنه

---

[1] اختصار لكلمة: *Propliopithecus*.

[2] اختصار لكلمة: *Dryopithecus.*

[3] اختصار لكلمة: *Ramapithcus.*

* لم تعتمد ترجمة عربية للأسماء الثلاثة السابقة ومثيلاتها.

[4] سلسلة جبال سيواليك أمام جبال همالايا في شمال غرب الهند.

[5] خلق لا تطور، صفحه (99)، نقلاً عن: جريدة " أخبار العلوم " عدد 28 /1967/1.

[1] المصدر السابق، صفحه (100)، نقلاً عن: مجلة " ستر دي ايفننج بوست ".

داخل في سلسلة التطور الإنساني، ومن ذلك ما يقوله "د. كلارك" صاحب كتاب "أدلة المستحاثات على تطور الإنسان" **فقد ذكر في كتابه المذكور:**

(يجوز لنا أن **نتخيل** صورة للمراحل التي تعترض بين أجدادنا المعروفة باسم "بيتوكويد *Pithecoides*" وبين "الأوسترالوبيت"، ولكن إذا **انعدمت** الأدلة الملموسة في المستحاثات تبقى الفكرة **غير مقنعة**.)[210]



لعل . ربما . قد نتخيل هناك ثغرات من الحكمة ألا نؤكد . قد نجد صعوبة في التأكد ..

وفي استعراض أقوالهم نجد أنه يغلب عليها ورود كلمات مثل: (نتخيل. نظن. قَد. رُبَما. هناك ثغرات. من الحكمة ألا نؤكد، قلما تكون الاستنتاجات مدعومة بدليل. قد نجد صعوبة في التأكد. سِراً غامضاً. ما زالت محض نظرية. نتصور أنَّ. ما زال البحث جارياً... وهكذا) وهي كلها عبارات تشيكية لا تؤخذ على أنّ أصحابها قاطعون بصحتها، أو حتى أنّ لديهم ترجيحاً أو غلبة ظن بها، بل هي افتراضاتٌ وهمية لا أساس لها من الصّحة علقت بأذهانهم وطفقوا يألفون لها الأدلة التي عجزوا عن الإتيان بها، فلا يجوز أن يُكتفى بالتحدث عن سلسلة النّسَب النازلة عن الجَد الأكبر المشترك والمفترض افتراضاً بلا دليل حتى تنتهي إلى **الأوسترالوبيت** المزعوم أيضاً في حين أنَّ تلك السلسلة ليست إلا هرطقات ونتيجة أوهام أتت من نزغ الشيطان، فلماذا يقبل عاقلٌ نظرية تقوم على تخيلات وأوهام لا تستند إلى أي دليل أو إثبات، وليس لها أي أثر في الواقع!!!

إنّ الأخذ بتلك النظرية أو ما يناقضها هو أمر عقائدي، فالعقيدة هي فكرة كلية شاملة عن الكون والحياة والإنسان، وعما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها وهذا يعني تصديق جازم مطابق للواقع عن دليل. وذلك يحتم علينا أنَّ كل ما نأخذه كعقيدة يجب أن يكون قد أتى بدليل عقلي يجذم به ويجذم بفساد وبطلان ما يخالفه، لذا فإن إعطاء نظريات عقائدية بلا دليل يمكن الجذم به هو أمر مرفوض قطعاً، كما هو مرفوض أيضاً الاعتقاد بنظريات أتت بعبارات تشكيكية لأن تلك العبارات تدل على عدم وجود القطع والجذم عند القائلين بها، بل تدل على الظن والتوهم مما لا يجوز أخذه في الاعتقاد، وبالتالي لا مكان لها لأن تصبح فكرة كلية شاملة.

---

[2] المصدر السابق، نقلاً عن كتاب: " أدلة من المستحثات على تطور ألإنسان ".

الإنســـان البدائـــي

يفترض علماء التطور أنَّ الإنسان الأول "أوسترالوبيت" قد ظهر قبل مليوني سنة، ويزعمون أنه كان يعرف صنع الأدوات، ويزعمون أيضاً أنّ دماغه كان مقارباً لثلث دماغ الإنسان حجماً، فقد ذكرت "نيويورك تايمس" في عددها الصادر بتاريخ *1965/4/11*:

(إنّ الإنسان الحاذق "*Homo Habilis*" الذي اكتشفه الدكتور ليكي "*Dr. L. Leakey*" والذي يبدو أنه كان يستطيع أن يصنع أدواته، يعتبره الدكتور روبنسون "*Dr. Robinson*" وغيره من العلماء شكلاً من أشكال ألأوسترالوبيت)[211]. ومن جهته يؤكد كتاب "الإنسان الأول *Primates*": (إنَّ اكتشاف دكتور ليكي يسمح بتحقيق أول فرصة مترابطة بشأن تطور الإنسان من أجداده القردة)[212]

لقد استمرت أعمال التنقيب والبحث قرناً من الزّمن، حتى أمكنهم الحصول على بعض العظام التي أمكن بها تجميع هيكل هو أول فرضية ترمي إلى شرح نظريتهم حول كيفية انحدار الإنسان من جد قردي إنساني، ولكن هل هم قاطعون يقيناً أنَّ ألأوسترالوبيت كان حقاً قرداً إنسانياً؟ ويجيب العالم التطوري "غرو كلارك *Le Gross Clarck*" بتحفظ: (إنّه لا يمكن أن يطلق لفظ إنسان أو إنسانية على هذا المخلوق إلا مع التّحفظ، لأنه لا يوجد أي دليل يثبت أنّ ذاك المخلوق كان يملك أي صفة من صفات إنسان اليوم)[213]

هذا بالنسبة إلى الاسترالوبيت نفسه، أما بالنسبة للأدوات وفيما إذا كان عرف صنعها حقاً فتذكر الدورية الأميركية "العلوم" في مقال بعنوان "هل كان الأوسترالوبيت والإنسان معاصرين؟" ما يلي: (يتحدّث الدكتور روبنسون عن اكتشاف *58* قطعة أداة حجرية اكتشفت في "ستيركفورتن *Sterkfortein*" في جنوب أفريقيا، ولهذا الاكتشاف أهمية كبيرة على اعتبار أنَّ هذه الصخور تحتوي على بقايا إنسان قردي من نوع "بليستوسي *Pleistocene's*"[214] الأدنى الموجود في جنوب أفريقيا...)[215] ويختتم د. روبنسون مقاله قائلاً: (إنّ الصفات المذكورة لتلك الأدوات الحجرية تجعلنا نشك بصحة نسبها إلى الأوسترالوبيت، بل يرى أنّ الفرضية المعقولة في الوقت الحاضر أن تنسب هذه الصناعة إلى إنسان حقيقي)[216]

وفي مقال بعنوان "صائدي الطرائد" ظهر في الدورية الأمريكية "العلوم *Sciences* " في عددها الصادر بتاريخ *1957/11/29*: (كتب "ريمون دارت *Raymond Dart*" الذي يعود إليه الفخر في

---

[1] خلق لا تطور، صفحه (101)، نقلاً عن: جريدة " نيويورك تايمس " عدد 1965/4/11.

[2] يقصد بذلك القرد من نوع *Simlens*.

– المصدر السابق، نقلاً عن كتاب: ألإنسان ألأول *Primates* " المطبوع باللغة الفرنسية.

[3] المصدر السابق، نقلاً عن: الدورية الأمريكية " العلوم "، عدد: 13 / 12 / 1957.

[1] بليستوسي من العصر الأول وهو من الحجر المنحوت.

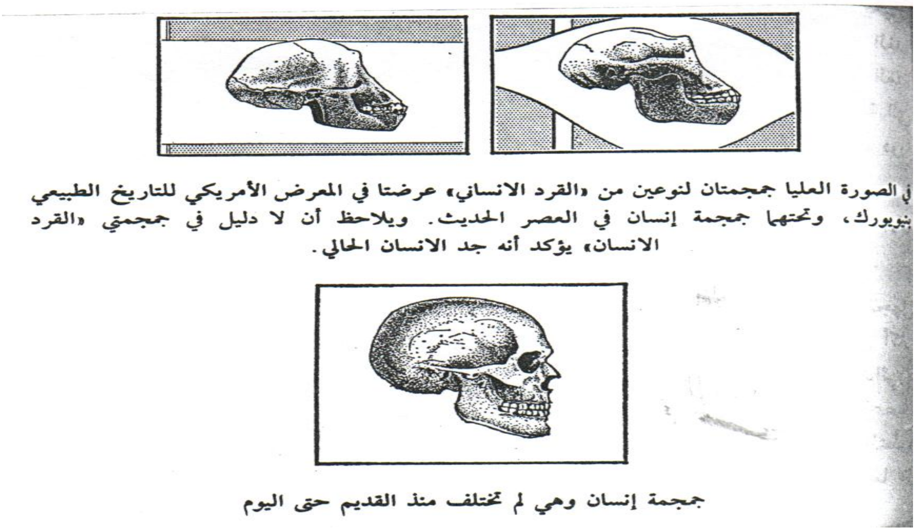
[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

اكتشاف ألأوسترالوبيت الأوائل في هذه الأيام الأخيرة مقالاً مطولاً عن الحياة الاجتماعية للإنسان القرد، وهو مقال ممتع ومليء بالتناقضات، هذا وإنّ المعطيات التي بنى عليها استنتاجه ثم خاتمته ذاتها بدت غير مقنعة في نظر بعض دارسي التطور، أما الأدلة التي ساقها دارت على استعمال هذه المخلوقات للنار استعمالاً ذكياً فلم تثبت أمام تجربة التحليل الفردي، هذا بالإضافة إلى أن بعض الباحثين أمثال "أوكله*Oakley*" قد نسبوا إلى بعض الحيوانات آكلة اللحم " *Carnivova*" مثل الضبع جمع عظام غير ألأسترالوبيت، وقد استخلص "واشبورن *Washborn*" من هذا أنه من الممكن أن لا يكون الأسترالوبيت من الصيادين بل من الطرائد)[217]

وفي نفي مقولة أنّ ألأوسترالوبيت قرد إنساني، بل هو مجرد حيوان لا صلة بينه وبين الإنسان، فقد كتب العالِم "ليهرمن *Robert L. Lehrman*" في كتابه "الطريق الطويلة المؤدية إلى الإنسان": (لم يكن ألأوسترالوبيت إلا قرداً ذكياً وذا قامة مستوية، ولم يكن إنساناً. وكانت جمجمته ذات حجم صغير، وله فوق عينيه صدغي ناتئ، وفي خط وسط الجمجمة ارتفاع شأنه في ذلك شأن كل القردة الإنسانية.)[218]

وقال "ايشلي *Ashley Montague*" في كتابه "العصور الأولى للإنسان": (إنّ جمجمة ألأوسترالوبيت تشبه في شكلها جمجمة القرد شبهاً كبيراً، وبالتالي فإننا نجد أنفسنا أمام تطورات قادتنا إلى استبعاد هذه الحيوانات في النّسَب المباشر للإنسان.)[219]



الإنسان هو

الإنسان لم يتغير أو يتبدل أو يتطور ولم يختلف شكل وحجم جمجمته ولم يتشابه في ذلك قط مع أي من المخلوقات الأخرى . منذ وُجِدَ إلى الآن .[220]

من ناحيتها تؤكد الموسوعة الأمريكية أنَّ أول ظهور الإنسان كان "الإنسان المستوي *Homo Erectus*" وهو الإنسان مستوي القامة الذي يعتبروه "الإنسان العاقل *Homo Spleens*" والذي هو الإنسان

---

[4] خلق لا تطور، صفحه (102)، نقلاً عن: مجلة العلوم، عدد 1957/11/29.

[1] المصدر السابق، صفحه (103) نقلاً عن كتاب: *The long road to man*.

[2] المصدر السابق، نقلاً عن كتاب: *Les Premiers de `Homme*.

[1] الصورة المثبتة أعلاه منقولة من كتاب " خلق لا تطور، صفحة (39).

الحاضر الموجود، ويزعمون أنه أرقى أنواع ألأوسترالوبيت، ويصنفون أنواع الإنسان الأول إلى ثلاثة أنواع:

1. **إنسان جاوه** *Pithecan therapy* : وقد ظهر قبل *500 000* سنة .
2. **إنسان بكين** *Sinan therapy* : وقد ظهر قبل *360 000* سنة
3. **إنسان شيلي** *African therapy* : وقد ظهر قبل *400 000* سنة .

وتقول المجلة العلمية الأمريكية في عددها الصادر في أيار سنة *1965*: (إن جميع الذين انصرفوا إلى البحث عن الإنسان الأول متفقون على أنّ الإنسان العاقل الحاضر ينحدر من الإنسان مستوي القامة)[221]، أي أنَّ جميع علماء التطور مجمعون على أنّ الإنسان الحالي منحدر من الإنسان مستوي القامة، فهل إصرارهم هذا، وهل هذا الإجماع يستند إلى دليل قطعي أكدوا بناء عليه يقيناً على ذلك الإجماع؟ وتجيب نفس المجلة قائلة: (ليس هناك أي دليل مباشر على الانتقال)[222] فما دام أنّهُ ليس هناك أي دليل مباشر، فكيف اتفقوا وبهذا الإصرار العجيب على أنَّ الإنسان المستوي القامة قد تحول إلى الإنسان العاقل حتماً، بينما هم يعترفون أنهم لا يستندون إلى أي دليل؟ ليس من جواب على ذلك سوى أنهم سذج عمي البصائر، أعمى الله قلوبهم وختم على أبصارهم غشاوة فهم لا يعقلون.

ومع إصرارهم على أنَّ الإنسان العاقل قد جاء من نسل الإنسان المستوي القامة، فهم يغالطون أنفسهم حيث تقول نفس المجلة[223] أنَّ المستحاثات التي اكتشفت حديثاً في المجر تدل على أنّ جماعة راقية تنتسب إلى الإنسان العاقل كانت تعاصر جماعة من الإنسان المستوي القامة، وبهذه المناسبة فقد كتب "الدكتور وينشستر *A.M.Winchester*" أستاذ علم الحياة في كتابه "علم الحياة وعلاقته بالإنسان" قائلاً: (إنَّ بقايا إنسان سوانسكومب "*Swanscombe*"[224] في أوروبا وإنسان كانجبيرا "

Kanjera" في أفريقيا وغيرهما، توحي بأنّ الإنسان وجد منذ نحو *300* ألف سنة، وبهذا يكون قد عاصر الإنسان مستوي القامة)[225]

هذا ولم يمضي وقت طويل على علماء التطور وهم يظنون بأنَّ إنسان نياندرتال "*Neanderthal*" هو إنسان قرد، وهو الحلقة المفقودة للجد المباشر للإنسان الحالي فجاءت أبحاثهم لتقول كما جاء في مجلة *Harper*، عدد كانون أول سنة *1962*:

(إنَّ إنسان نياندرتال لم يكن دميماً ولا محدودباً ولا كان شكله شكل حيوان كما يُظَنُ غالباً، بل كانت جماعة منهم تشتكي من التهاب المفاصل)[226]، تقول مجلة نيويورك تايمس مجازين: (إنَّ حجم جمجمة الإنسان النياندتال كانت أكبر من حجم جمجمة الإنسان الحالي المتوسط)[227]

---

[1] خلق لا تطور، صفحه (106)، نقلاً عن: المجلة العلمية ألأمريكية، عدد: أيار 1965.

[2] المصدر السابق.

[3] المجلة العلمية الأمريكية، عدد شهر تشرين ثاني سنة 1966 .

[4] سوانسكومب: منطقة في إنجلترا.

[1] المصدر السابق ، نقلاً عن :*Biology . Ama Its Relation to Mankind*.

[2] المصدر السابق، صفحه (107)، نقلا عن مجلة: هابر *Haper*، في عدد: ديسمبر 1962.

وحتى تتضح الصورة عن ذلك الإنسان المزعوم نرجع إلى الموسوعة الأمريكية حيث تقول (في البدء كان العلماء يظنون أنَّ إنسان نياندرتال كان ذا هيكل قردي، دميماً محدودباً وذا مظهر حيواني. ولكنَّ الأبحاث الأخيرة أظهرت أنَّ أجسام رجال ونساء النياندرتاليين كانت إنسانية تامة وكانت مستوية وذوات عضلات نامية، وكانت دماغهم بحجم دماغ إنسان اليوم)[228]

والغريب المستهجن أن نفس الموسوعة المذكورة، ومع قناعتها المنشورة آنفاً والتي لا تحتمل أي معنى آخر إلا نفي الصفات الحيوانية عن النياندرتاليين وإعطائهم السمات الإنسانية الكاملة، ومع هذا تقدم في مقالٍ ثانٍ صورة

لأسرة نياندرتالية ممثلة إياهم كالقرود ذوات الهيكل المتجمع والظهر المحدودب والشكل الحيواني!!! وتفسير هذا الموقف الذي يناقض بعضه بعضاً: هو رغبة كافة دعاة التطور إلى عرض الإنسان بتلك الصورة المشوهة، لكي يبرروا بالتالي إصرارهم العجيب على أنّ القرد الإنساني هو جد الإنسان الحالي.



وهناك مستحثات أخرى كانت فيما مضى تُعتبر وكأنها عائدة إلى أنواع مختلفة صنفت حديثاً – ولغاية أرادوها في نفوسهم – بإلحاقها بالإنسان الحاضر. وكان جنس "كرومانيون *Cro magnon*" الذي وُجدَت بقاياه عام *1868* في كهف كرومنيون في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا والذي يتميز بقامته الفارعة المنتصبة، وبجمجمته الطويلة، وبعينيه الغائرتين، ويعتبره بعض العلماء الجد الأعلى للإنسان الأوروبي الحديث[229] كان هذا الجنس – كما يزعمون – يشبه الإنسان الحالي شبهاً تاماً في جميع صفاته الخارجية، فقد أكدت المجلة العلمية

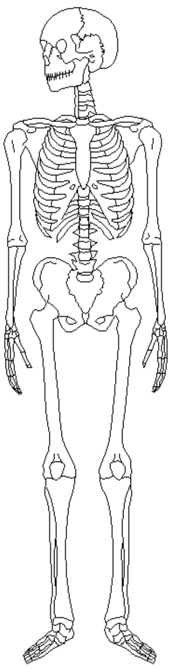
---

[3] المصدر السابق، صفحه (108)، نقلاً عن مجلة: نيويورك تايمس مجازين، عدد 1961/5/19.

[4] خلق لا تطور، صفحه (108)، نقلا عن: المجلة العلمية الأمريكية.

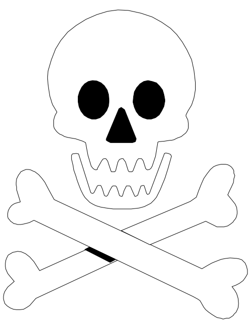
[1] موسوعة المورد العربية، الجزء الأول، صفحه (139).

"ساينس دايجست *Sciences Digest* " بأنَّ دماغ الإنسان ما زال في تناقص من حيث الحجم منذ إنسان كرومانيون، وهذا دليل على التراجع لا على التطور نحو الأفضل.[230]



ويقول "وينشستر *Winchester*" في كتابه "علم الأحياء وعلاقته بالإنسان": (لقد مضى وقت طويل كان يُظنُ فيه بأنّ الإنسان الحاضر منحدر مباشرة من إنسان جاوه وإنسان روديسيا والإنسان النياندرتالي، ولكن مع توفر الأدلة بدت استحالة هذا الأمر، إذ وجدت بقايا إنسان حقيقي قديم عاصَرَ أجناساً أخرى)[231]

وفي نفس الموضوع وتأكيداً لما سبق يقول عالم الأحياء "مارش *F.Marsh*" في كتابه "التطور أو الحلقة المفقودة": (هناك مثال آخر على تزوير الأدلة في قضية "دبوا *Du Bois*"[232] الذي بعد سنوات من إعلانه أحدث ضجة، والذي قال فيه إنه اكتشف بقايا من إنسان جاوه، اعترف بأنه في الوقت نفسه وفي المكان ذاته وجد عظاماً تعود **بلا شك** إلى الإنسان الحاضر)[233]، **وكاتب** آخر أدلى بدلوه في القضية وعالجها بطريقته في مقال ظهر في كتاب "*Science moderne*": (من الجدير بالملاحظة ألاّ نُهمل الهياكل العظمية العائدة لإنسان اليوم، والتي وُجِدَت في أماكن متفرقة، وأكثرها في الغالب يدل على أنها قديمة، إذ لم تكن أقدم من هياكل الإنسان "هومينويد *Hominoid*" والمفترض أنّه أقل رقياً منا، وليس هناك أي دليل راهن يؤكد النظرية التي يراها بعض العلماء، والقائلة بأنّ إنسان نياندرتال وإنسان جاوه وإنسان بكين وغيرهما يمثلون أجناساً منحطّة انحدرت من الإنسان العاقل عن طريق الانتقال أو الانعزال وغير ذلك، بل الأصح هو أن نقول بأنّ إنسان اليوم قد انحط عن أجداد كانوا أفضل منه، إذ من المعلوم أنّ جنس كرومانيون الذي سكن أوروبا في فترة قريبة من النيانرتال كان أرقى من إنسان اليوم سواء من ناحية القد أو من حيث سعة الجمجمة)[234]، وإنّ هذا هو أبلغ رد على هرطقات دعاة التطور، وضحالة فكر من وضع نظريات التطور والارتقاء المادي، فهو يعطي الدليل على أنّ جميع نظرياتهم كانت عبارة عن افتراضات مسبقة كانت نتاج بتصميم مسبق ولغاية لعقول محدودة وناقصة وعاجزة بلا إثبات وبلا أدلة – وحتى بدون بحوث علمية مسبقة – اللهم إلا لرغبتهم في الشهرة ولخدمة رغبات متركزة في نفوسهم، لذا فقد ابتدعوا نظريات واهية ثمّ طفقوا يبحثون لها عن دليل يؤكدها في المغاور والكهوف وعلى صفحات الصخور والحجارة وبين الفضلات والنفايات.



---

[1] خلق لا تطور، صفحه (108)، نقلاً عن مجلة: سيانس دايجست.

[2] المصدر السابق، صفحه (109)، نقلاً عن: *Biology. Ama Its Relation to Mankind.*

[3] طبيب هولندي أعلن عن اكتشافه " إنسان جاوه ".

[4] المصدر السابق، نقلاً عن: *Evolution or special creation.*

[1] المصدر السابق، صفحه (109)، نقلا عن كتاب: *Science Moderne*.

لقد اعتمد أصحاب تلك النظريات على العظام والهياكل لإثبات صحة ادعاءاتهم، وهاهي نفس العظام والهياكل التي سعوا إليها متلهفين عليها ليثبتوا بها صحة أقاويلهم، إذا بها تكذبهم وتفند دعواهم وتنقض نظرياتهم وتضعهم في تخبُط، فإذا بعلمائهم ينقلبون من مؤيد لتلك النظريات داعياً لها ومثبتاً لأركانها، ينقلبون إلى رافض لها ومكذب لصحتها.

إننا إذا قمنا بالمقارنة بين المصادر السابقة، وخاصة المصدر الأخير،[235] إذا قارنا ذلك بما جاء في نظرية التطور والارتقاء المادي التي وضعها داروين مع اقترانها بمفهوم التطور المادي لديهم، فأنا نجد البَون شاسعاً بين أقوال العلماء، مما ينتج عنه فساد نظرياتهم ونقضها من أساسها، وحتى تتضح الصورة أكثر نعود إلى

ما اتفقوا عليه من تعريف لتلك النظرية وبالتالي لتعريف مفهوم التطور لديهم: (إنه يعني ارتقاء الحياة من جهاز عضوي ذي خلية واحدة إلى أعلى درجات الارتقاء وهو بالتالي: التّغير الذي طرأ على الإنسان نتيجة حلقات من التغييرات العضوية خلال ملايين السنين)[236]

أمّا الأفكار الأساسية لنظرية التطور والارتقاء المادي فهي تحديداً كما حددته "الموسوعة العالمية" طبعه (*1966*): (إنّ نظرية التطور العضوي تنطوي **على ثلاثة أفكار رئيسية هي:**

1. إنّ الكائنات الحيّة تتبدل جيلاً بعد جيل وتنتج نسلاً يتمتع بصفات جديدة.
2. إنّ هذا التطور قديم جداً وبه وُجِدت كل أنواع الكائنات الحيّة.
3. إنّ جميع الكائنات الحيّة يتصل بعضها ببعض بصلة قرابة).[237]

فتعريف التطور لديهم، علاوة ما جاء شجرة الأحياء التي وضعها داروين،[238] يحتم أن يكون تدرج التطور من الصور المنحطة الدنيا للمخلوقات إلى صور أرقى وأعلى مرتبة منها بالتأكيد، أي أنّ حتمية ظهور مخلوقات أرقى بفعل التطور انحدرت من مخلوقات أدنى وأحط، وحتمية التطور تحتم انقراض في المخلوقات الدنيا والتي ظهر بديلاً لها مخلوقات أعلى وأفضل منها وأقدر على الحياة، هذا هو الأمر الواقع والحتمي كما يقول كتاب " علم الحياة لك " وكما يقول عرّاب التطور

سير جولين هكسله: (إنّ التطورية لا تترك أي مجال للخوارق، فالأرض وسكانها لم يُخلقوا كما هم، بل تكونوا بالتطور).[239]

---

[2] "كتاب " ساينس مودرن *Science moderne.* " .

[1] خلق لا تطور، صفحه (13) نقلا عن: جريدة " *Houston Post.* ".

[2] المصدر السابق، صفحة (14) نقلا عن:*World book encyclopedia.*

[3] المصدر الفصل الخامس من هذا الباب.

[4] المصدر السابق، نقلاً عن: *D.F., B.B. Vance Miller-Biology for you.*

وهذا التطور الذي يؤكده هكسله جازماً، هو تطور بالمقاييس التي اعتمدها داروين وزملاءه، تلك المقاييس التي تعتمد على قاعدة **البقاء للأصلح** وذلك يقتضي أنَّ كل طور آتٍ هو أفضل من سابقه، فهو بالتالي يتمتع بصفات أحسن من الطّور الذي سبقه.

وينقض تلك النظرية من أساسها بما فيها من فروض وقواعد وتعاريف ما جاء في كتاب **ساينس مودرن** آنفاً وما أكده عالم الأحياء مارش، فالأول يؤكد أنَّ التطور كان من الأعلى إلى الأدنى ومن الرقي إلى المنحط، والثاني يؤكد تزامن وجدود الراقي في وقت واحد مع الأقل رقياً، فبأي من نظريات هؤلاء العلماء نأخذ؟ وما من تلك النظريات نأخذ وما نذر؟.

يؤكد الأستاذ "ايفار *IVAR*" نظريةٌ حول ما يسمى الإنسان البدائي وأوصافه قائلاً في كتاب "وكان الله هُناك": (لقد بدئنا نشعر بأنّ الإنسان البدائي لم يكن متوحشاً، وقد بقي علينا أن نقتنع بأنّ إنسان بليستوسين لم يكن جِلفاً ولم يكن قِرداً، ولذا فإنّ الهياكل العظمية التي أُعيد تركيبها، والتي يقال بأنها تمثل النياندرتال أو غيره من النّاس لم تمثل الحقيقة.)[240]

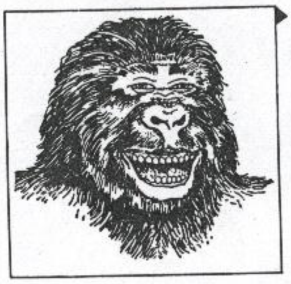
أما ما تعرضه متاحف المدن الكبرى من رؤوس أشخاص قبيحة، جلدها أغبر بلون التراب، وذات لحى مبالغ في طولها، ذات جبهات عريضة واسعة وفك ناتئ، فالصحيح أنه لا يمكن أن يعرف بواسطة العظام أي شيء عن لون البشرة أو عن السّحنة أو لون اللحية وطولها، وذلك ما يعترف به العالم الأمريكي ستيوارت **حيث يقول:**

(إنّه من المستحيل إعادة تركيب أي شيء في هذه الحالات، بل لعل من الممكن ألا تكون خلقة الإنسان القديم أقل جمالاً من خلقة إنسان اليوم)[241]

---

[1] المصدر السابق، صفحه (110)، نقلاً عن: *Dieu etait Dega La-Ivar Lissner.*

[2] خلق لا تطور، صفحه (112).



الشكل الأول

صورة مطبوعة في جريدة صانداي تايمس في (نيسان) ابريل ١٩٦٤ لإنسان زنجانتروب أعيد تركيبه.



الشكل الثاني

أعيد تركيب هذا الرأس الزنجانتروب لأجل عالم مشهور.



الشكل الثالث

شكل زنجانتروب نشر في «المجلة الجغرافية الوطنية» في شهر (ايلول) سبتمبر ١٩٦٠.

زنجانتروب Zinjanthropeاسم ابتدعه الدكتور ليكي لانسان افريقي اكتشفه سنة ١٩٥٩ في تنزانيا ويعود وجود هذا الانسان إلى ما بين سنة ١,٦٠٠,٠٠٠ و ١,٩٠٠,٠٠٠ ق.م.

لا يمكن أن يُعرف بواسطة العظام أي شيء عن لون البشرة أو السحنة أو لون اللحية وطولها

أمّا عن اكتشاف " دكتور ليكي *Dr. L. Leakey* " الشهير لجمجمة إنسان في كينيا، فتقول مجلة " عالم الفكر " في عددها الرابع من المجلد الثالث، وفي صفحه (*11*) ما يلي: (أعلَنَ الدكتور ريتشارد ليكي مدير المتحف الوطني في كينيا في نوفمبر عام *1972*، أمام الجمعية الجغرافية الوطنية في واشنطن عن اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون سنة مضت، وهذه الجمجمة ترجع بذلك إلى مليون ونصف مليون عام عن أقدم أثر أمكن الحصول عليه حتى ذلك الحين، كما أنّه تم اكتشاف ساق ترجع إلى تلك الحقبة من التاريخ في جبل حجري بإحدى الصحراوات شرقي بحيرة رودولف في كينيا، ويبدو أنّ هذا الاكتشاف سوف يقلب النظريات القائمة بشأن تطور الإنسان من أسلافه المبكرين من عصور ما قبل التاريخ، فنظريات التطور الحالية وعلى رأسها نظرية داروين تذهب إلى أنَّ الإنسان تطور من مخلوق بدائي له سمات فيزيقية أقرب إلى سمات القرود العليا، وأنّ أقدم أثر للإنسان ككائن منتصب القامة يرجع إلى نحو مليون سنه فقط، في حين أنَّ الاكتشاف الجديد يدل على أنّ الكائن البشري المنتصب القامة يسير على ساقين اثنتين لم يتطور من كائن أكثر بدائية، أو أنّه انحدر من سلالة أحد تلك الآدميات المشبهة بالقردة ، وإنما عاصرها منذ نحو مليونين ونصف مليون سنة، وليس من شك في أنه لو صحَت تلك النظرية لهدمت نظرية التطور الداروويني من أساسها، ودعمت نظرية الخَلق المستقل)[242]

أما بالنسبة لما يدعونه من المشابهة الهيكلية بين الإنسان والقرود، إذ يدعون أنّ تكوينه الهيكلي يشبه تكوين فصائل السيميا[243] فإنّ هذا الشبه الهيكلي ليس بالضرورة برهاناً على أننا نسل من أسلاف سيميائية – القرود – وأنَّ تلك القرود هي ذرية منحطة للإنسان. ولا يستطيع أحد أن يزعم أنّ سمك القد " *Cod* " قد تطور من سمك الحساس"*Haddock*" وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها ويأكل الطعام نفسه، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة. وإنما يعني وبوضوح تام عظمة الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه ووازنه وأعطاه كل ما يلزمه في تكوينه.

إنَّ العلم يشير إلى إبهام يد الإنسان وقدرتها على الإمساك بالعدد والأسلحة، ويعد ذلك أصلاً لتميز الإنسان، وإنَّ إبهام القرد التي لا نفع لها لهي برهان قاطع على أنّ إبهام الإنسان لا يمكن أن تكون قد جاءت من إبهام قرود السيميا التي تعيش على الأشجار، تلك الإبهام المخصصة لتلك العيشة ولهذا النوع من العيش، والحصان الذي يجري الآن على إصبع شديدة التّخصص لا يمكنه أبداً أن يستعيد تلك الأصابع التي فقدها على كر الزمن – إن كان قد فقد أصابع أصلاً، وهو ما لم يحصل – على أننا لا ينبغي لنا أن نُشغلَ أنفسنا بشكل جدي أكثر من اللازم بالترهات والهرطقات والجدل العقيم والفرضيات الوهمية لما حدث لأسلافنا منذ مليوني جيل على الأقل، ومع هذا يبدوا أن البحث عن الحلقة المفقودة سوف يتضح عبثه وعدم جدواه...

---

[1] دورية " عالم الفكر " المجلد الثالث، العدد الرابع، صفحه (11).

[2] فصائل السيميا *Simian:* فصائل الاورانجتان والغوريلا والشمبانزي.

إنّ جوزة البلوط تسقط على الأرض فتحفظها قشرتها السمراء الجامدة وتتدحرج في حفرة ما من الأرض، وفي الرّبيع تستيقظ الجرثومة فتنفجر القشره ويزود الطعام من اللب الشبيه بالبيضة التي اختفت فيه الجينات، وهي تمد الجذور في الأرض وإذا بك ترى شجيرة لتنقلب بعد سنوات شجرة وارفة الظلال باسقة الأغصان، تعطي بغزارة أجود الثمار. وفي خلال مئات بل آلاف السنين قد بقي في ثمار البلوط التي لا تحصى نفس ترتيب الذرات تماماً الذي أنتج أول شجرة بلوط منذ ملايين السنين.

لم تحمل شجرة بلوط قط سفرجلاً أوتفاحاً أو موزاً، ولم يلد أي حوت سمكة، وحقول القمح المتماوجة هي قمح في كل حبة من حبوبها، والشعير هو الشعير، والشوفان هو الشوفان، والقانون هو القانون الذي يتحكم في التنظيم الذري "الجينات" التي تقرر قطعاً كل نوع من الحياة من البداية إلى النهاية.

لقد قال "هيكل *Heackel*" (أعطني هواء ومواد كيماوية ووقتاً، وأنا أصنع الإنسان). ولكنه أغفل وحدات الوراثة "الجينات" وأغفل الحياة نفسها. لقد كان لو استطاع – ولن يستطيع ذلك أبداً – أن يجد وينظم الذرات غير المرئية ووحدات الوراثة ويمنحها الحياة!!! وحتى في هذه الحالة كانت النتيجة رياضياً بنسبة بلايين إلى واحد أنَهُ كان سيأتي بوحش لا مثيل له. ولو نجح جدلاً – ولن ينجح – لقال أنَّ الأمر لم يكن مجرد مصادفة عشوائية، ولكن ثمرة عقله الخارق!!!!)[244]

يا أَيُها النّاسُ قد ضُربَ مَثَلٌ فاستَمعوا لّه ، إنَّ الذينَ تَدعون من دون الله لن يَخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا لَهُ وَإن يَسلُبُهم الذباب شيئاً لا يستنفذونه منه ضعف الطالب والمطلوب[245]

---

[1] الفقرات الخمس الأخيرة: منقولة بتصرف من كتاب "العلم يدعو للإيمان"، الفصل العاشر – وحدات الوراثة – الصفحات (139 – 150).

[2] سورة الحج، (73).

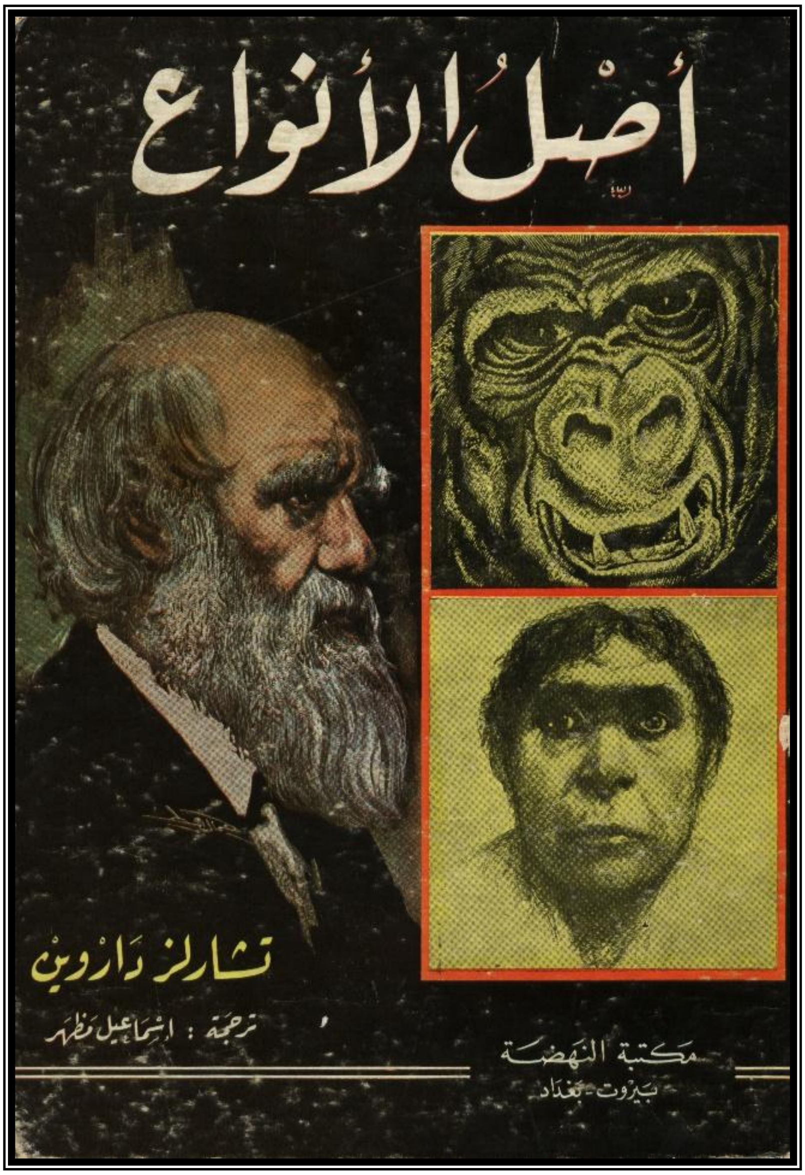
الباب الثاني
نقض نظريات التّطور المادي

1.تَزوير الحقائق
2.الأعضاء البدائية والإنتخاب الطبيعي
3.نقض نظرية التطور والإرتقاء المادي
4.آراء العلماء في التطور والخلق
5.وأخيراً ...

صورة ألغلاف للنسحة العربية من كتاب داروين

أصل ألأنواع

The Origin Of Species



تزوير الحقائق

تزويـــر الحقائـــق

إنَّ من يُنكر الخَلق من دعاة التّطور لا يقبل إلا الوقائع المادية المحسوسة والملموسة والتي يستطيع إخضاعها للفحوص المادية والمعاملة المخبرية، **لذا** فهم لا يؤمنون بالمغيبات لأنها فوق مستوى إدراكهم لأنهم يتعاملون مع المحسوسات المادية فقط. **ونظراً** لكونهم يستندون في إثبات نظرياتهم على ما تمّ إكتشافه فعلاً – أو ما سيتم اكتشافه لاحقاً – من بقايا عظام وجماجم وهياكل بشرية، فهم يتعاملون معهابإعطائها الأشكال التي كوّنوها في عقولهم وأودعوها في نظرياتهم، ولقد ثبت أنّهم قاموا بالتزوير والخديعة حتى فيما أكتشف في المستحاثات، لكي يثبتوا خداعاً وبطريقة التّزوير صحة نظرياتهم وإفتراضاتهم حول التطور والنشوء والتخلق. وكمثال على عمليات التزوير والخداع والتلاعب في عقول النّاس بإسم العلم المجرد النزيه، نثبت ما ورد في أحد أعداد الدورية الأمريكيه "نيويورك تايمس" لسنة (*1959*) : (إنَّ إنسان بكين الذي مضى عليه *500* ألف سنة قد أُعطِيَ خلقة جديدة، ليلعب دوراً رئيسياً في فيلم وثائقي صيني، وقد أعيد تركيب هذا الإنسان الذي هو إنسان ما قبل التاريخ لهذه الغاية، وّعُرِضَ الإنسان الجديد على العالم على إعتبار أنّه أشبه الناس بالإنسان القديم)[246]

نعـــم، باسم العلم المجرد النزيه وحقائقه ترتكب جريمة التزوير بقصد خداع الناس... تزوير وخداع عن سابق قصد ونية في الأمور العلمية، والمقصود منه إغفال العقول عن الحقيقة باسم العلم، وإيهام الناس بصحة ودقّة وصدق نظرياتهم باسم العلم والذي هو علم مزور، وليس ما سبق هو التزوير الوحيد، **بل** لقد عمد علماؤهم لذلك مِراراً وتكراراًُ، وكلما افتقدوا الدليل والسّند. وعلى سبيل المثال فإنه حين أعلن الطبيب الهولندي "دوبوا*Du bois*" سنة (*1981* و*1982*) اكتشافه إنسان جاوه الذي يُدعى "بيتكانتروب" فقد أعلنت "الموسوعة البريطانية" ما يلي: (إنَّ القطع العظمية كانت قطعة من جمجمة تشبه جمجمة قرد كبير "كيبون" وعظم فخذ أيسر وثلاثة أضراس، وقد إكتشفت هذه العظام بعيدة الواحدة عن الأخرى نحو عشرين خطوة، وأكتشفت قطعة من الفك الأيسر في مكان آخر من الجزيرة، ولكن في طبقة أرضية من العمر ذاته)[247]

وقد مَرَّ معنا في موضع سابق[248]، رأي عالم الطبيعة مارش في كتابه "التطور أو الحلقة المفقودة" **حيث يقول:**

[1] خلق لا تطور، صفحه (112)، نقلاً عن جريدة: نيويورك تايمس، سنة 1959

[1] المصدر السابق، نقلاً عن: الموسوعة البريطانية.

[2] أنظر: الباب ألأول – الفصل الخامس عشر " الإنسان البدائي "، صفحة (132).

(هناك مثل آخر على تزوير الأدلة في قضية دوبوا الذي بعد سنوات من إعلانه الذي أحدث ضجة، والذي قال فيه أنّه إكتشف إنسان جاوة، إعترف أنه وفي الوقت نفسه وفي المكان ذاته، وُجِدَ عظاماً تعود بلا شك ألى الإنسان الحاضر)[249]

فإلى كل من يتشدّق بالعلم وإكتشافاته الباهرة، مبرهناً بذلك على صدق نظرية مفترضة، **نتوجه بالسؤال التالي** : هل يمكن أن نَصِفَ العثور على تلك القطع متناثرة بعيدة أحداها عن الأخرى مسافة خمس عشر متراً، مضافاً لها قطعة وجدت على بعد بضعة كيلومترات أنّ ذلك إكتشاف علمي ودليل على إثبات صحة نظرية؟ ثمَّ هل يجوز لنا الإدعاء أنّ كل تلك القطع كانت لإنسان واحد؟؟؟.

كانت تلك هي أمثلة بسيطة من أمثلة تزويرهم للعلم وتأويلهم له، ليكشف لنا عن كنه نظرياتهم الواهية، ومن مثل ما ورد ذكره وما سيرد لاحقاً، يتبين لنا بجلاء تام أنّ العلماء الذين نادوا بتلك النظريات لم يجدوا دليلاً أو شبه دليل على صدق مقولاتهم، اللهم إلا التجائهم إلى العلم يزوروه ليخادعوا به أنفسهم قبل أن يخدعوا
الناس في طريقة إثبات مقولاتهم، ولكن أنى لهم ذلك . وحتى تتضح الصورة أكثر، لنأخذ مثلاً آخر من الأمثلة الكثيرة المُثبِتَةُ للتزوير المُتَقَصّد من عالم التّطور غرو كلارك **حيث يقول:**

(من الخطأ الكبير أن يعتمد المرء في هذه الأمور على معطيات غير واضحة. وقضية سن الخنزير مثال علىذلك، وقصة ذلك أنه في سنة (*1922*) إكتشفت في نبراسكا[250] سن قيل أنه سن قرد "إنسان منقرض". وقد ثبت بعد ذلك أنّه سن خنزير بري، وليس من شك بأنّ هناك قليلاً من العلماء الذين لم يرتكبوا مثل هذه الأخطاء خلال حياتهم العلمية)[251]

ربما يقال أنّ كل تلك الحوادث قد جرى إعتمادها بطريق الخطأ ولم تكن هناك نيّة مبيتة للخداع والتزوير، إذ أنّ العلماء الذين إكتشفوها وإستندوا إليها قد توهموا في إكتشافهم غير الحقيقة، وللرد على ذلك نورد واقعة أخرى تدل على النيّة المبيتة في التزوير وقلب الحقائق وخِداع النّاس، والتي لا تحمل إلا ذلك ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تُصرَفَ إلى الخطأ وسوء التّقدير وتشابه الأمور وتعقدها، بل تُصرَفَ إلى سوء النّية المبيتة في التزوير وقلب الحقائق لخداع الناس وتوجيههم للإعتقاد الخاطئ، فقد كتبت "الموسوعة البريطانية" بمناسبة إكتشاف آخر: (لقد كان أعظم إكتشاف بعد ذلك هو إكتشاف "شارل داسون *Charles Dawson*" في "بلتداون *Piltidown*" في مقاطعة سويكس في إنجلترا بين سنتي (*1911*و*1915*)، إذ وُجِدَ الجزء الأكبر من النّصف اليساري من جمجمة إنسان، كما وُجِدَ قطعاً من النصف الأيمن من ذلك مهترئاً في بعض نواحيه، ولكن كان معه الضرس الأول والثاني في مكانهما

[3] المصدر السابق، نقلاً عن: *Evolution of special creation.*

[1] نبراسكا: إحدى ولايات " الولايات المتحدة الأمريكية " وتقع في الشمال الغربي من وسط البلاد.

[2] خلق لا تطور، صفحه (112).

وحفرة الضرس الثالث" ظاهرة... ويرى الخُبراء الإنجليز الآن: بأنّ الجمجمجمة والفك هما لشخص واحد هو إنسان بيلتداون)[252]

ولكن هل الخبراء الإنجليز الذين إكتشفوا ذلك فأجروا البحوث وأعطوا النتائج، هل هم منصفون وصادقون في ذلك؟ وهل كان عملهم في ذلك حقاً كرجال علم يبحثون بكل تجرد ونزاهة عن الحقائق فقط؟ أم أنهم كسابقيهم إندفعوا وراء رغبة جامحة في إثبات نظرية مفترضة مسبقاً، فزوروا لهل الحقائق وخدعوا الناس بها مستغلين العلم الذي يدعونه وألقاب العلماء التي يحملوها؟.

على كل تلك الأسئلة تجيب دورية "أخبار العلم *Scines news*" في عددها الصادر بتاريخ *1961/02/25*: (إنّ من أعظم الأخطاء المكتشفة بالطرق العلمية هي قضية إنسان بلتداون التي اكتشفت في سويكس في إنجلترا... والذي يعتقد بعض العلماء أنه يرجع إلى نصف مليون سنة إلى الوراء، وبعد أخذٍ وَرَدٍ ثَبُتَ بأنّ هذا ألإنسان لم يكن إنساناً بدائياً قط، بل هو مجموعة من جمجمة إنسان أليوم وفك قرد، وقد مُوِهَ بواسطة بايكربونات البوتاسيوم وبملح الحديد، لإعطائه شكلاً متحجراً أقدم من حقيقته، ولم تصبغ قطع الجمجمة فقط ، بل بُرِدَت الأسنان لكي تظهر وكأنها قد ذابت من الإستعمال)[253]

وكتبت دورية "المختار من ريدرز دايجست" في عددها الصادر في شهر تشرين الثاني سنة *1956* تقول: (إنّ جميع القطع المهمة قد مُوهَت وزورت أيضاً، وإنَ إنسان بيلتداون كان عملية تزوير من أولها إلى آخرها، وفي خِضَم هذه الشهادات بدا أنّ جميع أبطال تمثيلية بيلتداون كانوا أبرياء ما عدى شارل داسون)[254]

أي أنه قد جرى التّزوير المُتَقَصَد لخداع الناس عن قصد وسابق إصرار، ولم يكن ذلك نتيجة خطأ ما، ومصداقاً لذلك وتأكيداً لقناعتنا أنّ علماء التطور قد إفترضوا نظريات هشّة لا تمت للواقع بأي صلة ولا تقوم على أي دليل يثبت

صدقها وصحتها، وتلمسوا بعد ذلك ألأدلة الواهية التي وجدوها أو تلك التي إصطنعوها خداعاً لإثبات مقولاتهم لعرضها كحقائق علمية ثابتة وباسم العلم المجرد النزيه، في حين أنّ النّزاهة منهم براء برائة الذئب من دم إبن يعقوب، وفي ذلك تقول "مجلة العلوم الأمريكية" في عددها الصادر في شهر كانون الثاني *1965*: (إنّ جميع علماء التّطور لايتورعون عن اللجوء إلى حيلة لينسجوا أدلة وهمية لإثبات ما ليس لديهم عليه من دليل)[255]

لقد جاء المقال المذكور تعقيباً على نَيْزَك[256] يحتوي على مواد عضوية إتخذه العلماء دليلاً على التّطورحيث قال : (إنّ فحص قطعة من هذا النيزك الذي سقط في الجنوب الغربي من فرنسا منذ أكثر من قرن من الزمن، فقد دَلّ على أنّ هذا الجسم السماوي قد مُوِّهَ بمهارة فائقة بمواد عضوية أرضية،

---

[3] المصدر السابق ، صفحه (113) ، منقولاً عن : الموسوعة البريطانية .

[1] المصدر السابق، نقلاً عن: مجلة ساينس نيوز – عدد 1961/2/25.

[2] خلق لا تطور، الصفحات (113 – 114)، نقلاً عن مجلة: المختار من ريدرز دايجست – عدد نوفمبر 1956.

[1] المصدر السابق، صفحه (114)، نقلاً عن: مجلة العلوم ألأمريكية – عدد يناير 1965.

[2] النيزك: (ج) نيازك: كلمة فارسية معربة ومعناها الرّمح الصغير = تصغير رمح. –لسان العرب – النيزك: جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جو الأرض احترق وظهر كأنه شهاب متساقط. – المعجم الوسيط –

ويبدو أنّ المزورين قد وضعوا قطع النيزك في الماء كي تلين، ثم أنهم أضافوا إليه مواد غريبة مختلفة، ثم أنهم بإستعمال الصَّمغ موهوا سطحه لكي يشبه من جديد القشرة التي تحدث بالحرارة الجوية... ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ هذا النيزك سقط بعد خمسة أسابيع من إعلان العالم باستور *Louis Pastor*[257] دفاعه العظيم عن خلق ألإنسان والذي كانت له ضجة كبيرة في الأوساطُ، حين أعلن بأن الحياة لا تأتي إلا من الخالق العظيم).[258]

يتضح مما سبق أن التزوير حاصل وموجه ومتقصّد ، وأنّ جميع أو معظم علماء التطور قد جندوا أنفسهم أو جندتهم قوى معينة مستترة خلفهم، يرأسهم شيطان عتل زنيم، وكلهم بلا إستثناء قد جُنِدوا لكي يبعدوا ألإنسان عن الإعتقاد بأنّ لهذا الكون خالقاً أوجده من العدم، فعودة ألإنسان إلى الإيمان بالله تعالى خالقاً ومدبراً لهذا الكون هو الذي يقض مضجعهم ويقلق بالهم، مما يدفعهم إلى تجنيد كل إمكاناتهم لمحاربة هذا ألإيمان بكل الوسائل وألأساليب الممكنة – بما في ذلك تزوير العلم وإستعماله سلاحاً في خداع الناس وتسميم معتقداتهم وأفكارهم – لإبعادهم عن أولى وأهم الحقائق وهي النّاحية الروحية في الأشياء من كونها مخلوقة لخالق أوجدها من العدم، مانعين بذلك إدراك الإنسان لتلك الصلة وتصديقه الجازم بها.

وهناك خدعة ثانية تقوم على تقديم معطيات ذات وجهين بشأن التطور وذلك لخداع الجهلاء، فمن ذلك أننا كثيراً ما نرى مستحاثات مرصوفة بشكل يدعوا السذج والجهلاء إلى الظن بأنّ بعضها ناشئ من البعض الآخر ومتولد عنه، في حين أنّ علماء التطور أنفسهم يعترفون بعكس ذلك، وأمثال تلك الخدع معروضه على سبيل المثال في المعرض الأمريكي للتاريخ الطبيعي بنيويورك، إلا أنّ كل تلك الخدع والمخاتلات لا تنطلي على أصحاب العقول النيّرة.

وطريقة أخرى في الخداع تقوم على الإيحاء بأنّ الإنسان منحدر من قرد، بينما نظرياتهم الحديثة تنفي ذلك، على أنّ هذا النفي لم يمنع مؤلف كتاب "الأنسان الأول" من أن يعنون الفصل الثامن من كتابه هذا بعنوان: من ألإنسان القرد إلى ألإنسان.[259]

---

[3] باستور، *Lois Pastur.*، مؤسس علم الميكروبات (1822– 1859)، أستاذ الطبيعة بمدرسة الليسسيه في كلية ويجون عام (1848)، أستاذ الكيمياء بجامعة ستاسبورج عام (1849)، عميد كلية العلوم في مدينة "ليل" عام (1854). راجع تصريحه عن الخلق في الفصل الرابع من هذا الباب، صفحه (195) انظر أيضاً: الباب الأول، الفصل الثاني، صفحة (21).

[4] المصدر السابق، نقلا عن: *American Since Magazine: January 1965.*:

[1] خلق لا تطور، صفحه (114).

يتضح من كل هذا أنّ تفسير علماء التطور للمستحاثات وإعادتهم تركيب أجسام أجداد الإنسان المزعومين ليست إلا مهازل علمية تقوم على أوهام وإفتراضات واهية، لا تستند إلى الحقيقة بأي سبب من ألأسباب، وأنّ سلسلة التطور تنطوي على ثغرات كثيرة زمنية وعلمية وجغرافية، **وتدل المعطيات العلمية ألأكيدة إلى أنّ ألإنسان لم ينحدر من الحيوان مطلقاً ، بل أنّ الله تعالى قد شَرَّفَهُ بتكوينه على خلقة إنسانية متميزة عن باقي المخلوقات**. وأن هدا الإختلاف في التركيب موجود منذ الأزل وسيبقى إلى ألأبد ما دام هناك إنسان وما ظلّت هناك حياة. وبسبب هذا الخلق المتميز للإنسان لا يستطيع التلاقح مع أي حيوان كان، بل سيبقى في نطاق جنسه تبعاً لأحكام مولده، هكذا كان... وهكذا سيظل دائماً.

إنّ ألإنسان لم ينتقل قط من أي طور حيواني، ولم يثبت عكس ذلك لا علمياً ولا تاريخياً كما أنه لم يثبت عقلياً، إلا أنه قد مرّت حوادث أثبتها التاريخ نقلاً عن مصادر – ثبت صدقها عقلاً –[260] أنّ الإنسان قد تحول في أحوال خاصة إلى حيوان، ولم يكن ذلك سنة من سنن الحياة ولا قاعدة من القواعد، إنما هي حوادث مسخ وعقاب للمتمردين العاصين[261]، وقانا الله تعالى من المسخ والعقاب.

ويكفي أن ننقل تصريح العالم الفسيولوجي "تهمسيان *T.N.Tammisian*" الملحق باللجنة المركزية للطاقة النووية: (إنّ العلماء الذين يؤكدون على أنّ التطور واقع علمي هم منافقون، وأنّ ما يروونه من أحداث إنما هو من الشعوذات التي إبتدعت، ولا تحتوي على نقطة واحدة من الحقيقة) واصفاً نظرية التطور أنها: **خليطٌ من الأحاجي وشعوذة الأرقام**.[262]

أما " كلوتز *J.W.Klotz* " رئيس العلوم في إحدى الجامعات الأمريكية فيقول : (إنّ الإعتقاد بالتطور يحتاج إلى كثير من السذاجة.)[263]

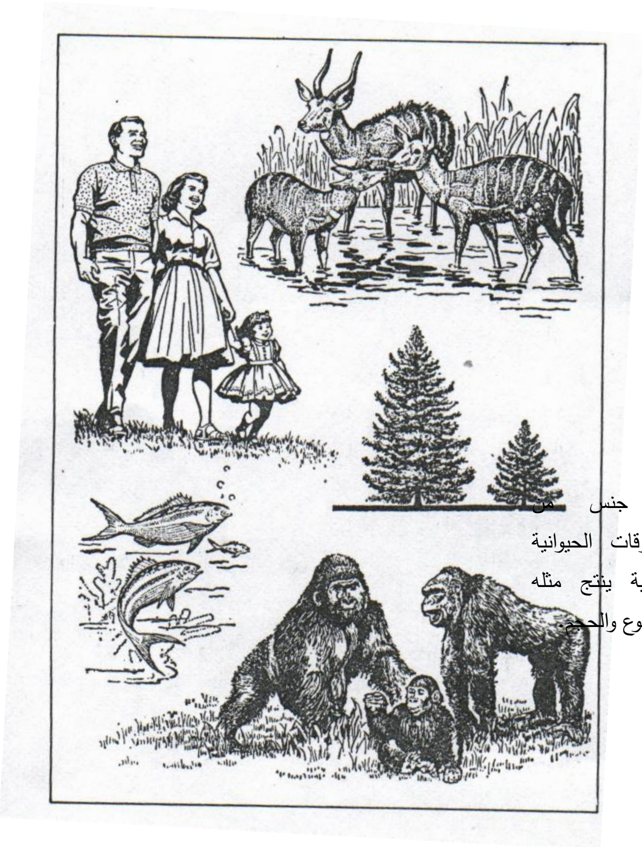
---

[1] القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

[2] أنظر بحث: من هو الأصلح للبقاء؟، الباب الرابع، الفصل الثامن.

[3] المصدر السابق، صفحه (19).

[1] المصدر السابق، صفحه (20).



كل جنس من المخلوقات الحيوانية والنباتية ينتج مثله في النوع والحجم.

لم تحمل شجرة بلوط قط سفرجلاً أو تفاحاً أو موزاً ، ولم يلد أي حوت سمكة ... والإنسان لم ينتقل قط من أي طور حيواني .... ولا يستطيع التلاقح مع أي
حيوان كان ... بل سيظل في نطاق جنسه تبعاً لأحكام مولده ......
هكذا كان وهكذا سيظل أبداً ما دام هناك إنسان وما ظل هناك حياة : قانون وقواعد ونواميس يتم بموجبها كل خلق وكل نشــوء كان .....[264]

[2] الصورة منقولة من كتاب "خلق لا تطور" صفحه (136).

الأعضـــاء البدائيـــة والإنتخـــاب الطبيعـي

من المبررات التي يسوقها علماء التطور للإستشهاد بها على تطور ألإنسان: تعللهم بوجود ما يسمونه "الأعضاء القردية = الأعضاء الأثرية = الأعضاء البدائية ، *Vestigial organs*"، ومن ذلك ما يعتبرونه بقايا أعضاء كانت مفيدة فيما مضى من ألأطوار، وأصبحت فيما بعد مع تطور الإنسان أعضاء زائدة لا نفع لها ولا فائدة منها، مثل **الغدّة الصـقرية**، وقد إعتمدوا كثيراً في إثبات نظرياتهم على تلك النّظرية.

(والأعضاء البدائية أو ألأثرية *Vestigial organs* هي عبارة عن أعضاء قزمة لا فائدة لها عادة توجد في عدد من الحيوانات "وأحياناً النباتات" أقاربها *relatives*، تحتوي على هذه ألأعضاء في صورة كاملة وتؤدي وظيفة ما، وتمثل هذه ألأعضاء دليلاً مقنعاً على حدوث التطور مستنبطاً من علم التّشريح المقارن، إذ لا يمكن تفسير وجودها إلا بأنها جزء من تصميم عام كان موجوداً في ألأسلاف ولم يختف تماماً بالرغم من أنها أصبحت عديمة الفائدة، ولقد قدّم العالِم ألألماني "فيدرشايم *Weiderscheim*" قائمة تحتوي على حوالي مائة عضو أثري توجد في الإنسان سنذكر بعضها هنا بايجاز، وخير مثال هو: الزائدة الدودية*Vermiform appendix* التي لا تقوم بأي وظيفة في ألإنسان فضلاً عن أنها تمرضهُ إذا إلتَهَبَت، وكذا يمكن إعتبار **ضـروس العقل** *Wisdom teeth* في ألإنسان أعضاء أثرية لا فائدة منها لأنها لا تستعمل في تفتيت الطعام لصغر حجمها، أما في الرّئيسيات ألأخرى مثل القردة فإنّ ضروس العقل تكون قوية ومفيدة مثل بقية الأسنان. وهناك أنواع قليلة من **ألخنـــافس** *Bettles* لها جناحان ضامران لا يقدران على الطيران ولا فائدة لهما)[265]

(ويؤمن عالم التّطور الأمريكي المعاصر "سيمبسون *Simpson*" أنّ بعض الأعضاء الأثرية التي تفقد وظيفتها الأصليّة قد يحدث فيها تخصيص لأداء وظيفة أخرى . فمثلاً نجد أنّ جناح طائر **ألبطريـق** *Penguin* ضامر إلى حد كبير بحيث لا يسمح للطيران ولكنه أصبح مجدافاً كفوءاً للسّباحة، وكذلك جناح **النعامـــة** *Ostirish*" فهو صغير للغاية ولكنه يستعمله كعضو للتوازن خصوصاً حينما يغير الطائر إتجاهه وهو يجري بسرعة)[266]

[265] دورية "عالم الفكر"، المجلد الثالث، العدد الرابع، صفحه (19). في مقال للدكتور علم الدين كمال بعنوان (تطور الكائنات الحية).

[266] المصدر السابق، صفحه (20).

وقد جاء في دورية "المختار من ريدرز دايجست" عدد شهر ديسمبر *1966* ما يلي: (منذ عشرين قرن على الأقل، والأطباء يتسائلون عن عمل عضو صغير بلون رمادي موجود في أسفل العنق وراء عظم القص ويسمى الغدة الصقرية، وقد إتفق العلماء الحديثون على أنهُ عضو زائد لا فائدة منه بعد أن فقد عمله ألأساسي، غير أنَ ألأبحاث الحديثة التي قام بها علماء أمريكيون وإنجليز وأستراليون وسويديون قد كشف سِرّ هذه الغدة، وظُنّ أنها ألغدّة الرئيسية التي تنظم عمليات الحضانة من ألأمراض المُعدية... فهل هذه الغدّة هي وحدها هي التي تتولى حمايتنا؟ كــــلا، بل لقد ثبت بنتيجة التجارب الحديثة ألتي أجراها الباحثون بأنّ الزائدة واللوزتين والنباتات الغذائية يمكن أن تلعب دوراً مشابهاً في الحضانه).[267]

وفي نفس الموضوع كتبت "الموسوعة البريطانية" تنفي فكرة عدم ضرورة ونفع بعض ألأعضاء قائلة: (إننا نعرف ألآن عدداً من ألأعضاء كانت تسمى بدائية، بينما هي تقوم بأعمال ذات شأن) .

ونخلص من ذلك أنه لا يوجد لنا أي مبرر للإدعاء أو وصف عضو ما بأنَهُ بدائي لا فائدة منه وذلك لمجرد أنّ عقلنا الناقص والعاجز والمحتاج إلى معلومات قد قَصّرَ أو جهل عن فهم ذلك العضو ووظيفته، أو إدراك حقيقة حكمة الله الخالق في خلقه، أو حتى لأنه في نظرنا لا يعمل بالصورة التي يريد له عقلنا المحدود أن يعمل.

والملاحظ لدى ألأطباء أنّ هناك حالات مَرَضية كثيرة تصيب الحَلق أكثر من حالات مرض الزائدة، ومع ذلك فلا أحد يصف الحلق بأنّه بدائي، في حين أنهم وصفوا ذلك الجزء من ألأمعاء بانه بدائي ولا لزوم له حين سموه "الزائدة *vermiform appendex*" أضف إلى ذلك أنّه يجب على أصحاب نظرية التّحول والانتقال أن يثبتوا بأنّ ظهور أعضاء جديدة في جسم ألإنسان هي أكثر نفعاً له، لأنّ ضمور ألأعضاء لا يثبت التّطور بل على العكس يوحي بأنّ الإنسان قد إنحطَ وتَراجع ولم يتطور إلى ما هو أصلح كما يزعمون.[268]

إنّ البحث في ألأعضاء البدائية يقودنا إلى أهم أبحاث "أصل ألأنواع" لدى من قال بالتطور وهو بحث "الإصطفاء الطبيعي" أو "الانتخاب الطبيعي" والذي ينبع من قاعدة "البقاء للأصلح" التي بُني بموجبها بحث "الأعضاء البدائية"، وهذا هو موضوع الفصل الرابع من كتاب داروين "أصل الأنواع"[269]

حيث يقول داروين:

(ولدينا من الأسباب ما يسوقنا إلى الإيمان بأنّ تغير حالات الحياة التي أدلينا بها في الفصل الأول[270] تزيد من قابلية الاستعداد للتّحول في الأنواع، بمثل ما تزيدها تأثير السنين التي ذكرتها في ألأسطر السابقة من تغاير الحالات المحيطة في الكائنات، إذ تساعد الانتخاب الطبيعي على إبراز آثاره، وتهئ للأنواع جُمَّ الفُرَص للسيادة بما تحْدِثه من التّحولات المفيدة، ولو لم تظهر تلك التحولات لما كان

[267] خلق لا تطور، صفحه (116)، نقلا عن: المختار من ريدرز دايجست، طباعة مصر، عدد شهر ديسمبر عام 1966.

[1] إنّ هذا البحث منقول بتصرف من كتاب "خلق لا تطور" للدكتور إحسان حقي، الصفحات (110–116).

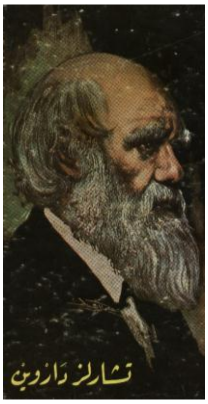
[2] المرجع، الفصل الرابع، الصفحات (213 – 218).

[1] المرجع الفصل الأول " التحول بالايلاف " صفحه (123 – 166).

للإنتحاب الطبيعي أثر ما...[271] وقد نستطيع أن نقول على سبيل المجاز: أنّ الإنتخاب الطبيعي قوة دائبة الفعل كل يوم، بل كل ساعة في إستجماع التّحولات العرضية في العالَم العضوي كافة، نافية كل كان مُضِراً، مبقية على كل ما كان منها مفيداً صالحاً، تعمل في همودها وسكونها عملها الدائم، ما سمحت الفرص في كل زمان ومكان، لتهذيب كل كائن من الكائنات بما يلائم طبيعة حالات الحياة المحيطة به، ما اتصل منها بالموجودات العضوية وما اتصل بغير العضوية، غير أننا لا نلاحظ شيئاً من التّرقي المنبعث عن التحول البطئ، حتى يظهر لنا من الزمان ما استدبر من الدهور في سبيل إبرازه، على أننا لا نعلم شيئاً سوى أنّ صور الحياة في هذا العصر تغاير صور الزمان الماضي، ذلك ناشئ عن النقص والتخلخل الواقع في مواد النظر المستجمعة من البحث في أطوار تكون الطبقات الجيولوجية التي عفت آثارها ودرست رسومها منذ أزمان موغلة في القدم).[272]

وكأمثلة على الصراع لبقاء ألأصلح الموجب للإصطفاء الطبيعي يقول: (فإنّ ذكور القاطور[273] "التمساح الأمريكي" بعضها يقاتل بعضاً قتالاً عنيفاً، وتخور إذا إشتّد القتال خوراً شديداً أشبه بخوار الثيران القوية، ويدور بعضها حول بعض كما يفعل مستوحشوا الهنود الحمر في رقصة الحرب عندهم . وشوهد أنّ ذكور

الصمون[274] "السلمون" تقاتل يوماً بأكمله حتى يستقر لكل من الذكور نصيبه من الإناث، وكذلك ذكور ضرب من الجعلان يقال له **الجعل الوعلي**[275] قد تصيبها جراح خطرة نتيجة تلك المنافسة إذ يقضم بعضها بعضاً بأفكاكها السفلى، ولاحظ "مستر فابر" أنّ ذكور بعض أنواع الحشرات غشائية الأجنحة[276] تتقاتل قتالاً مراً، حيث تنتظرها عن كثب أنثى من إناثها تصبح غنيمة المنتصر منها).[277]



وتحت عنوان "أمثال لفعل الانتخاب الطبيعي أو بقاء ألأصلح "يستطرد الكتاب في سرد الأمثلة وتحليلاتها **حيث يقول:**

(... وليكن الذئب مثالنا الأول: فإنّ هذا الحيوان يعيش على ضروب مختلفة من الحيوان يتغلب عليها طوراً بدهائه ومكائده، وطوراً آخر بقوته الجسمانية وسُرعَة عَدوِه، ولنفرض أنّ أسرع الحيوانات عَدواً، كالغزال مثلاً، قد زاد عدده في البقاع التي يقطنها الذئب زيادة كبيرة، وفاق ما يكون قد طرأ على ظروف الإقليم المحيطة به من المؤثرات التي

---

[2] المرجع ، صفحه (216) .

[3] المرجع، صفحه (218).

[4] القاطور (التمساح الأمريكي): *Alligator*، تمساح أمريكي من فصيلة Alligatoridae، ويعتبره البعض من فصيلة التمساحيات Crowdilidae، موطنه أمريكا وأنواعه كثيرة، وأشد أنواعه افتراسا يقطن في جنوب الولايات المتحدة، ويصل طوله إلى عشرين قدماً.

[1] الصمون: كلمة مُعَرَبَة "Salmon " من فصيلة الصمونيات *Samonidae.*

[2] الجعل الوعلي " *Stay Beetle* ": نوع من الحشرات الغمدية الأجنحة، سمي الوعلي إشارة إلى ملامسه التي تشبه قرون الوعل.

[3] الغشائية الأجنحة *Hymenoptera* : أنواع متعددة من الحشرات ، مثل : النمل ونحل العسل .

[4] المرجع، الصفحات (224 – 225).

تعين على زيادة عدده، وأنّ غيره من الفرائس قد تناقص. ولنفرض أيضاً أنّ هذه الزيادة قد طرأت على الغزال خلا ل فصل من الفصول تشتد وطأة الجوع على الذئاب فيه، ففي مثل هذه الظروف، تكون أشد الذئاب عدواً، وأخفها أجساماً، وأمتنها بنية، هي أكبر المجموع حظاً من البقاء، وبهذا تحفظ نوعها وتنتخبها الطبيعة للبقاء فيها، إذ تكون قد إستعادت في تلك الضائقة المعيشية قوتها التي تتغلب على فرائسها، سواء في هذا الفصل أو في غيره من الفصول، عندما نضطر إلى إقتناص فرائس أخر غير الغزلان)[278]

وفي بحث "الإنقراض نتيجة للإنتخاب الطبيعي" يتعرض داروين إلى (...وقد عرفنا مما فصلناه أنّ تأثير الانتخاب الطبيعي مقصور على الاحتفاظ بضروب التحولات التي تكون بحالٍ ما ذات فائدة للصور الحية، إحتفاظاً يجعلها فيما بعد من الصفات الخاصة بتلك الصور الراسخة في طبائعها، والكائنات العضوية إذ كانت بطبيعتها تزداد زيادة مستمرة بنسبة هندسية كبيرة، فإنّ كل بقعة من البقاع تصبح مشحونة بما يأهل بها، يستتبع ذلك أنّ الصور المهذبة المنتقاة تزداد في العدد، حيث ينقص عدد الصور المنحطة المستضعفة.......)[279]

إلى أن يقول: (إستبان لنا من قبل أنّ أكثر ألأنواع أفرداً أكبرها حظاً في إنتاج تحولات مفيدة في زمن معين، ودليلنا على ذلك حقائق أوردناها في الفصل الثاني من هذا الكتاب،[280] أثبتنا فيها أنّ الأنواع العامة السائدة أوفر الأنواع إنتاجاً للضروب، وعى ذلك تكون ألأنواع النادرة أقل قبولاً للتهذيب وإستحداثاً لضروب الإرتقاء خلال زمن ما، فيضرب عليها الاستضعاف في معمعة التناحر على الحياة مستهدفة لغارة شعواء تشنها عليها أعقاب الأنواع المحسنة .

تسوقنا هذه ألإعتبارات إلى ألتسليم بأنه كلما جد الانتخاب الطبيعي في استحداث أنواع جديدة خلال تعاقب الأجيال، مضت أنواع غيرها ممعنة في سبيل الندرة درجة بعد درجة، حتى يأتي عليها الإنقراض والصور التي تكون أشد إحتكاكاً في المنافسة بتلك الأنواع المهذبة الراقية، أكثر الصور معاناة لتلك المؤثرات، ولقد رأينا في الفصل الذي عقدناه في التناحر على البقاء أنّ التنافس أشد ما يكون بين الصور المتقاربة الأنساب كضروب النوع الواحد، أو أنواع جنس بعينه، أو الأجناس ذات اللحمة الطبيعية، وذلك لتشابه أشكالها وتراكيبها وعاداتها وإشتباك مصالحها)[281]

ويجدر ملاحظة أنّ الإنتخاب الطبيعي في مقولاتهم تختلف قوته من قطر لآخر، تبعاً لإختلاف ظروف البيئة بين ذلك القطرين، هذا ما يؤكده داروين **حيث يقول:**

---

[5] المرجع، صفحه (223 – 228).

[1 المرجع، صفحه (253).

[2] يقصد فصل " التحول بالطبيعة " الصفحات (167 – 189) من المرجع.

[3] المرجع، صفحه (254).

(والإنتخاب الطبيعي لا يؤثر في النظم العضوية إلا بحسب طبيعة المراكز التي تشغلها الأحياء في البقاع التي تأهل بها، فالبقاع إما أن تكون غير مُستعمَرَة البَتّه، إما أن يكون في نظامها العام مراكز خالية لم تحتلها عضويات ما، وبنسبة ذلك يكون تأثير الإنتخاب الطبيعي)[282]

وفي نظر داروين وأتباعه فإنّ الصراع بين الكائنات على البقاء المؤدي إلى بقاء الأصلح بطريق الإنتخاب الطبيعي، والذي بدأ أول ما بدأت الحياة، وإستَمَرَ إلى يومنا هذا، سيستمر مستقبلاً مزيلاً ولاغياً لأنواع وصنوف من الكائنات فشلت في معركة الصراع على البقاء، وسيظهر ثبات أنواع ممتازة، نجحت في كسب معركة الصراع، فأثبتت أنها الأصلح الجديرة بالبقاء، ولبيان أي الأنواع سينقرض ويتلاشى، ومن سيسود يقول داروين:

(فإذا نظرنا إلى المستقبل أمكننا أن نتنبأ بأنّ مجاميع الكائنات العضوية الحائزة لصفات السيادة في الزمان الحاضر ، بحيث لا تستبين في مراكز نظامها الطبيعي أي تخلخل أو إنشعاب، هي أقل الجموع تأثراً بعوامل الإنقراض، وأنها سوف تمضي ضاربة في في الإزدياد والتكاثر العددي أزماناً طويلة، ولكننا لا نعرف أي الفصائل سيكون لها الحظ الموفور إستناداً على ما رأينا من تاريخ العضويات، فإنّ بعض العشائر التي حازت في الماضي أكبر الحظ في الإنتشار والذيوع قد إنقرضت. فإذا أوغلنا النظر إلى طيات المستقبل، أمكننا أن نتنبأ إستناداً على ما نراه من تكاثر العشائر الكبرى، ومضيها متدرجة في التكاثر العددي بأنّ كثيراً من العشائر الصغرى سوف تنقرض إنقراضاً تاماً غير معقبة من السلالات الراقية شيئاً

مذكوراً، ويكون القياس في هذه الحال أنّ الأقلية العظمى من الأنواع ألتي تعيش في عصر من العصور هي التي تفوز بأعقاب سلالات راقية تبقى ثابتة في الطبيعة إلى مستقبل بعيد ... غير أني أضيف إلى ما سبق أنه إستناداً على هذا الرأي تكون الأقلية العظمى من الأنواع القديمة، هي التي أعقبت أنسالاً لا تزال باقية إلى الزمان الحاضر)[283]

وينقض كل ذلك من الأساس، أنّ نظرة بقاء الأصلح لا تتفق مع الواقع بتاتاً، إذ أنها توجب إنقراض الصّور المنحطة من المخلوقات، وذلك غير مطابق للواقع، إذ أنها لا زالت باقية متكاثرة لم تنقرض كما نشاهد، مكذبة القائلين ببقاء الأصلح، كما يقول علماء التطور بإنقراض أنواع مثل الديناصور وهي الأقوى، فلِماذا انقرض الديناصور وبقيت الأميبا؟. **على هذا السؤال وأمثاله**، وبطريقة ثعلبية فاشلة يجيب داروين قائلاً:

(ولكن قد يُعتَرَضُ علينا بأنه إذا كانت كل الأنواع العضوية تنزع إلى تسلق ألسُلّم في نظام الطبيعة، فكيف يقع في جميع أنحاء الأرض أنّ عدداً وفيراً من أحط الصور لا يزال باقياً حياً ، وكيف يقع في كل

---

[282] المرجع، صفحه (264).

[1] المرجع، صفحه (271 – 272).

طائفة من طوائف الأحياء الكبرى أن تكون بعض الصور قد ضربت في الارتقاء بدرجة كبيرة عن غيرها؟ ولماذا لم تتغلب الصور الأكثر إرتقاء على غيرها من الصور الأدنى وَأفنتها في كل بقعة من البقاع؟. يلوحُ لي أنّ لامارك وكان يؤمن بوجود نزعة فطرية حتمية نحو الإرتقاء في جميع الكائنات الحية، قد لمس هذه الصعوبة وأدركها بعمق، حتى لقد سبق له أن فرض أنّ الصور الجديدة البسيطة تتجدد دائماً عن طريق التولد الذاتي[284] على أنّ العلم لم يُقم الحجة بعد على صحة هذا الإتجاه، مهما يكن من أمر ما يمكن أن يتمخض عنه المستقبل إزاء ذلك، بمقتضى نظريتي لا يترتب صعوبة على استمرار

وبقاء الصور المنحطة من العضويات، ذلك بالإنتخاب الطبيعي، وبالحري بقاء الأصلح، لا ينطوي ضرورة على تحول إرتقائي، بل أنه يقتصر على الإنتفاع بالتحولات إذا جدت وكانت ذات فائدة لكل كائن حي في ظل علاقاته الكثيرة المعقدة في الحياة.)[285]

ويرجع بعد ذلك إلى التعليل والتأويل والاحتمالات مستعملاً الكلمات التشكيكية : قَد ، يُحْتَمَل ، حيث يستطرد :

(... وأخيراً فإني أعتقد أنّ وجود كثير من الصور المنحطة التّركيب العضوي في أنحاء العالَم يرجع إلى أسباب متفرقة، فالتّحولات والتباينات الفردية ذات الفائدة، قَد لا تكون قد حدثت حتى تتهيأ الفرصة للإنتخاب ليعمل ويستجمع، ومن المُحْتَمَل أنه في حالة من تلك الحالات كفى فيها الزّمن لإبراز أقصى ما يمكن من الارتقاء والتطور، وفي حالات أخرى نادرة، رُبَما يكون قد وقع ما نسميه "تكوص"[286] النظام العضوي)[287] إلى أن يقوم بالإستخلاص موضحاً :

(والانتخاب الطبيعي، على أساس إتصاله بتوارث الخصيات في العصور المقابلة، يَسامتُ نفس الدور الذي ظهرت فيه الخصيات أولاً في آباء الأنسال، يغير من صفات البيض أو البذور أو صغار النّسل ، بقدر ما يغير من صفات الأفراد البالغة. أما ألإنتخاب ألجنسي فيمد ضروب ألإنتخاب ألأخرى بمهيئات ألإحتفاظ بأقوى الذكور وأعظمها كفاية لملائمة الظروف، فتنتج أكبر عدد يستطاع إنتاجه من ألأنسال ألقوية، ويغير من صفات الذكور من طريق تناحرها مع غيرها، فتنتقل صفاتها إلى ألزوجين، ألذكر وألأنثى من أعقابهما، أو إلى أحدهما لا غير وفقاً لما يكون من تأثير ألوراثة في إنتاجها.

فإذا أردنا أن نزن تلك الإعتبارات التي نعزو إلى الإنتخاب الطبيعي بميزان الخدمة، لنعرف مقدار إنطباقها على الواقع وتأثيرها في تهذيب الصور الحية حتى

---

[2] التولد الذاتي: *Spontaneous Generation*: يعني تولد ألحي من ألحي.

[1] المرجع، الصفحات (274 – 275).

[2] النكوص: *Retrogression*

[3] المرجع، الصفحات (276 – 277)

تصبح ذات كفاية تامة لما يحيط بها من ظروف الحياة المختلفة الملائمة لمراكزها التي تشغلها في الطبيعة، فذلك ما يجب أن نرجع إليه في الفصول التالية، ولو أنه قد ثبت لدينا أنها السبب المباشر في حدوث الإنقراض. أما ما أحدثه الإنقراض في تاريخ العضويات، فعلم طبقات الأرض خير شاهد عليه)[288]

وبإستعراض جميع ما تقدم من أقوال داروين نجد أنها هرطقات وسفسطات وفارغاً من القول، يقصد منه زج السامع في دوامة تبريرات هي أبعد ما تكون عن الواقع، وإستدلالات في غير مواضعها، ويفسّر عالِم التّطور "بيير *Beer Sir Gavin*" النظرية في كتابه "شارل داروين" :

(إنّ التطور تابع للإصطفاء الطبيعي، ويزعم القائلون بالإصطفاء أنّ الطبيعة تلجأ إلى الإنتخاب، وتحتفظ بالإنتقال النافع، وتنفي الإنتقالات الضارة، وبهذه الصورة يتحول الكائن الحي إلى نوع رفيع.)[289]

وأكثر الإنتقالات تكون ضارة فكيف تستطيع الطبيعة أن تنتخب؟ ثم لو فرضنا جدلاً بأنّ كائناً من الكائنات حصل على إنتقال نافع، فلا بدّ لهذا الإنتقال أن تتلوه إنتقالات كثيرة ضارة، وفي هذه الحالة إذا تدخلت الطبيعة فإنّ كل ماتستطيع فعله هونبذ هذا الكائن المنتقل ليس إلا، علاوة على أنّ بقاء الكائن الحي لا يدل بقاؤه على أنه كان نتيجةً للتطور، بل هو نتيجة ظروف خاصة وعمرٌ محتومٌ. ومثال على ذلك إذا كان لدجاجة بضعة فراخ فأكل أحد الطيور الجارحة بعضها، فهل يعدُ الباقي أكثر تطوراً من الضحايا وأجدر بالبقاء؟ طبعاً لا، إضافة إلى أنّ الانتخاب الطبيعي لا يحول الفراخ إلى خراف ولا يحول الأرنب إلى جاموس، ثم إذا قام رجلان
بالتشاجر على أنثى، فقتل أحدهما الآخر، وكان القاتل الضعيف، والمقتول الأقوى الأصح، فهل الضعيف هو الأجدر على البقاء؟... إنها تفسيرات واهية لم يقتنع بها حتى بعض مشاهير دعاة نظرية التطور، فكثيرٌ من القائلين بالتحول يعترفون بأنّ الانقلاب والإنتخاب الطبيعي مجتمعين لا يكفيان لتفسير آلية التطور، فقد كتب التطوري المتعصّب "جيمس جري" في كتابه "العِلم اليَوم" يقول:

(إنّ كلّ علماء ألأحياء غير مقتنعين بهذا التفسير، ويذهب بعضهم إلى أنّ هذه الدعوى تشبه إلى حد ما القول بأنه لو إتفق أن إجتمع عدد كافٍ من القرود، وضربت على الآلة الكاتبة مدّة من الزمن، فإنها لا بد وأن تنتهي بوضع موسوعة، وبديهي أنّ هذا القول ليس قابل للتصور قط، بل لا يوجد شخص يتمتع بقواه العقلية يحمله على محمل الواقع.)[290]

---

[1] المرجع، الصفحات (281 – 282).

[289] د. إحسان حقي، " خلق لا تطور " صفحه (78)

[1] د. إحسان حقي، " خلق لا تطور " صفحه (79). نقلا عن: *Hugu Miller-Progres et Declin.*

فعلينا إما أن نقبل الإصطفاء الطبيعي كدليل وحيد على آلية التطور، وأن نقبل بأنّ فيه قسطاً من الخيال، وإما أن نعترف بأنّ الإصطفاء الطبيعي يقوم على أساس الانتقال العرضي الذي يأتي إتفاقاً وأن نعطي للمصادفة دوراً أكثر أهمية في هذا الميدان.... وإذا اعتبرنا التطور العضوي نوعاً من يانصيب الطبيعة فإنه يبدو من الغرابة بمكان أن تكون أوراق هذا اليانصيب الرابحة بهذا القدر من الكثرة. ومع هذا فإني أقول: أن ليس هناك ما يثبت أن رأيي خير من غيره من الآراء.)[291]

وفي نفس الكتاب يقول العالِم التطوري وأستاذ علم الوراثة عند الحيوان في جامعة ايدنبرج "وادنغتون" ما يلي:

(إنّ هذا القول يعدل الزعم بأنك إذا بدأت بكتابة أربعة عشر سطراً متلاحمة باللغة الإنجليزية ثم أنك غيّرت حرفاً مع الإحتفاظ بالقافية فإنك تنتهي بأن تجد لديك
قصيدة من قصائد شكسبير... إنّ هذا النوع من المنطق هو انحراف عن جادة الصواب، وأعتقد أنه علينا أن نكون قادرين على صنع ما هو خير من هذا)[292]

أما العالم التطوري الشهير "سمبسون *George Gaylord Simpson*" فيقول في كتابه "جغرافية التطور": (لقد أُهمِلَ البحث عن سبب التطور، إذ أصبح من الثابت الآن أنّ سبب التطور ليس وحيداً ولا بسيطاً)[293] لــذا فقد أعلن العلامة "والاس": (إنّ الإرتقاء بالإنتخاب الطبيعي لا يصدق على الإنسان ولا بدّ من القول بخلقه رأساً)، أما "فرخو" فيقول: (إنّه قد تبين لنا من الواقع أنّ بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً فلا يمكننا أن نحكم بأنّ الإنسان من سلالة قرد أو غيره)[294] أما "أجاسير" فيقول: (إنّ النشوء لا يتم إلا وفقاً لخطّة إلهية حكيمة، وإنّ الأصطفاء الطبيعي إذا ما حَلّ مَحَلَ الخلق الإلهي فإنّ الإنسان قد جرد من روحه وغدا آلة صماء، إنّ التفسير الحرفي لنظرية داروين يفسح المجال لِتَأليه سوبرمان نيتشه وتمجيد القوى البدنية على أنها ألأساس الوحيد للسلوك بين النّاس، إنّ الفكرة التي يعتنقها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست إلا إفتراضاً اعتباطياً يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة)[295]

ولنعد إلى دراسةٍ واعيةٍ لمقولة الإنتخاب الطبيعي وأعضاء الزائدة، فالرجال ومنذ وُجِدَ ألإنسان لا تنمو لِحالهم أقصَرَ لأنهم يحلقونها، والنساء أيضاً لا تزول الشُعور من على أبدانهن لأنهنّ يبالغْنَ في إزالتها نتفاً أو بالوسائل الصناعية المختلفة كانت ما كانت، والقطط التي ليس لها ذيول في جزيرة "مان" لم تتطور هناك هكذا لأنّ أحداً قد قطع ذيل قطّة، كلا بل أنّ جينة ما "*Gene*" خاصة بالذيل قد فقدتها تلك القطط، ولكن على الرغم من تلك الكارثة فإنّ القطط اللاحقة قد نشأت

---

[2] د. إحسان حقي، " حلق لا تطور " صفحه (79 – 80) نقلا عن:*Hugu Miller-Progres et Declin.*

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق، نقلا عن: *Le Geographie de L 'Elevation.*

[3] أنور الجندي، " سقوط نظرية داروين " صفحه (14).

[4] المصدر السابق.

صحيحة دون تلك الجينة، إنّ القائلين بنظرية التطور بالإنتخاب الطبيعي لم يعلموا شيئاً، لا بل أنهم قد تجاهلوا **وحدات الوراثة "الجينات"**، وقد وقفوا في مكانهم حيث ما يعتبروه أساس التطور، ألا وهو الخلية ذات الكيان الذي يحتوي على الجينات ويحملها. يقول "ج. سوليفان *G.W.N.Sulivan*" في كتابه "حدود العلم *Limitation of Science*":

(إنّ الإتهامات التي تنطوي عليها أقوال "وايت هيد *White head*" لها ما يبررها بالتأكيد، إننا نحس المرّة تلو المرّة بأنّ المفاهيم الأساسية التي يستخدمها عُلماء الأحياء ليست كافية لمعالجة أهم المشاكل التي تواجههم، إنّ نظرية الإنتقاء أو الإصطفاء الطبيعي"*Natural selection*" على سبيل المثال، لتبدو مليئة بالفجوات عندما تدرس بالتفصيل، إنّ المرء ليتقبل بسهولة وبشكل عادي التفسيرات الفيزيائية المحضة على سبيل المثال، ولكن لا بد له من بذل مجهود عظيم حتى يستطيع الاعتقاد ولو مؤقتاً، بأنّ جميع التطورات التي حدثت للكائنات الحية على ظهر هذا الكوكب جاءت نتيجة لتغيرات عشوائية "*random variations*"، وللصراع من أجل البقاء، إنّ نظرية الإصطفاء الطبيعي لا تفسر ولو من جانب بعيد أكثر الحقائق وضوحاً فيما يتعلق بالعمليّة كلها، ونعني بذلك اتجاه الكائنات الحيّة نحو الإرتقاء، فإنّ نوعاً من الحياة البدائيّة يبدو لنا كافياً ليفي بالغرض، ويبدو لنا في هذه الحال أيضاً أنّه لن يكون هناك ما يستدعي حتماً ظهور هذا النوع من الحياة البدائية، لأنّ مثل هذه الحياة لها منافسة الصخور والجمادات في الإستمرار والبقاء)[296]

ويستطرد سوليفان قائلاً: (إنّ الإنطباع الذي يراودنا بين وقت وآخر، هو أنّ علماء الحياة لا يستطيعون الإفتراض بأنّ التقدم الفعلي للأحياء يمكن أن يفسر ضمن شروطهم التي يتمسكون بها، اللهم إلا من قبيل الإيمان بالخوارق)[297] إلى أن

يقول: (إنّ نظرية الإنتقاء أو الإصطفاء الطبيعي على فرض التّسليم المطلق بها، لا يمكن أن تُفَسّرَ ولا أن تبرز إلا على وجه وجود علّة أو قوة ما تسوق الحياة والأحياء في سلم التطور صوب الأحسن والأرقى... وإلا غدت العملية من أساسها لغزاً مبهماً، الأمر الذي دفع بعض العلماء إلى البحث عن بعض المفاتيح مثل: **القوة الحيوية "*Vital force*" أو "قوة التحقق" أو "الروح *emtelechy*"** وما إلى ذلك... ولو قالوا **الله** لحُلّت الأحاجي والألغاز، ولوجدوا أنفسهم يتحركون في الطريق الصحيح لفهم معادلة الحياة المعجزة**!!!)**[298]

أما "ج. ب. س. هولدن *J.B.S.Holane*" أحد ألمع علماء الحياة المحدثين فيقول في إحدى مقالاته: (إنني لأتصّور وجود قوّة تلازم خط تطور الحياة ملازمة العقل للدماغ، لقد حاول "رويس *Royce*" في عام "*1901*" إعطاء صورة محددة لهذه القوّة، وذلك كعقل ذي أبعاد زمانية هائلة، وذكر أنّ

[1] مجلة: عالَم الفكر – المجلد الثاني عشر – العدد الثاني – يوليو 1981، صفحه (228)، نقلاً عن كتاب ج. سوليفان: "حدود العِلم". نشر : الدار العلمية – بيروت سنة 1972 ، الصفحات (6 – 9) .

[2] المصدر السابق.

[298] المصدر السابق.

الإحساس القوي الذي يلازم عملية التجدد موجود في ذلك العقل وجوده في عقولنا، وإذا كانت هذه الأقوال تنطوي على عنصر من عناصر الحقيقة، فإنني أشك في أن تكون تلك القوة ذات طبيعة مشابهة لطبيعة العقل، إنّ شكي في إمكانية وجود نوع من الكائن المجهول!! يلازم عملية التطور يعود إلى الإعتراف بجمال مثل هذا الكائن وبغرابته التي لا تنقضي، تلك الغرابة التي تشكل الميزة التي ظللت أستشعرها خلال عشرين عاماً قضيتها في العمل العلمي الدائب)[299]

---

[299] المصدر السابق.

نقض نظريــات التّطـور والارتقــاء الذّاتـــي

بعد كلِّ ما تقدم: لا أظنُّ أني بحاجة إلى الإستطراد في أدلّة وبراهين نقض نظرية داروين، او نظريات التطور المادي ألأخرى . سواء من إعتمد الأصطفاء الطبيعي أو من اعتمد الصدفة العشوائية. فهما قد أثبتنا فشلهما، إذ أنهما مع تبجح المنادين بهما أنهم لا يؤمنون إلا بالعلم والمختبر والوقائع العلمية، **لأبعد الناس عن العلم أو الدليل العقلي**. لأنهما قد ظهرتا وقامتا بعد أن وضع أصحابها الفروض المسبقة مع البحث عن وقائع فردية، وإعطائها صفة العموم للوصول إلى الحقائق الأساسية المرجوة التي قامت عليها قوانين بقاء الإنسان.

لقد وصلت دراسات العلوم إلى كل مجال واتجاه وتغلغلت في كل أتجاه، ولكنها وقفت عاجزة أمام الإنسان لم تفهمه، فقد عجز الإنسان الناقص العاجز أن يفهم نفسه، وحاول أن يفهم أسرار الحياة، كما حاول فهم العلوم وأسرار الكون، ثم عاد ليفتح باباً جديداً من العلوم الظنية أسماه "**علـم ألإنســان**"، تماماً كما فتح علوم الحيوان والنبات والكيمياء والفيزياء......، متعاملاً مع ألإنسان المادة كما يتعامل مع غيره من المواد العادية، فأجرى دراسات حول ألأجناس البشرية والسلالات والطبائع والتركيب العضوي، وهو في كل يتلمس طريقاً عسيراً، أعلى بكثير عن مستوى إدراكه، ونهجاً شاقاً، إذ أنهم لم يواجهوا ألإنسان مواجهة صريحة نيرة ليصلوا من خلالها إلى النتيجة الحتميّة النهائيّة: وهي أنّ ألإنسان الموجود هو عاجز وناقص ومحدود، وما دام كذلك فهو محتاج ولا بدَّ إلى قوّة أعظم منه، أي أنّه محتاج إلى مُبْدِعٌ ومُصَوِر، بحاجة إلى خالق يوجده من عدم.

نعـــم، لقد تناسوا الإنسان الموجود، نسوا أنفسهم ونسوا أن يتفكروا ويُعْمِلوا العقل في التفكير في أنفسهم هم، تركوه، تركوا أنفسهم، تركوا الإنسان الحاضر ليلتمسوه من خلال الأحافير المتحجرة، والمجتمعات البدائية الدّارسة والمطمورة، ولإطلاق الخيال والدّوران في الحلقات المفرغة التي تنتهي من حيث تبدأ، فلا توصل إلى هدف أو مبتغى.

يذهب هؤلاء الناس . من يسمى منهم بالباحثين أو العلماء أو حملة ألقاب رفيعة أعلى شأناً. للبحث عن الإنسان الموجود، يبحثون عنه بين الكهوف والمغاور، وبجانب شواطئ الأنهار والبحيرات وعلى صفحات الصخور... يلتمسون من خلال علماء الأحافير آثاره وأدواته، ليعطوه حقباً تاريخية يطوروا الإنسان معها لأنه مربوط بها ربطاً مُلزِماً، فهو في زعمهم يتطور تبعاً لوسائل الإنتاج إلتي يستعملها وقد صنعها بيديه!! وتفرض عليه تلك الالات الصماء التي لا تعقل ولا تعي، نوع تفكيره وأسلوب عيشه وتعيّن له ثقافته وحضارته وأيدلوجياته، ويحاولون من خلال تلك الملاحظات التي تتجمع

لهم، أن يرصدوا الإنسان ليصلوا إلى فُروض ونظريات يقيمون بها مكتشفات تصل إلى كُنه الإنسان، وليطوروه حسب ما إفترضوا من النظريات قبل بدئهم في البحث والتّحري والإستقصاء، وليعطوه الآباء والأجداد والأعمام ممن هم أدنى مرتبة، كل ذلك والإنسان المبحوث عنه قائم حي، متحرك شامخ، جميلٌ في أجمل الصور، عاقل مفكّر، مُدرك فنّان، عالم فيلسوف، شاعر كاتب، عالم متعلم، لم يتبدل ولم يتغير منذ وُجِد إلى الآن.

وللحقيقة أنّ أساليب ووسائل علماء المادة وعلماء الأنتربولوجيا لن تستطيع أن تصل إلى شئ، إلا ما هو مقررٌ أساساً في عقول باحثيها، وإلا إلى ما افترضوه مسبقاً قبل البدء في أبحاثهم، وهو ما ذهبوا للحصول على أدلته في تلك المغاور والكهوف، جَرْياً وراء صورة الإنسان البدائي منذ الاف السنين، ومن أجل تعزيز إفتراضاتهم أنّ الإنسان من سلالة القرود والسعادين التي أنجبتها الزواحف إبنة البرمائيات المتصل نسبها بثنائية الخليّة وجدها الأعظم الذي هو أدناها مرتبة كان وحيداً للخلية**!!!**[300]

وإني لأعجب**!** ويعجب معي كل عاقل، لقوم أغلف الله قلوبهم وأعمى بصائرهم، إذ يؤكدون تأكيد الواثق المطمئن، في شجرة الأحياء التي ابتدعوها أنّ أصل الإنسان قد تدرج في مراحل تطورية، أولها الجبلّة وحيدة الخليّة، وآخرها قبل الإنسان الصعابير، يؤكدون ذلك تأكيد الواثق المطمئن المتمكن مما يقول، وفي تسلسل عجيب منتظم ومرتب... إلا أنهم لا يستطيعون التأكد من أي نوع من الصعابير على وجه التحديد تنشأ الإنسان حتماًُ! وهل أتى من القرد أم من السعدان؟ أني لأرثي لِحال هؤلاء الذين يرسمون أنفسهم كجهابذة العِلم وأعلام البحث ورواد الاستكشاف... يعرفون أجدادهم من الزّمن الغابر الموغل في القِدَم في إحدى عشر حقبة من الزّمن، مؤكدين ذلك بإصرار، في حين أنَّ أمانة البحث**!!!** والحرص على الدّقة والحقيقة والصدق يحتمان، لا بل يفرضان عليهم ألا يؤكدوا من هو جدّهم الأخير: القرد أم السعدان**!!!**.

إنّ كل نظريات التطور والنشوء تلك إنما استهدفت إحياء التراث الوثني كله، لإعادة صياغته من جديد، لأجلِ أن تَصِلَ إلى إبراز مفاهيم ومعتقدات المحافل والجمعيات والمنظمات السرية، والتي تدفعها أيادٍ خفيةٍ، استوعبت تُراثَ أشور وبابل واليونان والرومان والبراهمة، إنّ كل تلك المحاولات تستهدف تضليل الإنسان عن حقيقته ودفعه إلى الطريق الذي ينتهي به إلى الإنحلال والتحطم....[301] فَهُم يَرَوْنَ أنّ الطريق الأمثل للإستيلاء على الرأي العام في العالَم للتحكم في بعقول الشعوب ومصائرها، تنحصر في العمل على اقلاقه وتشويشه بطوفان الأفكار

---

[1] الفقرات الخمس السابقة، منقولة بتصرف عن: كتاب أنور الجندي: مفاهيم العلوم الاجتماعية.

[2] المصدر السابق.

والأراء من كل جانب، بحيث ينتهي ألأمر بضياع البشر، ووقوعهم في خِضَمِ الضّلال وحبائل الشيطان.[302]

لقد مضى منذ زمن، الوقت الذي كان الكافر المستعمر يعتمد فيه حَصْراً على الأساطيل والجيوش لإخضاع الشعوب واستنزاف مواردها، وإذلال وإفقار أهلها، وظهر مكانه الإستعمار الحديث الأكثر لؤماً وخُبثاً وتأثيراً، والذي يعمد إلى غزو البلاد وإستعبادها ثقافياً وفكرياً واقتصادياً قبل أو بدون الإحتلال العسكري. والكافر المستعمر حين استعمر العالم الإسلامي أرسل طلائعه من أمكر وأخبث وألد الأعداء من المبشرين والمستشرقين وحملة الصلبان، علاوة على الطابور الخامس المضبوع بثقافته والمفتون بحضارته من أبناء البلاد، ليمهدوا الطريق لهذا الغزو بتضليل المسلمين وإعمائهم عن دينهم، وصرفهم عن جوهره، وإبعادهم عن حُسْنِ الإعتقاد بزعزعة ايمانهم، فكان كل هؤلاء الطلائع والكتائب الأولى التي مهدت الطريق للإستعمار الكامل.

وقد كشف الباحثون أنّ الداروينية قد اسْتُغِلَت في محيط السياسة، مما أدى إلى خلق جو مضطرب أطلت منه مذاهب العبقريّة، فقد كان قول داروين بأن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تُسْتأصلَ، ليحل محلها الأقوى والأقدر على البقاء، تبعاً لقاعدة البقاء للأصلح، قد استغلته حركة الإستعمار العالمي كنظرية لتطبيقها على البلاد المحتلة.[303]

وأقرب مثال على ذلك: حرب الإذلال والإبادة التي دارت رحاها على شعوب أفريقيا الجنوبية من قبل حفنة من علوج الغرب الكافر المستعمر وحرب القهر الإبادة والإذلال بما في ذلك هدم البيوت على رؤوس ساكنيها بأحدث الأعتدة وأفتكها، واستعمال أحدث وأضخم الالات الجهنمية بما في ذلك الصواريخ

والطائرات، رافق ذلك الحقد والغل اليهودي المشهور على مدى التاريخ الأشد عداوة للذين آمنوا[304]، لقتل وتصفية شعب فلسطين المسلم من قبل أعدائهم وأعداء الله من يهود، معللين ذلك بالقضاء على الإرهاب، منفذين ما اعتقدوه من مذهب بقاء الأصلح والصراع الشرير لتنفيذه. وآخر ما شاهدناه من مجازرهم تلك الهجمة البربرية التي قادها جيش يهود ضد المسلمين في فلسطين، تلك المجزرة التي نفذها يهود ابتداء من أوائل شهر نيسان الأسود لسنة *2002*م. بمباركة وتوجيه من امبراطورية الكاوبوي الصليبية "الولايات المتحدة الأمريكية" وهيئة الأمم المتحدة وكل حملة الصليب من انجليز وغيرهم، وتخاذل مذل مخجل من أشباه الرجال من حكام المسلمين،[305] حيث تم ذبح وقتل الرجال وحرق والنساء

[1] عبد الله التل، جذور البلاء، صفحه (265)، بتصرف. وللاستزادة يمكن الرجوع إلى الصفحات (265– 270) من الكتاب المذكور.

[2] أنور الجندي، سقوط نظرية داروين، صفحه (10)، بتصرف.

[1] لقد أثبتت أحداث نيسان الأسود كذب ادعاءات السفهاء من قادتنا القائلة بالفرق بين فرق اليهود، ومراهنتهم الخاسرة على معسكرات السلام اليهودية، فقد تسابق قادة اليسار بكل أحزابهم وتكتلاتهم على ذبح وإذلال أهل فلسطين، والتباهي في ذلك مثلهم مثل قادة اليمين، في تحالف شامل لكل اليهود بأحلافهم مصداقا لقوله تعالى " ولتجن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " (المائدة 82).

[2] لقد أثبتت أحداث نيسان الأسود افتقار كافة حكام المسلمين للرجولة والنخوة والشهامة، علاوة على تخليهم عن عقيدتهم ودينهم، كما أثبتت أن كرامة المسلمين لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل حاكم واحد مؤمن مخلص ألا وهو خليفة المسلمين، الذي يصون كرامتهم

والأطفال بوحشية بالغة في مخيم جنين المنكوب وفي أزقة وحواري نابلس وفي عمارات وشوارع رام الله وبيت لحم وفي كل مدن فلسطين، في حرب إبادة استهدفت الأرواح والأموال والبيوت، حيث تم تنفيذ القتل والإعدام والذبح والإبادة وجرف الأراضي و اتلاف المزروعات ونهب الأموال وانتهاك الأعراض. علاوة على التمثيل المريع بالجثث الطاهرة، وتركها في العراء ومنع دفنها لتركها تنوشها الكلاب والوحوش، والتقصد في اتلاف المساكن والأشجار والمزروعات والوثائق والمستندات والكتب خاصة نسخ القرآن الكريم وكل ما يستطيعون اتلافه لإشفاء غلهم وحقدهم.

وسبق ذلك حرب الإبادة والقهر والإذلال التي قادها رأسي الكفر أمريكيا وبريطانيا على شعب العراق المسلم مستغلين بذلك كل محافل ودوائر العالم من هيئة
أمم وشرعية دولية وغيرها من الشعارات الزائفة، ذلك البرقع الشفاف الذي يخفي الوجه البشع لهؤلاء الكفرة ورغبتهم في قهر وإبادة المسلمين، واستنزاف مواردهم ونهب خيراتهم.

وأخيراً استغلال رأس الكفر الولايات المتحدة الأمريكية، وأتباعهم الأذلاء من رؤوس الحقد والغل، أحقد وأبشع وألئم وأنذل البشر على الإطلاق "الإنجليز" وغيرهم من دول وشعوب العالم وبخاصة حملة الصلبان منهم، استغلالهم حدث يوم الثلاثاء المشهود*2001/9/11* الذي هزّ امبراطورية الشّر أمريكا وأظهر عجزها وضعغها وعورارها وذلها، وكشف عن حقيقة زيف الغطرسة والجبروت والتميز الذي يدعونه، ومع أنَّ كل الدلائل تشير إلى أن الفاعل الحقيقي أو الفاعلين هو كافر أثيم من جنسهم المنحط، إلا أنهم جرو جيوشهم وعتادهم الجهنمي، وعقدوا أحلافهم، في حرب صليبية أثمة جديده، لقتل وإبادة وإذلال وقهر المسلمين وإسلامهم في أفغانستان البلد الفقير المسلم كخطوة أولى في طريق إبادة المسلمين والقضاء على إسلامهم، حيث كَشَر كل الكفار الصليبيون عن أنيابهم، وأظهروا مكنون الحقد في نفوسهم، ليثبتوا بجلاء ووضوح عن عقيدتهم المتمثلة بالرغبة الجامحة في القتل والإذلال، لإستنزاف موارد الأمم والشعوب، ونهب خيراتهم، فقاعدة الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح هي دينهم وقائدهم وموجههم، رغم تبجحهم بالرقي والحضارة والمبادئ وحقوق الإنسان والتسامح، تلك الشعارات البراقة التي أثبتت حوادث الأيام زيفها، وبالتالي فإن الديموقراطية التي ألبسوها ثوب العدل والمساواة والقانون، هي في حقيقتها شر وحقد واستعمار وبلاء ووباء فتاك وجرثومة شرٍ ابتلي بها الإنسان.

وقد استغلت نظرية التولد الذاتي . التي نادى بها داروين ولامارك وأرنست هيكل . منطلقاً إلى الإلحاد، وجعلها البعض سنداً في إنكار العقيدة الدينية، فاتخذت منها فلسفة لإنكار وجود الخالق، وإعطاء المادة صفة القادر المسيطر على كل شئ، ومن ثمّ دعى هيكل إلى تأليه الطبيعة، وإنكار وجود الله تعالى، ونادى بوحدة الوجود.[306] وظهرت من خلال ذلك نظرية القوّة والتمييز العنصري، والشعوب

ويحمي أنفسهم وأموالهم ويرهب أعداءهم ويقود جيوشهم للقضاء على أعداء الأمة، وأولهم أمبراطوريات النشر بريطانيا والولايات المتحدة.

[1] وحدة الوجود، *pantheism*: هي القول بأن الله والطبيعة شيء واحد، وبأنّ الكون المادي والإنسان ليسا غيرَ مظاهرَ للذات الإلهية. ووحدة الوجود تنطوي على إنكار لوجود الله. وقد قالت بها بعض الديانات والفلسفات منذ القدم. فنحن نقع عليها في المعتقدات المصرية والصينية والهندية. وفي الفلسفة اليونانية أخذ الرواقيّون بهذا الرأي مؤكدين أنّ الله والعالم شيء واحد، وقال به فلاسفة الأفلاطونية المحدثة. وكذلك فعل بعض الفلاسفة النصارى. وبين المسلمين نجد "وحدة الوجود" واضحاً عند محي الدين بن عربي وعند الحلاج .

المختارة، كما صيغت نظرية القوة عند **نيتشه** ومن ذهب مذهبه من علماء الجرمان، وبها انتفع دعاة الأرستقراطية، فوجدوا فيها سلاحهم، إذ أعلنوا أنفسهم بأنهم الممتازون والمختارون الذين ورثوا مزايا الأجداد سادة البشر ومالكي العروش وصانعي التاريخ.[307]

لقد دخل مذهب داروين إلى العالَم الإسلامي عن طريق الترجمات، وبواسطة مجلة "المقتطف" والدكتور شبلي شميل الذي ترجم "شرح بخنر على مذهب داروين" وتابع ذلك إسماعيل مظهر وسلامه موسى "القبطي الصليبي" ومحمد يوسف حسن، وغيرهم من عملاء الفكر الغربي الكافر.

إنّ نظرية داروين الواردة في كتابيه "أصل الأنواع" و "نشوء الإنسان"، وفي الكتب والمجلات والموسوعات التي كتبها ونشرها تطوريون آخرون، تفتقر إلى أكثر من دليل لإثباتها، وقد برهن العلم بعد داروين، كما برهن العقل، فساد تلك

النظرية وبطلانها. ومن الاف العلماء المختصين نستعرض على سبيل المثال ما جاء في مقالة "النتيجة الحتمية" للدكتور "جون كليفلاند كوثران" المنشورة في كتاب "الله يتجلى في عصر العلم":

(فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أنّ المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟ أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟ لا شك أنّ الجواب سيكون سلبياً. بل إنّ المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة فإنّ كل ذلك يتم طبقاً لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها.

وتدلنا الكيمياء على أنّ بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإنّ المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية، إذ أنّ لها بداية، وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أنّ بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية، بل وجدت بصورة فجائية، وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فإنّ هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خُلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينتها مكان .

فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي يخضع لها، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي، وتدل الشواهد جميعاً على أنّ هذا الخالق لا بد أم يكون متصفاً بالعقل والحكمة، إلا أنّ العقل لا يستطيع أن يعمل في العالم المادي كما في ممارسة الطب والعلاج السيكولوجي دون أن يكون هناك إرادة، ولا بد لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجوداً وجوداً ذاتياً. وعلى ذلك فإنّ النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها علينا العقل ليست مقصورة على أنّ لهذا الكون خالقاً فحسب، بل لا بد أن يكون هذا الخالق حكيماً عليمً قادراً

وكلاهما من رؤوس الصوفية .. أما في العصر الحديث فكان سبينوزا أكبر القائلين بوحدة الوجود والمدافعين عنها، وكذلك هيكل.–
منقول بتصرف عن: منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية، المجلد الثاني، صفحه (1298).

[2] أنور الجندي ، سقوط نظرية داروين ، الصفحات (10 – 11) .

على كل شئ حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره، ولا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان)[308]

اما إخصائي علم الحيوان والحشرات، المتخصص في دراسة أجنة الحشرات، الدكتور "إدوارد لوثر كيسل" فيقول في نفس الكتاب:

(واليوم لا بُدَّ لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يؤمنوا بفكرة[309] الخلق أيضاً، وهي فكرة تستشرق على سنن الطبيعة، لأنّ هذه السُّنن إنما هي ثمرة الخلق، ولا بُدّ لهم أن يسلموا بفكرة الخَألق الذي وضع قوانين هذا الكون، لأنّ هذه القوانين ذاتها مخلوقة، وليس من المعقول أن يكون هنالك خلق دون خالق: هو الله.

ولو أنّ جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق بنفس روح الأمانة والبُعْد عن التحيز الذي ينظرون به إلى نتائج بحوثهم، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثّر بعواطفهم وانفعالاتهم، فإنهم سوف يسلمون دون شك بوجود الله، وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسّر الحقائق. فدراسة العلوم بعقل مُتَفَتِح سوف تقودنا بدون شك إلى ادراك وجود السبب الأول الذي هو الله[310]... وأعود فأقول إنّ دراسة العلوم بعقل متفتح تجعل الإنسان يسلم بضرورة وجود الله والايمان به)[311]

وفي استعراض لنظريات التطور وآثارها، يقول: "الدكتور محمد عزت نصر الله" في كتابه "الرّد على صادق العظم": (نظرية التطور هي في الأصل فكرة قديمه، راودت أفكار الإغريق قبل الميلاد بحوالي خمسة قرون، وهي لا تخرج عن كونها محاولة فاشلة تهدف لإرجاع الأحياء . بما فيها الإنسان . إلى أصل

واحد مشترك، وفي أوائل القرن التاسع عشر تناول لامارك هذه الفكرة وأدخل عليها بعض التعديلات، ولكنه فشل في إخراج هذه الفكرة في إطار علمي مقبول، فلم تُسعفه الشواهد ولا الأدلة، ثم جاء داروين بعد لامارك، في أواسط القرن التاسع عشر، وإهتم بهذه الفكرة وأدخل عليها تعديلات جديدة، وكان يقوم بهذا العمل بتشجيع خفي من حركات ومحافل سرّية مشبوهة، فلما استحسنت تلك الحركات ما توصل إليه لإغراق العالم في المادية تنفيذاً لبعض حيثيات مخططاتهم المشبوهة الرّامية للسيطرة على العالم، قادت حملة دعائية للترويج للفكرة[312]، حتى ظنّ الناس أنّ داروين هو واضع نظريّة النشوء والإرتقاء)[313]

---

[1] كتاب " الله يتجلى في عصر العلم " الصفحات (24 – 25).

[2] هكذا وردت في المصدر في حين أنّ الأصح أن يقال " حقيقة " وليس فكرة.

[3] (إنما يخشى الله من عباده العلماء) – قرآن كريم –. " سورة فاطر – آية 28.

[4] كتاب "الله يتجلى في عصر العلم" ، صفحه (27 – 30).

للاستزادة ، يمكن الرجوع إلى كتاب عبد الله التل: جذور البلاء ، الصفحات (265 – 270).

[1] للاستزادة يمكن الرجوع إلى : التل، عبد الله – جذور البلاء، الصفحات (265–270)

(ورغم الشّهرة والذيوع، بل ورغم الملاحظات والإصلاحات العديدة التي أُدخِلَت عليها من قبل أنصار داروين بعد وفاته، فقد بقيت الفكرة . وما تزال . في حاجة إلى التأييد العلمي[314] الخاضع للمشاهدة والعيان، لأنها تعتمد في كثير من نواحيها على الحدس والتخمين، لقصور ألأدلة العلمية القاطعة عن اثباتها أحياناً، أو لأنها لا تخضع للتجربة المعملية ولا تقع تحت الحس. وعليه فتعود النظرية أقرب إلى التلفيقات الوهمية الخيالية منها إلى الأبحاث العلمية التجريبية. ولا يفوتنا أنّ الفكرة في جميع أدوارها المذكورة لم تحظَ بالصحة المطلقة في شئ من الأوساط العلمية، وإنما كان أنصارها ينظرون إليها بإعتبارها نظرية مقبولة نسبياً... وإذا قصر باع العالم الحاضر عن مساندتها في جميع خطوطها ومعالمها، فسوف يمتد اليها في المستقبل محاولاً مدّها بالبراهين على ضوء ما يتجدد من كشوف، اما

معارضوها وناقدوها، وفيهم الكثير من أبطال العلم والتاريخ، فمن بينهم من كان يعتبرها ثرثرة وهراء بُحَت بها حنجرة غبي جاهل)[315]

إنّ أساس نظرية التطور الحديثة كما رسمها لامارك قبل داروين، قد اعتمدت علىأساس تأثير الوراثة في نقل الصفات المكتسبة إلى النّسل، الا أنّ هذا الأساس قد فقد قيمته العلمية تماماً، لا بل قضى عليها من الأساس التجارب التي أجاراها "غريغور مندل" على نبات البازيلاء، فبرهنت تلك التجارب بكل تأكيد وبلا شك على عدم تأثير الوراثة في الصفات المكتسبة، ولما فقد هذا الأساس رصيده العلمي إنهارت النظرية المرتكزه عليه وسقطت من الإعتبار، لــذا فإنّ الكثير من مشاهير العلماء من يعتبرها مجرد هرطقة ووهم وثرثرة وخيال وفارغ من القول لا تنتسب إلى العلم أوالحقيقة بسبب.

وحتى مؤيدو النظرية ودعاتها لم يستطيعوا الدفاع عنها، أو ايجاد التبريرات العلمية أو العقلية لإثبات صحتها، ولا حتى الوقائع التاريخية الثابتة، ومن حاول منهم ذلك فقد اعتمد في محاولته على تزوير متعمد للحقائق والتلاعب بها لخداع الناس، كما مرّ في فصل سابق، وهاهو "البرفيسور أ.ي. ماندير" ينفي أن تكون للنظرية ركيزة علمية ثابتة، بل أنّ كل ما يستطيع أن يبررلها وجودها أنها أتت بطريق الإستنباط، **حيث يقول:**

---

[2] د. محمد عزت نصر الله، الرّد على صادق العظم، صفحه (49) ء

[3] قال كثير من العلماء أن فكرة التطور العضوي أنهم لا يؤمنون بتلك النظرية، إلا لأنه لا يوجد بديل لها سوى الأيمان بالله مباشرة !! فقد كتب " سير آرثر كيت " في كتاب دوري اسمه " *Islamic thought* " العدد 61/12 ما يلي: (ان نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا لأنّ الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا ما لا يمكن حتى التفسير فيه !!!

[1] المصدر السابق، صفحه (50).

(إنّ الحقائق التي نتعرفها مباشرة تسمى "الحقائق المحسوسة *Percieved Facts*"، بيد أنّ الحقائق التي توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر في "الحقائق المحسوسة"، فهنا حقائق أخرى كثيره لم نتعرف عليها مباشرة، ولكننا عثرنا عليها على كل حال، ووسيلتنا في هذه السبيل هي الإستنباط، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه "الحقائق المستنبطة *Inferred Facts*" والأهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين، وانما الفرق هو في التسمية، من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة، وعلى

الثانية بالواسطة، والحقيقة دائماً هي الحقيقة، سواء عرفناها بالملاحظة أو بالإستنباط)[316] ويضيف ماندير قائلاً:

(إنّ حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل، فكيف يمكن أن نعرف شيئاً عن الكثير الآخر؟.. هناك وسيلة وهي الإستباط أو التعليل، وكلاهما طريق فكري، نبتدئ به بوساطة حقائق معلومة، حتى ننتهي بنظرية: أنّ الشئ الفلاني يوجد هنا ولم نشاهده مطلقاً)[317]

وربّ سائل يسأل: كيف يصح الاستنباط المنطقي على حقيقة وجود أشياء لم نشاهدها مطلقاً؟ وكيف يمكن أن نسمي مثل هذا الاستنباط حقائق علمية، وكل دعاة التطور المادي لا يعتبرون من حقائق العلم ما لم يُشاهد ويُحس ويُلمس؟ وكيف نجذم بحقيقة وجود ما لم نَرَهُ لا نحن ولا من قبلنا، إنما عللناه بظواهر معينة لا ترقى حتى إلى شبهة الدليل؟ ويجيب ماندير على ذلك قائلاً: إنّ المنهج التعليلي صحيح لأنّ الكون نفسه عقلي.[318]

فإذا كان مقصد ماندير بقوله أنّ الكون نفسه عقلي، إذا كان مقصده من ذلك أنّ إثبات مصدر وجوده يجب أن يعتمد على العقل، فهذا قول صحيح، وهو ينقض نظرية التطور وينسفها نسفاً، لأنّ إعمال العقل في الكون بموجوداته يعني نبذ أساس النظرية المعتمد على إنكار كل ما لايقع عليه الحس المباشر، وانكار كل ما لا يخضع للتجارب المخبريه، ويعني أيضاً البحث عن طريق العقل والتفكر بالموجودات والسنن، وهذا ما يؤدي إلى نقض نظريات التطور والايمان القطعي

بوجود خالق لهذا الكون وهو الله تعالى، وهذا ما سنتناوله في بحثنا لاحقاً في باب "الإسلام وخلق الإنسان"[319] إن شاء الله.

---

[1] وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، صفحه (47). نقلاً عن:.*A.E.Mander, Clearer Thinking, London, p. 46*

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

[4] الباب الثالث، الفصل الأول من هذا الكتاب.

أما نظرية "هكسلي" وقروده التي ستكتب صدفة أشعار شكسبير . وشر البلية ما يُضحك . فإنّ مثل تلك الإدعاءات لا تدل إلا على رعونة من ادعاها، إذ هي على قدر كبير من البلاهة والتغابي، بحيث لا تحتاج إلى الرد أو النقض، وكثير من دعاة التطور وعلمائه قد أعربوا عن اشمئزازهم واستنكارهم لمثل تلك الهرطقات، وفي تعليق على قول هكسلي هذا، وعلى نظرية التطور العضوي يَرد "البروفيسور رايدوين كونكلين":

(إنّ القول بأنّ الحياة وجدت نتيجة "حادث إتفاقي" شبيه في مغزاه بأن تتوقع إعداد معجم ضخم، نتيجة انفجار صدفي في مطبعة)[320]

إنّ طبيعة من يدعي العلم والمعرفة والحكمة أن يكون متزناً، وذلك ما لا ينطبق على "مستر هيكل" وغيره من ادعياء العلم والمعرفة من دعاة التطور، وابلغ دليل على ذلك ادعاؤه القدرة على الخلق، فلو سلمنا جدلاً . مع اقتناعنا التام استحالة ذلك استحالة مطلقة . بقدرته على خلق الإنسان المادة، فماذا عن سر الحياة "الروح"؟ وماذا عن العقل المميز؟. ويرد على ادعاء هيكل القدرة على الخلق، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك "أ. كريسي موريسون *A. Cressy Morrrison*" قائلاً:

(إنّ هيكل يتجاهل في دعواه الجينات الوراثية *Genes*"، ومسألة الحياة نفسها، فإنّ أول شئ سيحتاج إليه عند خلق الإنسان، هو الذرات التي لا سبيل إلى مشاهدتها، ثم سيخلق الجينات أي حملة الإستعدادات الوراثية،

بعد ذلك ترتيب هذه الذرات حتى يعطيها ثوب الحياة... ولكن امكان الخلق لا يعدو واحداً على عدة بلايين، ولو افترضنا أن هيكل نجح في محاولته فانه لن يسميها صُدفة، بل سوف يقررها ويعدها نتيجة لعبقريته)[321]

أما عالم الطبيعة "جورج ايرل ديفيس" فيرد على تلك المقولة قائلاً:

(لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه، فإنّ معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحالة سنضطر إلى أن نؤمن بأنّ الكون هو الإلـه... ولكن إلهنا هذا سيكون يكون عجيباً: الهاً غيبياً ومادياً في آن واحد إنني أفضل أن أومن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي، وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكمه ومدبره، بدلاً من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات)[322]

إنّ أبسط رد على نظرية داروين هو قانون السببية الذي عبَرَ عنه ذلك الأعرابي البسيط وبطريقته البسيطة حين سألوه عن الله تعالى فأجاب: البَعرَة تدُلّ على البعير، وخطّ السير على المسير،

---

[1] الإسلام يتحدى، صفحه (72)، نقلاً عن: *The Evidence of God, p. 174.*، والرد هو على تصريح المذكور الوارد في أول الفصل الثالث عشر من الباب الأول في هذا الكتاب.

[2] المصدر السابق، صفحه (78)، نقلاً عن: *Man Does not Stand Alone, p. 87.*

[1] المصدر السابق ، نقلا عن: *The Evidence of God. p. 71.*

فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلي الكبير!!!.
ونعود إلى "أ . كريسي موريسون" مرة أخرى ليؤكد لنا حتمية التدين، أي كون الأشياء مخلوقة لخالق:

(إنّ كون الإنسان، ومنذ بدأ الخليقة إلى الآن، قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم، ليدل على أنّ الدين فطري فيه، ويجب أن يقر العلم بذلك)[323]

وفي مقام الرّد على "هيكل" وادعاؤه القدرة على الخلق يستطرد "كريسي موريسون" راداً عليه ادعائه، وكان الرّد في سياق البحث عن وحدات الوراثة

"*Genes*" الموجودة في نواة كل خلية لكل ذكر وأنثى، مستدلاً بذلك على وجود الله تعالى **حيث يقول :**

(تبلغ الجينات "وحدات الوراثة" من الّدقة أنها . وهي المسؤلة عن عن المخلوقات البشرية جميعاً التي على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وأجناسها . لو جُمعت كلها ووضعت في مكان واحد،

لكان حجمها أقل من حجم الكستبان، والكستبان الذي يسع الصفات الفردية لبليونين من البشر هو بلا ريب مكان صغير الحجم، ومع ذلك فإنّ هذه هي الحقيقة التي لا جدال فيها... فهي التي تحبس كل الصفات المتوارثة العادية لجمع من الأسلاف وتحتفظ بنفسية كل فرد منهم في تلك المساحة الضئيلة)[324]

أما عالِم الطبيعة " أدموند و. سينوب " فيقول :

كيف نشأت الحياة؟ ذلك ما لا علم لنا به، ولا رأي لنا فيه... بطريقة ما تنتظم الألكترونات والبروتونات الدّوارة وجملة أخرى من الجزيئيات المادية، وتصبح ذرات الكربون أو الأوكسيجين أو الهيدروجين، وهذه الذرات تتجمع بدورها فتصبح دقائق كبيرة من البروتين، فإذا انضمت إليها عناصر معدنية مختلفة، وكمية صالحة من الماء إنبنى فيها جبلة حية "بروتوبلاسمية" ثم بطريقة ما مجهولة لدينا تماماً تدلف هذه المادة الموات فجأة إلى الحياة...

إنّ الأحيائي مهما بلغ جهده، مقسور على أن يواجه مشكلات غيبية... على أنّه يرفع يديه مستغيثاً بأنّ مثل هذه الآراء خارجة عن حدود العِلم، فلا يعينه من أمرها شئ. ولكننا ما لم نحدد العِلم

---

[2] الإنسان لا يقوم وحده . الترجمة العربية . صفحه (290).

[1] الإنسان لا يقوم وحده، الترجمة العربية، صفحه (137).

تحديداً بالغ الضيق، فإنّه سيواجه عند تخومه الخارجيّة أشبهاً في هذه المشكلات... إزاء التساؤل المحرج عن طبيعة الحياة

وصفتها سوف لا نلتزم معالجته عن طريق حدود العِلم وحده... قد نكون في حاجة إلى وسائل لا يملكها العِلم في الوَقت الحاضِر... إنّ الإنسان روحٌ أول شئ، ويتعذّر عليك أن تَصّبه في قالب مادي صِرف، كما يتعذّر عليك أن تزن جمال سيمفونيّة في كفتي ميزان، إن الرّوح[325] على ما يُعَرِفَه الدين، لا على ما يعرفه عِلم النّفس والطب النّفساني هو أشد المطلوبات إلحاحاً على الإنسان في هذا العَصر. وأقل ما يكن العِلم نفعاً لنا، سواء أكان عِلم الأحياء أم أي عِلم آخر في هذه النّاحية)[326]

كان هذا إعتراف صريح أنّ العِلم لا يتمكن من معرفة شئ قطعي عن نشأة الحياة وخلقها، نعم إنّ الناحية الروحية في الأشياء كونها مخلوقة لخالقٍ أوجدها من عدم، هي حقيقة لا تخضع للعِلم وتجارب مختبراته، إنما تُدرك بإستعمال العقل عن طريق التفكر في المخلوقات وقوانين الحياة.

وعالِم شهير آخر يدلي بِدّلوه في الموضوع، هو العالِم الإنجليزي "روسل ولاس" وهو عَلَم من أعلام التاريخ الطبيعي، وتعتبر مؤلفاته كمراجع لجميع المشتغلين بعلمي النبات والحيوان:

(إنّ نشوء أي جسم على صورة مركبة مماثلة لفرد من نوعه، أمر لا يثير في كثير من الناس أقلّ دهشة ولا إستغراب، ومع هذا فإنه لا يزال باقياً بلا تعليل معقول، نعم: إنّ اهل العِلم قد كشفوا ظواهر كثيره تتعلق بالأنظمة الذي تتبعه الأحياء في نموها، ولكنهم فيما يتعلق بطبيعة القوى العاملة في هذا النمو، وبالعوامل التي تقودها وترشدها وتنظم حياتها، لم يعطونا غير ظنون مبهمة وافتراضات لا تغني

من الحقيقة شيئاً. لقد عرف منذ زمان مديد أنّ كل نمو سواء أكان حيوانياً أو نباتياً يكون بنشوء خليّة أولية وتكاثرها إلى حد ما، ولكن ما هي الخلية في ذاتها؟ أهي غير مقدار قليل من المادة البروتوبلاسميّة التي اعتبرها أهل العلم المادة الأولية للحياة؟ على أنها من الناحية الكيمائية أكثر المواد المعرفة تركيباً، لأنها وإن كانت تتألف من العناصر الأربعة: الكربون، الهيدروجين، الأزوت، الأكسجين، فقد عُلم الآن أنّ ثماني مواد أصلية أخرى تدخل في تركيبها هي: الكبريت، الفوسفور، الكلور، البوتاسيوم، الصوديوم، المغنيزيوم، الحديد. ويزيد على هذه المواد ست

[1] المقصود بالروح هنا معناها: إدراك الإنسان لصلته بخالقه، وليس المقصود المعنى الآخر لكلمة الروح، وهو سر الحياة.

[2] د. عزت نصر الله، الرد على صادق العظم، الصفحات (98 – 99)، نقلا عن:أدموند و. سينوب، حياة الروح في ضوء العلم ، الصفحات (138 – 145) .

أخرى قد تصادف فيها، وإن كانت ليست من المقومات الأصلية للبروتوبلاسما، وهذه المواد هي: السيليكون، الفلور، البروم، اليود، الألومنيوم، المنجنيز. فالبروتوبلازما والحالة هذه مادة شديدة التركيب، لا بكثرة عدد المواد الدّاخلة في تركيبها فَحَسْب، ولكن بشكل اتحاد هذه المواد كيميائياً. وهو الأمر الذي يستعصي على كلّ تحليل فني)[327]

إنّ على الإنسان أن يتفكّر في الخلق معْمِلاً عقله في استخلاص النتائج المتعلقة بالحياة والخَلق على ضوء هذا التّفكير، والمشاهدات التي يجدر به التفكير بها كثيرة لا تحصى، وتقع جميعها تحت إدراكه وإحساسه، وأولها هي **الإنسان وتركيبه العضوي**، وأبسط ما يكون تركيب الإنسان العضوي هي الخلية. والخلية هي أيضاً وِحْدَه أساسية في تركيب أي مادة كانت، فالإنسان والحيوان وجميع الكائنات الحيّة . من أبسط أنواعها كوحيدة الخلية إلى أعقد أنواعها . تتكون من وحدات أساسية هي الخلايا.

إنّ الخلية هي تلك الوحدة المتناهية في الصغر المحتوية على مقومات الحياة، وهي الذخيرة أو الأصل التي تعود إليه كلّ صور الحياة، وهي المادة الحيّة الأولى التي تسمى "الجِبِلة أو البروتوبلازم". وهي كما يقول داروين **المادة الحيّة الأولى**، وتؤدي كلّ خلية وظائفها الحيويّة العديدة بدرجة من الدّقة المتناهية التي عجز الإنسان العاقل الحالي أن يجاري تلك الدقّة في أدق مصنوعاته الآلية.

لقد قام "روسل ولاس" آنفاً بإعطائنا نبذة سريعة عن دقة تكوُن وتركيب وعمل الخليّة، إلا أنّ ما قام به المذكور لم يكن رأياً خاصّاً به، بل حقيقة علميّة أكدها كلّ من اشتغل بالعِلم واعتمد نتائجه، وقد اعتمد العلماء تعريفاً للخلية أو البروتوبلازم هو كما يقول "د. وليم سيفرتبنر":

(إنّ المادة الحية المعروفة باسم **البروتوبلازم** هي خليط معقد جداً من الماء والأملاح والسكريات والدهون والبروتينات. وفي هذه المادة الحيّة غير المتجانسة تحدث تلك العمليات التي تؤلف في مجموعها الحياة)[328]

وتصحيحاً لا بدّ منه لذلك التعريف، فإنّ تلك العمليات لا تؤلف الحياة أبداً، إنما هي علامة من علامات الحياة، فالحياة مظهر من المظاهر وسر من الأسرار، لا ولن يعلمه أحد إلا الله تعالى، وَقَفَ أمامه العِلم حائراً عاجزاً، وقد فشل كلّ من حاول سابقاً، ووقف أمامها حائرا عاجزاً، وسيفشل كلّ من سيحاول لاحقاً في التّعَرُف على كنه الرّوح التي هي سر الحياة. **(وَيَسْألونَك عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوح مِنْ أَمْرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إلاّ قَليلا)**[329]

---

[1] الدكتور محمد عزت نصر الله، الرد على صادق العظم، الصفحات (126 – 127)، نقلاً عن: روسل ولاس، عالَم الحياة، الصفحات (398) وما بعدها.

[1] منقول عن: جيمس ستوكلي، العلم يزحف، ترجمة د. محمد الشحات.

[2] سورة الإسراء (85).

إنّ كلّ فرد منَ المخلوقات بلا استثناء من نبات أو حيوان يتألف كما يقول العِلم من البروتوبلازم بلا استثناء، والبروتوبلازم هو متشابه تقريباً في كليهما، إلا أنّ هذا التّشابه هو تشابه نسبي، أي أنّ البروتوبلازم الحيواني يتشابه مع البرتوبلازم النباتي ولا يتماثل معه، وكذلك فإنّه يوجد اختلاف وفروقات بين بروتوبلازم أي كائن وبين بروتوبلازم أي كائن آخر، وتلك الاختلافات والفروقات هي فروقات أساسية وحيوية، وإلا لما كانت بيضة الضفدعة التي أنتجت ضفدعة، ولما نمت بذرة البلوط فأصبحت شجرة بلوط، وبذرة القمح قمحاً، وبذرة الشّعير شعيراً..... وهذه الفروقات كبيرة جدّاً وحيويّة جداً، إلا أنّ العِلم ومختبراته وأجهزته المتعددة الدّقيقة وعقول جهابذته لم تستطع الوصول إلى أسرارها، ومن أبرز الحقائق في عِلم الحَياة أنّ كلّ أنواع البروتوبلازم مع الفروق بينها وخفاء مصادرها، تبدو متشابهة إلى حد كبير وتشبه بياض البيضة وفيه نقط دقيقة ومنتشرة.[330] ويقول الأستاذ في جامعة فرانكفورت، وعضو الأكاديمية في أنديانا، الدكتور "رسل تشارلز أرتست":

(إنني أعتقد أنّ كلّ خلية من الخلايا الحيّة قد بلغت من التعقيد درجة يصعب علينا فهمها وأنّ ملايين الملايين من الخلايا الحيّة الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق، ولذلك فإني أومن بوجود الله إيمانا راسِخاً)[331]

نترك الخلية لنبحث مع " سبنسر " في قطرة الماء :

(إنّ العالِم الذري الذي يرى قطرة الماء، فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والهيدروجين بنسبة خاصّة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء، ليعتقد عظمة الخالق وقدرته، وحكمته وعلمه الواسع، بأشدّ وأعظم وأقوى من

غير العالِم الطبيعي الذي لا يرى فيها إلا أنها نقطة ماء، نقطة ماء فَحَسْب!! وكذلك العالِم الذي يرى قطعة البَرَد وما فيها من جمال الهندسة ودقّة التقسيم، لا شكّ أنه يشعر بجمال الخالق ودقيق حكمته، أكبر من ذلك الذي لا يعلم إلا أنها مَطَرٌ تَجَمَدَ من شِدّة البَرْد.)[332]

إنّ دعاة التّطور من أصحاب الفكر المادي، قالوا: بأنّ خصائص المادة مع عوامل الصدفة هي التي أوجدت الحياة مع أشكالها المختلفة من نبات وحيوان وإنسان، فقام علماء وقالوا بنظريّة النشوء والارتقاء. وكان أبرز هؤلاء هو تشارلس داروين الذي وَجَدَ كارل ماركس وأتباعه في نظرية داروين دعماً

---

[1] منقول بتصرف عن: جيمس ستوكلي، العلم يزحف، ترجمة محمد الشحات

[2] جون كلوفر مونسما، الله يتجلى في عصر العلم، صفحه (77). من مقال رسل تشارلز آرتست، بعنوان " الخلايا الحية تؤدي رسالتها".

[1] يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، صفحه (17).

لفكرهم المادي. **وهنا نطرح السؤال التالي:** هل خصائص المادة وعوامل الصدفة فيها القدرة على إيجاد هذا الإنسان؟ إنّ الأمر يحتاج إلى الجدية والمسؤوليّة في الاهتمام، ويحتاج إلى الفكر العميق المستنير في البحث. إنّ هذا مفترق طرق في التفكير الإنساني.

(لن نبحث الآن في خصائص المادة: من أودعها فيها ومن فرضها عليها، وذلك مسايرة لفرضيّة أزلية المادة وملحقاتها، بل سنبحث في: هل يمكن لهذه الخصائص التي افترضوا أزليتها، هل يمكن لها مع عوامل الصدفة أن تصنع الإنسان؟

أولاً دعونا نلق نظرة على بعض هذه الخصائص، لنتعرّف إلى حدود طبيعتها وسلوكها، لنأخذ مثلاً ذرة الأوكسجين فإنها تحتوي على ستة إلكترونات في طبقتها الخارجية فتحتاج إلى إليكترون كي تصبح هذه الطبقة مشبعة، والهيدروجين يوجد في ذرته إلكترون واحد قابل للتفاعل، فتتحد الذرة الواحدة من الأوكسجين مع ذرتين من الهيدروجين لتشكل الماء "*H2O*". أما ذرة النيتروجين فيوجد في طبقتها الخارجية خمسة إلكترونات، فتحتاج إلى ثلاثة كي تصبح مشعة، وهكذا حين يتفاعل

النيتروجين مع الهيدروجين فإنّ كلّ ذرة نيتروجين تتحد مع ثلاث ذرات من الهيدروجين لتشكل الأمونيا أو روح النشادر "*H3N*".

وهكذا فإنّ سلوك المادة، سواء كانت في شكل عنصر أو مركب أو مزيج، يكون تابعاً لخصائصها، ولا يمكن للمادة أن تتصرّف عكس خصائصها أو خارج نطاق هذه الخصائص، وهذه حقيقة علمية يقع عليها الحسّ مباشرة، وهي حقيقة علمية أثبتتها تجارب الاختبار.

أما ما يسموه الصدفة فهو عبارة عن الالتقاء العشوائي بين مادتين فأكثر ولكلّ واحدة خصائصها فيؤثر بعضها في البعض الآخر، وتحصل نتائج أو مواد جديدة، فالنتائج التي تحصل من الصّدفة هي وليدة خصائص المادة، ولا يمكن أن تكون عكسها أو خارج نطاقها، كلّ ما في الأمر أنها سميت صدفَة لأنّ الالتقاء بين المادتين لم يحصل بناء على ترتيب سابق مقصود بل كان عشوائياً، وسواء كان الالتقاء بين مختلف المواد عشوائياً أو مرتباً عن قصد فإنّ هذه المواد لا تتصرّف إلا طبق طبائعها وخصائصها... فهل يوجد بين خصائص المادة أن توجد إنساناً كما أوجدت ماءاً أو أمونيا؟

إنّ التدقيق في هذا وإنعام النّظر فيه يظهر بشكل بسيط وقطعي أنّ المادة ليس من خصائصها ولا من طبيعتها أن تصنعَ الإنسان. إنّ في كلّ جهاز من أجهزة جسم الإنسان من الدقة والحكمة

والإبداع ما ينطق بلسان فصيح بأنّ هناك مبدعاً حكيماً قادراً هو الذي صنع هذا الإنسان من المادة.)[333]

إنّ الاستنباط والتعليل والتأويل هما الأساس الذي قامت عليه عند علماء ودعاة التطور نظرية "التّطور العلمي" وهو ما أشار إليهم "ماندير" باسم "الحقائق المستنبطة"[334] وبناء على هذا الأساس يجذم "ماندير" صِدْقَ وصحة النّظرية قائلاً:

(لَقَد ثبَتَ صِدْق النظرية، حتى أننا نستطيع أن نعتبرها أقرب شيء إلى الحقيقة)[335] ويوافقه "سمبسون" في هذا الصدد قائلاً: (إنّ نظرية النشوء والارتقاء حقيقة ثابتة أخيراً وكلياً، وليست بقياس بديل صيغ للبحث العلمي.)[336]

ويعتقد محرر "دائرة المعارف البريطانية *1958*" أنّ نظرية الارتقاء في الحيوانات حقيقية، وإنّ هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامة بين العلماء والمثقفين بعد داروين. لذا فليس هناك مجال للشك والارتياب في صدقها وحقيقتها، أو الإتيان بما يناقضها، لأنها ثابتة ولا مجال للطعن فيها أو التدليل على عكسها بتاتاً.[337]

أما " سير تشارلس لايل *R.S.Lil* " فيقول:

(ظلّت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد يوماً بعد يوم بعد داروين، حتى أنّه لم يبق شك لدى المفكرين والعلماء في أنّ هذه هي الوسيلة المنطقية الوحيدة التي تستطيع أن تفسّر الخلق وتشرحه)[338]

إنّ تأكيدهم هذا يستوجب التساؤل: هل هذه النظرية التي أجمع العلماء على صحتها . إن صدق القائل . هل كان ذلك نتيجة شواهد قاطعة، وهل توصلوا إليها علمياً بإجراء التجارب عليها في المختبرات؟ والجواب على ذلك بكلّ بساطة وتأكيد: لا. لأنّ ذلك ضرب من المستحيل، إنّ مزعومة الارتقاء معقّده، وهي تتعلق بماضٍ موغل في القِدَم، حتى أنه لا يمكن ملاحظتها أو إجراء الاختبارات عليها، وهي كما أكد "لايل" في كلمته الآنفة الذكر وسيلة منطقيّة تعتمد على الفرضيات المسبقة والتكهنات الخيالية، لتفسير مظاهر الخلق، فهي تبريرات لمزعومات وفروضات

---

[1] منقول عن: مجلة الوعي، العدد (51)، تموز 1991 م.

[2] يرجع إلى صفحة 174 من هذا الفصل.

[1] وحيد الدين حان ، الإسلام يتحدى ، صفحه (49) . نقلا عن: .Ibid, p.113 . . .

[2] المصدر السابق، نقلاً عن: *Meaning of Evolution, p.127*

[3] المصدر السابق، نقلاً عن: "دائرة المعارف البريطانية – 1958 "

[4] الإسلام يتحدى، صفحه (49)، نقلاً عن: *Revolt against Reason. p. 112.*

مسبقة، وليسَت إعمالاً للعقل في الموجودات والظواهر الموجودة فعلاً، إنّها قياس للحاضر الموجود على الغائب المفقود الذي لا أثر له.

كان هذا هو السّبب الذي دفع المحامي المتحمّس لنظرية الارتقاء والتطور العضوي "سير آرثر كيث" أن يُسَلِمَ بأنّ هذه النظرية ليست بملاحظة أو تجربة، وإنّما هي مجرد اعتقاد!!! حيث يقول: (إنّ نظرية الارتقاء عقيدة أساسية في المذهب العقلي)[339]

وربما يكون تعريف أحد المعاجم العلمية للنظرية أبلغ رد حين يُعَرِف نظرية داروين بأنها: (نظرية قائمة على تفسير بلا برهان)[340]

ويفسر لنا العالِم البريطاني الشهير أن إيمانه بتلك النظرية لم يكن إلا تعصباً ومكابرة حين يقول في كتابه الشهير "عالَم الأسرار": (إنّ في عقولنا الجديدة تعصباً يرجح التفسير المادي للحقائق)[341] أمّا عقيدة "سير آرثر كيث" المثبتة سابقاً، فيفسر لنا كيفيتها وأسبابها قائلاً: (إنّ نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا لأنّ الخَيار الوحيد بعد ذلك هو: الإيمان بالخلق الخاص المباشر، وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه)!!![342] وحتى أنّ كثيراً من العلماء قد أكدوا أنّ "فكرة التطور العضوي*Organic Evolution*" والذي استنبطت منه فكرة الارتقاء، سوف يبقى بلا براهين وبلا أدلة علمية!!! لــــذا: (إنهم لا يؤمنون بهذه النظرية، إلا لأنه لا يوجد أي بديل لها سوى الإيمان بالله مباشرة)[343]

كان هذا غيض من فيض، يؤكد لنا أنّ العلماء ودعاة نظريات التطور المادي أنفسهم ينادون بتلك النظريات مع عدم القناعة بصحتها، وأنهم قد اختلقوها لغاية في أنفسهم، ولتحقيق مكاسب وأهداف منظمات سرية، تدفعها أيد خفية، لاستغلالها في محيط السياسة لاستعباد واستغلال ونهب موارد الشعوب كما مرّ سابقاً.[344] أمّا إدعاؤهم موافقة العلماء والمثقفين عليها وتصديقهم لمحتوياتها، فقول يفتقر للصحة، إذ أنّ مشاهير المثقفين والعلماء قد دعوا إلى نبذ تلك النظرية، وبالتالي الإيمان بأنّ وراء هذا الكون والإنسان والحياة خالقاً أوجدها من العدم، ودعوا باسم العِلم المجرد إلى التّمَسك بهذا الإيمان ونبذ جميع أفكار ومقولات التطور المادي، ونبهوا إلى خطأ وخطورة التمسك بها.

---

[1] المصدر السابق، نقلاً عن: *Revolt against Reason, p. 112.*

[2] المصدر السابق، صفحه (50)، نقلاً عن: *Ibid, p. 111.*

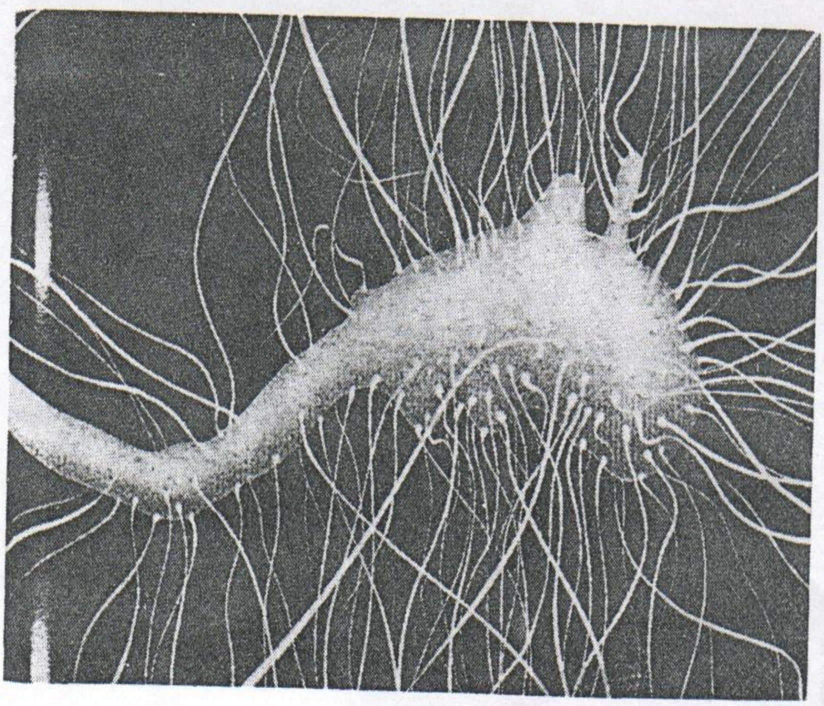
[3] المصدر السابق، صفحه (42)، نقلاً عن: *Mysterious Umiverse, p. 189.*

[4] المصدر السابق، صفحه (43)، نقلاً عن: *Islamic Thought, Dec. 1961.*

[5] المصدر السابق.

[1] الباب الثاني – الفصل الثالث من هذا الكتاب، الصفحات (166–170).

وفي الفصل التالي[345] سنقوم بمشيئة الله تعالى، باستعراض أمثلة من أقوال بعض من مشاهير العلماء، مع ملاحظة أنّ ما سنقدمه من أقوال العلماء تلك، ليس بالضرورة إيمانا منا بما يقولون، وليس لعجزنا عن نقض تلك النظرية إلا بأقوالهم، إنّما هي للتدليل على كذب من يقول بإجماع العلماء كافة على النظرية من ناحية، وللهمس بأذن كلّ من يستهويهم الأخذ بفارغ القول من الغرب الكافر تقليداً ومحاكاةً وانبهاراً، أنّ ما يأخذونه عن الغرب الصليبي الكافر . والشرق الوثني الملحد . من نظريات مادية، قد نبذها من استعمل عقله منهم، وتوخى البحث عن الصدق والحقيقة بتجرد، ونقضها وكفر بها حتى بعض من آمن بها سابقاً، وكان من غلاة دعاتها، حين وضحَ لهم عقم وتفاهة تلك النظرية وشبيهاتها، معترفين بعجزهم أمام قدرة الخالق سبحانه وتعالى.



في دماغ الانسان ما لا يقل عن عشرة مليارات من هذه الخلية المكبرة عشرين ألف مرة عن حـ
الطبيعي.

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنّه على كل شيء شهيد)[346]

---

[2] الفصل الرابع – الباب الثاني، الصفحات 189 وما بعدها، " آراء العلماء في التطور والخلق ".

[1] فصلت: (35).

آراء العلماء في التطور والخلق

يزعم دعاة التطور: أنّ نظرية التطور المادي قد لاقت التأييد المطلق من كافة العلماء والمفكرين، وأنّ إجماع العلماء والمفكرين قد انعقد على التأييد الكامل للنظرية، وبالتالي نفياً قاطعاً لحقيقة الخلق من العدم، فَرَدّاً على زعمهم هذا، رأينا أن نستعرض في هذا الفصل بعضاً من آراء عدد من كبار ومشاهير العلماء في كافة ميادين العِلم، وكلها تشير إلى توجه صحيح، وإلى عمق واستنارة في التفكير لدى كمٍ هائل من مشاهير العلماء، خلافاً لما يدعيه أدعياء العِلم من دعاة التطور المادي.

ونحن إذ نقوم بذلك، فلا يعني ذلك بالضرورة ايماناً منا بكل أقوالهم، ولا يعني عجزاً منا عن نقض تلك النظرية إلا بأقوالهم، إنما كان ذلك للتدليل على كذب من يتقول باجماع العلماء على نظريتهم، وللهمس بأذن كل من يستهويه ألأخذ بفارغ القول من الغرب الكافر تقليداً ومحاكاة وانبهاراً، أنّ ما يأخذونه من الغرب الصليبي الكافر . والشرق الوثني الملحد . من نظريات مادية، قد نبذها من استعمل عقله منهم، وتوخى الحقيقة بتجرد، ونقضها وكفر بها حتى بعض من آمن بها سابقاً وكان من غلاة دعاتها، **واستذكر بالمناسبة قول الشاعر :**

وما هي إلا كفارغ بندقٍ خَليّ من المعنى ولكن يفرقع

يقول الفيلسوف والفيزيائي والرياضي الفرنسي، مكتشف الهندسة التحليلية "ديكارت *Rene Descartes*" (*1650 – 1596*):

(إنّي مع شعوري بنقص في ذاتي، أحسّ في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، وأراني مضطراً إلى الإعتقاد بأنّ هذا الشعور قد غَرَسَته في ذاتي الذّات الكاملة المتحلية بجميع الصفات الكاملة، وهو: الله)[347]

أمّا المؤرخ والفيلسوف الفرنسي "أرنست رينان" (*1823–1892*) فقد عانى أزمة ايمان أدّت إلى الإرتداد عن الكاثوليكية. وتميزت بحوثه بالنزعة العقلانية وبالايمان بالعِلم، فيقول في كتابه "تاريخ الأديان":

[1] د. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، صفحه (16).

(إنَّهُ من الممكن أن يضمحلّ كلّ شيء نحبه، وأن تبطل حرية إستعمال العقل والعِلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التّدين، بل سيبقى حُجَةً ناطقةً على بطلان المذهب المادي، الذي يُريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة في الحياة الأرضية)[348]

أما عالِم الطبيعة المشهور، الفيزيائي ألأمريكي، الألماني المولد، "اسحق آينشتاين *Albert Einstein*" (*1879–1955*) الذي يعتبر أعظم عباقرة العِلم المعاصرين، منح جائزة نوبل في الفيزياء عام (*1921*)، وواضع نظرية النسبية، فيقول:

(إنَّ ديني يشتمل على الإعجاب المتواضع بتلك الروح العليا غير المحددة، والتي تكشف في سرها عن بعض التفصيلات القليلة التي تستطيع عقولنا المتواضعة إدراكها، وهذا الايمان القلبي العميق، والاعتقاد بوجود قوّة عليا تستطيع إدراكها خلال ذلك الكون العامض يلهمني فكرتي عن الإله)[349] كما يُنْسَب لنفس هذا العالِم

قوله: (لا تشكوا في الخالق فإنه مما لا يُعْقَل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة الوجود)[350]

إنه من الملاحظ أنه كلما إزداد عِلم الإنسان واطلاعه على عجائب الكون، ومعرفته بما فيها من جمال وإحكام، ولم يقف عند القشور، بل تعمق في دراسة أسرار وقوانين وسنن الخلق، إزداد إيماناً بوجود الخالق وحكمته وعظمته وكمال صفاته، وفي هذا ينقل لنا "سبنسر" عن "هيرشل" قوله: (كلما اتسع نطاق العِلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حَدّ لقوته ولا نهاية: فالجيولوجيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العِلم، وهو صرح عظمة الله وحده)[351] وقد مرّ معنا آنفاً[352] استنتاجات "سبنسر" نفسه للوصول إلى الإيمان بالله الخالق عن طريق ملاحظة قطرة الماء وقطعة البرد.

ويؤكد ما ذهبنا إليه بأنّه كلما تعمق الإنسان في التفكير وازدياد العِلم، إزداد قرباً من الإهتداء إلى حقيقة الخلق وحتمية حقيقة وجود خالق خلق الموجودات من عدم، وذلك ما يؤكده الفيلسوف "فرنسيس بيكون": (إنّ القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد، ولكن التّعمق فيها ينتهي

---

[2] المصدر السابق، نقلاً عن: أرنست رينان، تاريخ الأديان.

[3] من كتاب " العالم وأينستاين " تأليف " لنكولن بارنت، ترجمة محمد عاطف ألبرقوقي، صفحه (116).

[1] القرضاوي، العبادة في الإسلام، صفحه (17)

[2] العبادة في الإسلام، صفحه (17).

- سبَنْسَر، هربرت *Herbert Spenser* (1820–1903) فيلسوف إنجليزي، يعتبر أحد أبرز القائلين ب "الداروينية الاجتماعية"، آمن قبل داروين بتطور الأنواع من أشكال بسيطة إلى أشكال معقّدة. أشهر آثره كتاب " الفلسفة التركيبية.
- هيرشل، السير وليم Sir William Hershel (1738–1822)، عالم فلك إنجليزي، اكتشف الكوكب السّيار "أورانوس" عام (1781)، وفي عام (1783) اكتشف قمرين من أقمار أورانوس وقمرين من أقمار زُحل. – ويرجع إليه فضل اكتشاف أكثر من 2500 عنقود نجمي وسديم وما يزيد عن ثمانمائة نجم مزدوج.

[3] الفصل الثالث من هذا الباب، صفحه (182).

بالعقول إلى الايمان، ذلك لأنّ عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة، فلا يتابع السّير إلى ما
ورائها، ولكنه إذا أمعن النّظر، فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بدّاً من التسليم بالله)[353]

أمّا الدكتور "ميريت ستانلي كونجدن *Stanley*" عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية، وإخصائي في الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم، فيقول:

(إنّ جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى، ويدلّ على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الإستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كلّ ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته)[354]

إنّ التفكر في الموجودات الكونيّة، لأهم الشواهد التي توصل ولا بدّ إلى الايمان بالله تعالى خالقاً وحيداً لهذا الكون، ولتثبيت ايمان المؤمن، وهذا النهج هو الذي أوصل الدكتور ستانلي إلى ايمان الواثق المطمئن، الذي فَكَرَ وفكر فوصل للقناعة الثابتة التي لا تتزعزع، كما ورد فيما نقلناه عنه في الفقرة السابقة، وعلى نفس النّهج سار "أ. كريسي موريسون *A.Cressy Morrison*" الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، **حيث يقول:**

(إنّ استعراض عجائب الطبيعة ليدل دلالة قاطعة على أنّ هناك تصميماً وقصداً في كل شيء، وأنّ ثمّة برنامجاً ينفذ بحذافيره طبقاً لمشيئة الخالق عزّ وجل... إنّ حجم الكرة ألأرضية وبعدها عن الشّمس، ودرجَة حرارة الشّمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسُمْك قشرة الأرض وكميّة الماء، ومقدار ثاني أوكسيد
الكربون وحجم النيتروجين، وظهور الإنسان وبقاؤه على قيد الحياة، كلّ أولاء تدلّ على خروج النظام من الفوضى، وعلى التّصميم والقصد)[355]

كتبَ الكاتب والمفكر الفرنسي "مومنيه *Momnieh*" بحثاً في مجلة "الكوسموس" جاء فيه: (إذا إفترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل، أنّ الكون خُلِقَ اتفاقاً بلا فاعل مريد مختار وأنّ الإتفاقات المتكررة توصلت إلى تكوين رجُل، فهل يعقل أنّ الإتفاقات والمصادفات تُكَوِن كائناً آخر مماثلاً له تماماً في الشّكل الظاهري، ومبايناً له في التركيب الداخلي . وهو المرأة . بقصد عمارة الأرض بالناس وإدامة

---

[1] العبادة في الإسلام، صفحه (17).

[2] الله يتجلى في عصر العلم، صفحه (20).

[1] الإنسان لا يقوم وحده، الطبعة العربية، الصفحات (186 – 193).

النّسل فيها؟ ألا يَدُلُ هذا وحده على أنّ في الوجود خالقاً مريداً مختاراً، أبدع الكائنات ونَوّع بينها، وغَرَزَ في كلّ نوع غَرائز، وَمّتّعَه بمواهب يقوّم بها أمْرَه ويرتقي عليها نوعه)[356]

وما دمنا نتحدث عن التّناسُل لبقاء النوعين الإنساني والحيواني، والغرائز التي تثور متطلبة الإشباع، ليتم التزاوج والتلاقح الموصل إلى التناسل، فإلى بحث "التزاوج والتناسل" نرجع مرّة أخرى إلى "أ. كريسي موريسون" حيث يتناول الموضوع قائلاً:

(إنّ الحياة تُرغم على التّناسل لكي يبقى النّوع، وهذا دافعٌ بلغ من القوة أنّ كل مخلوق يبذل أكثر تضحية في سبيل هذا الغرض... وهذه القوّة الإلزامية لا توجد حيث توجد الحياة، فمن أين تنشأ هذه الدوافع[357] القاهرة؟ ولماذا بعد أن نشأت تستمر ملايين السنين؟ إنّه قانون الطبيعة الحيّة... الذي يأتي من إرادة الخالق)[358]

تحت عنوان "الأدلة الطبيعية على وجود الله" كتب أستاذ الطبيعة الحيوية، الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا، ومدير قسم النظائر والطاقة الذرية في معامل "أوك ريدج"، عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعة النووية، "بول كلارنس ايرسولد":

(قال الفيلسوف الإنجليزي "فرانسس بيكون" من ثلاثة قرون: "إنّ قليلاً من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد، أما التعمق في الفلسفة فيرده إلى الدين، ".... ولا شَكَّ أنّ إتجاه الإنسان وتطلعه إلى البحث عن عقل أكبر من عقله وتدبير أحكم من تدبيره وأوسع، لكي يستعين به على تفسير هذا الكون، يُعَدّ في ذاته دليلاً على وجود قوة أكبر وتدبير أعظم، هي قوّة الله وتدبيره. **وقد** لا يستطيع الإنسان أن يُسَلم بوجود الخالق تسليماً تاماً على أساس الأدلّة العِلمية وحدها، ولكننا نصل إلى الايمان الكامل بالله عندما نمذج بين الأدلّة العلمية والأدلّة الروحيّة، أي عندما ندمج معلوماتنا عن هذا الكون المُتّسِع إلى أقصى حدود الإتساع المعقّد إلى أقصى حدود التّعقيد، مع إحساسنا الداخلي والإستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذي ينبعث من أعماق نفوسنا، ولو ذهبنا نحصي ألأسباب والدوافع الدّاخليّة التي تدعو ملايين الأذكياء من البشر إلى ألايمان بالله، لوجدناها متنوعة لا يحصيها حصر ولا عد، ولكنها قوية في دلالتها على وجوده تعالى، مؤدية إلى الإيمان به..... إنّ الأمر الذي نستطيع أن نثق به كلّ الثقة، هو أنّ الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتيّة من العدم المطلق، بل إنّ لهما بداية، ولا بُدّ لكل بداية من مُبْديء، كما أننا نعرف أنّ هذا النظام الرائع المُعَقد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وأنّ معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية، كما أنّ ورائها توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الإنسان، إنها بداية مُقَدَسة وتوجيه مُقَدّس وتدبير إلهي مُحْكم.)[359]

---

[2] محمد فريد وجدي، دائرة المعارف العربية، مادة: إله.

[3] المقصود بالدوافع: الغرائز.

[4] الإنسان لا يقوم وحده، صفحه (146).

[1] الله يتجلى في عصر العلم، الصفحات (35 – 38).

إمّا أشهر من وضع نظريات علم الميكروبات، وكشف دور الجراثيم في الإصابة بالأمراض، كان الكيميائي البيولوجي الفرنسي "لويس باستور *Louis Pastor*"[360] فيقول:

(الإيمان لا يمنع أي إرتقاء كان، لأنّ كلّ ترقٍ يبين ويسجل الإتساق البادي في مخلوقات الله، ولوكنت علمت أكثر مما أعلَم اليوم لكان إيماني بالله أشَد وأعمق مما هو عليه الآن... إنّ العِلم الصحيح لا يمكن أن يكون مادياً، ولكنه على خلاف ذلك يؤدي إلى زيادة العِلم بالله لأنه يَدُلُ بواسطة تحليل الكون على مهارة وتبصُر، وكمال عقل الحكمة التي خلقت النّواميس المدبرة للوجود كما لا حد له).

كتب الكيميائي وعضو أكاديمية العلوم، وعميد كليّة الطب الفرنسية، "الدكتور ويتز *Witts*" **يقول:** (إذا أحسست في حين أنّ عقيدتي بالله قد تزعزعت وجَهْتٌ وجهي إلى أكاديمية العلوم.)

أما الجيولوجي الذائع الصيت، والمدرس بجامعة السوربون "أدموند هيربرت" فيقول:

(العِلم لا يمكن أن يؤدي إلى الكفر ولا إلى الماديّة، ولا يفضي إلى التشكيك.)

كانت تلك الإستشهادات هي آراء بعض أقطاب العِلم الطبيعي، تم إختيارهم من جم كثير مما ذكره "ليون ووتي" الذي نشر بحثاً تحليلياً للدكتور الألماني "دينرت" لأكابر ومشاهير العلماء فتبيّنَ له من دراسة *290* عقل عالِمٍ شهير ما يلي: "*28* منهم لم يصلوا إلى عقيدة ما، *242* أعلنوا على رؤوس الأشهاد الايمان بالله الخالق،

20 فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية ولا ملاحدة، فإذا إعتبرنا الغير مبالين من الملاحدة أيضاً، كانت نسبة المؤمنين منهم *92* %)[361]

وجّهَ أحد رجال الأعمال سؤالاً إلى العالِم الفسيولوجي "أندرو كونواي إيفي"[362]:

سمعت أنّ معظم المشتغلين بالعلوم ملحدين .فهل هذا صحيح؟ فأجابه: (إنني لا أعتقد أنّ هذا القول صحيح، بل إنني على نقيض ذلك وجدت في قراءتي ومناقشاتي أنّ معظم من اشتغلوا في ميدان العِلم من العباقرة لم يكونوا ملحدين....... إنّ الإلحاد، أوالإلحاد المادي، يتعارَضَ مع الطريقة التي يتبعها رجل العلوم في تفكيره وعمله وحياته، فهو يتبع المبدأ الذي يقول بأنّه لا يمكن أن تكون آلة بغير صانع، وهو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفة، ويدخُل إلى معمله يحدوه الأملَ ويمتلىء قلبه

---

[1] باستور، لويس (1822–1895): كيميائي بيولوجي فرنسي، أثبت أنّ الخمائر خلايا حيّة، وكشف دور الجراثيم في الإصابة بمختلف الأمراض، عقّم اللبن تعقيماً جزئياً بحرارة تقتل المتعضيات الضّارة من غير أن تُحدث في المادة المعقمة تغييراً كيميائياً جوهرياً وهو ما يدعى اليوم " البسترة "، استنبط طريقة للوقاية من بعض الأمراض بالتلقيح.

[1] النصوص الأربعة السابقة، ترجمها محمد فريد وجدي، ونشرها في مجلة " الأزهر ".

[2] أندرو كونواي إيفي: من العلماء الطبيعيين ذوي الشهرة العالمية، من سنة 1925 إلى سنة 1946. رئيس قسم الدراسات الفسيولوجية والصيدلية بجامعة نورث وسترن، من سنة 1946 إلى سنة 1953. أستاذ في كلية الطب ووكيل الكلية في جامعة الينوى حتى سنة 1958، أستاذ الفسيولوجي ورئيس قسم العلوم الأكلينية بكلية الطب بجامعة شيكاغو.

بالإيمان، ومعظم رجال العلوم يقومون بأعمالهم حُبّاً في المعرفة وفي الناس وفي الله.... وكما قال "ماكس بلانك" العالم الطبيعي الذي فتح الطريق إلى أسرار الذرة: "إنّ الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معاً في معركة مشتركة ضدّ الشّك والجحود والخرافة، ولقد كانت الصيحة الجامحة في هذه الحرب وسوف تكون دائماً: الله")[363]

وننقل عن "لورد كليفي" . وهو من علماء الطبيعة البارزين في العالَم . قوله: (إذا فكرتَ تَفكيراً عَميقاً فإنّ العلوم سوفَ تضطرك إلى الإعتقاد في وجود الله)[364]

ومرّة أخرى وكما ورد في كتاب "العالم وأينشتاين" تصريح العالِم الشهير "اينشتاين" صاحب النظرية النسبية: (إنّ الإيمان هو أقوى وأنبل نتائج البحوث العلمية).

إنّ العلوم تدعم الإيمان بالله تعالى، هذا ما يؤكده الدكتور "ألبرت ماكوب ونشتر" المتخصص في علم الأحياء، والإخصائي في علم الوراثة وفي تأثير ألأشعة السينية على الدوسوفيلا، بعد أن حاولت عمته أن يعدل عن قراره دراسة العلوم، خوف أن يقضي ذلك على ايمانه بالله:

(وانني لأشعر بالغبطة تملأ قلبي اليوم، بعد أن درست العلوم المختلفة، واشتغلت بها سنوات عديدة، ولم يكن في ذلك ما يزعزع لإيماني بالله، بل إنذ اشتغالي بالعلوم قد دعم إيماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان علية من قبل، ليس من شَكٍ أنّ العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائرة بحثه ودراسته زاد إيمانه بالله)[365]

نعم... إنّ الآيات والدلائل التي يجدها العالِم في مختبره، والباحث في مشاهداته، كلّ تلك الدلائل والمشاهدات إن أعمل العقل في التفكر بها بنزاهة وتجرد، ورغبة في الوصول إلى الحقيقة، فستوصل حتماً وبدون شَك إلى النتيجة الحتمية القاطعة، وهي الإيمان بالله تعالى خالقاً لهذا الكون بموجوداته ومدبراً له، وستوصل بالتالي إلى الإيمان القاطع بعقم وتفاهة جميع النظريات المادية والإلحادية ونبذها.

وفي مجال تصنيف الكائنات الحية، توصل العالم الإنجليزي "جون ري *J. Ray*" في القرن السابع عشر، لإيجاد نظام تصنيفي حين عرّفَ النّوع "*Species*" بأنّه المجموعة من الأفراد المتشابهة التي تنحدر من آباء تشبهها. وقال: "النّوع لا ينتج من نوع آخر" كما افترض "ري" أنّ عدد ألأنواع في الطبيعة ثابت ومحدود.[366]

أما العالِم السويدي "كارل لينيوس *C. Linnaes*" (*1707–1778*) فقد توصل إلى الأسلوب التقليدي في التصنيف والذي ما زال قائماً حتى يومنا هذا، ويستند هذا النظام على أوجه الشبه في تركيب أجسام الكائنات الحية التي تنتمي إلى نفس المجموعة في التصنيف، مرتكزاً في نظامه على

---

[3] الله يتجلى في عصر العلم، الصفحات (150 – 162).

[4] المصدر السابق، صفحه (23).

[1] الله يتجلى في عصر العلم، الصفحات (104 – 105).

[1] د.عدنان بدران وآخرين، البيولوجيا، صفحه (104).

تعريف "ري" للنوع، وعلى اعتقاده أنّ كل نوع ثابت لا يعتريه تغيير، وبذلك فإنّ عدد الأنواع محدود.[367]

لقد كانت تلك الآراء التي سقناها في هذا الفصل، هي آراء لمشاهير العِلم في معظم تخصصاته، وهي جميعها . وكثير غيرها، لايتسع المجال لذكرها . تُكَذِبُ إدعاء من قال بإجماع العلماء على صحة نظريات التطور المادي، بل تَدُلّ على توجه نَيِرٍ نحو الإيمان بالله تعالى، تدعمه الأدلة والبراهين القاطعة.

أما من تلبسوا بثياب العلماء من دعاة التطور المادي، فإنَه ينقصهم الوعي والفكر المستنير والنّزاهة والتجرد، وإلا لكان مصير نظرياتهم التلاشي، فلو أعملوا عقولهم في المخلوقات وقوانين الوجود، وفي أنفسهم، لآمنوا كما آمن من كان قبلهم، وكما آمن من أتى بعدهم.



كل جنس من المخلوقات الحيوانية والنباتية ينتج مثله في النوع والحجم.

النوع لا ينتج من نوع آخر

[2] المصدر السابق.

وأخـــــيراً...

لقد كتب داروين منذ حوالي المائة وخمسين عاماً في الفصل السادس من كتابه "أصل ألأنواع"، يقول: (إني لا أشُكّ بأنّ إعتراضات كثيرة قد خطرت ببال القاريء قبل أن يصل إلى هذا الفصل من كتابي، وبعض هذه الإعتراضات خطير إلى درجة أني حتى اليوم، لا أفكر بها إلا وتعتريني هَزّه) !!!

كان هذا النّص في الفصل السادس . باب مشكلات النظرية .، وظهر في الترجمة العربية طباعة سنة (*1959*)، ومما يلفت النظر أنّ هذا النّص بالكامل قد جرى حذفه من طبعة مطبعة النّهضه[368] التي قام بترجمتها "إسماعيل مظهر"!!!!.

فهل يمكن لعاقل أن يؤمن بنظريّة واهيه كتلك على أنها حقيقة واقعة يجب الإيمان والتسليم بها، في حين أنّ من نُسِبَ إليه ابتداعها واختلاقها، ومن عُرفَ أنّه عَراب النظرية ومرجعها، حتى أنها قد إشتهرت بنسبتها إليه، يهتز للإعتراضات التي وَرَدَت، أو التي سَتَرِد على النظرية؟ ولا أخال عاقل سَيُفَسِرَ الهَزّة التي ستعتري داروين، أنها هزة الواثق المطمئن إلى صحة وسلامة نظريته!!!

هذا علاوة على أنه بعد مرور قرن ونصف على ابتداع تلك النظرية، وعلماء التطور مستمرون في أبحاثهم، دائبون نشطون من أجل إثباتها، ورغم ذلك فإنهم عاجزون تماماً عن إثبات واقعيّة التطور المادي ومصداقية نظرياته، رغم الأبحاث الطائلة التي قاموا بها، ورغم الإمكانات الهائلة التي وضعت تحت تصرفهم، ورغم تسخير العِلم والمعامل والمختبرات، ورغم الخدع والتزويرات التي قام بها البعض الآخر منهم، ورغم توجيه الإعلام بكافة وسائله لصالحهم، وذلك ما

اعترف به مؤلف كتاب "سنة العِلم" المطبوع باللغة الإنجليزية عام (*1966*) حيث يقول:

(على الرغم من النجاحات التي أحرزها عِلم الآثار، فإنّ العلماء ما زالوا في بداية المهمة العظيمة التي يتوخونها، ونعني بذلك مَعْرِفَة تاريخ الإنسان.)

كما أنّ التناقض واضح جداً في أقوال وتصريحات مشاهير علماء النظرية المتحمسين لإثباتها، ففي مطالعة كتاب العالِم "دوبز هنسكي *T.Dobzhansky*" المعرف باسم "الأساس الحيوي لحرية

[1] المرجع، الصفحات (328 – 390).

الإنسان" نجده يقول بصراحة: (لقد ثبت بما لا يدع مجال للشك، حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، بأنّ التطور أمر واقع...)[369] في حين أنّه بعد صفحتين من هذا القول يرجع ليقول وفي نفس الكتاب: (مما لا شَكّ فيه أنّ المظاهر التاريخية المتممة لحلقات التطور ما زالت غير معروفة تماماً... ولا نستطيع أن نرى الأسباب التي قرّرت تطور النّوع الإنساني إلا من خلال ضَباب.)[370]

فهو من جهة يؤكد ويجذم بما يرغبه ويريده من أنّ التطور هو حقيقة وأمر واقع يجب الإعتراف والإيمان به، نجده من جهة أخرى يعترف ويقر بأنّ المظاهر التي قرّرت حلقات هذا التطور غير معروفة تماماً!! بل وأنه يراها من خلال ضباب!!! وهل يرى شيئاً ثابتاً واضح المعالِم من خلال ضباب؟ وما أخاله يقصد إلا أنّ كلّ تلك النظريات المادية ما هي إلا سَراب خادع تشبث به وتعلق تائهون هائمون على وجوههم.

أما "الموسوعة البريطانية" فتقول: (ليس لدينا أدنى شَك فيما يتعلق بكون التطور حقيقة واقعة، وأنّ الأدلة عليها في الوقت الحاضر غير قابلة للنقض.)[371]

غير أنّه ورغم هذا التأكيد القاطع على رجحان أدلتهم التي لا يتطرق إليها النقض أو الشّك، نجد أنّ نفس الموسوعة المذكورة آنفاً وفي موضع آخر تصف تلك الأدلة الغير قابلة للنقض قائلة: (إنها غير كافية، وغير متسلسلة، بل أنّ بها كثير من الفجوات...)[372] وتردف نفس الموسوعة قائلة: (إننا ما زلنا لا نعرف شيئاً عن هذه الظواهر الحيوية التي قررت هذا التغيير)[373]

أما "سير بيير *Sir Gavin Beer*" فلم يتردد بأن يقول في كتابه الأخير المطبوع بعنوان "شارل داروين" مايلي: (لقد أعلن داروين بأنّ الأدلة سوف توجد في يوم من الأيام، وقد أتى هذا اليوم لأنّ سلسلة المستحاثات التي مَرّ ذكرها تقدم لنا الأدلة القاطعة على أنّ الإنسان ثمرة التطور)[374]

غير أنّ هذا التأكيد على الأدلة القاطعة التي إدعاها "بيير"، لم يمنع عالماً آخر هو "د. كلارك *Le Gros Clark*" أن ينقض ذلك الإدعاء قائلاً: (إنّ العثورعلى مستحاثات لأجدادنا الحقيقين، أوحتى العثور على نماذج الجماعات الجغرافية المحليّة التي انبثق عنها أجدادنا الحقيقيون أمر احتماله من الضعف بحيث نرى من العبث توقع امكان حصوله.)[375]

---

[1] خلق لا تطور، صفحه (17)، نقلا عن: *The biology basis of human freedon.*

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

[1] خلق لا تطور، صفحه (17).

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

[4] المصدر السابق، صفحه (18)، نقلاً عن: غرو كلارك، أدلة المستحاثات على تطور الإنسان.

إنّ ثبات نظرية داروين وشبيهاتها من نظريات التطور المادي، لهو أوهى من خيط العنكبوت، ولا يستطيع عاقل أن يطلق على نظرية التطور المادي صفة الحقيقة العلمية، لأن تلك النظرية هي في حقيقتها أبعد ما تكون عن كونها من الحقائق، بل هي تخيلات وأوهام لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وقد قرّرَ ذلك "د. كلارك" وهو أحد علماء التطور المشهورين، ومن أشهر المتحمسين لها، بالعبارات

التالية: (من المؤسف أن تكون كل الأجوبة التي طرحت لمعرفة أصل الإنسان، تقوم على دلائل غير مباشرة، وأكثرها يقوم على فرضيات.)[376]

ونقص الأدلة أو حتى انعدامها، هو رأي أخبر به معظم علماء التطور، وممن اعترف بذلك "رئيس الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم"، حيث قال بصدد حديثه عن التطور:

(تعال معي لنقوم برحلة فرضية فيما قبل التاريخ، ولنتصوّر الزّمن الذي ظهر فيه نوع الإنسان "سابين *spiens*"، ولنقطع بسرعة الآف السنين التي تعتمد في القسم الأكبر من معلوماتنا الحاضرة عنها على الحدس والتخمين والإستنتاج، إلى أن نصل إلى فترة الوثائق التاريخية التي تسمح لنا بالتقاط بعض الوقائع...)[377]

وأول عصر الوثائق، مضت الآف السنين من عمر الإنسان قبل أن تبدأ . على حد زعمهم . وعلمائهم يزعمون بأنّ مراحل التطور التي يظن بأنها قد سبقت عصر الوثائق، والتي لم يرها الإنسان الحديث رؤية العين، إنّما بُنيت على الحدس والظن والشَك والتأويل والتفسير والبحث النظري الإفتراضي، أي هي بالتالي عبارة عن مجموعة من الفرضيات.

أمّا بالنسبة لعمدة كتبهم، وأشهر مراجعهم ومصادرهم، وهو كتاب عرابهم الشهير "داروين" صاحب النظرية المسماة باسمه وهو كتاب "أصل الأنواع"[378] فقد أبدى أحد مشاهير العلماء الإنجليز بالملاحظة التالية عليه:

(لقد أحصي ما جاء في كتاب "أصل الأنواع" فوُجِد أكثر من *800* جملة إرتيابية، مثل قوله: قد نستطيع أن نستنتج، قد يمكن ان يكون....ألخ، فالمرء الذي يبحث ليفهم لا يلبث عند سماع هذه العبارات الإرتيابية أن يقع في حيرة من هذه

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق، نقلاً عن مقال للمذكور نشر له في مجلة " العلوم " الأمريكية.

[3] The *Origin of Species, Sharles Darwin.*

التناقضات، إذ يرى بعض العلماء يؤكدون على التطور بصراحة، ويرى آخرون يعترفون بأنّ كل الاستنتاجات هي فرضية)[379]

وهذا التناقض هو الذي دفع العالِم الفسيولوجي الملحق باللجنة المركزية للطاقة النووية "تهميسيان *T.N.Tahmisian*" إلى القول: (إنّ العلماء الذين يؤكدون على أنّ التطور واقع علمي هم منافقون، وأنّ ما يروونه من أحداث إنّما هو من الشعوذات التي ابتدعت ولا تحتوي على نقطة واحدة من الحقيقة) إلى أن يصف تلك النظرية بأنها:

(خليطة مضطربة من الأحاجي وشعوذة الأرقام)[380] أما رئيس فرع العلوم بإحدى الجامعات "كلوتز *J.W.Klotz*" يقول: (إنّ الإعتقاد بالتطور يحتاج إلى كثير من السذاجة)[381]

وذكر "ويكرز شامبرز *Wikers Chamber*" في كتابه "الشهادة *Witness*" حادثاً كان من الممكن أن يصبح نقطة تحول في حياته، ذكر أنه بينما كان ينظر إلى إبنته الصغيرة استلفت أذناها نظرهُ، فأخذ يفكر أنّ من المستحيل أن يوجد شيء معقد ودقيق كهذه الأذن بمحض إتفاق، بل لا بد أنه وجد نتيجة إرادة مدبرة، لكنه طرد هذه الوسوسة عن قلبه حتى لا يضطر إلى أن يؤمن بالذات التي أرادت فدبرت، لأنّ ذهنه لم يكن على استعداد لتقبل هذه الفكرة الأخيرة.[382] ويعلق الدكتور "تامس ديودباركس" على ذاك الحادث بقوله: (انني أعرف عددا كبيراً من أساتذتي في الجامعة، ومن رفقائي العلماء الذين تعرضوا مراراً لمثل هذه المشاعر، وهم يقومون بعمليات كيماوية وطبيعية في المعامل.)[383]

يتضح من تلك الرواية، أنّ الأدلة مهما كانت مقنعة وقاطعة، فمن الممكن ألا تقنع بعض الناس، لأن أبواب عقولهم المادية موصدة دون أي كلام عن الله والإيمان، ومن المؤكد أنّ موقفهم هذا ليس لأن الإستدلالات والبراهين المطروحة أمامهم ضعيفة أو عاجزة، بل إنّ ذلك راجع إلى تعصبهم المقيت ضد كل ما يوصل للإيمان، ويشير إلى ذلك العالِم البريطاني الشهير "سير جيمس جينز" في كتابه "عالم الأسرار" حيث مرّ معنا سابقاً قوله: (إنّ في عقولنا الجديدة تعصباً يرجح التفسير المادي للحقائق)[384]

إنّ غريزة التدين هي غريزة فطريّة في الإنسان، لايخلو منها أي انسان كان، ومن أبرز مظاهرها التقديس، وأمثال هؤلاء، يكابرون ويكبتون تلك الغريزة، فيصرفون مظهر التقديس المنبثق عنها

---

[1] خلق لا تطور، صفحه (19).

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق، صفحه (20).

[4] الإسلام يتحدى، صفحه (42)

[5] المصدر السابق، نقلاً عن: *The Evidence of God, p. 73-74.*

[1] المصدر السابق، نقلا عن: *Mysterious Universe, p. 189.*

إلى تقديس الطبيعة أوتقديس العلم أوتقديس مظاهر معينة، ليصرفو مظهر الغريزة لتقديس تافه بدل عبادة الله، فالتعصب الأعمى للتفسير المادي للحياة له جذور عميقة، يصعب معها اثناؤهم عنها حتى بالأدلة الدامغة، ويعلق على ذلك العالِم الأمريكي "جورج بلونت": (إنّ كون العقيدة الإلهية معقولة، وكون إنكار الإله سفسطة، لا يكفي لإختيار الإنسان جانب العقيدة الإلهية، فالناس يظنون أن الإيمان بالله سوف يقضي على حريتهم، تلك الحرية العقلية التي استعبدت عقول العلماء واستهوت قلوبهم، فأية فكرة عن تحديد هذه الحرية مثيرة للوحشة عندهم.)[385]

يتضح مما سبق أنهم بتعصبهم اللاعقلاني الساذج للتطور المادي، قد قصدوا منه بعناد عدم الإيمان بالحقائق رغم سيطرتها علىعقولهم أحياناً، صارفين بذلك ثوران غريزة التدين المتطلب الإشباع إلى إشباع منحرف، ولا أرى تعليقاً على ذلك أبلغ من المثل العربي العامي القائل: "عَنزَه وإن طارت" وحقاً فإنّ الكفر في حقيقته لا يعدو أن يكون إلا عِناداً!!!

ويرد الأستاذ "أ. كريسي موريسون" على نظريات التطور المادي مناقشاً:

(إننا نستطيع أن نضع نظرية تبين كيف تطورت جميع الكائنات الحية من الخلية الأصلية، ولكن العِلم يقف عند هذا الحد، ويمكننا أن نتفق مع ذوي العقول الممتازة الذين أدت بحوثهم المضنية إلى اعطائنا فكرة حقيقية عن الوقائع الطبيعية للحياة المادية، ولكننا غير ملزمين بالوقوف حيث وقفوا، لأنهم لم يتبين لهم صنع الخالق في كل ذلك.

إنّ كون الإنسان في كل مكان ومنذ بدء الخليقة حتى الآن، قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم،[386] يدل على أنّ الدين فطري فيه، ويجب أن يقر العِلم بذلك، وسواء أحاط الإنسان صورة محفوره بشعوره بأنّ هناك قوّة خارجية للخير أو الشّر أم لم يفعل، فإنّ ذلك ليس هو الأمر المهم، بل الحقيقة الواقعة هي إعترافه بوجود الله، والذين أتيح لهم العِلم بالعالَم لا يحقّ لهم أن ينظروا نظرة الإزدراء إلى فجاجة الذين سبقوهم أو الذين لا يعرفون الآن الحق كما نراه.

بل أننا على العكس من ذلك يجب أن تأخذنا الرّوعة والدّهشة والإجلال لإتفاق البشر في نواحي العالم عن البحث عن الخالق والإيمان بوجوده! أوليست روح الإنسان[387] هي التي تشعر

---

[2] المصدر السابق، صفحه (43)، نقلً عن: *Gorge H. Blount, the Evidence of God, P. 130.*

[1] إنّ الكاتب يشير هنا إلى غريزة التدين الموجودة فطرياً لدى الإنسان، والناتجة عن شعوره بالنقص والعجز والاحتياج.

[2] الروح هنا: إدراك الإنسان لصلته بخالقه.

بإتصالها بالله؟ أم نخشى أن نقول بأنّ الحافز الديني[388] الذي لا يملكه إلا الإنسان هو جزء من هذا الكائن الواعي كأيّة صفة أخرى

من خصائصه؟[389] إنّ وجود الحافز هو برهان على قصد العناية الإلهية[390] ولا يقل شأناً عن عقل الإنسان المادي الذي يكمن فيه كونه الحساس.[391]

إنّ أي ذرة أو جزيء[392] لم يكن له فكر قط، وأي إتحاد للعناصر لم يتولد عنه رأي أبداً، وأي قانون طبيعي لم يستطع بناء كاتدرائية، ولكن كائنات حية معينة قد خلقت تبعاً لحوافز معينة للحياة، وهذه الكائنات تنتظم شيئاً تطيعه جزئيات المادة بدورها، ونتيجة هذا وذاك كل ما نراه من عجائب العالَم، فما هو هذا الكائن الحي؟ هل هو عبارة عن جزئيات وذرات؟ أجل، وماذا أيضاً؟ شيء غير ملموس، أعلى كثيراً من المواد لدرجة أنه يسيطر على كل شيء، ومختلف جداً عن كل ما هو مادي مما صنع منه العالَم، لدرجة أنه لا يمكن رؤيته ولا وزنه ولا قياسه. وهو فيما نعلم ليست له قوانين تحكمه.[393]

إنّ روح الإنسان هي سيدة مصيره، ولكنا نشعر بصلتها بالمصدر الأعلى لوجودها، وقد أوجدت للإنسان قانوناً للأخلاق لا يملكه أي حيوان آخر ولا يحتاج إليه، فإذا سمى أحد ذلك الكيان بأنه أفضل لتكوين المادة، لا لشيء إلا لأنه لا يعرف كنهه بأنبوب إختبار، فهو إنما يزعم زعماً لا يقوم على برهان، إنّه شيء موجود، يظهر نفسه بأعماله وتضحياته وبسيطرته على المادة، وعلى الأخصّ بقدرته على رفع الإنسان المادي من ضعف البشر وخطئهم إلى الإنسجام مع إرادة الله.

هذه هي خلاصة القصد الرّباني، وفيها تفسيرات للإشتياق الكامن في نفس الإنسان،[394] للإتصال بأشياء أعلى منه ومن نفسه، وفيها كشف عن أساس حافزه الديني، هذا هو الدين.[395]

---

[3] غريزة التدين .

[1] كالعقل والإدراك والتكلم وانتصاب القامة مثلاً.

[2] إنّ الدين الإسلامي وكل الأديان السماوية قبل تحريفها، تدعوا الإنسان إلى استعمال العقل والتفكر في الموجودات للأيمان بالله تعالى. والإسلام يرفض ما يسمى (إيمان العجائز) الذي لا يقوم على التفكر وإعمال العقل.

[3] إنّ الإنسان من دون المخلوقات جميعاً . بما في ذلك جميع الحيوانات . هو الوحيد الذي يملك العقل المميز، والذي بواسطته يحكم على الواقع أو الشيء ما هو، وذلك بنقل الواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس مع وجود معلومات سابقة تفسر هذا الواقع. وهذا ما يطلق عليه (العملية التفكيرية).

[4] *Atom or Molecale.*

[5] المقصود هنا هو الله تعالى خالق القوانين.

[1] المقصود هنا: غريزة التدين، الناشئة عن الشعور بالعجز الطبيعي في الإنسان، وحاجته للخالق المدبر، وربط ذلك بالإيمان بوجود الآخرة حيث يحاسب الإنسان على ما قدمت يداه، وذلك ما يدفع الإنسان إلى ما يسمى (مزج المادة بالروح) الذي يدفع الإنسان للتقيد بما أمر الله والابتعاد عما نهى.

[2] هذا هو الدين: اعتقاد جازم، وتقيد بالأحكام التي يفرضها هذا الاعتقاد.

والعِلم يعترف باشتياق الإنسان إلى أشياء أسمى منه ويقر بذلك، غير أنّه لا ينظر نظرة جديّة إلى مختلف العقائد والمذاهب، وإن يكن يرى طرقاً تتجه إلى الله، والذي يراه العِلم ويقرره جميع المفكرين، هو أنّ الإعتقاد العام بوجود الله له قيمة لا تقدر.

إنّ تقدم الإنسان من الوجهة الأخلاقيّة وشعوره بالواجب إنما هو أثر من آثار الإيمان والإعتقاد بالخلود، وأن غزارة التدين لتكشف روح الإنسان، وترفعه خطوة خطوة حتى يشعر بالإتصال بالله، وإنّ دعاء الإنسان الغريزي لله بأن يكون في عونه وخاصة في ساعات الشّدائد لأمر طبيعي، وإنّ أبسط صلاة تسمو به إلى مقربة من خالقه، إنّ الإنسان لا يقوم وحده)[396] ويستطرد "موريسون" متسائلاً عن سر الحياة، وهل هي من صنع المادة، فيقول: (إنّ المتفق عليه عموماً هو أنّه لا البيئة وحدها، ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتي بالحياة إلى الوجود)[397]

وله أيضاً: (فالحياة هي المصدر الوحيد للوعي والشعور، وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله ويبهرنا جماله، وإن كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوه.)[398]

وفي إثبات بطلان نظرية المصادفة، يقول "الدكتور ايرفنج وليام نوبلوتشي"[399]

(إنّني أعتقد في وجوده سبحانه وتعالى لأني لا أستطيع أن أتصور أنّ المصادفة وحدها تستطيع أن تفسّر لنا وجود الألكترونات والبروتونات الأولى، أو البروتوبلازم الأول، أو الذرات الأولى، أو الأحماض الأمينية الأولى، أو البذره الأولى، أو العقل الأول، إنني أعتقد في وجود الله، لأنّ وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها)[400]

أما إخصائي الكيمياء الجيولوجية "واين أولت"[401] فيدلي بدلوه في الموضوع بقوله: (ويسلم كثير من الناس تسليماً منطقياً بوجود الغاية أو الحكمة من وراء الظواهر الطبيعية، ولا شك أنّ اعتقاد وجود اله خالق لكل الأشياء يعطينا تفسيراً بسيطاً سليماً واضحاً عن النشأة والإبداع والغرض أو الحكمة، ويساعدنا على تفسير جميع ما يحدث من الظواهر، أما النظريات التي ترمي إلى تفسير الكون تفسيراً آلياً فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى إلى

---

[3] العلم يدعو للإيمان، الصفحات (191 – 196).

[4] المصدر السابق، صفحه (96).

[5] المصدر السابق، صفحه (88).

[1] أيرفنج وليام نوبلوتشي: أستاذ العلوم الطبيعية، حاصل على درجه الدكتوراه من جامعة أيوا، أخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة، أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميتشجان منذ سنة 1945، أخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهري.

[2] الله يتجلى في عصر العلم، صفحه (54).

[3] واين أولت: أخصائي الكيمياء الجيولوجية، حاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا، زميل بحوث بالمعمل الكيماوي الجيولوجي بنيويورك، عضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية.

محض المصادفة، فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد إكمال الصورة والبعد بها عن التشويه، ولكن حتى بغضّ النظر عن الإعتبارات الدينية عامة، نجد أنّ فكرة وجود الله أقرب إلى العقل والمنطق من فكرة المصادفة ولا شك، بل لإنّ ذلك النظام البديع الذي يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تخبط خبط عشواء)[402]

وفي النّظر إلى الحقائق دون ملل أو تحيز، وهو ما عَنوَنَ به مقاله يقول "الدكتور ادوارد لوثر كيسيل"[403]

(... فالعلوم تثبت بكل وضوح أنّ هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة، ومعنى ذلك أنّ الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيموية أو طبيعية، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها في هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة، ولا تزال العمليات الكيموية والطبيعية تسير في طريقها، فاننا نستطيع أن نستنتج أنّ هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياّ، وإلا لإستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود، وهكذا توصلت العلوم . دون قصد . إلى أنّ لهذا الكون بداية. وهي بذلك تثبت وجود الله، لأنّ ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدئ، أو من محرك أوّل، أو من خالق هو الإله... ولا يقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أنّ لهذا الكون بداية، فقد أثبتت فوق ذلك أنّه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة، والواقع أنّ الكون لا يزال في عملية انتشار مستمر تبدأ من مركز نشأته، واليوم لا بد لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يأمنوا بفكرة الخلق أيضاَ، وهي فكرة تستشرق على سنن الطبيعة، لأنّ هذه السنن إنما هي ثمرة الخَلق، ولا بد لهم أن يسلموا بفكرة الخالق الذي وضع قوانين الكون، لأنّ هذه القوانين ذاتها مخلوقة، وليس من المعقول أن يكون هناك خَلق دون خالِق: هوالله... ولو أنّ جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق بنفس روح الأمانة والعِلم والبعد عن التّحيز الذي ينظرون به إلى نتائج بحوثهم، ولو أنهم حَرروا عقولهم من سلطان التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم، فإنهم سيسلمون دون شَك بوجود الله، وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسر الحقائق، فدراسة العلوم بعقلٍ متفتح سوف تقودنا بدون شّك إلى وجود السبب الأول الذي هو الله.)[404]

وفي معرض حديثه عن الإنتخاب الطبيعي، في نفس المقال، يستطرد قائلاً:

(....... والانتخاب الطبيعي هو أحد العوامل الميكانيكية للتطور، كما أنّ التطور هو أحد عوامل عملية الخلق، فالتطور إذن ليس إلا أحد السنن الكونية أو القوانين الطبيعية، وهو كسائر القوانين

[4] الله يتجلى في عصر العلم، الصفحات (131 – 132).

[1] د. إدوارد لوثر كيسيل: أخصائي في علم الحيوان والحشرات، حاصل على دكتوراه من جامعة كاليفورنيا، أستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرانسيسكو، متخصص في دراسة أجنة الحشرات والسلامندر والحشرات ذوات الجناحين.

[1] المصدر السابق، الصفحات (27 – 28).

العلمية الأخرى يقوم بدور ثانوي، لأنه هو ذاته يحتاج إلى من يبدعه، ولا شك أنه من خلق الله وصنعه، والكائنات التي تنشأ بطريق عملية الإنتخاب الطبيعي قد خلقها الله أيضاً كما خلق القوانين التي تخضع لها، فالانتخاب الطبيعي ذاته لا يستطيع أن يخلق شيئاً وكل ما يفعله هو أنه إحدى الطرق التي تسلكها بعض الكائنات في سبيل البقاء أو الزوال عن طريق الحياة والتكاثر بين الأنواع المختلفة، أما الأنواع ذاتها التي يتم فيها الانتقاء فإنها تنشأعن طفرات تخضع لقوانين الوراثة وظواهرها، وهذه القوانين لا تسير على غير هدى ولا تخضع للمصادفة العمياء كما يتوهم الماديون أو يريدوننا أن نعتقد)[405]

وفي مقال بعنوان "الكشوف العلمية تثبت وجود الله" كتب عالِم الطبيعة، الدكتور "جورج ايرل دافيز "[406]:

(ولا يمكننا أن نثبت وجود الله عن طريق الإلتجاء إلى الطرق المادية وحدها، إذ لم يقل أحد بأنّ الله مادة حتى نستطيع أن نصل إليه بالطرق المادية، ولكننا نستطيع أن نتحقق من وجود الله باستخدام العقل والإستنباط مما نتعلمه ونراه، فالمنطق الذي نستطيع أن نأخذ به، والذي لا يمكن أن يتطرّق إليه الشَك، هو أنّه

ليس هنالك شيء مادي يستطيع أن يخلق نَفسَه، وإذا سلمنا بقدرة الكون على خَلق نفسه فإننا بذلك نصف الكون بالإلوهية، ومعنى ذلك أن نعترف بوجود إله، ولكننا نعتبره إلهاً مادياً وروحياً في نفس الوقت، وأنا أفضِل أن أومن بإله غير مادي خالق لهذا الكون تظهر فيه آياته وتتجلى فيه أياديه، دون أن يكون هذا الكون كفواً له.

إنّ التطور الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون، هو ذاته شاهد على وجود الله. فمن جزئيات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشري عن الإحاطة بمدى إبداعها. وقد حملت كل ذرة من ذرات هذا الكون، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حِسٌ ولا يتصور صغره عقل، قوانينها وسننها وما ينبغي لها أن تقوم به أو تخضع له.

هذه أدلة كافية، ولكن هنالك ما هو أشد إعجازاً وأكثر دلالة على وجود الله... إنّ كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله، وإنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الإستدلال بأنّ الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها.)[407]

كلما تعمق العلماء المشاهير، والعباقرة الأعلام، أصحاب الفكر النّير، في أبحاثهم العلمية، تتضح لهم الحقيقة الثابتة القاطعة، وهي خطأ وضلال نظريات التطور المادي، مما يأكد لهم قطعية الحقيقة الثابتة وهي: أن الخلق قد تَمّ على يد الخالق المبدع المدبّر، وهذا هو فحوى ما صرّح به العالِم

---

[2] المصدر السابق، صفحه (29).

[3] د. جورج ايرل دافيز: عالم الطبيعة، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة منيوستا، رئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية ببروكلين، أخصائي في الإشعاع الشمسي والبصريات الهندسية والطبيعية.

[1] الله يتجلى في عصر العلم، الصفحات (40 – 41).

الدكتور "شارل ريشيه" عضو المجمع العلمي، مدرس الفيزيولوجيا في جامعة الطب الفرنسية، في مقدمة لكتاب "الظواهر النّفسية" بصورة مبطنة وعاجزة وغير جريئة: (ولماذا لا نصرح بصوت جهوري: أنّ هذا العِلم الذي نفخر به إلى هذا الحَد ليس في حقيقته إلا إدراكاً
لظواهر الأشياء، وأما حقائقها فتفلت منا، ولا تقع تحت حواسنا، وأن الطبيعة الحقيقية للنواميس التي تقود المادة الحية أو الجامدة تتعالى أن تلم بها عقولنا.)[408]

لقد وصف الفيلسوف الإنجليزي "سبنسر *Spencer*"[409] الداروينية . وهو من أشهر دعاتها . بأنها نظرة مادية، فهي لا تستعين في تفسيرها الأشياء والوقائع بغير المادة، وبالتالي لا توافق على وجودٍ غير مادي في شيء من مظاهر الكون، وإنما تركز اعتمادها على أساس قوانين المادة وتفاعلاتها فحسب، في شتى مجالات الحياة، فإذا درست الإنسان مثلاً جنحت إلى شرح وتوضيح القوانين التي بها تستجيب الأشياء لبيئاتها وتتفاعل معها في عملية مادية طويلة استغرقت ملايين السنين، بدأت بتطور الأميبا لتنتهي بالإنسان الحاضر بجسمه المادي وعقله المدهش. فالمادة في نظرهم هي الوحيدة وهي المتنفذة وهي الفاعلة بتوجيه من قوانين التطور التي هي وحدها المتحكمة والمسيرة للمادة، لتظهر أولاً في وحيدة الخلية، ثم في المركبات البدائية، لتتبعها في الأحياء المعقدة التركيب، وأخيراً لتنتهي في الإنسان الممتاز عن غيره من المخلوقات بعقله وإدراكه، وبتعبير أدق: في عقل الإنسان ذاته... وهذه هي الحلقة الأخيرة من سلسلة التطور فقط، فيها من الغموض والإبهام مما يجعل الداروينية تتخبط في ظلام دامس.

والسّر في ذلك أنّ موضوع العقل البشـري يعتبر للآن سِراَ من الأسرار التي لم يهتدِ العِلم إلى حقيقته، ولم يتوصّلَ أبداً إلى حَلّ أسرار وحقائق هذا اللغز المحيّر.

فإذا جاز لأحَدٍ أن يؤمن بالتطور المادي حتى يصل إلى الإنسان، فإنّ أي عاقل لا يمكن أن يستوعب كيف تطور هذا الإنسان من بهيمي . كما يزعم الرويبضات[410] ممن يَدّعون العِلمَ . إلى إنسان عاقل مميز، يُدرِكُ الأدلة ويحكم عليها بعقله، هذا العقل الذي هو السّبَب في إبداع الإنسان في العلوم والصناعات والآداب والفلسفات؟

وفي موضوع العقل البشري يتحدّث الدكتور أحمد البطراوي في حيرة وعجب قائلاً:

(... ولا شَكّ أنّ استحداث الحياة من الجماد سِرٌ كانَ ولا يزال محجوباً عن بصيرة العلماء، ولكنَه ليس بالسّر المحير، فمثله ولا يقل عنه روعة ولا عجباً استحداث العقل البشري المبدع في واحد

---

[1] عن كتاب: الظواهر النفسية، لمؤلفه " ماكسويل " النائب العام في مقاطعة بوردو الفرنسية.

[2] هيربرت سبنسر :Herbert Spencer (1820 – 1903)، فيلسوف إنجليزي، يعتبر احد أبرز القائلين ب (الداروينية الاجتماعية) آمن قبل داروين بتطور الأنواع من أشكال بسيطة إلى أشكال معقدة. أشهر آثاره (الفلسفة التركيبية).

[1] الرويبضات: جمع رويبضة، وهي تصغير كلمة رابض، والتاء هي للمبالغة وليس للتأنيث: وهو الرّجل التافه يتكلم في أمور ألعامه. وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " وينطق فيهم الرويبضه..."

من ذلك الحيوان الذي حَيّرَ استحداثه أبا العلاء،[411] وهكذا يكون استحداث حيوان عاقل هو الإنسان أدعى للحيرة والعجب مرتين، ولعَلّ هذا هو السّبب في أنّ دراسة الإنسان لنفسه كانت تسير على مهل وكان خطوها وئيداً، وهو فِعلاً ما زال حتى الآن في حيرة من نشأة الحياة، وفي عجب من نشأة عَقلِه)[412]

وما دام العِلم الحديث قد عَجِزَ وفشلَ في أن يعرف من طبيعة العَقل شيئاً يمكنه التأكيد عليه، فَإنّ كل محاولاتهم الهادفة إلى تفسير العقل ليست سوى افتراضات متَشَكِكَة مُتَأرجحة، وحَلّ لنظريات واهية يرتاب العِلم في صحتها، لذا فلا يمكن بحال أن تتصف أحكام العاجزين بالصّحَة المطلقة، وإنّ أوهى تفسيرات في العقل كانت نظريات وتفسيرات الماديين حيث تخبطوا وعجزوا عَجْزاً واضِحاً في تفسير ماهيته أو الوصول إلى حقائق رموزه وأسراره.

أمّا من أدرك نِعمَة العقل الذي وَهَبَه إياهُ من فَطَرَهُ، فهو يَسْتَعْمِلَهُ في تمييز الخطأ من الصواب، والحَقّ من الباطل، يستعمِلَه بعمق واستنارة تامة، بَعْدَ تمعنه في في أسرار الكائنات الحيّة، والقوانين التي تُسَيِرَ وجودها ونموها وتكاثرها، والقوانين التي فُرِضَت على المخلوقات جميعاً من كائنات حيّة أو حتى من جمادات، تُسَيِرَها بنظام بديعٍ دقيق ومتوازن، ليصلَ بذلك إلى الحقيقة القطعيّة وهي التّصديق الجاذم المطابق للواقع بأنّ كلّ تلك القوانين والعقول والمخلوقات قد كونها وأبدعها وفرضها خالق مدبر هو الله تعالى.

يعلّق "أدموند و. سينوت" على عمليات البحث عن تفوق الإنسان العلمي وتطوره ومحاولات علماء الآثار والأحافير الكشف عن مكنوناتها، في مقال له بعنوان "إبن الطبيعة الثائر" ورد في مقدمة كتاب "أصل الأنواع" **حيث قال:**

(لم تكن قولة الشاعر "بوب" . بأنّ العِلمَ بالإنسان، أمثل سبيل بالإنسانيّة . بأبين قيمة، في أي وقت منها في عصرنا هذا، ففي مستوى من مستويات العِلم، نجد أنّ الإنسان موضع البحث الناشط الدّقيق، إحتفرت عظام أسلافه من جوف ألأرض لكي تُستَكنَه منها الوسيلة التطورية التي من طريقها وصل ألى مكانته العليا في هذا الزمن، أما العديد الوافر من المقومات التي تقوّم ذاته، فقد درست بوسائل من علم الوظائف حادة باترة، ومضى عِلم النّفس يكشف عن مكنون عقله، وطفق علماء البشر يصرفون من جهد البحث الدقيق في الكشف عن قوالب حياته الإجتماعية، مثل ما يصرف الأحيائيون نحو مستعمرات النّمل والنّحل، أما ماهي طبيعته، فقد انقطع لمدارستها الشاعر والفيلسوف واللاهوتي، بكل ما أوتوا من همّة وقدره، ولقد انكشف لنا الكثير من أمره، ولكن تبقى الأكثر مما لم يُعرَف، فالإنسان ما يزال قادراً على الإفلات من ثقوب الشباك التي تحاول أن نصيده بها، إنه عَقِد بحيث يتعذّر أن

---

[2] يشير الكاتب لأبي العلاء المعري يصف فيه الإنسان حيث يقول: والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد والبيت من قصيدة له مطلعها: غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنم شادي.

[3] الدكتور أحمد البطراوي، الجنس البشري في معرض الأحياء.

يحصر في قالب، شقيت النّواحي، بحيث يعسر أن يعرف ببساطة، إنّه مزيج من المتناقضات المحيرة، إنّه ما يزال بحق: جلال الكون ونكتته وسره)[413]

ينعت "سير راي لنكستر *Sir Rey Lanketer*" الإنسان واصفاً إياه "إبن الطّبيعه الثائر"، إلا أنّ داروين لم ينظر إلى الإنسان من هذا المنظار، كما لم ينظر إليه نظرة سينوت . الواردة في الفقرة السابقة . بل لقد نظر إلية من زاوية أخرى، أقصر باعاً من تلك مع قصرها وضحالتها، لقد نظر إليه من خلال الزّاوية التي رسمها في كتابه "أصل الأنواع"، وقد فَسّرَ فيه أسباب التطور العضوي، وقام بتطبيقها على الإنسان في كتابه الثاني "نشوء الإنسان" والذي نشره بعد كتابه الأول بعدة سنوات.[414]

لقد اقتصر داروين في كتابيه عن أصل الإنسان وتطوره بالنّظر من زاوية واحدة افترضها افتراضاً هي: **أن الإنسان يعود في أصله العضوي إلى عالَم الحيوان**. لم يمرّ بذهنه قط أنّ فيه ازدواجيّة ، وأنّه علاوة على تركيب الإنسان الجسدي ، والذي قد يتشابه في بعضها بعض المشابهة مع بعض الحيوانات ، الاّ أنّه يختلف عن الحيوان بانتصاب القامه وبجمال الخلقة، والأهم من ذلك **العقل المميز، أي بالدماغ الصالح للربط**[415] والذي يستطيع بواسطته إجراء عمليّة التّفكير ليحكم بها على الواقع وأن يتصرّف طبقاً لذلك الحكم، وأنّ هذا الإنسان به طاقات كامنة، تحوى الغرائز والحاجات العضويّة والتي يسعى لإشباعها كلما ثارت متطلبة الإشباع إشباعاّ إنسانياً مميزاً، بعيد كل البعد عن طريقة الحيوان في إشباع غرائزه.

نعـــــم: لقد تجاهل داروين كل تلك الفروقات الجوهرية، وبذل كل طاقاته وامكاناته صارفاً كل جهوده لإثبات أنّ الإنسان بجسده حيوان: حيوان لأنه يتكاثر كما الحيوان...... وحيوان لأنه يتغذى كالحيوان... وحيوان لأنه يتنفس كالحيوان... وحيوان لأنه يبول ويغوط كالحيوان... ولأنّ له أعضاء جسدية كما في الحيوان...

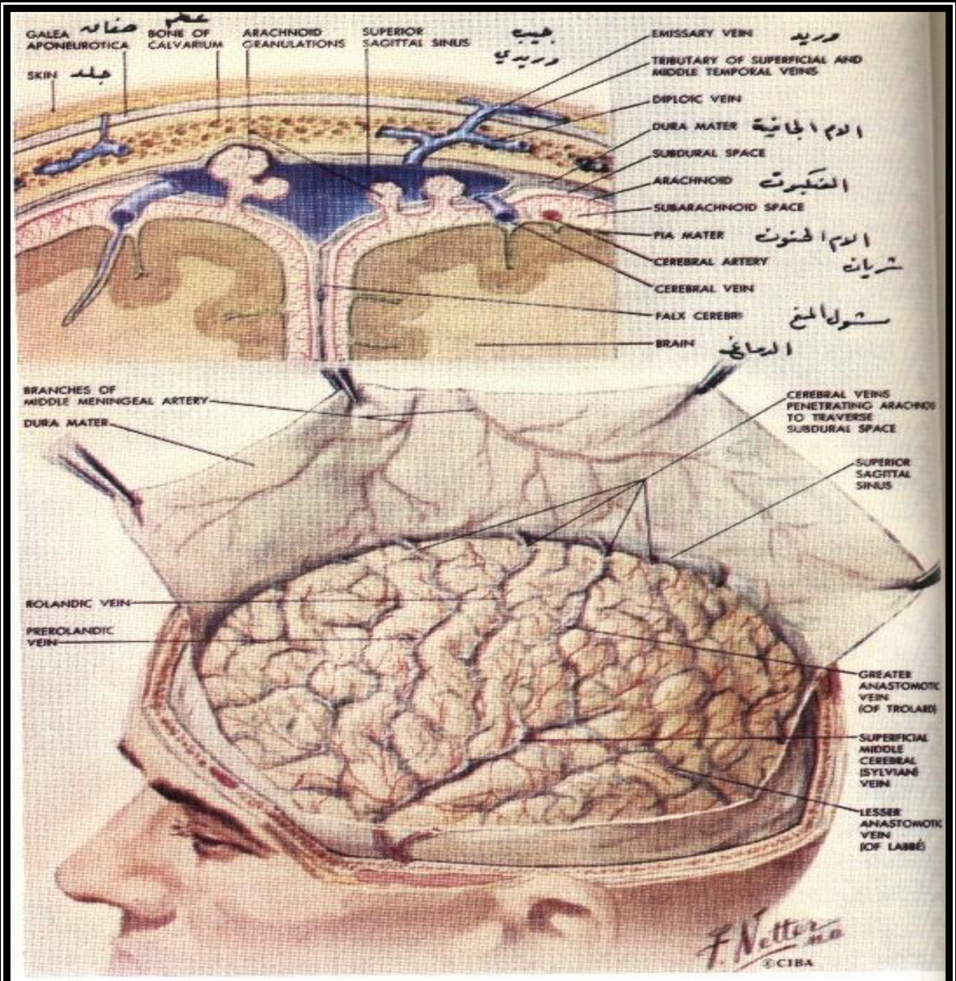
لقد ساق كل تلك الحجج الواهية، وتجاهل بل تغافل عن حقيقة أن بعضّ الحيوان يحوى في تركيبه العضوي دماغاً كبيراً ضخماً، إلا أنه غير صالح، في حين أنّ الإنسان يحوى في تركيبه العضوي دماغاً ربما يكون أصغر حجماً من أدمغة بعض الحيوانات، إلا أنه دماغ صالح للربط وصالح لإصدار الأحكام... كما وتجاهل الغرائز الموجودة في الإنسان وطريقة اشباعها المميزة عن طريقة اشباع الحيوان لغرائزه.

---

[1] المرجع، الصفحات (48 – 49).

[1] المرجع، صفحه (49).

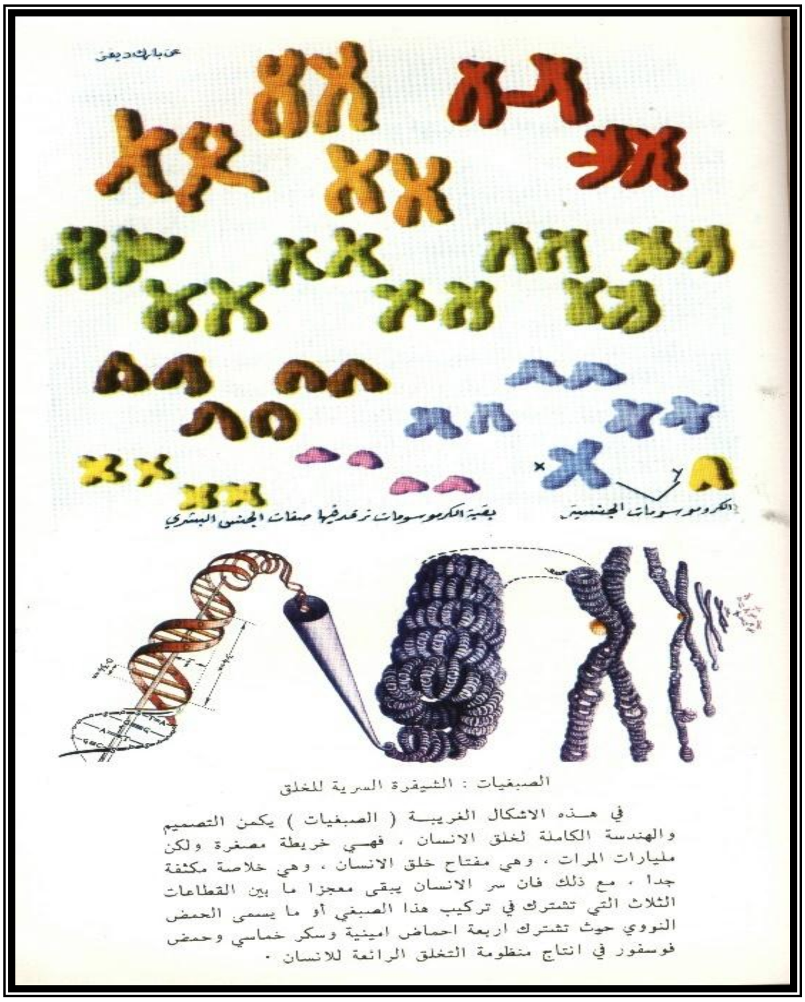
[2] الدماغ BRAIN: هو حشو المخ من أعصاب ونحوها، وفيه المخ والمخيخ والنخاع المستطيل، وهو مركز التفكير في الجسم، وموقعه الرأس. والفرق بين دماغ الإنسان وبين دماغ الحيوان: أنّ دماغ الإنسان صالح للربط لإعطاء الحكم على الواقع، في حين أنّ دماغ الحيوان ليس صالحاً للربط.



من هنا تبعت الحضارة، مركز الادراك والتفكير والذاكرة، ان الدماغ يحوي ١٣ مليار خلية عصبية موزعة على القشر ومختصة بمئات الوظائف وتشكل فيما بينها حلقة اتصال مدهشة ، ويغلف المخ بثلاث أغلفة ينساب فيما بينها سائل رقراق كماء النبع كما في الصورة مما دعا علماء الفضاء الى تصميم حماية المركبة الفضائية بنفس الطريقة ٠

إنّ الإنسان يحوى في تركيبه العضوي دماغاً أصغر حجماً من أدمغة بعض الحيوانات، إلا أنه دماغ صالح للرّبط وصالح لإصدار الأحكام .[416]

[1] ارجع إلى صفحه (214).



الصبغيات *Chloromosomes* بالغة الأهمية لأنها تحمل المورثات*genes* التي تحدد الصفات الوراثية المميزة.[417]

ولكن ما خطب صلة الإنسان بخالقه وهي إحدى تلك الغرائز . غريزة التدين . وما علاقة الحيوان بالروح التي هي صلة الإنسان بخالقه تعالى؟ إنّ ذلك ما لم يتعرّض له نفياً أو تأكيداً ولم يعره أي إنتباه.

لقد حدد موضوعه مسبقاً، حاصراً إياه في دائرة أنّ الإنسان كائن حي تجري عليه سُنة وقوانين التطور جريها على كافة الأحياء التي هي دونه، وباختصار فإنّه قد وضع نتائج مسبقة لفكرته، ووضع القواعد لإثباتها، ومضى في الإسترسال لإثباتها بأي وسيلة ممكنة، مُعْمِياً نفسه بل متجاهلاً الحقائق التي تبرهن على عكس نظريته وتتبرها تتبيراً.

نعـــم، لقد فَشل داروين وكل المنادينَ بمقولة التطور العضوي من الرّدِ على كل تلك الحقائق، حتى أنّ "إسماعيل مظهر" وهو من اشدّ المتحمسين لنشر مذهبهم المادي، ومترجم كتاب "أصل الأنواع" إلى اللغة العربيّة، قد تعرّض لتلك الحقائق في مقدمته للكتاب المذكور، **حيث يقول:**

---

[1] ارجع إلى: هامش صفحه (61).

(لقد وَقَفَ إنسان القرن التاسع عشر يترنح من أثر الصدمة، هل يودع الإنسان معتقداته القديمة كلها ويدفنها في ثرى الفكر كما دفن من قبلها معتقدات وأوهاماً؟ هل هو حيوان ولا شيء غير ذلك؟ ما خطب إنسانيته؟ وما خطب طبيعته المزدوجة التي رافقه الإعتقاد بها الألوف من السنين منذ أن كان كائناً قليل الحَول فاقد الحيلة يسكن الكهوف ويغتذي بما يجد، لا بما يشتهي؟ لقد انتهى "داروين" من أمر الجسد، فأثبت أنه جسد حيوان أرقى من غيره، ولكن ما خطب النفس؟ ماخطب الروح؟ وما خطب الغيب، الذي تحيط به أسبابه إحاطة السوار بالمعصم؟

كان مذهب "داروين" انتصاراً للمادية الصرفه، ولكنه انتصار لم يكن حاسماً ولم يكن قاطعاً، غير أنّ الفكر بعد أن اصطدم بصخرة التطور مضى يتخبط غير مستقر، ومضى زمن طويل قبل أن يدرك سواد الناس أن داروين إنما يتناول

ببحثه العلمي عصر "ما بعد الخلية" التي هي أساس الحياة بكل صورها، ولكنه لم يعرض للبحث في عصر "ما قبل الخلية" ليعرف كيف نشأت الحياة في تلك الصورة البسيطة، ومن أين هبط ذلك السر الرهيب: سر الحياة الذي جعل من المادة الجامدة كائناً حياً .

إذن لم يكن انتصار المادية انتصاراً حاسماً قاطعاً، بل كان انتصاراً جزئياً، لم يتجاوز أنه تفسير لبعض وجوه من خصيات المادة، تناول داروين منه ناحية المادة الحيّة، أي المادة بعد أن دَبّت فيها الحياة، ولكن ما الحياة؟ ذلك هو سرّ الأسرار!

عندما شعر الماديون بأنَ انتصارهم لم يكن حاسماً، وأنّ الحياة وإن شئت فقل ماهية الحياة، هي الصخرة التي تتحطم عليها أسس المادية، قالوا بالتولد الذاتي، أي أنّ الحياة **قد** تتولد ذاتياً من مادة غير حيّة ، غير أنّ ذلك لم يقم على شيء من حقائق العِلم، ولم يثبته الأسلوب العلمي، لأنّ العِلم إنما يثبت كما قال "باستيان": إنّ كل حي يتولد من حي مثله**.** وإذن فهناك حادث خطير وقع فاصلاً بين عصرين: عصر ما قبل الخلية، وعصر ما بعد الخلية، وفي الكشف عن السر الذي يختفي من وراء ذلك الحادث ينطوي مستقبل الإنسان كله، أيتجه إلى المادة؟ أم يتجه إلى الروح؟

لقد ظهر للباحثين أن للأحياء مقومات تبثها فيهم فطرة الحياة، وأنّ لجميع هذه المقومات مظاهر لم يعللها العِلم الطبيعي ولا عِلم الأحياء، ولا تعود كذلك إلى تفاعلات كيموية، **فما هي إذن؟** لقد عجز العِلم المادي عن أن يجيب على هذا السؤال حتى الآن].[418]

---

[1] المرجع، الصفحات (59 – 60).

إنّ تميز الإنسان بالعقل عن باقي المخلوقات، وسر بداية الأشياء وتوجه الإنسان الروحي نحو الإيمان بوجود خالق، والتي أشار إليها إسماعيل مظهر كما ورد سابقاً واصفاً إياها بأنها **"سر الأسرار"**. كل تلك الأبحاث قد حَيّرَت داروين نفسه واصفاً إياها **بالمشاكل العميقة** كما ورد في في كتابه المنشور باسم" *life & Letters*" والذي يضم طرفاً من حياته وعدداً من رسائله إلى بعض العلماء المعاصرين له، **حيث يقول:**

(إنّ ثمة مصدراً للإعتقاد في وجود الله يرتبط بالعقل، وله في نظري أهمية أكبر بكثير من المصادر المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس، وهذا المصدر يأتي من الصعوبة البالغة . أو بالأحرى استحالة تخيل هذا الكون الفسيح الرائع الذي يشمل الإنسان بقدرته على النظر إلى الماضي البعيد وإلى المستقبل البعيد أيضاً . على أنه نتيجة للمصادفة البحته أو نتيجة للضرورة. وحين أفكر بهذه الطريقة أشعر بأنه لا بدّ لي من البحث عن علة أولى لها عقل بصير يشبه على حدّ ما عقل الإنسان. وهذا يعطيني الحق بأن اوصف بأني مؤمن بالله، وقد كانت هذه النتيجة واضحة في ذهني بقدر ما أتذكر في الوقت الذي كتبت فيه "أصل الأنواع". ومنذ ذلك الحين أخذت هذه الفكرة تضعف بالتدريج ولكن مع شيء من التّقلب والتّراوح، ولكن هنا يثور الشّك: هل يمكن أن نثق في عقل الإنسان . الذي أعتقد كل الإعتقاد أنه نمى وتطور من عقل بسيط كعقول أبسط الحيوانات وأدناها . حين يستنتج مثل هذه الإستنتاجات الضخمة؟)[419]

ويرفع داروين يديه عند هذه النقطة مستسلماً . حسب ما يقوله داونز . ثم يعلن في النهاية:(لا أستطيع أن أدعي بأنني ألقي بصيص من الضوء على مثل هذه المشاكل العقيمة، فإنّ سر بداية الأشياء كلها غير قابل للحل، امّا فيما يتعلق بي شخصياً فإنني قانع بأن يكون موقفي هو موقف اللاإرادي حول هذا الموضوع)[420]

ونحن بدورنا نقول أنّ العقل الذي وهبنا إياه الله تعالى لا يقف عاجزاً أمام ما وصفه داروين بالمشاكل العميقة إن استُعمِلَ استعمالاً صحيحاً وباستنارة، حيث سيقود حتماً لحل عقد الإنسان جميعها، وأولها الإيمان بالله تعالى، لــذا فقد خاطب الله تعالى العقل الإنساني للتفكر في مخلوقاته . بما فيها خلقه هو . ليستدل وليصل إلى الحقيقة الدامغة وهي الإيمان بالله تعالى الخالق الأحد الصمد، قال تعالى: **(إفلا يَنْظرونَ إلى الإبِل كيف خلِقَت، وإلى السّماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحَت، فذكر إنما أنت مذكر)**[421]

---

[1] دورية (عالم الفكر)، المجلد الثالث، العدد الرابع (1973)، صفحه (7).

- دورية (تراث الإنسانية)، المجلد التاسع، العدد الأول (1971)، صفحه (126).
- ر. داو نز، كتب غيرت العالم، طباعة نيويورك (1956)، صفحه (162).

[1] المصدر السابق.

[2] الغاشية: 17 – 21.

(فلينظر الإنسان مم خلق، خلِقَ من ماء دافق، يخرج من بين الصّلب والترائب، إنّه على رَجْعِه لقادر)[422]

(سَنُرِيَهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحَق، أو لم يكفِ بربك أنّه على كل شيء شهيد)[423]

(ماتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)[424]

---

[3] الطارق: 5 – 8.

[4] فصلت: 35.

[5] المؤمنون: 91

الباب الثالث
الإسلام وخَلق الإنسان

[*1*] العقل يوصل إلى الإيمان
[*2*] خلقُ الإنسان في نظر الإسلام
[*3*] خَلقُ الإنسان في نصوص القرآن

1. خَلقُ آدم عليه السلام
2. إبليس ومعركته معَ ألإنسان
3. خَلقُ الزّوجه (حوّاء)
4. مولد عيسى بن مريم
5. أصحاب الكهف والرّقيم
6. إعادة الحياة

العقــل يوصـــل إلـــى الإيمـــان

إنّ الملاحِظَ للموجودات الثلاث التي يدرِكها عقل الإنسان وهي: **الكَوْن والإنسان والحياة**، بِعمْقٍ وإستنارة، يَجِدُ أنها مَحْدودَة . فالإنسانُ مَحْدودٌ لأنّه ينمو في كلّ شيء إلى حَدٍ لا يَتَجاوَزَهُ، فهوَ مَحْدود، والحَياة مَحْدودَة لأنّ مَظهَرها فرديٌ فقط، والمُشاهَدُ بِالحس أنّها تنتهي بالفرد فهي محدودة.

وَالحُكم على الإنسان يَجِبُ أن يَنْصَبّ على ماهيته، أي على جنْسِه، فما يَصْدُق على الماهِيَة يَصْدق على الجنس كلّه مهما تَعَدّدَت أفراده. وبِما أنّ الماهِيّة في فَرْدٍ مُتَحَقِقَة في الفَرْد الواحِد "وفي كلّ فَرْد" وَالفَرْد الواحِد يَموت، فَذلك يَعْني أنّ جنْس الإنسان يَموت، وما دامَت الحَياة تنتهي في الفَرْد الواحِد فَمَعْناه أنّ جنس الحَياة تَنْتَهي فَهِيَ مَحْدودَة.

وَالحَياة في الفَرْد – إنْساناً كانَ أو حَيَواناً – أمْرٌ يُحَسّ وإن كان لا يُلْمَس، وَيُفَرّقُ بِالحِسّ بَيْنَ الحَيّ والمَيّت، وهذا المَحْسوس مَوجود في الكائِن الحَي ومن مظاهِرِه النّمو والحَرَكَة والتّكاثُر، وهو مُمَثّل كليّاً وجزْئِياً في الفرد ولا يرتبِط بِأي شيء مطلَقاً.

والكون محدود، لأنّه مجموعة أجرام، وكل جرم منها محدود، ومجموع المحدودات محدود بداهة، وذلك لأنّ كلّ جرم منها لَه حُدود، أي لَه أوّل وآخر، فمهما تَعَدّدَت تلك الأجرام فإنّها تظلّ تنتهي بمحدود، **والمحدود هو العاجز والنّاقص والمحتاج لايجاد شيء من العَدَم ،أي عاجزٌ عن إيجاد ما إحتاج إليه.** ولا يقال أنّ الأشياء المُدْرَكَة المَحْسوسة إحتاجَت لِبَعْضِها ولكنّها في مَجْموعها مُسْتَغنِيَة عن غيرها، لا يُقال ذلك لأنّ الحاجَة إنّما تَظهَر وتَتّضِح للشيء الواحِد، وتُلمَسُ لمْساً ولا تُفْرَضُ فَرْضاً نَظَرِياً لشيء غير موجود فَيُفْتَرَض وجوده، فلا يقال أنّ النّار فيه

قابليّة الإحراق وحتى تَحرِق فقد احتاجَت لِجِسْم فيه قابليّة الإحتراق، فلو إجتمعا معاً لإستغنيا ولم يحتاجا لغيرهما، لا يُقال ذلك لأنّه فَرَضٌ نَظَري، فالحاجة للنار وللجِسْم القابِل للإحتراق هي حاجَةٌ لشيء موجود حِسّاً ومَحْسوسٌ بِإحْدى الحَواس، أو مُدْرَك عَقْلياً، وهو بالطبع مما يقع الحِسّ على مَدْلولِهِ حتى يَتَأتى إدراكه عَقْلاً، فالحاجة هي لشيء موجود، والنّار والجِسْم لا يوجَدُ من إجتماعهما شيء يحصل فيه الإستغناء أو الحاجَّة.

وكذلِكَ الأشياء التي في الكَوْن لا يحصل من اجتماعها الإستغناء أو الحاجَة. فالحاجَة والإستغناء متمثلان في الجِسْم الواحد.

وبما أنّ مفهوم الإحتياج مُتَعَلِقٌ بعَدَم الإستغناء، الذي هو في الجِسم الواحِد، لذا فمفهوم الإشتراط المادي المتعلق بعدم فصل الأشياء بعضها عن بعض هو مفهوم خاطيء[425] لأنه لا يوجد شيء يتكوّن من مجموع ما في الكون حتى يوصف

بأنّه مستغن أو محتاج. فقولهم أنّ مجموع الأشياء التي في الكون مستغنٍ أو محتاج هو وصف لواقعٍ غير موجود، لأنّه وصف لشيء متخيّل الوجود لا لشيء موجود. والبرهان يقوم على حاجة شيء معيّن موجود في الكون، لا لمجموعة أشياء يتخيل لها إجتماع يتكون منه شيء فيُعطى وَصْفُ الحاجة أو الاستغناء، لذا فهذا فَرَضٌ تَخَيّلِيٌ وليسَ واقِعِيّاً ولا يَرْقى حَتّى إلى أنّه فَرَض نظري.

ولا يُقالُ أنّ الأشياء احتاجَت إلى بَعْضِها فَأَكْمَلَت بعضها فنفت بذلك الإحتياج، لا يُقال ذلكَ لأنّ الإحتياج ولو إلى شيء واحِدٍ في الدّنيا يُثبِتُ أنّه لا يوجَدُ في الكَوْن شيئ مُسْتَغْنٍ الإستغناء المُطْلَق، فَمُجَرَدُ احتياجه لشيئ واحد في الوجود يُثْبِتُ ولا بُد وَصْفُ الاحتياج، فاحتياج الجزء إلى جُزْءٍ آخرَ يُثبِتُ لَهُ وَصْفَ الاحتياج قَطْعَاً. وهذا كله ملموس محسوس بالنّسبة لجميع الأشياء المَوْجودَةِ على سَطْح الأرض وَلِما وَصَلَ إليه الإنسان من الأجرام.

هذا علاوة على أنّ الكَوْنَ هو مَجْموعَة أجرام، وكُلّ منها يَسير بِنِظام مَخْصوص ومُحَدّد، وهذا النظام إمّا أن يكون جُزء منه، أو خاصّة من خاصّياتِه أوشيء آخر غَيْره، فهو بالتّحديد أحَدُ هذه الإحتِمالات الثَلاثَة وليس غَيْرها ولا يُمْكِن أن يكون غَيْرها مُطْلَقاً، أمّا كونه جُزْءاً منه فباطل، لأنّ سَيْر الكواكب يكون في مدار معيّن لا يتعدّاه، والمدار كالطريق هو غير السائر فيه، والنظام الذي يسير فيه ليس مجرد سَيْرِهِ فقط، بل تَقَيُدِهِ بالسّير في هذا المدار لا يتعداه. ولذلك لا يمكن أن يكون هذا النظام جُزْءاً منه، وأيضاً إنّ السّيْرَ نفسه ليس جزءاً من ماهِيّة الكوكَب بل عملٌ له، ولذلك لا يمكن أن يكون

---

[1] مفهوم الاشتراط الماركسي: ورد هذا المفهوم كبند أول من مواد قوانين المادية الجدلية " الديالكتك " والذي ينص على: إنّ الطبيعة شيء واحد مرتبط، ترتبط فيه الأشياء والظاهر ارتباطاً عضوياً فيما بينها ويقوم بعضها على بعض، ويكيف بعضها بعضاً بالتبادل. والديالكتك يعتبر الطبيعة كلاً واحداً متماسكاً ترتبط فيه الأشياء والحوادث ارتباطاً عضوياً، ويتعلق أحدها بالآخر ويكون بعضها شرطاً لبعض. والديالكتك لا يعتبر الطبيعة تراكماً عرضياً للأشياء، أو حوادث بعضها منفصل عن بعض أو أحدها منعزل. أي حادث لا يمكن فهمه إذا نظر إليه بمعزل عن الحوادث. يقول ستالين: الديالكتك يعتبر الطبيعة كلاً واحداً... كما يقول: ترتبط الأشياء والحوادث ارتباطا عضوياً. ويقول انجلز: وحدة العالم قائمة على ماديته. كما يقول ستالين: يكون بعض الحوادث والأشياء شرطاً للبعض. كما يقول مفسراً: أيّ حادث لا يمكن فهمه إذا نظر إليه منفرداً بمعزل عن الحوادث.. أما هيجل فيقول: الشيء بذاته ليس حقيقياً بينما الكل هو الوحيد الحقيقي.

لمزيد من التوسع – لمن رغب – يمكن الرجوع إلى: – د. محمد عزت نصر الله، الرد على صادق العظم، الصفحات (303–320)

- أسس الاشتراكية العربية، صفحه (67) وما بعدها.
- – ستالين، المادية الجدلية والمادية التاريخية، الصفحات (16) وما بعدها.
- الماركسية في الفلسفة، الصفحات (34 – 75)
- انجلز، ضد دهرنج، صفحه (74).
- بيس وكافنج، بولتزير، الجزء الأول، الصفحات (50 – 80)

جزءاً منه، وأمّا أنّهُ خاصيّة من خَواصه فباطلٌ، لأنّ النظام ليس هو سير الكوكب فَحَسْب، بَل سَيْرَهُ في مَدار معين. فالموضوع ليس السّير فقط بل السّير في مدار ونظام معيّن، فإن كان السّير من خَواصه كان عليه أن ينظم سَيْر نفسه، وحينئذٍ يستطيع أن ينظم نظاماً آخر ما دام من خواصه التّنظيم، والواقع أنّه لا يستطيع ذلك، ولهذا لا يمكن أن يكون من

خواصه، وما دام ليس جزءاً منه وليس من خواصه فهو غيره قطعاً وبالتّأكيد، فيكون قد احتاج إلى غيره، أي احتاج الكون إلى نظام ينظمه.

وأمّا الحياة فإنّ احتياجها إلى الماء والهواء ملموس محسوس، وأمّا الإنسان فإنّ احتياجه إلى الطّعام والشّراب والهواء ملموس محسوس، وعليه فإنّ الكونَ والحياة والإنسان كائنة في حالة احتياج دائِم.

ومدلول كلمة محتاج يعني أنّه مخلوق، لأنّ مجرد حاجته تعني أنّه عاجز عن ايجاد شيء من العدم، أي عاجز عن ايجاد ما احتاج إليه، فهو ليس خالقاً، وما دام ليس خالقاً فهو مخلوق. لأنّ الوجودَ كله لا يخرج عن خالقٍ ومخلوق ولا ثالث لهما قطعاً، وهذا ليس فَرَضاً وإنّما يَدُلّ عليه الواقع المحسوس للمخلوق، وهذا المخلوق إمّا أن يكون مخلوقاً لنفسه أو مخلوقاً لغيره، أمّا كونه مخلوقاً لنفسه فباطل، لأنه يكون مخلوقاً لنفسه وخالقاً لها في آنٍ واحد، وهذا باطل، فلا بُدّ أن يكون مخلوقاً لغيره، وهذا الغير هو الخالق. وهذا الخالق هو أَزَلِيٌّ واجب الوجود.

أمّا كونه أزلياً لا أول له، فلأنّه إن كان له أولٌ كان مخلوقاً، إذ قد بدأ وجوده من حد معين، فكونه خالقاً يقتضي بأن يكون أَزَلِيّاً. إذ الأَزَلِي تَسْتَنِدُ إليه ولا يَسْتَنِدُ إلى شيء.

والمحدودِيَة والأَزَلِيَة ليستا اصطلاحاً وُضِعَ لَهُ تَعْريف اصطلاحي، ولا مدلولاً لكلمة وُضِعَ لها في اللُغَة لفْظٌ يَدُلُ عليها، وإنّما واقِعٌ مُعَيّن كالبحث في الفكر سواء بسواء، فحين نقول أنّ الكون محدود إنّما نُشيرُ إلى واقع معين وهو كونه له بداية وله نهاية، فالبحث في هذا الواقع وليس في كلمة محدود. وكونه له بداية وله نهاية قد قام البرهانُ الحسي فيكون البرهان على واقع معين لا على معنى الكلمة لغوياً. فواقع المحدود هو أنّه له أول وله آخر، وواقع الأَزَلِيُ هو ما ليس له أولٌ، فيكون واقع المحدود غير واقع الأزلي، فيكون الكلام عن واقع معين لا عن مدلول الكلمة لغوياً.

والبرهان على أنّ وجودَ الخالق حَقيقة ملموسة محسوسة هو في منتهى البَساطَة، فإنّ الإنسانَ يحيا في الكَوْن فَهُوَ يُشاهِدُ في نفسه وفي الحياه التي يحياه وفي كُلّ شيء في الكون تغيراً دائماً وانتقالاً من حال إلى حال، وَيُشاهِدُ وُجودَ أشياء وانعدام أشياء، ويُشاهِدُ دِقّةً وتنظيماً في كل ما يرى ويلمس، فَيَصِلُ من هذا عن طريق الإدراك الحِسي إلى أنّ هناك موجِداً لهذا الوجود المُدْرَك المَحْسوس، وهذا أَمْرٌ طبيعيٌ جِدّاً.

ومثال على ذلك فَإنّ الشّخْص ليَسْمَعُ صوتاً فَيَظُنُ أنّه صوت رجل أو إمرأة أو آلة، ولكن يوقن أنّه صوت ناتج عن وجود شيء نتج عنه الصّوت أمراً قطعيّاً عند سَماعِه، فقد قام البُرهان الحسي على

وُجودِهِ، فيكون الإعتقاد بوجود شيء نتجَ عنه الصّوت إعْتِقاداً جاذماً قام عليه البُرْهان القَطْعي، ويكون هذا الإعتقاد أمْراً طَبيعِياً ما دام البُرهان الحِسي قد قام عليه.

وكذلك فإنّ الإنسان يُشاهِدُ التّغَيُّرَ في الأشياء، وَيُشاهِدُ إنعدام بعضها ووجود غيرها، ويُشاهِدُ الدّقَة والتّنظيم فيها، ويُشاهِدُ أنّ كُل ذلِكَ ليس منها، وأنّها عاجِزَة عن ايجادِه وعاجِزَة عن دَفْعِه، فيوقن أنّ هذا كله صادر عن غير هذه الأشياء، ويوقِن بِوُجود خالِقٌ خَلَقَ هذه الأشياء، هو الذي يُغَيِرها ويعدمها ويوجدها وينظمها، فكان وُجود هذا الخالِق الذي دَلّ عليه وُجود هذه الأشياء وتغيرها وتنظيمها أمْراً قَطْعِياً عِند من شاهَدَ تغيرها ووجودها وانعدامة ودقّة تنظيمها، فقد قام البُرهان الحِسي بالحِس المُباشر على وُجودِهِ وهو بُرْهان بمنتهى البَساطَة، لذلك جاءت أكثر براهين القُرآن الكريم لافتَة النّظَرَ إلى ما يَقَع الحِس عليه . أي حس الإنسان . للإستدلال بذلك على وُجود الخالق، كقوله تعالى: **(يا أيها الإنسان ما غَرّكَ بِرَبِكَ الكريم، الذي خَلَقَكَ فَسَواكَ فَعَدَلَكَ، في أيِ صورَة ما شاء رَكَبَكَ)**[426]

(أفَلا يَنْظُرونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَت، وإلى السَّماء كَيْفَ رُفِعَت، وإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَت، وإلى الأرْض كَيْفَ سُطِحَت، فَذَكِر إنّما أنْتَ مُذَكِر)[427]

(فَلْيَنْظُرِ الإنسانَ مِمَ خُلِق، خُلِقَ مِن ماءٍ دافِق، يَخْرُجُ مِن بَيْن الصّلْبِ والتَرائِب، إنّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِر)[428]

(أم خُلِقوا مِن غَيْر شَيءٍ أم هُمُ الخالقون، أم خَلَقوا السّمَوات والأرض بل لا يوقِنون.)[429]

(ما اتَخَذَ الله مِن وَلَدٍ وما كان مَعَهُ من إلهٍ إذاً لَذَهَبَ كل إلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضهم على بَعْض سُبْحن الله عَمّا يَصِفون)[430]

(سَنُرِيَهُم آياتنا في الآفاق وفي أنْفُسهم حتى يَتَبَيَنَ لهم أنّه الحَقُ أوَ لَم يَكْفِ بِرَبِكَ أنّهُ على كُل شيء شَهيد .)[431]

هذا هو واقع الإيمان: تصدقٌ جاذمٌ مطابقٌ للواقع عن دليل. وحتى يتحقق هذا الإيمان ويرسخ، فلا بد من أن يَحْكُم العقل على صِدْقِهِ بِالأدِلَةِ القَطْعِيَة، لذا فقد دعا الإسلام الإنسان إلى التّفَكُر في المخلوقات لِيَسْتَدِلّ بها على أنها مخلوقة لِخالِق، وتكرر طلب التّفكر في القرآن الكريم مصحوباً بضرب الأمثلة الدالة على الخَلق في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

---

[1] الانفطار: 6 – 8.

[1] الغاشية: 17 – 21.

[2] الطارق: 5 – 8.

[3] الطور: 35 – 36.

[4] المؤمنون: 91.

[5] فصلت: 35.

أمّا بالنِسْبَة لإنكار الخَلْق لدى الشيوعيين وغيرهم من الماديين في العصر الحديث، فإنّ موضع الإنكار عندهم يرتكز على قولهم أنّ العلاقات المتبادلة بين الحوادث وتكييف بعضها بعضاً بصور متقابلة، هي قوانين ضرورية لتطور المادة المتحركة، وأنّ العالم يتطور تبعاً لقوانين المادة المتحركة، أي لقوانين حركة المادة.[432]

هذا هو موضع إنكار وجود الخالِق عندهم، فالتّعقيد جاءهم من تفسير ما في العالم من تغير وانتقال من حال إلى حال، وما فيه من وجود بعض الأشياء بعد أن لم تَكُن، وانعدام أشياء بعد أن كانت، أو على حَدّ تعبيرهم من تشكل المادة بأشكال مختلفة، ويفسرون ذلك بأنّهُ يحْدُث من قوانين المادة وليس من شيء غيرها، فقوانين حَرَكَة المادة هي التي تؤثِر في العالم الذي يتطور تبعاً لتلك القوانين، هذا هو موضع الإنكار، لذا كان المطلوب هو حَلُ تلك العقدة لديهم، أي أنّ محل البحث هو قوانين المادة وليس تغير العالم، وإذا حُلّت تلك العُقْدَة إنتفى جميع ما ينادون به من التطور والإرتقاء المادي وخلافه، لأنّ كل تلك الأبحاث ارتكزت على عقدة قوانين المادة، فإذا ثَبَتَ أنّ هذه القوانين لَم تَاتِ من المادة لا هي من خَواصِها، وإنّما هي مفروضة عليها فَرْضاً من غيرها أي من خارجها، فإنّهُ يكون هناك غير المادة من يؤثر فيها، وبذلك تبطل نظريتهم وَتُحَلُ العقدة لديهم، إذ يثبت لديهم أنّ العالم ليس سائِراً تبعاً لقوانين حركة المادة، بل سائِرٌ بتَسيير من أوجَدَ له هذه القوانين وفرضها عليه فَرْضاً وأجْبَرَهُ أن يَسير بِحَسبِها، فبذلك تنتقض النظرية وتحل العقدة حَلاً جَذْرِياً.

أمّا كون تلك القوانين لَم تَاتِ من المادة، فذلك لأنّ القوانين هي عبارة عن جَعْل المادة في نِسْبَة معينة أو وَضْع معين، فالماء مثلاً حتى يتحول إلى بخار أو جَليد، إنّما يتحول حسب قوانين معينة، أي حسب نسبة معينة من الحرارة، فإنّ حرارة الماء ليس لها في باديء الأمر تأثيرٌ في حالتِه من حيث هو سائل، لكن إذا زيدت أو أنْقِصَت حرارةُ الماء جاءت لحْظَةٌ تعدلت فيها حالة التّماسُكِ التي هو فيها وتحوّل الماء إلى بُخار في إحدى الحالات أو إلى جَليد في الحالة الأخرى. فإنّ هذه النّسْبَة المُعَيَنَة من الحَرارَة هي القانون الذي يجري بحسبه تَحَول الماء إلى بخارٍ أو جليد، وهذه النسبة أي كونُ الحَرارَة بمقدار معين لمقدار معين من الماء لَمْ تَأتِ من الماء، لأنّه لوكانت منه لكان بمقدوره أنْ يُغَيِرَها وأنْ يخرُج عنها، وإنّما هي مفروضَة عليه فَرْضاً، فَدَلّ ذلك على أنا لَيْسَت منه قَطْعاً، وكذلك لم تأتِ من الحَرارَة بدليل أنها لا تستطيع ان تُغَيِّرَ هذه النسبة أو تخرج عنها، وأنها مفرضة عليها فَرْضاً، فهي ليست منها قَطْعاً، فتكون تلك القوانين ليست من المادة.

أمّا كَوْنُ هذه القوانين ليست خاصية من خَواص المادة فلأنّ القَوانينَ ليست أثراً من آثار المادة الناتجةِ عنها حتى يُقالُ أنها من خواصِها، وإنّما هي شيء مفروضٌ عليها من خارجها، ففي تحول الماء ليست القوانين من خواص الماء ولا من خواص الحَرارَة، لأنّ القانون ليس تحول الماء إلى بُخار أو إلى جَليد، بل القانون هو تحوله بنسبة معينة من الحرارة لنسبة معينة من الماء، فالموضوع ليس التّحول وإنّما التحول بنسبة معينة من الحرارة لنسبة معينة من الماء، فهو ليس كالرؤية في العين التي هي من

---

[1] قوانين حركة المادة: هي ثاني بنود قوانين المادية الجدلية " الديالكتيك "، ولزيادة الإطلاع على تفسيراتهم وخاصة تفسيرات: ستالين، انجلز، شيركوف، جارودي....الخ يمكن الرجوع إلى نفس المصادر المدونة في حاشية الصفحة (227).

خواصها، بل هو كون الرؤية لا تكون إلا بوضع معين مخصوص، هذا هو القانون، فكون العين ترى خاصية من خواصها، ولكن كونها لا ترى إلا بوضع مُعّيّن وَمَخْصوص ليس خاصية من خواصها وإنّما أمْرٌ خارِج عنها، والنّار من خواصها الإحْراق، ولكن كونها لا تحْرِقُ إلا بأحْوال خاصة ليس خاصية من خواصها بل هو أمر خارج عنها، فخاصية الشيء هي غَيْر القواين التي تُسَيره، إذ الخاصية هي ما يعطيه الشيء نفسه وينتج عنه: كالرؤية في العين

وكالإحراق في النّار وما شابه، ولكنّ القوانين التي تُسَّيرُ الأشياء هي: كون الرؤية لا تحصل من العين إلا بأحوال خاصة ومخصوصة وكون الإحراق لا يحصل من النّار إلا بأحوال خاصة، وكون الماء لا يتحول إلى بُخار أو إلى جَليد إلا بأحوال مخصوصة، وهكذا......

وبما أنّه ثبت أنّ هذه القوانين ليست من المادة ولا خاصية من خواصها فتكون آتية من غيرها ومفروضة عليها فَرْضاً من غيرها ومن خارجها، وبذلك يثبت أنّ غير المادةِ هو من يؤثر فيها، وبذلك يثبت بطلان نظرية الماديين عامة والشيوعيين خاصة لأنه ثبت أنّ العالَمَ ليس سائراً تبعاً لقوانين حركة المادة بل هو سائر بتسيير من أوجد هذه القوانين وفرضها عليها فَرْضاً، فيكون العالم بحاجة لمن وضع هذه القوانين وفرضها عليها فرضاً، وما دام بحاجةٍ إلى من فَرَضَ علية هذه القوانين، فالعالَمُ ليس أزَلِياً، وما دام ليس كذلك فهو مخلوق، لأنّ كونه ليس أزَلِياً يعني أنّهُ وُجِدَ بَعْدَ أن لم يَكُن فهو مخلوق لخالق، وهذا الأزلي الخالق هو مدلول كلمة الله سبحانه وتعالى. نعم: إنّه الله تعالى الخالق المُصَوِرُ المُدَبِرُ الذي لا يمكن إلا أن يكون أزلياً سَرْمَدِياً واجِب الوجود.[433]

---

[1] إنّ هذا البحث مقتبس من عدة مصادر، يمكن لمن شاء الرجوع إليها، وهي:

- تقي الدين النبهاني، التفكير – نظام الإسلام – الشخصية الإسلامية.
- محمد محمد إسماعيل، الفكر الإسلامي.
- سميح عاطف الزين، لمن الحكم ؟ ، طريق الإيمان .
- محمد حسين عبد الله، مفاهيم إسلامية.
- جون كلوفر مونسما، الله يتجلى في عصر العلم.

خَلــق الإنســـان في نظــر الإســـلام

لقد كرّم الله الإنسان، وجعله أرقى المخلوقات على الإطلاق، كَرّمَهُ بالعقل وحُسْنِ الخَلْق والخُلُق... كَرّمَهُ بالعقل المميز بين الخطأ والصواب والحَق والباطل... وبناء عليه فقد كَلّفَهُ بالعبادة وغيرها من الواجبات... كَرّمَهُ بحسن الصورة وجمالها... قال تعالى:
(لقد خَلَقْنا الإنسان في أحْسَن تقويم)[434]

وليس الإنسان في مفهوم الإسلام أي من النظرات الثلاثة التي عَرّفّه بها الفكر البشري:

1. ليس الإنسان حيواناً كما يقول الماديون في علومهم الإجتماعية .
2. ليس الإنسان آثماً بحكم الوراثة كما تقول بعض الديانات .
3. ليس الإنسان مجبور التناسخ كما تقول البوذية والهندوكية.[435]

لا: ليس الإنسان أياً من تلك الأوصاف التي يلصقونها به، والتّعاريف التي يعرفونه بها. بل هو الإنسان المخلوق في أحسن تقويم ، الإنسان المُسْتَخْلَف في الأرض، الممتاز عن كل ما خَلَقَ الله في الكون، إنّه الإنسان الذي كَرّمَهُ الله بالعقل وفتح له آفاق الحياة... كرمه بالعقل والتمييز وكرمه بهدايته النّجدين.

وكما يقرر الإسلام أنّ الإنسان هو مادة مخلوقة مميزة، وأنّ الفرد ليس من صنع المناخ أو البيئة أو العادات، فكذلك يقرر أنه ليس مجرد ظاهرة اجتماعية
في وجوده المادي، أو طفرة[436] متطوّرة، بل أنه مخلوق له كيانه الذاتي الخاص، وله رابطته مع الجماعة في نفس الوقت، وله العقل والإدراك الذي يُمَكِنَهُ من أن يُمَيِزَ الخبيث من الطَيِب، لذا فقد حَمّلَهُ الأمانة، وَكَلّفَهُ بالعبادة، وأمَرَهُ بالتفكر والتّعَمُقَ والإسْتِنارة والكِياسَةَ والفِطْنَة، وحَثه على إعمال العقل في الموجودات للإستدلال من خلال ذلك بصفته مخلوقاً عاقِلاً مُمَيزاً على وجود الخالق المُدَبِر، ليكون هذا الإيمان الآتي عن دليل: ثابِتاً وراسِخاً وقَطْعِياً.

إنّ الإسلام يُقدِمُ الإنسان في أجْمَلَ صورة وأبْدَعها، فهو في نظر الإسلام ليس حَيَواناً، وهو أيضاً ليس آثِماً بحُكْم الوراثة، كما أنّه ليس شَيْطاناً، وليسَ مَلاكاً ولا إله، وليس إبن الرّب ولا ثالث ثلاثة.... كلا إنّهُ ليس أيٍ من تلك الأوصاف التي يصفونه بها، إنّما هو الإنسان المخلوق في أحْسَن

---

[1] – التين: (4).
[2] أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية، بتصرف.
[1] طفرة: وثبة.

صورة وأصَحَّ قامة وأجْمَلَ قَد، خليفة الله على الأرض، وهو من سُخِرَت لهُ المخلوقات جميعاً، وذُلِلَت له الآرْضَ بجبالها وأنهارها وبحارها وسهولها وقفارها، فالإسلام يضع الإنسان في موضِعه الصحيح اللائق به، وفي ذلك قوله تعالى : **(لَقَد خَلَقْنا الإنسان في أحسَنِ تقويم)**[437]

(وإذ قالَ رَبكَ للملائِكَةِ إني خالِقٌ بَشَراً من طينٍ فإذا سَوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه من روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدين)[438]

(ولَقَدْ كَرَمْنا بَني آدَمَ وَحَمَلْناهُم في البَرِ والبَحْرِ وَرَزَقْناهم مِنَ الطيبات وَفَضَلناهم عل كَثيرِ مما خَلَقْنا تَفْضيلاً)[439]

(خَلَقَ السَمَواتِ والأرض بالحق وَصَوَرَكُم فَاحْسَنَ صُوَرَكُم وَإلَيْهِ المصير)[440]

إنّ الإسلام لم يُمرِغَ الإنسان في الوَحل كما مرغته الجاهلية الحديثة... ولم يمتهن من كرامته ولم يُنْقِص من قَدره... نعم: لقد أشار إلى حقيقة منشأه وتكونه وخلقه، إنّما ليس كما أشارت الداروينية، قال تعالى: **(ولقد خَلَقْنا الإنسانَ من صلصال من حمأ مسنون)**[441]، وقال تعالى : **(ألَمْ نَخْلقكم من ماء مهين)**[442] وليس بعد هذا حقارة في المنشأ... إنّه الطين المتعفن والماء المهين، ولكن: ما الايحاء الذي يعطيه التّوجه الإيماني؟ إنّه لا يدلي بتلك الحقائق "وهي حقائق نهائية قاطعة لأنها أتت من المصدر الأوحد الذي يعلم دقائق الأمور عن يقين"... لا يوحي بتلك الحقائق ليوحي بحقارة الإنسان، أو ضألة قدره ودوره في الحياة، مما أوحت به الداروينية إلى أتباعها اللذين صاغوا كل التفسيرات الحيوانية للإنسان... إنّما يُرْدِف ذلك بالحقائق الأخرى المكملة لها، حقائق التّفضيل وحسن التصوير والإختيار للأمانة الكبرى: أمانة الخلافة في الأرض. فتعمل هاتان الحقيقتان معاً لربط هذا الكائن الإنساني بالله، وصيانته في نفس الوقت من الغرور المُرَدي والتّمَرُد الذميم.[443]

إنّ الإنسان في تصوير ووصف الإسلام له، ومن خلال فهم واقعه: هو مادة فقط، وهذه المادة المخلوقة لها صفات خاصة، فهو مكون من قبضة طين منفوخٌ بها روح الله، وفي هذه النّفخة سِر الحياة،[444] إذ بدونها يبقى أنسان مجرد مادة ومادة فقط، والإثنتان مرتبطتان إحداهما بالأخرى ممتزجتان متزاوجتان غير منفصلتين، فهو ليس مادة وكفى فيهبط إلى مستوى الجماد، وهو ليس بلا عقلٍ فيهبط إلى مستوى الحيوانات والحشرات والديدان، وهو ليس روحاً فيؤله او يتأله، بل هو

---

[2] التين: (4).

[3] ص: (71 – 72).

[4] الإسراء: (71).

[5] التغابن: (7).

[1] الحجر: (26).

[2] المرسلات: (20).

[3] محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، صفحه (193)، بتصرف.

[4] الروح: كلمة لها مدلولان، الأول هو إدراك الإنسان لصلته بالله تعالى. والمدلول الثاني وهو المقصود في الفقرة: سر الحياة

مزيج دقيق، مخلوق مادي كَوّنَه الله وصوره فأحسن تصويره من طين نُفِخَ فيه روح الله التي هي سر الحياة، ومُزَيّن عن باقي الخَلق بأنَ الله تعالى قد أنعم عليه بالعقل المميز، ومع أنّ الله قد زينه بالعقل ورفع به مستواه عن باقي المخلوقات، إلا أنّه قد وضعه أمام إمتحان عظيم، سيحاسب عليه يوم القيامة . إمّا شاكراً تلك النعمة، وإمّا كفوراً بها . وفي ذلك قوله تعالى: **(ونفس وما سوّاها، فَأَلْهَمَها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)**[445] وقال تعالى: **(ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفتين، وهديناه النجدين)**[446]، قال تعالى: **(هل أتى على الإنسان حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً، إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً، إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً)**[447] وقال تعالى: **(أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه، بلى قادرين أن نسوي بنانه)**[448]

لقد مَنّ الله على الإنسان إذ وهبه العقل، كما وهبه السّمع والبصر والفؤاد فهداه النّجدين وعلمه وأدبه وأرشده محسناً تعليمه وتأديبه وإرشاده، لذا فقد هيأه الله لحمل الأمانة وللخِلافة في الأرض، فهو عنصر فعال في الأرض، وهو كيان متميّز، مُزَيّنٌ بالعقل والحس والإدراك، وليس مجرّد مادة تافهة وُجِدَت صُدْفَة تتحكم بها عناصر الطبيعة وتعصف بها حتمياتها، تُحَرِكه الصدف ويعبث به تعاقب الليل والنهار، قال تعالى:

(وَعَلّمَ آدَمَ الأسْمآءَ كُلّها)[449] **(واللهُ أخْرَجَكُم من بُطونِ أمهاتِكُم لا تَعْلَمونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ والأفْئِدّةَ لَعَلّكُم تَشْكُرُون)**[450]

وبناء على ما حباه الله من نعمة العقل والإدراك والتمييز، وبما أنّه أرفع المخلوقات شأناً عند خالقها، وبعد أن دعاه الله إلى أن يُنْعِمَ النّظَرَ والتّدقيقَ في الموجودات جَميعاً وما حولها وما يتعلق بها من سُنَنٍ وقَوانينَ وأمورَ حياة، لِيَسْتَدِلّ بها على وجود الله تعالى كخالِق ومدبر لهذا الكَوْن، فلا بُدَّ أن يَحْصل من إمعان النَّظَر والتَّأمُل والتّفَكُرَ في المَوْجودات والقوانين إيمانٌ راسِخٌ هو إيمان المُسْتَنير المُتَيَقِنَ الذي نَظَرَ وَنَظَرَ وَفَكّرَ وَفَكّرَ بِعُمْقٍ واستنارَةٍ ثُمَّ وَصَلَ نتيجَةَ النّظَرَ والتَفْكير إلى القَطْع وَاليَقين بِالله جَلّت قُدْرَتُهُ، فَكانَ ذلِكَ إعتِقاداً جازِماً لا يُخالِطَهُ أدنى شَك أو ارتياب، فالإسلام قَدْ أعطاه البَراهين الدامغَة مَصحوبَة بالأجْوِبَة المُقْنِعَة لِكُلِ استفساراته، فَعَمَدَ إلى حَل عُقْدَة الإيمان عِنْدَهُ حَلاً يُوافِق الفِطرَة، يملأ العَقْلَ اقتناعاً والقَلب طَمَأنينة، وبما أنّ الإنسان قد توصل بالدَليل العقلي أنّه مخلوق لِخالِق، وأنّ هذا الخالِق هو موجِبُ الوُجودِ وَمُدَبِره، وبما أنّه أرفع المخلوقات شَأناً عند خالقها، وَجَبَ أن يُكَلّفَ هذا الرّفيع الشأن بالمَهمّة الشاقة:

---

[1] الشمس: (7 – 10).

[2] البلد: (8 – 10).

[3] الإنسان: (1 – 3).

[4] القيامة: (3 – 4).

[5] البقرة: (31).

[6] النحل: (78).

(إنّا عَرَضْنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحمِلنها وأشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان إنّهُ كان ظلوماً جهولا)[451]

وبناء على حمل الأمانة، وحتى يتمكّن الإنسان من الإستمرار في ذلك والنّجاح فيه، فقد سَخَّرَ الله تعالى كل المخلوقات له من جمادٍ وحيوان:

(الله الذي سَخَّرَ لكم البَحْرَ لتجري الفلك بِأَمْرِهِ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وَسَخَّرَ لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه، إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[452]

[وذلك أنّ الله تعالى الخالق الحق قد مَيَّزَ الإنسان بأن حَباهُ العقل، فهو بالعقل قد تَفَرّدَ عن سائر المخلوقات، وهذا التّفرد لم يخلقه الله عبثاً ولا باطلاً ولا عشوائياً بلا قصد، وإنّما خلقه بالحق لأمرٍ عظيم وجليل، وهو تهيئة الإنسان لتلقي التّكليف الإلهي دون مخلوقات الله جميعاً، وجعل العقل مناط التّكليف، وجعله قادراً على إدراك هذا التكليف، والقيام بتبعاته، سيما وأنّ في هذا العقل صفة الإعتزاز بالذّات، ولهذا فإنّه عندما عُرِضَ عليه التّكليف كما عُرِضَ على سائر المخلوقات لم يَتَوانَ في القبول منطلقاً من إعتزازه وثقته بنفسه وقدرته، فَقَبِلَ التّكليف، واستعدَّ لتحمل تبعاته، لقوله تعالى:

(إنّا عرضنا الأمانَةَ على السمواتِ والأرضِ والجبالِ فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وَأشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإنسان إنَّهُ كانَ ظَلوماً جَهولاً)[453]

ولولا إعتزاز الإنسان بعقله وثقته بنفسه وبقدرته لأحجم عن القبول، ولأدخَلَ نفسه في موكب الكون السائر بطاعة الله والإنقياد له دون هذا التكليف، ولكن الله علاّم الغيوب، وقد خلق العقل وخلق قدراته شاء له أن يقبل هذا التكليف، فقد خلقه في حالة تمكنه من حمل هذا العبْ إن هو أراد فانطلق من قاعدة الإنقياد والطاعة لله، فإن هو فعلَ ذلك بقي في موكب الحق، بل واستحق أن يتسنّم الذروة فيه، وإلا خرج عنه إلى غضب الله وعقابه.

إنّ عقل الإنسان انطلق من قاعدة الإنقياد والطاعة لله، فعندما عُرِضَ عليه الإسلام قَبِلَهُ واستسلم لخالقه بالطاعة، فكان عقلاً مُسْتَنيراً واعياً مُدْرِكاً لِمَسْؤلِياتِه، ناهِضاً لتحمل تبعات ما قَبِلَهُ، هذا العقل هو عقل الإنسان المُسْلِم، وهو بهذا القبول قد بقي ضمن موكب الكون الحق، بل كان رائِداً فيه.

ومن العقل من أعماه الإعتزاز والثقة بالنفس وبقدرته فلم ينطلق من قاعدة الإنقياد لله والطاعة له، وإنّما استكبر وتطاول وجمح به الغرور، وهذا العقل هو عقل الإنسان الكافر، فأتعس هذا العقل صاحبه، وأورده موارد التهلكة، فخرج هذا الكافر باستكباره وتطاوله وجموحه على موكب الكون إلى غضب الله وعقابه، إذ أن الأرض ومن فيها وما عليها، والشمس وضوءها، والقمر ونورة، وسائر الأجرام التي نعرفها وندركها وتلك التي قصرت عقولنا عن معرفتها وإدراكها كلها بلا استثناء تسير معاً في

---

[1] الأحزاب: (72).

[2] الجاثية: (12 – 13).

[1] الأحزاب: (72).

موكب كوني خاضع مطيع، يسبح الله ويسجد له وينقاد إليه ويطيعه، في مقدمة هذا الموكب **الإنسان المسلم وعقله**، ولم يتخلف عنه سوى **الإنسان الكافر وعقله**، فهو وحده هو النّشاز في هذا النّسَقَ الكوني البديع، يصاحبه ويرافقه إبليس والكفار من الجن، قال تعالى:

(أَلَم تَرَ أنَ الله يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في ألسمَواتِ وَمَنْ في الأرْضِ، وَالشَمْسُ وَالقَمَرُ والدَّوابُ والنُّجومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُ وَكَثيرٌ مِنَ النّاسِ وَكَثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إنَّ الله يَفْعَلُ ما يشاء)[454]

إنّ مفارقة الكفار لهذا الموكب الكوني، هذه المفارقة والمباينة وصفها رب العزة الخالق تعالى بأقبح وصف وأرذله بقوله تعالى: **(إنّما المُشْرِكونَ نَجَسٌ)**[455] وَلَم يَرِدُ في الآيات القرآنية ذكر النجاسة إلا مرّة واحدة فحسب هي هذه المرّة، أطلقها الله سبحانه وتعالى على المشركين، وحيث أنّ الكون مخلوق على الطهارة، فإنّ وصف الكفار بالنّجاسة إبلغ رد على مغايرتهم لما عليه الكون، وخروجهم على خطه ومنهاجه مما يستوجب

نبذهم تماماً كما تنبذ النجاسات، فالكفار من الإنس والجن هم حالة النشوز في هذا الكون.[456]

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يفاضل بين مخلوقاته، فقد فَضَّلَ الإنسان على سائر المخلوقات، بل أنّهُ قد جعل مخلوقاته في الأرض والسموات مُسَخَّرَة لهذا الإنسان الكريم، فالموكب الكوني الحق تسير فيه مخلوقات الله بالحق ما عدا الكفار من الإنس والجان، في مقدمة هذا الموكب وعلى قمته الإنسان المسلم المؤمن بالله الخالق.**]**[457]

[وليس معنى تكريم الله للإنسان رفعه عن مستواه، كما أنّه لا يخفضه عن مكانته الصحيحة، فالإسلام يقرر مكانة الإنسان على الأرض داخل هذا الموكب الكوني، ويؤكد حق استخلافه وأمانته، ومسؤوليته الفردية مما يستوجب البعث والجزاء، لذا فقد وقف الإسلام إزاء الإنسان موقفاً مخالفاً لكل الفلسفات والعقائد الأخرى، وأقام مفهومه على أساس تكريم الإنسان صاحب العقل المستنير الذي آمن بربه خالقاً لهذا الكون، هذا الإنسان الداخِل في موكب الكون السائر بطاعة الله والإنقياد له، إذ قد قبل تكليف الله تعالى له بحمل الأمانة والإستخلاف في الأرض، فنظر الإسلام له بوصفه مخلوقاً مزيناً بالعقل والإدراك سائراً في طاعة الله، أي بوصفه كياناً متكاملاً متميزاً.**]**[458]

لقد خلق الله الإنسان وميزه عن الحيوان، إذ وهبه عَقْلٌ يفكر به، ويحكم به على الواقع، وجعله يستطيع تصور الواقع الماثل أمامه، وحتى الواقع الذي لم يقع عليه حسه، إذ يمكن أن نتصور وببساطة متناهية كيف يصلي الناس في المسجد الحرام ويطوفون بالبيت العتيق ويسعون بين الصفا والمروة علماً

---

[1] الحج: (18).

[2] التوبة: (28).

[1] ومع هذا نرى أحد من يدعي العلم من أصحاب العمائم والزي المميز، والعلم منه براء، يعلن في إحدى الفضائيات العربية عن تورعه عن إطلاق لفظ الكفر على اليهود والنصارى الكفار بنص القرآن في عدة مواضع منه، مدعياً أن إطلاق لفظ الكفر عليهم لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة !! نفاقاً وولاء للكفار. اللهم أنا نبرأ إليك مما فعل ويفعل السفهاء منا.

[2] عويضه – محمود عبد اللطيف، حمل الدعوة الإسلامية واجبات وصفات، صفحه (8 – 10) بتصرف.

[3] الجندي – أنور، شبهات التغريب في غزو العالم الإسلامي، صفحه (321). بتصرف .

بأنّ أجسامنا هنا، كما يمكننا أن نتصور الهلع والفزع والفوضى والتخبط الذي استولى على حكام الولايات المتحدة قبل العوام من شعبهم إثر حادث الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن، كاشفين البرقع الشفاف من الجبروت الزائف الذي يخفي جبن الكفار وحرصهم على الحياة، كما يمكننا أن نتصور واقع الحرب الصليبية الحاقدة التي شنها الكفار على المسلمين في أفغانستان، بكل غل وحقد وخسة ونذالة، وصمود المسلمين هناك أمام حرب الإبادة الغاشمة التي شنها عليهم أصحاب الفيل من الكفار الصليبيين، وأحلافهم من حكام المسلمين ومن بقية دول الشرك والكفر الحاقدين على المسلمين واسلامهم. وقبلها حصار القوات الصليبية الغازية للعراق ومسلسل القهر والإذلال والتجويع والإبادة الذي أعقبه، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، والحصار الإقتصادي والإذلالي على المسلمين بالعراق وليبيا والسودان تحت ستار الشرعية الدولية الصليبية، ونحن هنا لم نشاهد ذلك ولم نراه، كما نتصور وحشية ونذالة وخسة المجازر المتتالية التي نفذها الصليبيون واتباعهم المدعوون "تحالف الشمال" في أهل البلاد بعد أن استتب لهم الوضع هناك وبالأخص المجازر التي نفذت في الأسرى العزل خلافاً لكل الأنظمة والمواثيق، وسكوت العالم أجمع على ذلك بما فيهم حكام المسلمين، ونحن هنا لم نشاهد ذلك ولم نراه. كما يمكننا وببساطة متناهية أن ندرك الموقف الجهادي البطولي الذي وقفه الرجال المجاهدون في مخيم جنين المنكوب بالتصدي وبامكاناتهم المحدودة لجيش الغزاة في نيسان الأسود معطلا دخولهم المخيم ما يزيد على عشرة أيام، موقعا بهم الخسائر، وأن نتصور الرعب الذي استولى على جند الكفر اليهود الجبناء المزود بأعتى وأفتك الأسلحة، مصداقا لقوله تعالى: **(لأنتم أشدّ رَهبَةً في صّدورهم من الله**

ذلك بأنهم قومٌ لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من ورآء جُدُر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)[459]

لــذا يمكننا أن ندرك وببساطة متناهية واقع فساد تعريف الإنسان أنّه حيوان عاقل!!!! وأن يترجم حسب ما يقصده الكفرة على أنّه حيوان ذو دماغ . أي مراكز ذاكرة وإحساس . لقد كرّم الله الإنسان فلم يسمه حيواناً لأنه ليس بحيوان، ولكن الكافرين لا يعقلون، ولو كانوا يعقلون لما ألصقوا بأنفسهم صفة الحيوانية، علماً بأنّ مجرد تسميته بأنّه حيوان يعني زوال الكرامة الإنسانية، ومن هنا أتى حكم الشّرع . كما فهمه الفقهاء المسلمين . عنيفاً على من ينادي غيره بقوله: يا حمار، يا حيوان، يا قرد، ياكلب ....ألخ سواء بسواء كمن ينادي غيره: يا كافر، يا مرتد، يامشرك.... باعتبار كل من الحالتين **معصية.**[460]

---

[459] الحشر: 13 – 14 حيث أهدى هؤلاء المجاهدون الأبطال بطولتهم إلى كافة قادة وحكام وجنرالات المسلمين، والرويبضات من مثقفونا المدعون بعدم استطاعة تلك الدول وجيوشها على نزال وقتال اليهود الجبناء رغم الترسانة الضخمة من الأسلحة المكدسة في مخازنهم ورغم الجيوش الجرارة التي في بلاد المسلمين. وليثبتوا للعالم أجمع أن دويلة يهود هي أوهى من بيت العنكبوت، وأن مصير جميع الدويلات والإمبراطوريات القائمة في العالم صغيرها وكبيرها بما فيها إمبراطورية الشر أمريكا قريبا إلى زوال بهمة الرجال وقوة إيمانهم، ولكن ذلك لن يتحقق إلا بالجهاد يعقد راياته خليفة المسلمين.

[460] التطور والإنسان، صفحه (151).

خَلْقُ الإنسان في نصوص القرآن

إنّ القرآن الكريم . وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي . قد تناول قصّة خَلْق الإنسان، إبتداءاً من خلق جد البشرية آدم عليه السلام، وهو أول البشر على الإطلاق، مروراً بمن خُلِقَ بعده من البشر، وصولاً إلى محمد عليه الصلاة والسّلام وأمته الكريمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى أن تكف الشمس والقمر عن الدوران، فألقى ظلالاً من نور ينير ظلام قلوب النّاس.

وفيما يلي من بحثنا سننعم في هذا الفصل إن شاء الله بدراسة بعض تلك النصوص الكريمة، والتّمعن فيها حتى تتضح الصورة، ويزهق الحق الباطل، فأمّا الزبد فيذهب هباءاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

1. خلق آدم عليه السّلام

تبدأ قصة خلق آدم عليه السّلام، أو واقعة خلق الإنسان الأول أبي البشر، بمحاورة بين الله تعالى وملائكته، ومن هنا تبدأ أول قصّة البشريّة وخلق الإنسان. تبدأ بإعلان ميلاد الإنسان وخلقه خَلْقا مباشِراً ومتقصداً، لا وجودَ للصدفة العشوائية ولا للتطور من البهيميّة إلى البشريّة، كما أنّه ليس طفرة من طفرات الطبيعة، واحتفالاً بمولد الإنسان، وتعظيماً لقدرة الخالق المبدع الذي صوره، فقد أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لأول البشر، وقد سجدوا جميعاً إلا إبليس لم يكن من الساجدين.

ومن هنا يرى بعض الفقهاء ، أنّ الإنسان ليس أفضل من كل الموجودات فقط، بل هو أفضل من الملائكة أيضاً.[461] إذ هو متميز عنهم في الخَلق، فأمرهم بالطاعة والخضوع له حين أمرهم بالسجود له.

---

[1] النبهاني – الشيخ تقي الدين، التفكير، صفحه (5).

- سابق – سيد سابق، العقائد الإسلامية، صفحه (111).
- القرطبي – محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، صفحه (294).

لقد استخلف الله الإنسان في الأرض، وحتى يتحقق له هذا الإستخلاف فلا بُدّ له من أن يُمَكّنَ من استعمال الوسائل الماديّة التي تحقق له هذا الأمر، فقد سُخِرَت لَهُ الموجودات الكونية جميعها، وَهُيأت لَهُ الأرض وَذُلِلَت لتكون طوع تصرف الإنسان: يزرعها لتنتج له ما يأكل، ويبني عليها بيت سكنه، ويسير في شِعابها وتلالها لمعاشِه ومباشرة أعماله، وّسُخِرَ لَهُ البَحْرَ: يركبه بالفلك والسُّفن والقوارب، ومنه يأكل طعامه، كما سُخّرت النباتات والأنعام له ولمعاشه.

ولولا تمكين الله تعالى للإنسان، واعطاؤه السّيطرة بتسخير كل تلك الموجودات له، لما استطاع العيش في هذه الحَياة الدنيا، وبالرغم من كل هذه النِّعَم التي مَنَّ الله عليه بها . وهي كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحصى . فإنّا نراهُ قليلاً ما يكون لله المُنعم الرازق المتفضل حامداً أو شاكراً، بل كثيراً ما نراه ضالاً شاطاً، كافراً بأنعم الله، جاحِداً فضله،[462] متبعاً خطوات الشيطان وجنده من دعاة الماديّة والوثنية والإلحادية والعصبية القبلية والقومية، كافراً بأنعم الله طوراً ومُشركاً به أطواراً، عاصياً أوامره مُسْتَحِلاً حرماته، متمرداً على كل النواميس والسُّنن التي سنها لهم الخالق المنعم المدبر.

يُعلمنا القرآن الكريم أنّ قصة خَلق البشرية قد بدأت بآدم عليه السَّلام، وَسَبَقَ ذلك مُحاوَرَةً بين الله تعالى وبين ملائكته، مُخْبِراً إياهم بأنّهُ سيستخلفُ في الأرضِ خَليفَة وهو الإنسان متمثلاً بادئ الأمر بآدم، وأنّه سيمكن لهم في الأرض بإعطائهم السُّلطان عليها.

تعجب الملائكة ووجلت قلوبهم، لقد رأى الملائكة في أنفسهم أنهم أحق بخلافة الأرض من ذلك المخلوق المُنْتَظَر، إذ هم يسبحون بحمد الله ويقدسونه ولا يعصونه ما أمرهم، فلماذا يستخلف فيها من إذا تمكن فيها عصاه وأفسد فيها وبطش وسفك الدماء؟ فأجابهم العالِم العليم أنّه يعلم ما لا يعلمون.

وهنا يعرض القرآن الكريم تكريم آدم الإنسان، فهو علاوة على استخلافة في الأرض، قد أكرمه الله بالعقل والإدراك والتفكير، وفضَّله على الملائكة بِالعِلم، فقد علمه الله تعالى أسماء الموجودات جميعاً، ولمّا سأل الملائكة أجابوا: **(سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلا ما عَلَمْتَنا)**[463] فالله تعالى وحده هو عالِم كل شئ، ذو الحكمة والعِلم، وليس لأحد كان أن يعلَم إلا ما علمه الله.

عندها طلب من آدم أن ينبئهم الأسماء، فلما طلب منه ذلك أخبرهم آدم بجميع الأسماء، وذلك ما يُظْهِرُ فضل آدم عليهم بزيادة علمه عنهم، وهنا يذكرهم الله أنّه يعلَم ما لا يعلمون، وأنّ له حكمة أرادها في خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، فالله تعالى عليم بكل الخفايا والأسرار وبواطن الأمور، عليم بما يُظهرون بالقول والفعل، وبما قد يكتمونه في أنفسهم.

إنَّ تعليم آدم الأسماء لا يقتصر على المسميات نفسها، بل هو تَعليمٌ وَتَثْقيفٌ عام بكل المخلوقات والموجودات وكيفيّة الإستفادة منها، وَتَعْليمٌ بِصِفات الأشْياء وَخَّواصِها وطرق الإستفادة منها حيث هي مسخرة له، فهو عِلْمٌ عام شامِلٌ يحوى الأسماء وصفاتها.[464] في ذلك يقول العلامة تقي الدين

---

[2] حتى بلغ الكفر والصفاقة والوقاحة فيه أن تبجح الصليبي " ريجان " الرئيس السابق للولايات المتحدة، على ما تناقلت وسائل الأعلام، بعد الحرب الصليبية التي شنوها على العراق، بالإدعاء بأنهم هم الذين يتحكمون بالقدر !!!

[1] البقرة: (32).

[1] تفسير ابن كثير، المجلد الأول، صفحه (74). بتصرف.

النبهاني: وأمّا قوله تعالى **[وعلم آدم الأسماء كلها]**[465] فإنّ المراد منه مسميات الأشياء لا اللغات، أي علمه حقائق الأشياء وخواصها، أي أعطاه المعلومات التي يستعملها للحكم على الأشياء)[466]

وهنا لا بد لنا من معرفة أنّ الإنسان يختلف عن غيره من المخلوقات بالعقل أي القدرة على التفكير، والتفكير حكم على ماهية شئ أو حكم على واقع، وحتى يتم هذا التفكير بصورة تعطي الحكم الصادق الصحيح لَزم أن يستكمل هذا التفكير الشروط اللازمة له، فعملية التفكير تجري بنقل الواقع المحسوس إلى الدِّماغ بواسطة إحدى الحواس مع ضرورة وجود معلومات سابقة عند الإنسان المُفَكر تفسر ذلك الواقع، فإذا إنعدمت إحدى تلك الأساسيات لا يتم الحكم على الواقع أو على الشئ بالصورة الصحيحة، **وعناصر التفكير أربعة:**

1. دماغ صالح.
2. واقع محسوس.
3. حواس.
4. معلومات سابقة.

وبما أنّ الله تعالى قد وَهَبَ آدم الدّماغ الصالح والحواس، وَأوْجَدَهُ في واقع معيّن، لذا لزم أن يُزَوِدَهُ الله تعالى بالمعلومات "الأسماء وصفاتها وخواصها" حتى تتم عمليّة التفكير للحكم على الأشياء والوقائع. لذا فقد علّم الله آدم كلها.

إنَّ قصَّة خَلق آدم وما رافقها من وقائع وأحداث، قد وردت مفصلة في القرآن الكريم في عدة مواضع، شارحة ومفصلة، معلمة إيانا، مبينة لنا وقائعها الحقيقية، طالبة منا الإعتقاد الجاذم بها، فإلى النُّصوص القرآنيّة التي تقص علينا ذلك، قال تعالى:

***1*. من سورة البقره .**

(وَإذْ قالَ رَبُكَ للمَلائِكَةِ إنيّ جاعِلٌ في الأرْضِ خَليفَةً قالوا أتَجْعَلَ فيها مَنْ يُفْسِدُ وَيَسْفِكَ الدِماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ ۞ وَعَلَمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلُها ثُمَّ عَرَضَهُم عَلى المَلائِكَةِ فَقالَ أنبِؤني بِأسْماء هؤلاءِ إنْ كُنْتُم صادقين ۞ قالوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلا ما عَلَمْتَنا إنَّكَ أنْتَ العَليمُ الحَكيم ۞ قالَ يا آدَمُ أنْبِئْهُم بِأسْمائِهم فَلَمّا أنْبَأهُم بِأسْمائِهِم قالَ ألَم أقُلْ لَكُمْ أنّي أعْلَمُ غَيْبَ السَمَواتِ والأرْضِ وَاعْلَمُ ما تُبْدونَ وما كُنْتُمْ تَكْتُمون ۞ وَإذْ قُلْنا لِلمَلائِكَةِ أسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلآ إبْليسَ أبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الكافرين ۞)[467]

***2*. من سورة الأعراف.**

---

[2] البقره: (31).

[3] النبهاني – الشيخ تقي الدين، الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث، صفحه (117).

[1] البقرة: (30 – 34).

(وَلَقَدْ مَكَناكُمْ في الأَرْضِ وَجَعَلْنا لَكُمْ فيها مَعايِشَ قَليلاً ما تَشْكُرونَ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ أسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلآ إبليسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدينَ۞)[468]

جاء في الظلال: **(إنّ الخَلق** قد يكون معناه: الإنشاء والتّصوير، وقد يكون معناه: إعطاء الصورة والخصائص... وهما مرتبتان في النشأة لا مرحلتان... فإنّ "**ثُمّ**" قد لا تكون للترتيب الزمني ولكن للترقي المعنوي، والتّصوير أرقى مرتبة من مجرد الوجود فالوجود يكون للمادة الخامة، ولكن التّصوير. بمعنى إعطاء الصورة الإنسانية والخصائص . يكون درجة أعلى من من درجات الوجود. فكأنّه قال: إننا نمنحكم مجرد الوجود، ولكن جعلناه وجوداً ذا خصائص راقية، وذلك كقوله تعالى: **(الذي أعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثم هدى)**[469] وعلى أية حال فإنّ مجموع النصوص القرآنية في خلق آدم عليه السلام وفي نشأة الجنس البشري، ترجح أنّ إعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية ووظائفه المستقلة كان مصاحباً لخلقه. وأنّ الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقياً في بروز الخصائص ونموها وتوزيعها واكتسابها الخبرة العالية. ولكن لم يكن ترقياً في وجود الإنسان من تطور حتى انتهت إلى الإنسانيّة كما تقول الداروينية.

ووجود أطوار مترقية من الحيوان تتبع ترتيباً زمنياً . بدلالة الحفريات التي تعتمد عليها نظرية النشوء والإرتقاء . هو مجرد نظرية ظنية وليست يقينية، لأنّ تقدير أعمار الصخور ذاته في طبقات الأرض لا يتم إلا ظناً!! أي مجرد فرضٍ كتقدير أعمار النجوم من اشعاعها. وليس ما يمنع من ظهور فروض أخرى تُعَدِلها أو تُغيرها أو تنسفها نَسْفاً. على أنّه . على فرض العلم اليقيني بأعمار الصخور . ليس هناك ما يمنع من وجود أنواع من الحيوان في أزمان متوالية بعضها أرقى من بعض... ثم انقراض بعضها.. ولكن هذا لا يحتم أن يكون بعضها متطور من بعض... لاتستطيع أن تثبت في يقين مقطوع به أنّ هذا النوع تطور تطوراً عضوياً من النوع الذي قبله من الناحية الزمنية . وفق شهادة الطبقة الصخرية التي يوجد فيها . ولكنها تثبت أنّ هناك نوعاً أرقى من النوع الذي قبله زمنياً... وعندئذٍ تكون نشأة النوع الإنساني نشأة مستقلة، في الزمن الذي علم الله أنّ ظروف الأرض تسمح بالحياة والنمو والترقي لهذا النوع، وهذا ما ترجحه النصوص القرآنية في نشأة البشرية، وتفرد الإنسان من الناحية البيولوجية والفسيولوجية والعقلية والروحية. هذا التفرد الذي اضطر الداروينيون المحدثون "وفيهم الملاحدة بالله كلية" للإعتراف به، دليل مرجح على تفرد النشأة البشرية، وعدم تداخلها مع الأنواع الأخرى في تطور عضوي.)[470]

وقال إبن كثير : (وذلك انه تعالى لمّا خلق آدم عليه السّلام بيده من طين لازب ، وصَوَّرَهُ بشراً سوياً ونفخ فيه من روحه ، أمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لشأن الله تعالى وجلاله، فسمعوا كلهم وأطاعوا إلآ إبليس لم يكن من الساجدين، وهذا الذي قررناه هو إختيار "إبن جرير" أنّ المراد بذلك كله

---

[2] الأعراف: (10 – 11).

[3] طه: (50).

[1] قطب – سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الثالث، الصفحات (1264 – 1265).

ويمكن الرجوع إلى فصل "حقيقة الحياة" في القسم الثاني من كتاب "خصائص التطور الإسلامي ومقوماته".

آدم عليه السلام. وقال سفيان الثوري عن الأعمش بن عمرو عن سعيد بن جبير عن إبن عباس "**ولقد خلقناكم ثم صورناكم**" قال: خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء... ونقل إبن جرير عن بعض السّلَف أيضاً أنّ المراد بخلقناكم ثم صورناكم: الذُّرِيَة.)[471]

وقال الأستاذ عبد الوهاب النّجار: (**خلقنا أصلكم الذي نسلكم وكنتم من أبنائه ، فَخَلْقُنا لَهُ خَلْقٌ لَكُمْ.**)[472]

3. من سورة الحجر.

(ولقد خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنونٍ ۞ والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمومِ ۞ وَإذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إني خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنون ۞ فَإذا سَوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدْين ۞ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُهُمْ أجْمَعونَ ۞ إلاّ إبليسَ أبى أنْ يَكونَ مِ ◌عَ السّاجِدينَ)[473]

الصَلصال: هو المنتن من الطين. **الحمأ:** هو الطين الأسود المنتن. **المسنون:** هو المتغير. وجاء في "لسان العرب": (الصلصال من الطين ما لم يُجعل خزفاً، وكل ما جَفَّ من طينٍ أو فخار. والمسنون هو المُصَوَرَ وهو المتغير المنتن. والحمأ هو الطين الأسود المنتن. من حمأ مسنون أي متغير منتن)[474]

امّا أبوبكر الرازي فيقول: (الصلصال هو الطين الحر خُلِطَ بِالرّمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طبخ بالنّار فهو الفخار، والحمأ هو الطين الأسود، والحمأ المسنون هو المتغير المنتن)[475]

قال الدكتورمحمد البهي: (الصلصال هو الطين اليابس الذي له رنين وصوت، والحمأ هو الطين الأسود المتغيّر، والمسنون هو المصوّر والمصبوب، أي صورنا هيكل هذا المخلوق المعهود من طين يابس طال اختلاطه بالماء حتى تغير واسود لونه)[476]

كما ورد في تفسير إبن كثير: (من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون، وقال قتاده: إستلّ آدم من الطين، فإنّ آدم عليه السلام خُلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى: **[ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بَشَرٌ تنتشرون]**[477])[478]

1. من سورة الكهف.

---

[1] تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، الصفحات (202 – 203).

[2] النجار – عبد الوهاب، قصص الأنبياء، صفحه (2).

[3] الحجر: (26 – 31).

[4] ابن منظور، لسان العرب، مجلد (11)، صفحه (382).

[1] الرازي: أبو بكر، تفسير الصحاح، الصفحات: (153) و (368).

[2] البهي – الدكتور محمد، تفسير سورة الحجر، صفحه (19).

[3] الروم: (20).

[4] تفسير ابن كثير، المجلد (2)، صفحه (551).

(وَإذ قلنا لِلْمَلائِكَةِ إسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلاّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبّهِ أفَتَتْخِذونَهُ وَذرِيتَهُ أولياءَ مِنْ دوني وَهُمْ لَكُمْ عَدُوّ بِئْسَ لِلظالِمينَ بَدَلاً﴿)[479]

2. من سورة "ص":

(وَإذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنّي خالقٌ بَشَراً مِنْ طينٍ ۞ فَإذا سَوَيْتُهُ وَنَفَختُ فيهِ مِنْ روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ ۞ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلهم أجْمَعونَ ۞ إلاّ إبْليسَ اسْتَكبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرينَ﴿)[480]

3. من سورة المؤمنون.

(وَلَقَدْ خَلَقنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طين ۞)[481]

وفيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال :

(إنّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض وما بين ذلك، ومنهم الخرق والسهل وبين ذلك، وإنّما سمي آدم لأنه من أديم الأرض.)[482]

2. إبليس ومعركته مع الإنسان

سأل الله تعالى إبليس عن سبب امتناعه عن السجود لآدم، وقد أمره الله بذلك، فكان تعليل إبليس لذلك يتضمن الغطرسة والكِبَرَ والغرور والجموح، معللاً تمرده وعصيانه وخروجه من موكب الكون الحق السائر بطاعة الله والإنقياد له أنّ أصل نشأته خير من أصل نشأة آدم، فإبليس قد خُلق من نار، في حين أنّ آدم قد خُلِقَ من مادة الطين، والنّار أعلى مرتبة من الطين، فكان تعليله لِلأمرتعليلاً مادِيّا بحتاً، فقد تعرض في تعليله لبحث المادة التي تَمَّ منها الخلق، غاضّاً الطرف عن أنّ أيٍ منهم لم يقم بخلق نفسه، ولم يكن له الرأي أصلاً في إختيار المادة التي خلق منها، ودون النظر في تكريم الله لِلإنسان بإختصاصه فيما لا يدخل في مجال الجسد . أي العقل والإدراك والتمييز والعِلم . وذلك كافٍ لتفضيله على الملائكة وسائر المخلوقات.

إنّ عدم انصياع إبليس لأوامر الله الخالق المدبر، هو عصيان وتمرد على الذّات الإلهيّة، وصلف وتكبر وغطرسة وجرأة، وحقّ للعاصي الظالِم نفسه أن ينال عقوبة ما أثمت يداه، فأتى العقاب رهيباً على قدر حجم المعصية، إذ أوعِدَ النار والخروج من الجنة، لأنّ الجنة ونعيمها لا يكون للمستكبرين العصاة المتردين.

---

[5] الكهف: (50).

[1] ص: (71 – 74).

[2] المؤمنون (12).

[3] رواه مسلم في صحيحه.

طلب إبليس من ربه إمهاله إلى يوم البعث والحساب، متوعداً ذريّة آدم . التي بسبب أبيهم لحقه ما لحق من غضب الله . متوعداً إياهم بالسّعي الدائب لغوايتهم وإضلالهم بالتزيين لهم بعصيان الله وعدم حمده وشكره وتسبيحه، فأنْظَرَهُ الله تعالى متوعداً إياه ومن تبعه من ذرية آدم بعذاب يوم عظيم.

خرج إبليس من الجّنَة حقيراً ذليلاً صاغراً مطروداً من رحمة الله، متوعداً آدم وذريته بقيادتهم للمعاصي والآثام، مزيناً لهم سوء الأعمال، مبعداً إياهم ما استطاع لذلك سبيلاً عن طاعة الله، صارفاً إياهم للشرك والإلحاد والكفر والضلال.

ويتوعد الله تعالى إبليس ومن إتبعه بالعصيان من ذرية آدم: إستخف وأبعد عن الصواب من استطعت، وأفرغ جهدك بكل ما استطعت من أنواع الإغراء..... شاركهم في كسب الأموال الحرام وفي صرفها في المعاصي والمنكرات.. ساعدهم وأنسالهم على الكفر، إغرهم وزين لهم الفساد والإفساد، زين لهم النفاق والكذب والفجور، قدهم إلى كل باطل وضلال، أبعدهم عن الحق ما استطعت، ويحذر رب العزّة محذراً البشر من ذرية آدم أنّه ما يعدهم الشيطان إلاّ الغرور والكذب والضلال . أمّا من أخلص من عباد الله المؤمنين فليس للشيطان عليهم من سبيل ، فلا سلطة ولا قدرة له على إغوائهم وإضلالهم إن أخلصوا النية وأخلصوا العمل وتوكلوا على الله خالقهم ومصورهم، وكفى بالله نصيراً.

أسكن الله آدم وزوجه حواء الجنّة، مبيحاً لهما أن يتمتعا بكل النّعم فيها، يأكلان ويشربان كل ما تشتهي أنفسهما من ثمراتها وخيراتها، إلاّ شجرة واحدة أمرهما ألا يقرباها، وألا يتذوقا ثمرها، إذ هي محرمة عليهم. وإن فعلا خلاف ذلك يكونا قد ظالمي نفسيهما بعصيانهما أمر ربهما إذا خالفا أمره، أي أنهما قد وضعا أمام إمتحانٍ يترتب عليه تقرير مصيرهما، مما يترتب عليهما في حالة المخالفة والعصيان جزاء وعقاب.

(لم يخبرنا النّص القرآني ما نوع تلك الشّجرة، فقال بعضهم: الحنطة "القمح" وقال آخرون: شجرة التفاح. وقيل: هي الكرمة، **لذا** حُرّمَ علينا الخمر. وقيل هي السّنبلة وقيل هي شجرة التين. وقال إبن عطية: وليس في شيْ من هذا التعيين ما يَعْضُدُهُ خبَر، وإنّما الصّواب أنْ يُعْتَقد أنّ الله تعالى نهى آدم عن شَجَرَةٍ فخالَفَ هو إليها وعصى في الأكل منها.)[483] وما دام القرآن لم يعلمنا ماهي تلك الشجرة الممنوعة، فليس لنا محاولة التكهن عن ماهيتها، ولا يعنينا من أمرها شيْ. والله تعالى أعلم.

لقد كان موضوع الشجرة المحرمة على آدم وزوجه هي أول منفذٍ لإبليس ينفذ منه إلى إغواء آدم وزوجه قبل أن يبدأ في إغواء نسلهما مستقبلاً، لذا فقد سُرَّ إبليس به واغتنمها فرصة إشفاء غليله بغواية عدوه آدم وزوجه ولينتقم منهما، فأخذ يُفْرِغ جهده بالتّزيين لهما، والتّزلف لكليهما، بإقناعهما بالأكل من تلك الشّجرة المحرمة عليهما.

---

[1] تفسير القرطبي، المجلد الأول، صفحه (305).

كان من ضمن الوسائل التي توسل بها الشيطان لهما لحثهما على العصيان وسيلة الإغراءات بأنّ تلك الشجرة هي **شَجَرَة الخلد** والنّعيم المقيم الذي لا يفنى، وأنّ منع الله لهما من الأكل منها كان لئلا يصبحا مَلَكَين، ولئلا يخلدا في الجنة ذات الخيرات والنعم الكثيرة، ولكي يصدقاه فقد أقسم على أقواله بمختلف الأيمان المغلظة، مُقْسِماً على أنّه لهما النَاصح الأمين.

ومن كثرة إلحاح الشيطان عليهما، وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فقد نسي آدم وحواء أنّ إبليس هو في حقيقته عدوهما اللدود الحاقد إلى يوم البعث والحساب، وأنّه لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يكون لهما النّاصح الأمين، فوقعا في مكائد الشيطان عدوهما، وعصيا أمر ربهما بأكلهما من الشّجرة المحرمة عليهما. ولمّا تذوقا طعمها تكشفت لهما عورات أنفسهما، فطفقا يجمعان من أوراق الجنّة ليواريا عوراتهما، فناداهما ربهما مؤنباً وزاجراً لهما عصيانهما: **(ألم أنهكما عن تلكما الشّجَرَةِ وَأَقُلْ لكما أنّ الشَيْطان لكما عدوٌ مُبين)**[484] عندها أحَسّا بحجم مَعصِيَتِهما وسوءَ ما قَدْ فَعَلا، وَشَعَرا حجم معصيتهما بمخالفة أمر ربهما، فأخذهما النّدَم الشَّديد، وتوجها تائبين مبتهلين متضرعين إلى الله ربهما أن يتوب عليهما ويرحمهما ويغفر لهما مخالفتهما وعصيانهما: **(قالا ربنا إنّا ظلمنا أنفسنا وإنْ لَمْ تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)**[485]

قَبِلَ الله التّواب الرّحيم تَوْبَة آدم وحواء فغفر لهما: **(فَتَلقى آدم من ربه كلمات فَتاب عَليه)**[486] والإنسان خَطاء، وللخطأ والعصيان . حتى الإسراف بهما وحتى الكفر . علاج هو التّوْبَة. فالتوبة تغسل المعصية، والعاصي التائب مغفور الذّنب، فالإنسان لم يخلق آثِماً، ولم يلاحقه إثم ما صنع أبَواه، فَأَبَواهُ قَدْ تابَ اللهُ عليهما، غَفَر لهما ذنبهما، ولن يأخذ الله الأبناء بذنب الآباء أبداً. قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم: (كُلّ بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[487] وذلك مطابق لقوله تعالى: **(قل يا عِبادِيَ الذينَ أسْرَفوا على أنْفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إنّ الله يَغفِرُ الذّنوب جميعاً، إنّهُ هُوَ الغفور الرّحيم)**[488]

بعد أن تاب الله على آدم أنزله وزوجه حواء من الجنة إلى الأرض، وأخبرهما أنّهُ سَيَكون بين نسلهما عداء لبعضهم البعض، وأنّ سكناهم منذ اليوم سيكون الأرض يعمرونها ويتمتعون بها مُسْتَخلفين فيها، ومُسّخرة ومن بها ومن عليها ولذرياتهم من بعدهم، إلاّ أنّ تلك السُّكنى في الأرض سَتَكون إلى

---

[1] الأعراف: (22).

[2] الأعراف: (23).

[3] البقرة: (37).

[4] سنن الترمذي: (2499).

[1] الزمر: (53).

حين من الزّمَن، أي أنّها سَتَكون سُكنى عابِرَة لحين إنتهاء أعمارهم المقدرة عليهم، وأنّ الله سَيُزَوِدَهُم بِالهُدى والرَشاد، فمن سار على الدّرب القويم وهُدى الله تعالى فلن يقع في المآثِم والذُنوب ولن يشقى بها، وسيحيون ويموتون فيها، ومنها سَيُبعَثون يوم الحساب، حيث سيجزى كل منهم جزاء ما قدّمت يداه، خيراً كان أم شَراً. وسنستعرض إن شاء الله بعض النّص القرآني لتلك الحادثة:

1. من سورة البقرة.

(وَقلنا يا آدَمُ إسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونا مِنَ الظالمين ۞ فَأَزَلَهُما الشّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مما كانا فيهِ وَقُلنا إهبطوا بَعْضُكُم لِبَعضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ في الأرضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتاعٌ إلى حينْ ۞ فَتَلقى آدَمُ مِنْ رَبّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إنّهُ هُوَ التَّوابُ الرَّحيمُ ۞ قُلنا إهْبِطوا مِنْها جَميعاً فَإمّا يَأتِيَنّكُم مِني هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدايَ فلا خَوفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنونَ ۞)[489]

2. من سورة الأعراف .

(قالَ ما مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خلقْتَني مِنْ نارٍ وَخلقْتَهُ مِنْ طين ۞ قالَ فَاهْبِط مِنْها فَما يَكونُ لَكَ أنْ تَتَكَبّرَ فيها فَاخْرُج إنّكَ مِنَ الصّاغِرينَ ۞ قالَ أنْظِرني إلى يَوْمِ يُبْعَثونَ ۞ قالَ إنّكَ مِنَ المُنْظَرينَ ۞ قالَ فَبِما أغْوَيْتَني لأقْعُدَنَّ لَهُم صِراطَكَ المُسْتَقيم ۞ ثُمَّ لآتِيَنَهُم مِن بَيْنِ أيْدِيَهُمْ وَمِنْ خلفِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرينَ ۞ قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذموماً مَدْحُوراً لَمَنْ تبَعَكَ مِنْهُمْ لأمْلَئَنَّ جَهَنَمَ مِنكُمْ أجْمَعينَ ۞ وَيا آدَمُ اسْكُن أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونا مِنَ الظالِمينَ ۞ فَوَسْوَسَ لهُما الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لهُما ما ووريَ مِنْ سَوْءاتِهِما وَقالَ ما نَهاكُما رَبُكُما عَنْ هذه الشَّجَرَةِ إلاّ أنْ تَكونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكونا مِنَ الخالِدينَ ۞ وَقاسَمَهُما إنّي لَكُمْ لَمِنَ النّاصِحينَ ۞ فَدَلاهُما بِغُرورٍ فَلَمّا ذاقا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْءاتُهُما وَطَفَقا يَخصِفانِ عَليْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَناداهُما رَبُّهُما ألَمْ أنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجَرَةِ وَأقُلْ لَكُما إنَّ الشَيْطانَ لَكُما عَدُوٌ مُبينٌ ۞ قالا رَبّنا ظَلّمْنا أنْفُسَنا وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ ۞ قالَ اهْبِطوا مِنها بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ في الأرْضِ مَتاعٌ وَمُسْتَقَرٌ إلى حين ۞ قالَ فيها تَحْيونَ وَفيها تَموتونَ وَمِنْها تَخرُجونَ ۞)[490]

2. من سورة الكهف.

(وَإذْ قُلنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلاّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبّهُ أفَتَتَخِذونَهُ وَذُريَتَهُ أوْلِياءَ مِنْ دوني وَهُمْ لكُمْ عَدُوٌ بِئْسَ لِلْظالِمينَ بَدَلاً ۞ ما أشْهَدْتُهُمْ خلقَ السمَوات والأرْضِ ولا خلقَ أنْفُسِهِمْ وما كُنْتُ مُتّخِذَ المُضلينَ عَضُداً ۞)[491]

---

[2] البقرة: (35 – 38).

[1] الأعراف: (12 – 25).

[2] الكهف: (50 – 51).

3. من سورة "ص"

(قالَ يا ابليسُ ما مَنَّعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ إسْتَكبَرْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ العالينَ ۞ قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلقْتَني مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ ۞ قالَ فَاخْرُجْ فإنَّكَ رَجيمْ ۞ وَإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيَ إلى يَوْمِ الدّينِ ۞ قالَ رَبِّ فَأنْظِرْني إلى يَوْمِ يُبْعَثونَ ۞ قالَ فَإنَكَ مِنَ المُنْظَرينَ ۞ إلى يَوْم الوَقْتِ المَعلومِ ۞ قالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعينَ ۞ إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخلَصينَ۞)[492]

4. من سورة الإسراء.

(وَإذْ قُلنا لِلمَلائِكَةِ إسْجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلاّ إبْليسَ قالَ أأسْجُدُ لِمَنْ خلَقْتَ طيناً ۞ قالَ أرأيْتَكَ هذا الذي كَرَّمْتَ عَليَّ لَئِنْ أخَرْتَنِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذرِّيَتَهُ إلاّ قَليلاً ۞ قالَ إذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤكُمْ جَزاءً مَوْفوراً ۞ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ أسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاجْلِبْ عَليْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشارِكْهُمْ في الأمْوالِ والأوْلادِ وَعِدْهُمْ وما يَعِدُهُمَ الشَيْطانِ إلاّ غُروراً ۞ إنَّ عِبادي ليسَ لَكَ عَليْهِم مِن سُلطانٌ وكفى بِرَبِكَ وَكيلاً۞)[493]

5. من سورة طه.

(وَلقَد عَهِدْنا إلى آدَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلم نَجِد لهُ عَزماً ۞ وَإذ قُلنا لِلملائِكَةِ اسجُدوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلاّ إبليسَ أبى ۞ فَقُلنا يا آدَمُ إنَّ هذا عَدُوٌ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخرِجَنَّكَ مِنَ الجَنَّةَ فَتَشْقى ۞ إنَّ لَكَ ألاّ تَجوعَ فيها وَلا تَعْرى ۞ وَأنَّكَ لا تَظْمؤا فيها وَلا تَضْحى ۞ فَوَسْوَسَ إليهِ الشَّيطانُ قالَ يا آدَمُ هَل أدُلُكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلدِ وَمُلكٍ لا يَبْلى ۞ فَأكلا مِنها فَبَدَتْ لهُما سَوءاتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ۞ ثُمَّ إجتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى ۞ قالَ إهْبِطا مِنْها جَميعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ فَإمّا يَأتِيَنَّكُمْ مِني هُدىً فَمَنْ إتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى۞)[494]

استعرضنا فيما مرّ قصّة آدم عليه السّلام ومعركته مع إبليس، كما قصّها علينا رب العزة في محكم التّنزيل، إنها قصّة الإغواء ونوازغ الوسوسة، إبتدأها إبليس مع أول البشر وأبيهم ، وإستمرّ بها ولا زال مع ذريته، بدءاً بقابيل وهابيل إبني آدم، وسيستمر بها إلى يوم القيامة، يبين لنا النّص القرآني وقائع الحدث بتسلسل جميل، لا لنضيف إلى علمنا معلومة جديدة، ولا لنزيد قصصنا قصة أخرى مشوقة، بل ساقها إلينا لنتذكر فنعتبر، فإبليس يعمل جاهداً لغواية البشرية ما استطاع لذلك سبيلاً، وجنود إبليس دائبون جاهدون بهمة لا تفتر ونشاط مستمر في إغواء البشر وإضلالهم وصرفهم عن السير في موكب الكون الحق السائر في طاعة الله وتسبيحه... فقد كذَبَ الناس الرُّسُل، وعصوا الله ربهم، والحد وكفر بالله وأنعمه عليهم أناس، وادعى النبوة والإلوهية آخرون، وآخرون أنكروا الخلق رغم شواهده الماثلة أمام أعينهم، وآخرون عللوا وجود أنفسهم والمخلوقات جميعاً بالصّدفة العشوائية، وعللوا النّمو والتكاثر بالتطورالمادي... كل هؤلاء واولئك هم أتباع إبليس وجنوده، كما أنّ من أتباعه الكاذب والمنافق والزاني

---

[1] " ص ": (75 – 83).

[2] الإسراء: (61 – 65).

[3] طه: (115 – 123).

وآكل الرّبا وموكله والعلماء المفتون بجوازه... ومشايخ السّلطان الذين يقولون على الله الكذب... وأول أتباعه وجنوده وأصفقهم وجهاً من أنكر وجود الله تعالى وأنكر الخلق وكذّب الرُّسُل.

ولا أرى موجباً في هذا البحث المحدد الهدف أن نتناول بالتَّفصيل والإسهاب شرح هذه الآيات الكريمات، فقد أوفت كتب التّفسير كل آيات القرآن الكريم حقها من التّفسير، فعلى من رغب الإستزادة والتّفصيل العودة إلى كتب التّفسير وهي كثيرة وفي متناول يد الجميع.

3. خلق الزوجة (حواء)

قال تعالى: **(وَمِنْ آياتِهِ أنْ خلقَ لكُم مِنْ أنْفُسِكُم أزواجاً لِتَسْكُنوا إلَيْها، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكرون)**[495] وَقالَ تَعالى : **(هُوَ الذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إلَيها)**[496] وقالَ رَسول الله صلى الله عليه وسلّم: **(خلقت المرأة من ضلعِ أعوج فإن تنقمها تكسرها وإن تتركها تستمع بها على عوجها)**[497]

قال المفسرون: **(لمّا أسكنَ الله تعالى آدم الجنّة كان يمشي بها وَحْشِياً،**[498] لم يكن له من يجالسه ويؤانسه، فألقى الله عليه النّوم، فأخذ ضِلعاً من أضلاعِه من شِقِهِ الأيسَرَ يقال له "القيصري" فخلق منه حواء من غير أن يحسَّ آدم بذلك ولا وجد ألماً، ثم ألبسها من لباس الجنَّة وزيّنها بأنواع الزّينة، وأجلسها عند رأسه، فلما هبَّ من نومه رآها قاعدة عند رأسه، فسألته الملائكة يمتحنون علمه: ماهذه ياآدم؟ فقال : إمرأه، ولما سألوه عن اسمها قال: حوّاء. ولما سألوه: لمن خلقها الله؟ قال: لتسكن إلي وأسكن إليها...)[499]

إن الله تعالى قد خلق "**حواء**" لتكون "**زوجَة**" لآدم، يسكن إليها وتسكن إليه. وبالتالي ليبدأ الفصل الثاني من نظام الخلق الذي سنَّهُ الله تعالى، الآ وهو **التزاوج والتناسل**، الذي فَرَضَهُ الله تعالى **القانون الوحيد الذي يتم به وحده خلق الإنسان** بعد خلق آدم وحواء، ولم يُخرج عن هذا القانون إلا "عيسى بن مريم عليه السَّلام" لحكمة أرادها الله تعالى.

لقد خلق الله الإنسان "الرَّجل والمرأة" في فطرةٍ معينةٍ تمتاز عن الحيوان، فكلاهما إنسان لا يختلف أحدهما عن الآخر في الإنسانية بشيْ، ولا يمتاز أيّ منهما بأيٍّ إمتياز من إمتيازات الإنسانية مطلقاً، لذا فقد هيأهما الله سوية لخوض معترك الإنسانية في مجتمع واحد وجعل **بقاء النَّوع الإنساني** متوقفاً على إجتماع الرّجل والمرأة في مجتمع واحد، وقد خلق الله في كلِ منهما طاقات حيوية هي نفس الطاقات الموجودة في الأخر، وأودع في نفس كل منهما الرّغبة لإشباع جوعات وثورات تلك

---

[1] الروم: (21).

[2] الأعراف: (189).

[3] العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مجلد (9: 252).

– تفسير القرطبي (1: 302).

[4] أي استوحش وحنَّ إلى الرفيق.

[5] القصة مقتبسة بتصرف من: النيسابوري، قصص الأنبياء، الصفحات (29 – 35).

– ابن كثير، البداية والنهاية، (1: 74).

– القرطبي، تفسير القرطبي، (1: 301، 302).

الطاقات، كما أودع في نفس كل منهما القابلية لإثارة تلك الطاقات لتتطلب الإشباع، وأياً كان نوع تلك الطاقات فقد أودعها الله في كليهما.

والطاقات الكامنة في نفس الإنسان نوعان، تبعاً لنوعية الإثارة . من داخلية وخارجية . وتبعاً لحتمية ألإشباع من عدمه حين تتطلبه، وتبعاً لما ينتج في حالة عدم الإشباع إثر تطلبه **وهي نوعان:**

1. **الحاجات العضوية:** مثل الجوع والعطش وقضاء الحاجة.
2. **الغرائز:** التي تقسم بدورها إلى ثلاث أنواع : [غريزة التدين. غريزة النوع. غريزة حب البقاء]

والغرائز جميعها هي كامنة في كليهما، فهي موجودة في المرأة كما هي موجودة في الرّجل، وبنفس الصفة والنوعية، كما أنّ في كليهما القدرة على التفكير بنفس القوة، فالعقل الموجود في أيٍ منهما هو نفس العقل الموجود في الآخر.

إلاّ أنَّ "بقاء النوع الإنساني" الذي هو من الأهداف العليا لصيانة المجتمع التي حافظ عليها الإسلام، قد حُصِرَ في إجتماع الرّجل والمرأة؛ فغريزة النوع وإن أمكن أن يشبعها ذكر من ذكر "لواطاً" أو أنثى من أنثى "سحاقاً، إلا أنّ مثل هذا الإشباع . وإن تَمَّ . لا يمكن مطلقاً أن يؤدي الغاية التي من أجلها وُجِدّت تلك الغريزة في الإنسان، إلا في حالة واحدة هي أن يشبعها الذكر من الأنثى وأن تشبعها الأنثى من الذكر.

لــــذا فإنّ صلة الزوجية من الناحية الجنسية هي الصلة الطبيعية التي لا غرابة فيها ، والتي تمت حكمة الله تعالى أن تكون **قانون وجود النوع الإنساني**، فهي الصلة الأصلية التي بها وحدها يتحقق الغرض من ايجاد الغريزة، ألا وهو بقاء النوع الإنساني. فإذا وقعت بينهما هذه الصلة على شكل الإجتماع الجنسي كان ذلك بديهياً ومنطقياً وطبيعياً وبعيداً عن الغرابة، بل كان مثل هذا الإجتماع أمراً حتمياً ولازماً لتحقق بقاء النوع الإنساني، إلا أنّ إطلاق هذه الغريزة هو أمر مضر للإنسان وحياته الإجتماعية.

ونظرة الإسلام إلى الغرض من وجود الغريزة أنَّه: **"النّسْل لبقاء النوع الإنساني"، لذا** فقد وَجَّهَ الإنسان لجعل نظرته لتلك الغريزة منصبَّة عل الغرض الذي وُجِدَت من أجله في الإنسان، وشدد على حصر النظرة بهدف بقاء النوع الإنساني لدى كل من الرجل والمرأة، بغض النظر عن اللذة والإستمتاع الحاصلتين طبيعياً وحتمياً نتيجة الإشباع.

وبما أنّ الإسلام يعتبر أن لا صلاح لأي جماعة إلآ بتعاون أفرادها – ذكوراً وإناثاً – بإعتبارهما أخوَين مُتضامِنَيْن تضامن مودة ورحمة، لذا فقد أكّدَ الإسلام على ضرورة ايجاد مفهومٌ عند الناس – ذكوراً وأناثاً – عن كيفية إشباع غريزة النوع وعن الغاية من وجودها، فأنشأ لهم نظاماً إجتماعياً متميزاً، يُزيل تسلط مفاهيم الإجتماع الجنسي، بجعلها أمراً طبيعياً وحتمياً للإشباع لأجل تحقق النسل والتكاثر، كما يزيل مفهوم حصر تلك الصلة باللذة والإستمتاع، وبالتالي يجعلها نظرة تستهدف مصلحة الجماعة بالتناسل والتوالد.[500]

---

[1] هذا البحث منقول بتصرف عن كتاب "النظام الاجتماعي في الإسلام" للعلامة تقي الدين النبهاني، الصفحات (18 – 21).

وباستعراض بعض النصوص القرآنية التي تناولت الموضوع، نرى أنها أتت منصبة على "الزوجيّة" مما يثبت أن خلق الغريزة وايداعها في الإنسان ذكره وأنثاه كان أصلاً لأجل هدف سام هو: الزوجية للنسل والتكاثر بهدف بقاء النوع الإنساني. قال تعالى:

(هُوَ الذي خلَقَكم مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ، وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكنَ إلَيها، فَلمّا تَغَشاها حَمَلتْ حَمْلاً خفيفاً فَمَرَت بِهِ، فَلمّا أثقلت دَّعَوا اللهَ رَبَهما لئِن آتَيْتَنا صالِحاً لنَكونَنَّ مِنَ الصّالحينَ)[501]

(يا أيُها النّاس اتقوا رَبَكُم الذي خَلقَكم مِن نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً واتقوا اللهَ الذي تّسآءَلونَ بِهِ وَالأرْحامَ إنَ اللهَ كانَ عَليْكمْ رَقيباً)[502]

(وَلَقَدْ أرْسَلنا رُسُلاً مِنْ قَبلِكَ وَجَعَلنا لهُمْ وَذُرِيَةً)[503]

(وَاللهُ جَعَلَ لكمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزواجاً، وَجَعَلَ لكمْ مِنْ أزواجِكمْ بَنينَ وَحَفَدَةً)[504]

(وَمِنْ آياتِهِ أنْ خلقكم مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذا أنتمْ بَشَراً تَنْتَشِرونَ ۞ وَمِنْ آياتِهِ أنْ خلقَ لكمْ مِنْ أنفسِكمْ أزْواجاً لِتَسْكنوا إليْها وَجَعَلَ بَيْنَكمْ مَوَدَةً وَرَحْمَةً إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يتفكرونَ۞)[505]

(فاطِرُ السَّمَواتِ والأرْضِ جَعَلَ لكمْ مِنْ أنْفُسِكمْ أزْواجاً وَمِنَ الإنْعام أزْواجاً)[506]

(وَانَّهُ خلق الزَوْجَينِ الذكرَ والأنثى ۞ مِنْ نُطْفَةٍ إذا تَمَنّى ۞)[507]

إنَّ الله تعالى قد سلط الخلق على الزوجين الذكر والأنثى من ناحية الزّوجيّة، وحصر التوالد والتكاثر بين البشر بها، هذا هو قانون الخلق الوحيد الذي به وحده يخلق ويوجد أي إنسان، وهو المفهوم الوحيد الذي غرسه في أذهان البشر، وكرر ذلك حتى يظل المفهوم والنظرة إلى الصلات بين الذكر والأنثى منصبة على الزوجيّة أي على النّسل لبقاء النوع الإنساني، نفياً ومبطلاً أي نظرة أو مفهوم يخالف ذلك.

وبدراستنا لواقع العيش في المجتمع الجاهلي في الجاهليّة الأولى، وهي الفترة التي سبقت الإسلام، وأحوال المرأة بالذات، نجد واقعها أنها كانت متاعاً أو كالمتاع، لاتملك من أمر نفسها شيئاً، ولا يُعْتَرَفُ لها برأيٍ أو إرادةٍ أو مشورةٍ حتى في شؤونها الخاصة، وقد كانت نظرة الزراية بها والهضم لحقوقها والنفي لشخصيتها تسود العالَمَ أجمع، وليس عند العرب فقط، فكانوا يكرهون أن يرزقوا الإناث. قال تعالى:

---

[2] الأعراف: (189).

[3] النساء: (1).

[4] الرعد: (38).

[5] النحل: (72).

[6] الروم: (20 – 21).

[1] الشورى: (11).

[2] النجم: (45).

(وَإذا بُشِّرَ أحَدُهُمْ بِالأُنثى ظلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كظيمٌ ۞ يَتَوارى مِنَ القوم مِنْ سوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أيُمْسِكهُ على هَوْنٍ أمْ يَدَسُّهُ في التُّرابِ ألا ساءَ ما يَحْكمونَ ۞)[508]

إنَّ الإسلام قد نظر إلى الإنسان "رجلاً كان أم إمرأة" أنّهُ إنسان فيه الغرائز والميول وفيه العقل والإدراك أيضاً، وأباح وهيأ ومكن الإنسان التمتع بلذائذ الحياة، ولكن على وجه يحفظ الجماعة والمجتمع، ويؤدي إلى تمكين الإنسان من السّير قدماً لتحقيق سعادة وهناء الإنسان داخل مجتمع متوازن تسوده الطمأنينة وتحكمه السنن والقوانين والضوابط الموافقة للفطرة التي اودعت بالإنسان. وبما أنّ حفظ النوع الإنساني من أهداف الإسلام العليا لصيانة المجتمع، ولأجل تحقق تلك الأهداف والغايات أتت ضرورة وحتمية الحفاظ على النَّسب، وبناء عليه فقد حصر الإسلام صلة الجنس بالزواج أو ملك اليمين. وللحفاظ على النسب وللحيلولة دون اختلاطه، فقد سَنَّ الأنظمة والأحكام التي تكفل المجتمع من اختلاط النّسب وتلك التي تكفل الحفاظ عليه، بجعل كل صلة أو علاقة تخالف ذلك وتخرج عنه جريمة تستوجب أقصى أنواع العقوبات الرادعة، ولبشاعة تلك الجرائم وخطورتها على المجتمع وحتى تكون العقوبات زاجرة رادعة، فقد سُنت ضمن الحدود التوقيفية التي لا يجتهد في مضمونها، محذراًَ من الرأفة والرَّحمة لمرتكبوا تلك الجرائم، قال تعالى:

(الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائَةَ جَلدَةٍ ولا تَأخذكم بهما رَأفَةَ في دين الله إنْ كنتم تُؤمنونَ باللهِ وَاليَوْمَ الإخِرَ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)[509]

من هنا يتبين مدى الفرق الشاسع بين نظرة الإسلام للإتصال الجنسي المنبثق عن نظرته لطبيعة الغريزة الكامنة في الإنسان ذكره وانثاه ولطرق اشباعها، ونظرته للمرأة نفسها وللناحية الزوجية التي تقتضيها وتفرضها طبيعة وجودها مع الرجل في مجتمع واحد؛ وبين نظرة الجاهلية الحديثة، فإنَّ كل وجهات نظر الجاهلية الحديثة ومفاهيمها: مسلطة على الناحية الجنسية وكيف نستمتع بها، بل وكيف نكثر من إنتهال المتعة واللذة. وبناء على تسليطهم على الناحية الجنسية فقط كوسيلة للمتعة واللذة وكهدف وغاية ، فمن الطبيعي أن يترتب على ذلك نظرة للمرأة أنها بوتقة لإشباع الرّغبات الجنسية، لا بل وسيلة من وسائل الإثارة والايقاع واشباع الشهوات الجنسية، صاحب ذلك اعتبارهم أنَّ عدم إشباع الغريزة بالجنس المطلق بلا ضوابط، وعدم اطلاق العنان لممارسته يشكل خطر على الصحه والعقل، وكبتٌ للغريزة التي لا بد من اطلاقها، وبما أنهم فهموا أنَّ وظيفة المرأة في ذلك هو الإستمتاع بها والإثارة، كان الحل الوحيد في نظرهم للمشكلة هو ايجاد المناخ المناسب للإثارة لدى كل من الرجل والمرأة بكل الوسائل المتاحة.

وبما أنّ عقولهم قد قصرت وعجزت عن إدراك السّبب الذي من أجله خلقت الغريزة في الإنسان وهو بقاء النوع الإنساني، بالعلاوة على اعتقادهم بحيوانية الإنسان، فإنهم بالتالي قد فهموا العلاقة بين الرجل والمرأة من ناحية جنسية في شكلها البدائي الحيواني، لذا فلا مانع عندهم لا بل من الطبيعي والبديهي والمنطقي – ما دام الجنس وممارسته قد أصبحا لديهم هدفاً يُسعى إليه لتحقيق اللذة والنشوة

---

[3] النحل: (58 – 59).

[1] النور: (2).

والإستمتاع – أن يُمارَسَ الجنس بصورة حيوانية منحطة، ما دام يفي بالمطلوب ويحقق الغاية ويوصل للإشباع، فمن الطبيعي أن يُمارَسَ الجنس بصورةٍ شاذة، كأن يمارسه رجل مع رجل، أو أن تمارسه انثى مع انثى، أو إتيان المرأة في غير موضع الحَرْث "موضع الحمل والتناسل".

لقد أثبتوا بذلك نظرية التطور!!! إذ طوروا الإنسان رجعياً، فحتى الحيوان البهيم الغير عاقل، والذي تطور الإنسان بزعمهم من نسله، لم ينحط إلى درجة الشذوذ بأن يواقع الذكر منه الذكر، أو أن تواقع الأنثى منه الأنثى، أو أن يواقع الذكر منه أنثاه في غير موضع التناسل، إلا في حالات نادرة.

قال تعالى :

(وَيَسْئَلونَكَ عَنِ المَحيضِ قلْ هُوَ أذىً فَاعْتَزِلوا النِساءَ في المَحيضِ ولا تَقْرَبوهُنَّ حَتّى يَطهُرْنَ فَإذا تَطهَرْنَ فَأتوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أمَرَكمُ اللهُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابينَ وَيُحِبُّ المتَطهرينَ ۞ نِساؤكمْ حَرْثٌ لكم فَأتوا حَرْثَكم أنى شِئْتُم وَأَتقوا اللهَ وَاعلموا أنكم ملاقوهُ وَبَشِّرِ المؤمنين۞)[510]

لقد كان خلق حواء الزوجة كما فهمه أدم عليه السلام، وكما علمه الله تعالى، لتسكن إليه ويسكن إليها، أي للزوجية التي تعني السّكن والمودة والرحمة، كما تعني التلاقح والتزاوج، والإشباع الصحيح لجوعات الغرائز وثوراتها، والمنتجة للنسل والذرية والنسب، ولايجاد النسل الإنساني، وللمحافظه على بقاء النوع الإنساني واستمرار وجوده، هذا النوع الذي سيحمل الأمانة والإستخلاف في الأرض، ولينتظم في موكب الكون السائر في طاعة الله وعبادته. وليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

4. مولد عيسى بن مريم

لقد جعل الله تعالى سنته في الخلق والميلاد قائمة على **قانون الزوجيّة**، فشاءت قدرته تعالى الا يولد إنسان إلا بإختلاط مائي الرّجل والمرأة، ومرور هذا الإختلاط بالأطوار اللازمة لِتَكوُّنَ المخلوق في حَمْلٍ تحمله إمرأة، ثُمّ تَكوّن الجنين في رحمها بتزاوج وتلقيح.

هذه هي السُّنَة التي سَنَّها الله تعالى قانوناً وناموساً لازِماً في خلق الإنسان – كل إنسان – لا ولن يتخلف عن ذلك ولم يسبق تخلف حالة واحدة، فلا يمكن أن يوجَدَ إنسان إلا بتلك الطريقة. إلا أنَّ مشيئة الله وقدرته إقتضت أن يُخلقَ آدَمُ أوّلَ البشر مِنْ تُرابٍ أمْراً مُخالِفاً لِتِلْك القاعدةِ، وَانْ تُخلقَ حَواء مِنْ ضِلع آدَمَ الأيْسَرَ أمْراً آخَرَ مُخالِفاً لِذلكَ الناموس. وَإسْتَمَرَّ تَكوّنُ وايجاد الجِنس الإنساني بطريقة المُعاشَرَة والتزاوج بين ذكر وانثى، ليتم اختلاط المائين معاً، والتلقيح في رحم الأنثى التي تحمل في أحشائها ذلك الجنين الذي كان ثمرة إتصال جنسي بين ذكر وأنثى، لتحمله قدَراً مَعلوماً، يخرج بعدها بعملية ولادة بشراً سوياً.

---

[1] البقرة: (222 – 223).

إلاّ أنَّ ميلاد نبي الله عيسى عليه السّلام، قد تم بطريقة خالفت تلك القاعدة وشذت عنها، فلم تتم بقانون الخلق وناموسه، إذ سبقت إرادته وحكمته تعالى أن يأتي هذا المولود إلى الدنيا بطريقة خارقة للقاعدة والقانون، ليخالف ميلاده الشريف ميلاد جميع من أتى قبله وجميع من سيأتي بعده مستقبلاً من البشر، أي بمعجزة تكون آية أخرى من آيات الله لتدلل على قدرته في الخلق، فكان ميلا د عيسى عليه السّلام بعملية "ولادة بدون أب *Partheno senis*" إذ أتى ميلاده الشريف المبارك من أم حملت به بدون أي إتصال جنسي مع رجل، فكان الحمل والميلاد من أم عذراء[511] بتول[512] لم يمسسها بشر مطلقاً، فلم يمتزج ماؤها بماء رجل بتاتاً، لِيُذكرّ الله تعالى الناس جميعاً: أنَّ مَنْ خَلقَ عيسى قد خلق من قبلِهِ آدَمَ بدون أم ولا أب. وفي ذلك قوله تعالى: **(إنّ مثل عيسى عِنْد الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قالّ كن فيكون)**[513]

وإذا تجاوز البشر حادث خلق الإنسان أصلاً وإنشاءه على هذه الصورة، فإنَّ ميلاد عيسى عليه السلام يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها الطويل. إذ هو حادث لم تعهده البشرية لا من قبل ولا من بعد، والإنسان لم يشهد خلق نفسه، وبالتالي لم يشهد خلق أول إنسان من غير أبوين، واعتاد البشر على مر التاريخ، ومن خلال تعاقب الدّهور والأيام أن يروا الخلق والتكوين يأتي مشاهداً بالسُّنَة المعهودة والطريقة الثابتة، فلم يعهدوا أن يأتي إنسان كائنا من كان إلى هذه الحياة الدنيا بلا اتصال جنسي بين رجل وامرأة، أي بين ذكر وأنثى. فأتت المعجزة الإلهية تبرز العجيبة الثانية في مولد عيسى بن مريم من غير أب ..... من أم عذراء بتول لم تمارس الجنس مطلقاَ ولم يمسسها بشر ، وذلك مخالف وخارق للعادة التي جرت منذ وُجِدَ الإنسان نفسه على هذه الإرض ، ليشهدها البشر ، ثم لتظل عالقة بإذهانهم مُذكرة الناس جميعا بمقدرة الله ، ولافتة النظر إلى المعجزة الأولى ميلاد آدم.

لقد جرت السُّنَة في الخلق واستمرار الحياة أن يكون ذلك بالتناسل والتكاثر الآتي من اتصال جنسي بين ذكر وانثى، جرت هذه السُّنَة أحقاباً طويلة، حتى استقر في تصور البشر أنّ تلك هي الطريقة الوحيدة والناموس الأوحد. ونسوا حادث وجود النوع الإنساني أصلاً، ذلك الحادث الذي لم يشاهده بشر، فشاءت إرادة الله وقدرته أن يَضرب لهم مثلاً يُشاهدونه بِأعينهم وهو ميلاد عيسى بن مريم ليذكرهم بقدرة الله المطلقة التي لا تخضع ولا تحتاج لقوانين ولا لنواميس ولا لقواعد، إذ أنّه إذا أراد شيئاً فإنّما يقول له كن فيكون.

يقص علينا القرآن الكريم قصة ميلاد عيسى بن مريم عليه السلام :

(واذكرْ في الكِتابِ مَرْيَمَ إذ انتبَذَتْ مِنْ أهْلها مَكاناً شَرْقِياً ۞ فاتخذت مِن دونِهِمْ حِجابا فأرْسَلنا إليها روحَنا فتمثلَ لها بَشرا سَويا ۞ قالت إني أعوذ بِالرَّحْمن مِنكَ إنْ كنتَ تقيا ۞ قالَ إنّما أنا رَسُولُ رَبكِ لأهَبَ لكِ غلاما زَكيا ۞ قالت أنّى يَكونُ لي غلامٌ وَلمْ يَمْسَسنيَ بشَرٌ وَلمْ اكُ بَغيا ۞ قالَ كذلكِ قالَ

---

[1] العذراء: هي التي لم تلد، ولم يسبق لها الزواج أو الوطء، ولم تفضَّ بكارتها.

[2] البتول: هي العذراء المنقطعة عن الزواج إلى العبادة.

[3] آل عمران: (59).

رَبكِ هُوَ عَليَ هَيْنٌ وَلِنَجْعَلهُ آيَة للناسِ وَرَحْمَة مِنا وَكانَ أمْرًا مَقضيا ﴿ فَحَمَلتهُ فانتبَذتْ بِهِ مَكاناً قصِيا ﴿ فأجاءَها المَخاضُ إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مِت قبلَ هذا وَكنتُ نَسْيا مَنسيا ﴿ فناداها مِن تحْتِها ألا تحزني قدْ جَعَلَ رَبكِ تَحتكِ سَرِيا ﴿)[514]

ممن وُلدَ المسيح؟ من فتاةٍ عذراء بتول طاهرة نقية تقية، نذرت نفسها لعبادة الله ربها، لم يُعرَف عنها وعن أسرتها إلاّ التُقى والصلاح والنقاء والطهارة، كانت معروفة لقومها أنها مِثال الطهارة والعفة، حتى أنها تنتسب إلى هارون أبي سدنة المعبد اليهودي المتطهرين....... أنها عذراء بتول، لم تقترف الزنا والفاحشة، ولم تمارس الإتصال الجنسي لا حلالاً ولا حراماً. يؤكد ذلك شهادة قومها: "**يا أخت هارون**"[515] وبصريح النص القرآني الذي يؤكد أن الميلاد كان من عذراء بتول تقية نقية طاهرة، لا بل مثال للطهارة والعفة، أحصنت فرجها ولم تقترف الزنا والسفاح والآثام، ذات التربية الصالحة والمنبت الطيب الأصل من سلالة الأتقياء الأطهار: **(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ التي أحْصَنَتْ فَرْجَها فنفخنا فيهِ مِن روحِنا وَصَدَّقتْ بِكلِماتِ رَبِّها وَكتبِهِ وَكانتْ مِنَ القانتينَ)**[516]

وضعت مريم حملها آتية بالمعجزة لبني إسرائيل "**ولنجعله آية**"، تحمل لهؤلاء القوم المشهورين بالعصيان والتمرد والتشكك حتى من الآيات البينات والحقائق المعلومة بالدليل الباتر، صورة أخرى من صور أيات الله ومعجزاته علهم يتفكرون، قال تعالى:

(فأتت بِهِ قوْمَها تحمِلهُ قالوا يا مَرْيَمُ لقد جِئتِ شيئا فرياً ﴿ يا أختَ هارونَ ما كانَ أبوكِ امرأ سوءٍ وَما كانت أُمُّك بَغِيا ﴿ فأشارَت إليهِ قالوا كيْفَ نكلمُ مَن كانَ بالمَهدِ صَبيًا ﴿ قالَ إني عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلنِي نَبياً ﴿ وَجَعَلني مُباركاً أيْنَ ما كنتُ وَأوصاني بالصَّلاةِ والصِيام ما دمتُ حَياً ﴿ وَبَراً بوالِدَتي وَلمْ يَجْعلنِي جَباراً شقِياً ﴿ وَالسَّلامُ عَليَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أموتُ وَيَوْمِ أبْعَثُ حَياً ﴿ ذلكَ عيسى بنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِ الذي فيهِ يَمْترونَ ﴿ ما كانَ لِلهِ أنْ يَتخذَ وَلداً سُبْحانَهُ إذا قضى أمْراً فإنّما يَقولُ له كنْ فيَكونَ ﴿)[517]

لقد حملت مريم إبنة عمران العذراء البتول حملها الشريف الطاهر، ووضعته غلاماً زكياً، حملت هذا المولود وأتت به أهلها. فذُهِش القوم وهم يرون إبنتهم الطاهرة العذراء المنقطعة للعبادة، تحمل لهم طفلاً وضعته لا يعرفون له أب!!! فانطلقوا يُقرِّعونها ويوبخونها بإتيانها هذا الفِعل الفظيع المُستَنكر... طفقوا يذكرونها بتقواها وصلاحها المشهود "**يا أُخت هارون**". كيف لا وهي من تلك الذرية المشهود لهم بالتقى والصلاح!!! كيف تأتي بذلك الفعل الشنيع الفاحش المستهجن المستقبح وهي سليلة الصالحين الأتقياء العباد القانتين المخلصين!!!. إنّ معلوماتهم الموثقة أنه لا يمكن أن يأتي مولود إلى هذه الدنيا مطلقاً إلاّ بإتصال جنسي بين ذكر وأنثى "مشروع أو غير مشروع"، فلا يمكن أن يكون حمل وولادة إلا

---

[1] مريم: (16 – 24).

[2] "يا أخت هارون" عبارة درج يهود في ذلك الوقت إطلاقها على الفتيات المشهود لهم بمنتهى العفة والطهارة والتقى والصفاء والنقاء، وإحصان الفرج وغض الطرف. – مما يعني شهادة من قومها في معرض التعجب والاستهجان على فعلها الظانين به إثماً.

[1] التحريم : (12) .

[2] مريم: (27 – 35).

بطريقة الزوجية المشروعة، أو بالسِفاح غير المشروع. وكلاهما تزاوج واتصال جنسي بين ذكر وأنثى يُنتج تلقيح وحمل وولادة، والسِّفاح هو تزاوج غير مشروع، لـــذا فهو مستقبح ومستهجن، خاصة إن أتى من مريم إبنة عمران، التي هي كما هوعلمهم ومعرفتهم العذراء التقية المنقطعة للعبادة، إبنة كرام الناس الأعلام الأبرار. وبما أنّها أتتهم تحمل مولوداً بلا زواج، فالقاعدة أنها ما دامت عذراء لم تتزوج بعد، فمنطقهم يقول بأنها قد حملت بمولودها سفاحاً ولا بد.

وجواباً لتساؤلاتهم وشكوكهم فقد أشارت للمولود أن يسألوه ليأخذوا الرد منه وقد نذرت الصوم عن الكلام عبادة لله وامتثالاً، مما أثار استنكارهم لذلك قائلين "**كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟**". فكانت المعجزة الأخرى الخارقة العجيبة، إذ تكلم المولود في مهده على غير المألوف المعهود، معجزة أخرى من معجزات الله تعالى، فتكلم المولود في المهد على غير المعهود المألوف آية أخرى من آيات الله الدالة على قدرته، ونفي لأي إرتياب أو شك قد يعلق في الأذهان بشأن طهارة أمه الوالدة، وهو بالتأكيد دليل دامغ على أنّ في ولادة المولود سرٌ جديدٌ من أسرار الخلق. هذا الخلق المعجزة. والمعجزات هي أمور خارقة للعادة للتدليل على نبوة نبي أو رسالة رسول. إذاً فإنّ خلق عيسى عليه السلام بهذه الصورة الخارقة للعادة هي أيضاً من علائم النّبوة التي تنبئنا به النّصوص القرآنية به.

(وإذ قالتِ المَلائِكةُ يا مَرْيَمُ إنّ اللهَ إصْطفاكِ وَطهرَكِ وَاصْطفاكِ عَلى نِساءِ العالمينَ ۞ يا مَرْيَمُ اقنُتي لِرَبكِ واسجُدي واركعي مَعَ الراكعينَ ۞ ذلكَ مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ نوحيهِ إليْكَ وما كنتَ لدَيْهِم إذْ يُلقونَ أقْلامَهُمْ أيُهُمْ يَكفلُ مَرْيَمَ وما كنْتَ لدَيْهِمْ إذ هُمْ يَختصِمونَ ۞ إذ قالتِ المَلائكةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللهَ يُبَشِرُكِ بِكلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسيحُ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ وَجيهاً في الدُّنيا والآخِرَةِ وَمِنَ المُقرَّبينَ ۞ وَيُكلِمُ النّاسَ في المَهْدِ وَكهْلاً وَمِنَ الصالِحينَ ۞ قالتْ رَبِّ أنَّى يَكونُ لي وَلدٌ وَلم يَمْسَسْني بَشَرٌ قالَ كذلِكِ اللهُ يَخلُقُ ما يَشاءُ إذا قضى أمْراً فَإنَما يَقولُ لهُ كنْ فيَكونُ ۞ وَيُعلِمُهُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ والتَّوْراةَ وَالإنْجيلَ ۞ وَرَسولاً إلى بَني إسْرائيلَ إني جِئْتُكمْ بآيَةٍ مِنْ رَبكمْ أنّي أخلقُ لكمْ مِنْ الطينِ كهَيْئةِ الطير فَأنفخ فيهِ فَيَكونُ طيْراً بإذنِ اللهِ وَأبْرِئُ الأكمَهَ والأبْرَصَ وَأحي المَوتى بِإذْنِ اللهِ وَأُنَبِئُكمْ بِما تَأكلونَ وَما تَدَّخِرونَ في بُيوتِكمْ إنَّ في ذلِكَ لكمْ إنْ كنْتمْ مؤمِنينَ ۞ وَمُصَدِّقا لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التوْراةِ وَلأُحِلَّ لكمْ بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَليكمْ وَجِئْتُكمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبكمْ فاتقوا اللهَ وأطيعونِ ۞ إنَّ اللهَ رَبي وربُّكمْ فَاعْبُدوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ ۞)[518]

إنَّ ولادة عيسى بن مريم عليه السّلام، بكل ما رافقها من خرق للقوانين والنواميس المعروفة لدى الناس، كانت آية من آيات الله، تُعلن قدرة الله تعالى وأنّه سبحانه وتعالى لا يتقيد ولا يلتزم متى شاء. في خلقه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات الذي يَسيرُ العالم عليها مُجْبَراً بأمر الله. وقد إتخذ البعض من ولادة عيسى عليه السلام بدون أب حجة على ألوهيته، كما اتخذ البعض الآخر ذلك منفذاً للطعن في أُمه أو للتشكيك في وجود المسيح، وهؤلاء جميعاً يخاطبهم الله تعالى في القرآن الكريم: **(إنَّ مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين.)**[519] فتعالى الله

[1] آل عمران: (42 – 51).

[2] آل عمران: (59).

الأحد الصمد عما يدعون **(قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفواً أحد ۞)**[520]

حملت مريم بالمسيح عليهما السلام بمجرد نفخ الرّوح، وطبيعي أنها مرَّت بجميع أدوار الحمل إلى أن وضعت حملها وأتت بمولودها، والنّص القرآني لم يذكر لنا شيئاً عن تلك الأدوار. يقول البيضاوي في تفسيره: (وكانت مدة حملها سبعة أشهر، وقيل ستة، وقيل ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره، وقيل ساعة). ولما أذن الله تعالى أن يكون وضع وميلاد، ألجأها المخاض إلى جذع نخلة في موضع في مدينة "بيت لحم" من أعمال فلسطين. يقول البيضاوي: (إنَّ الزَّمن كان شتاء والنخلة يابسة، وإنّما كان مجيئها لتستتر أو لتعتمد عليها). أما إبن كثير فيقول: (ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات أجلهن ووضعهن، إذ لو كان خلاف لذكر)[521]

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من شهد أن لا إله إلآ الله وحده لآ شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبده ورسوله، وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[522]

إنَّ مدة الحمل التي ذكرنا من روايات المفسرين ليس لها سند من دليل قطعي، فالنّص القرآني لم يتعرض له، كما لم يرد في الحديث الشريف أي ذكر لذلك الحمل الشريف كيف تمَّ وكم كانت مدته، ولم يذكر لنا هل كان حملاً عادياً كحمل بقية النساء أم غير ذلك، إذ إقتصر الإخبار بنفخ الروح والحمل والميلاد فقط. قال تعالى:

(والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)[523]

(ومريم إبنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)[524]

نعم يعلمنا الله تعالى في محكم التنزيل بنفخ الروح، ثم يعرج ليقص لنا كيف تم الميلاد : **(فَحَمَلتْهُ فإنْتبَذتْ بِهِ مَكاناً قصِياً ۞ فأجاءَها المَخاضُ إلى جذع النخلةِ قالتْ يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وَكنتُ نَسْياً مَنسِياً ۞)**[525]

إنَّ الحمل المعهود يتم بتلقيح بويضة المرأة من نطفة الرجل، فتبدأ النطفة الأمشاج "الملقحة" في النشاط والنمو في أطوار معروفة، إذ تكون علقة فمضغة، ثم تكسى العظام باللحم بعد أن ينشز اللحم، إلى أن يستكمل الجنين أيامه المعهودة.[526]

---

[3] الإخلاص: (1 – 4).

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، جزء (2)، صفحه (65).

[2] رواه الشيخان.

[3] الأنبياء: (91).

[4] التحريم: (12).

[4] مريم: (22 – 23).

[1] وذلك ما سنتعرض له بالتفصيل في " الباب الرابع " من هذا الكتاب، إن شاء الله.

ونعود إلى حمل مريم بعيسى عليهما السلام، فهل تمت مراحل هذا الحمل بعد نفخ الروح؟ أم هل تولد الجنين بعد نفخ الروح مختصراً المراحل المعهودة فأتى الوضع والميلاد بعد نفخ الروح مختصراً المراحل المعهودة فأتى الوضع والميلاد رأساً بعد نفخ الروح، فكان حملاً خفيفاً في مدة مختصرة؟. إنَّ أياً من تلك الإحتمالات لم نجد له جواباً شافياً لها، بل لم يتعرض له النص القرآني. وبما أنّ الموضوع من متعلقات العقيدة، والعقيدة لا تُأخذ إعتقاداً إلاّ بالنص القطعي من قرآن أو حديث متواتر، لـــــذا فنقتصر في ذلك على ما ورد به النص، وليس لنا الإجتهاد أو التخمين في ذلك، والله تعالى أعلم.

يعلمنا النص القرآني أنَّ مريم بعد أن حملت حملها انتبذت من أهلها مكاناً نائياً قصياً بعيداً عن الأنظار، لتواجه المخاض الذي ألجأها إلى جذع النخلة، لتضع حملها الطاهر، ولتواجه المجتمع والناس كافة بالآية المعجزة.

هذه هي قصة ميلاد رسول الله عيسى بن مريم عليه السَلام، كما أتت في محكم التنزيل، مكذبة كل الإدعاءأت والروايات المختلقة الملفقة، عبد الله ورسوله، بشر كباقي البشر، أتى بحمل وميلاد من أنثى حاضرة شاهدة معروفة، تعيش بينهم، تأكل مما يأكلون وتشرب مما يشربون، فهو ليس ابن الله ولا ثالث ثلاثة، إنسان بشر ليس إله ولا رب ولا أبن رب، ولا ملاك، استعرضناها في بحثنا كصورة فريدة ومميزة من صورخلق وميلاد الإنسان.

(ذلِكَ عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترونَ ۞ ما كانَ لِله أن يَتّخِذَ وَلداً سُبْحانهُ إذا قضى أمْراً فَإنَّما يَقولُ لهُ كنْ فيَكونَ ۞)[527]

إنّه عيسى بن مريم الإنسان، عبد الله ورسوله. الشريف الطاهر المبارك، المرسل رحمة إلى بني إسرائيل العصاة المكابرين، ليعيد الضالين منهم إلى عقيدة التوحيد، مصدقاً للتوراة كتاب الله المنزل على نبي الله موسى، ومرسلاً بكتاب الله "الإنجيل" المتضمن رسالته إليهم بشرائع وأحكام جديدة، بعضها مثبتاً لما أتت به التوراة، والبعض الآخر مبدلاً ومخالفاً لما أتت به التوراة، أتاهم بشواهد ومعجزات تدلل على رسالته، معجزة في مولده، ومعجزة في تكلمه في مهده، ومعجزة إحياءه الموتى وشفاءه للمرضى، ومبشراً برسول يأتي من بعده أسمه أحمد.

إن عيسى عليه السلام الوليد الناطق في المهد، عبد الله ورسوله، ليس ابن الله وليس رباً ولا إلهاً ولا ثالث ثلاثة، كما يلحد إليه المشركون الكافرون... هذه هي حقيقته في مولده وفي نشأته، لقد أنكر المولود كل تلك الإتهامات إذ تكلم في المهد على غير عادة المواليد، خارقاً النواميس في مهده تماماً كما خرقها في ميلاده.

(قالَ إني عَبْدُ اللهِ آتاني الكِتابَ وَجَعَلني نَبياً ۞ وَجَعَلني مُباركاً أيْنَ ما كنْتُ وَأوْصاني بِالصَلاةِ والزَكاةِ ما دُمْتُ حَيا ۞ وَبَراً بِوالِدَتي وَلمْ يَجعَلني جَباراً شقِياً ۞ وَالسَّلامُ عَليَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أموتُ وَيَوْمَ أبْعَثُ حَياً ۞)[528]

---

[1] مريم: (34 – 34).

[2] مريم: (30 – 33).

5. أصحاب الكهف والرقيم

قال تعالى: (**اللهُ يَتَوَفى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالتي لمْ تَمُتْ في مَنامِها فَيُمْسِكُ التي قضى عَليْها المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخرى إلى أجَلٍ مُسَمىً إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتفكرونَ**)[529]

إنَّ قصة الفتية الذين فروا بدينهم من بطش وجبروت الطغاة، هي قصة تتكرر كل يوم وفي كل مكان، وفي كل الأمم والشعوب والأقوام. (إنَ أصحاب المبادئ والمعتقدات الصحيحة في كرب وشدّة وبلاء دائم، منذ أن خلقَ اللهُ الخلقَ إلى يومنا هذا، وذلك أنّه ما من أمة أو شعب أو قوم إلاّ ولهم عقائد يعتنقونها، وأفكار يحملونها، وأحكام ينظمون بها أمورهم، إرتضوا لأنفسهم هذه العقائد والأفكار والأحكام وألفوها على مرور الزمن، واستعدوا للدفاع عنها، وذلك أنها غدت جزءاً من حياتهم، وهذه سنة الله في خلقه لم تتخلف في الأمم والشعوب والأقوام، لـــذا فإنّه ما من نبي أو رسول جاء لقومه بعقائد وأفكار وأحكام جديدة مغايرة لما هم عليه إلا ورفضوه وما يدعوهم إليه، وكذبوه وآذوه، فنال كل نبي أو رسول من صنوف الأذى وألوان العذاب ما نجده في كتاب الله تعالى: (**وَلقدْ كذِبَتْ رُسُلٌ مِنْ قبْلِكَ فصَبَروا عَلى ما كذِبوا وأوذوا حَتى أتاهُمْ نصْرُنا وَلا مُبَدِّلَ لِكلِماتِ اللهِ وَلقدْ جاءَكَ مِنْ نبَإِى المُرْسَلينَ**)[530] وحيث أنَّ أتباع الأنبياء والرُّسُل يحملون الدعوات من بعدهم، فهم كذلك يتعرضون للأذى والتعذيب)[531] قال تعالى: (**وَالسَمآءِ ذاتِ البُروجِ ۞ وَاليَوْمِ المَوْعودِ ۞ وَشاهِدٍ وَمَشْهودٍ ۞ قتِلَ أصْحابُ الأُخدودِ ۞ النّارِ ذاتِ الوُقودِ ۞ إذ هُمْ عَليْها قعودٌ ۞ وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلونَ بالمؤمنينَ شُهودٌ ۞ وَما نقموا مِنْهُمْ إلآ أنْ يُؤمِنوا بِاللهِ العَزيزِ الحَميدِ ۞ الذي لَهُ مُلكُ السَمَواتِ والأرْضِ واللهُ على كُلِ شَئٍ شَهيدٌ ۞ إنَّ الذينَ فتنوا المؤمِنينَ والمُؤمِناتِ ثمَّ لمْ يَتوبوا فلهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَلهُمْ عَذابَ الحَريقَ ۞**)[532] (ولما جاء في الحديث الشريف عن خباب بن الأرت : (... قال: كان الرجل قبلكم يُحفر له في الأرض، ويجعل فيه فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق بإثنتين، وما يصدّه ذلك عن دينه، ويمشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه...)[533] فحامل المبدأ الصحيح مشعل هداية للناس من رسل وأنبياء أو من أتباعهم ومن إهتدى بهديهم وسار على نهجهم، فإنه لا يهادن ولا ينافق، ولا يخضع لضغوط الإمتحان والفتنة.)[534]

(وقد نال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونال أصحابه من أذى قريش وقبائل العرب ماهو معروف ومشهور، لكنّ الأنبياء والرُّسُل وكذلك أتباعهم من بعدهم ما كانوا ليتركوا حمل الدّعوة وتليغ الشَّرائع والأحكام خضوعاً للعذاب والأذى، بل كانوا يصبرون ويصبرون على ما يلاقونه حتى يحكم الله

---

[1] الزمر: (42).

[2] الأنعام: (34).

[3] عويضه – محمود عبد اللطيف، حمل الدعوة – واجبات وصفات –، الصفحات (100–101)، بتصرف.

[1] البروج: (1 – 10).

[2] رواه البخاري وأحمد و النسائي و أبو داوود.

[3] المصدر السابق، بتصرف.

بينهم وبين أقوامهم، وما عُرفَ أنّ نبياً أو رسولاً أو أتباع نبي أو رسول تركوا حمل الدّعوة وتخلوا عن حمل الأمانة خضوعاً للإمتحان والتعذيب، فالصبر على العذاب والأذى سنة لا تتخلف في كل من يحمل الدّعوة الحق من أنبياء ورسل واتباعٌ على مر العصور والدّهور).[535]

(إنَّ حمل الدّعوة يعني بالتأكيد ضرب العقائد والأفكار والأحكام المألوفة لدى الناس، واستبدال عقائد وأفكار وأحكام أخرى بها، كما يعني التعرض للأذى والعقاب والإمتحان والفتنة، وما يجب حياله من التحلي بالصبر وتحمل المكاره، وانتظار الفرج من رب العالمين. فالبلاء والعذاب أمران لا بد من حصولهما أثناء حمل الدّعوة، كما أنّ الصبر والتحمل أمران لا بد من وجودهما لدى حامل الدّعوة، وعندما تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم للتعذيب من أهل الطائف توجه إلى ربه داعياً مبتهلاً، كما روى محمد بن كعب القرظي):[536]

(اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين: أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى قريب يتهجمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل علي غضبك..)[537]

(إنّ الفتنة والإمتحان التي يتعرض لها حملة الدّعوة كانت وتكررت وستكون وتتكرر، فما دام تعاقب الليل والنهار فسيكون هناك جلادون ومن يجلدون، وحامل الدّعوة يتحدى ولا بد الجلادين العُتاه، يتحدى المجتمع "وقادته والناس كافة" بعقائده وأفكاره ومفاهيمه وأحكامه وأعرافه وتقاليده، كما يتحدى الحكام والجلادين، ثابتاً على المبدأ، مسفهاً العقائد والأفكار والأحكام والمفاهيم والعادات والأعراف، صابراً على الأذى والعذاب والبلاء الذي سيتعرض له نتيجة ثباته على المبدأ. لذا فقد صنفه الرسول صلى الله عليه وسلم في صف واحد مع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، مصداقاً لقوله تعالى: **(كُلُ نَفسٍ ذائِقةُ المَوْتِ وَإنّما توَفونَ أُجورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فقدْ فازَ وَما الحَياةُ الدنيا إلاّ مَتاعُ الغُرورِ)**[538]

وحتى يتم أمر الله تعالى فإنّ الأعداء يفتحون السجون والمعتقلات، ويشهرون العصي والسياط، ويحاربون حملة الدعوة بقطع الأرزاق وحتى بقطع الأعناق، يعلنون الحرب على حملة الدعوة في كل المجالات، ليحولوا بينهم وبين حمل الدعوة والثبات عليه والإستمرار فيه ، فَمَنْ فتِنَ ومن ترك حمل الدعوة استجابة للضغوط فقد سقط، وحقق المفتون والساقط لأعداء الدعوة وأعداء الله ما يصبون إليه ويطمحون فيه.)[539]

---

[4] المصدر السابق، الصفحات (102 – 106)، بتصرف.

[1] عويضه – محمود عبد اللطيف، حمل الدعوة – واجبات وصفات –، الصفحات (102–106)، بتصرف.

[2] رواه أبن هشام في السيرة، ورواه البغوي في التفسير، ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن طريق عبد الله بن جعفر.

[3] آل عمران: (185).

[1] المصدر السابق، صفحه (109)، بتصرف.

(وكما ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدعوة وعلى حملها، فقد ثبت صحابته رضوان الله عليهم ثباتاً لا نظير له، والأمثلة على ذلك كثيرةً ومعروفة ومشهورة، وما قصة تعذيب بلال في بطحاء مكة وثباته على الحق، وما قصة آل ياسر وتعذيبهم برمضاء مكة وصبرهم بخافية على أحد، وكتب السيرة تقص علينا قصص ثباتهم على حمل الدعوة، كما تقص علينا أساليب التعذيب التي استعملها طغاة مكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع صحابته من بعده.)[540]

وكما ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته على المبدأ فلم يهنوا ولم يضعفوا، فكان منهم بلال وآل ياسر وسمية وخبيب وغيرهم صابرين محتسبين، فقد ثبت قبلهم فتية الأخدود كما أعلمنا الله في سورة البروج، الذين صبروا على العذاب وثبتوا على المبدأ حتى فاضت أرواحهم الطاهرة إلى بارئها مستبشرة بلقائه، وقد أعطانا الرسول صلى الله عليه وسلم نماذج صادقة من الثبات على الحق، وهم أصحاب عيسى بن مريم عليه وعليهم السلام الذين نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب، فلم يهنوا ولم يُفتنوا، بل صبروا وثبتوا.

كما أن ممن ثبت على المبدأ أخوة لنا عذبوا حتى الموت فلو يهنوا ولم يضعفوا، لا بل صبروا وصمدوا محتسبين حتى فاضت أرواحهم الطاهرة الزكية إلى بارئها مستبشرة بلقائه، كما حصل مع العلامة "سيد قطب" ومن سبقه من قتلى الثبات على المبدأ الحق ومن لحقهم بعد ذلك من إخوانهم الذين استشهدوا على يد عبد الناصر وخلفائه من حكام مصر. وكما حصل مع قتيل الثبات على المبدأ الحق "عبد الغني الملاح" الذي استشهد عام *1963* في بغداد تحت تعذيب حكام البعث له. وكذلك "ناصر سريس وبديع حسن بدر" ورفاقهم من شهداء الثبات على المبدأ الذين قتلهم وسحلهم في الشوارع طاغية ليبيا معمر القذافي. والمهندس "ماهر الشهبندر" ورفاقه من الشهداء الذين قتلهم طاغية العراق صدام حسين.. كل هؤلاء وغيرهم كثير ممن سبقهم ومن أتى بعدهم، لقوا ربهم وهم على عهدهم لم يتزعزع لهم إيمان، ولم تلن لهم قناة، ولم يحنوا هاماتهم للطغاة، لم يُفتنوا بل اختاروا الثبات على المبدأ والتحدي به. اليست كل نفس ذائقة الموت؟ أليس لكل أجل كتاب؟

كما أنّ اخواناً لنا كانوا ولا يزالوا متعرضين للفتنة والإمتحان، يلاقون كل أصناف الفتن والعذاب في سجون الطغاة في اوزباكستان، وفي سجون رعاة البقر الأمريكان في معتقلات غوانتنامو في كوبا، وفي كل مكان، فمنهم من قضى نحبه شهيداً صابراً محتسباً، ومنهم من ينتظر ثابتاً على المبدأ متحدياً الطغاة. **وأخيراً** إخواننا الملتجئون للكهوف والمغر في أفغانستان الصابرة، والحرب الصليبية الغاشمة التي تصب عليهم حمم الموت والعذاب والإبادة، صابرين محتسبين غير مفتونين متحدون أصحاب الفيل وحلفائهم من شرار الناس، لم يخضعوا ولم تلن لهم قناة. قال تعالى: **(مِنَ المُؤمِنونَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا الله عَلَيْه فمِنْهُمْ مَن قضى نحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدّلوا تبْديلاً)**[541]

---

[2] المصدر السابق، صفحه (113)، بتصرف.

[1] الأحزاب: (23).

لقد إلتجأ نفر من الصحابة حملة المبدأ رضوان الله عليهم إلى الحبشة فراراً بدينهم وعقيدتهم، وهرباً من ظلم الطغاة وفتنتهم، وحديثا هرب فتية آمنوا بربهم من المسلمين إلى الكهوف في أفغانستان هرباً من ظلم وجبروت الطغاة الصليبيين الكفرة وأحلافهم الشيطانية. وقصة الفتية الذين التجئوا للكهف هي قصة المؤمن صاحب العقيدة الذي فر بدينه وعقيدته من الطغاة ثابتاً على المبدأ، فاراً من الفتنة والظلم والطغيان، قال تعالى: **(نَحْنُ نقصُّ عَليْكَ نبأهُمْ بالحَق إنَّهُمْ فِتيَة آمَنوا بربهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً ۞ وَرَبَطنا عَلى قلوبِهِمْ إذ قاموا فقالوا رَبُنا رَبُّ السَمَواتِ وَالأرْضِ لنْ نَدْعوا مِنْ دونِهِ إلهاً لقدْ قلنا إذاً شططاً ۞ هَؤلآءِ قوْمُنا إتَخذوا مِنْ دونِهِ آلِهَةً لّوْلا يَأتونَ عَليْهِمْ بسُلطانٍ بَيِّنٍ فمَنْ أظلَمُ مِمَنْ إفترى عَلى اللهِ كَذِباً ۞ وإذ اعْتزَلتُموهُمْ وَما يَعْبُدونَ إلآ اللهَ فأوا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَئ لكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفقا ۞)**[542]

إلتجأ الفتية إلى الكهف ليضرب الله عليهم النعاس، فيستغرقون في نومهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا.

(وَتَرى الشَّمْسَ إذا طلعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ اليَمينِ وَإذا غَرَبَتْ تَقرِضُهُمْ ذاتَ الشِمالِ وَهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضلِلْ فلنْ تَجِدَ لهُ وَلِياً مُرْشِداً ۞ وَتحْسَبُهُمْ أيْقاظاً وَهُمْ رُقودٌ وَنُقلِبُهُمْ ذاتَ اليَمينِ وذاتَ الشِمالِ وَكَلبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بالوَصيدِ لَوْ إطَلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ۞)[543]

وهنا معجزة أخرى من معجزات الخلق، الدالة على قدرة الله الخالق، تلك المعجزة التي ساقها النص القرآني لتخاطب العقول التائهة والباحثة عن الحقيقة على حد السواء، إذ فجأة تدب فيهم الحياة بعد ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً من النوم: **(وَكَذلِكَ بَعَثناهُمْ لِيَتَسائَلوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثتُمْ قالوا لَبِثنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ فابْعَثوا أحَدَكُمْ بوَرِقِكُمْ هذِهِ إلى المَدينَةِ فليَنْظُرْ أيُها أزكى طَعاماً فليَأتِكُمْ برزقٍ مِنْهُ وَيَتلطَفَ وَلا يُشْعِرَنَّ بكُمْ أحَداً ۞ إنَهُمْ إنْ يَظهَروا عَلَيْكُمْ يَرْجُموكُمْ أوْ يُعيدوكُمْ في مِلَتِهِمْ وَلَنْ تفلِحوا إذاً أبَداً ۞)**[544]

إنّهُم لم يعرفوا كم لبثوا في نومهم هذا فها هم يتناجون فيما بينهم حذرين خائفين على دينهم وعقيدتهم من فتنة وجبروت الطغاة الكفرة، لايدركون أنّ مئات الأعوام قد مرت، وأنَ أجيالاً قد تعاقبت، وأنّ مدينتهم التي شهدت طفولتهم وشبابهم والتي فارقوها ونزحوا عنها فراراً بدينهم وخوفاً من الإمتحان قد تغيرت معالمها، وأنّ الظلمة الطغاة المتسلطين قد دالت دولتهم، وأنّ خبرهم كفتية فروا بدينهم وعقيدتهم في عهد الملك الظالم قد أصبحت تاريخاً يرويه الخلف عن السّلف، وأنّ الأقاويل والروايات قد تباينت حولهم وحول عقيدتهم، وحول الفترة التي مضت منذ هربهم وانقطاع أخبارهم..... ولنا أن نتصور ضخامة المفاجئة التي اعترت الفتية بعد تيقن زميلهم طول الزمن وبعده منذ فارقوا مدينتهم هرباً بدينهم، وتبدل أحوال الدنيا حولهم، حيث لم يعد في مدينتهم شئ من الباطل الذي أنكروه وقاوموه وهجروا مدينتهم

---

[1] الكهف: (13 – 16).

[2] الكهف: (17 – 18).

[3] الكهف: (19 – 20).

فراراً منه، وأنهم بالتالي من جيل مضت عليه السنين والقرون ، وأنهم بالتالي أعجوبة في نظر الناس، وآية من معجزات الله تعالى القائل: (**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الكَهْفِ والرَّقيم كانوا مِنْ آياتِنا عَجَباً ۞ إذ أوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فقالوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَئ لنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً ۞ فَضَرَبْنا عَلّى آذانِهِمْ في الكَهْفِ سِنينَ عَدَداً ۞ ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزبَينِ أحْصى لِما لَبِثوا أمَداً ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُمْ إِنَّهُمْ فِتيَةٌ آمَنوا برَبِّهِمْ وَزِدْناهُم هُدى ۞**)[545]

والكهف: هو الغار الواسع في الجبل. **أما الرَّقيم:** فقد قال أبن عباس: هي قرية خرجوا منها. وقال مجاهد: الرّقيم واد. وقال السّدي: الصخرة التي كانت على الكهف. وقال ابن زيد: كتاب. وقال آخرون: كتاب في لوح من نحاس. وقال ابن عباس: بل من رصاص. ولإبن عباس أيضاً: الرّقيم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به.

لقد إختلف المؤرخون في مكان الكهف، فقال كثيرون بأرض ايلة، وقال آخرون: نينوى . وقيل في البلقاء، وقيل في بلاد الشام، وقيل في بلاد الروم.

ويذهب "عطية زاهده" إلى أنّ الكهف هو في خربة (قمران) بجانب البحر الميت إلى الشمال من الفشخة في فلسطين، حيث يقول: (وعلى أيّة حال فإنَّ أحداً من الناس لم يسبق له أن أشار إلى علاقة أهل الكهف بمخطوطات البحر الميت، وكان مؤلف الكتاب هو من أول من بَيَّنَ أنَّ أصحاب الكهف والرّقيم كانوا في قمران قرب البحر الميت، والوثائق الرّسمية التي في حوزته، علاوة على على المصادر العلمية تثبت ذلك...)[546]

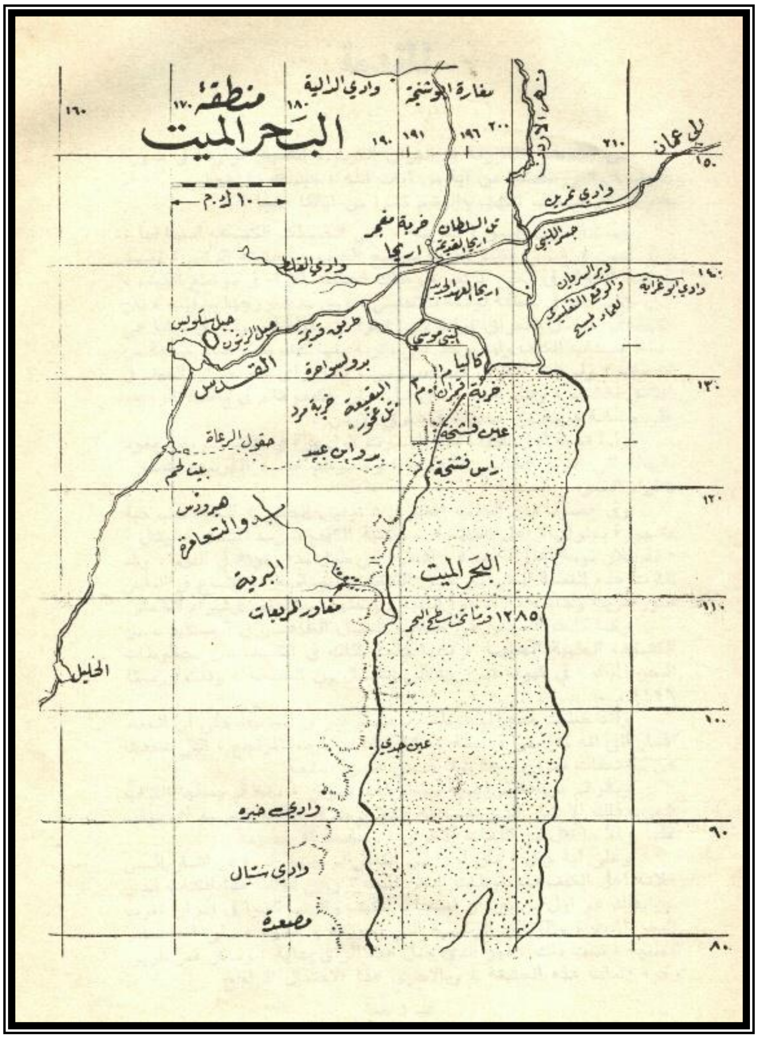
إنّ قصة أصحاب الكهف والرقيم هي آية أُخرى من آيات الله، آيات الخلق الشاهدة على قدرة الله تعالى، لذا رأيت أن يفرد لها هذا الجزء لرؤيتي علاقتها الأكيدة بالخلق وقدرة الله تعالى على الخلق والبعث، استئناساً بقوله تعالى: (**وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خلقَهُ قالَ مَنْ يُحْي العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ ۞ قُلْ يُحْييها الذي أنشَأها أوَلَ مَرَةٍ وَهُوَ بكُلِّ خلقٍ عَليمُ ۞ الذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ ناراً فَإذا أنْتُمْ مِنْهُ توقدونَ ۞ أوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأرْضَ بِقادِرٍ على أنْ يَخلُقَ مِثلَهُمْ بَلى وَهُوَ الخَلاّقُ العَظيمُ ۞ فَسُبْحنَ الذي بِيَدِهِ مَلَكوتُ كُلِ شّئٍ وَإلَيْهِ تُرْجَعونَ ۞**)[547]

---

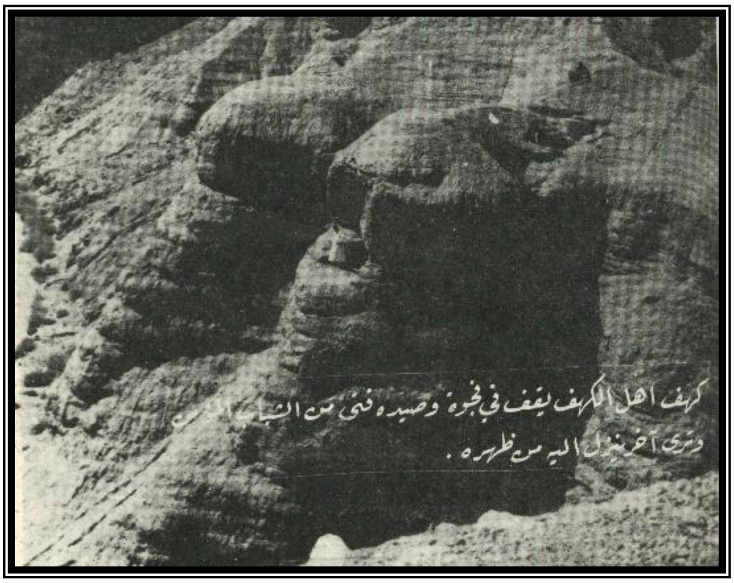
[1] الكهف: (9 – 13).

[1] زاهدة – عطية عبد المعطي، أصحاب الكهف والرّقيم، صفحه (1).

[2] يس: (78 – 83).



موقع خربة قمران حيث اكتشفت بها مخطوطات البحر الميت



هل هذا الكهف الواقع في خربة قمران قرب البحر الميت هو كهف أهل الكهف والرقيم ؟



6. إعــادة الحيــاه

إنَّ الـروح هـي سِرُّ الحيـاة، كمـا أنَّ لهـا مظـاهر وآثـاراً تـدل عليهـا، ومـن مظـاهر الـروح: الفقـه والعقل والإستماع والإبصار والحركة الإرادية، فلا توجد إلآ بوجود الروح، فإذا نزعت الروح فقدت كل تلك الآثار والمظاهر وانعدمت الحياة، وفي النَّوم يتوفى الله الأنفس ويقبض الأرواح، لذلك فالنائم يفقد مظاهر الروح من الفهم والإدراك والإبصار والإستماع والحركة الإرادية، قال تعالى : **(اللهُ يَتَوَفَى الأنْفُسَ حينَ مَوْتِها وَالتي لَمْ تَمُتْ في نَوْمِها فيمسِكُ التي قضى عَليها المَوْت وَيُرْسِلِ الأخرى إلى أجَلٍ مُسَمى)**[548]

وحادثـة "أصـحاب الكهـف والرَّقيم" هـي مـن الشّـواهد الدّالـة علـى قدرتـه تعـالى، حين أوقف حياة هؤلاء الفتيـة وقبض أرواحهم . إلى أجل مُسَمى . فأستغرقوا في سّبات عميق لمدة قرون عدة، ثُمَّ أعاد إليهم الحياة ليكونوا آية دالة على عظمته وقدرته تعالى.

وليست تلك الحادثة هي فريدة نوعها، إذ يورد لنا النَّص القرآني حادثة مشابهة جرى فيها إعادة الحياة، تلك الحادثة يسوقها النص القرآني في "سورة البقرة" في معرض الحديث عن سرّ الحياة والموت والخلـق والبعـث، ومـن ضـمن الآيـات العديـدة التـي يركـز فيهـا القرآن علـى الجانـب العقائـدي لإنشـاء التصورالصحيح لحقائق هذا الوجود، ليدرك المسلم حقائق عقيدته من خلال رؤية واعية عميقة ومستنيرة، تلك الرؤيـة القائمـة علـى الأدلـة والشـواهد المؤديـة إلـى الجـذم واليقين الثابـت المطمـئن، ليـؤدي للتصـور الشامل لحقيقة هذا الوجود وارتباطه بخالقه، ومن ثم إلى إدراك الإنسان لصلته بالله الخالق إدراكاً يقينياً ثابتاً، بحيث يوجد لدى الإنسان ايماناً أي تصديقاً جاذماً مطابقاً لهذا الواقع الذي أحسه وأدركه عن دليل عقلي ثابت، يبعد عن الظّن والوهم والشك ونظريات الإحتمال. فإلى النّص القرآنـي: **(أوْ كَالـذي مَرَّ علـى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَة على عُروشِها قالَ أنى يُحْيِ هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأماتَـهُ اللهُ مائـَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَـهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أوْ بَعْضُ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مائـَةَ عامٍ فَانْظُرْ إلـى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَـمْ يَتَسَنَـهْ وَانْظُرْ إلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلناسِ وَانْظُرْ إلـى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسوها لَحْمًا فَلَمـا تَبَيَّنَ لَـهُ قالَ أعْلَمُ أنَّ اللهُ عَلى كُلِ شَيْءٍ قّديرٌ)**[549]

لم يعلمنا النّص القرآني من هوالرجل المارعلى القرية، كما لم يعلمنا من تلك القريـة الخاويـة علـى عروشها، ولو شاء لأعلمنا، ولو كانت حكمة النّص لا تتحقق إلآ بهذا الإفصـاح ما أهمل القرآن ذكره. والـذي يعنينـا مـن ذكـر تلـك القصـة هـو عظمـة الحـدث وجلالـه، والعِبَـر التـي نستخلصـها مـن الحـدث، والـدلائل التـي يـدل عليهـا، بغـض النظـر عن اسم الشـخص الـذي حدثت معـه، وبغض النظـر عـن اسم القرية.

ولأنَّ النَص القرآنـي لم يذكر الأسماء وتجاهلهـا، فقد إختُلِفَ فيهـا، إذ قال عكرمة وقتادة والربيـع بن أنس والضحاك والسّدي: أنّ المار هو "عزير بن شرحيا". وقال وهب بن منبه وآخرون: هو "أرمياء

[1] الزمر: (42).

[1] البقرة: (259).

بـن خلفيـاء"[550]. أمّـا القريـة التـي مـرّ عليهـا، فقـال عكرمـة ووهـب وقتـاده: هـي "بيـت المقـدس". وقـال الضحاك: هي "الأرض المقدسة". وقال السدي: هي "سلماباد". وقال الكلبي: هي "دير ساير". وقيل: هي "دير هرقل". وقيل: هي "قرية العنب"[551] على بعد فرسخين من بيت المقدس.

لقد ذهب أغلب المؤرخين إلى أنّ المار بالقرية هو "العزير"، واشتهرت القصة بينهم بإسمه، وهي كما يرويها إبن كثير عن إسحق بن بشر بإسناده: [إنَّ عُزيراً كان عبدٌ صالحاً حكيماً في بني إسرائيل ممن تعلم التوراة وحفظها، خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها، فلما انصرف أتى إلى قرية خالية خاوية على عروشها حين قامت الظهيرة وأصابه الحر، فدخل القرية الخربة وهو على حماره، ونزل عن حماره ومعه سلّة تين وأخرى فيها عنب، فنزل في ظلِّ تلك الخربة وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة، ثم أخرج خبزاً يابساً معه فألقاه في القصعة ليبتل في العصير ليأكله، ثم استلقى على قفاه، وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها، وقد باد أهلها، ورأى عظاماً بالية نخرة، فقال: "أنى يحي هذه الله بعد موتها". والقول هنا ليس قول المتشكك المنكر للبعث والإحياء، بل هو قول ينطوي على التعجب. فبعث الله ملك الموت فقبض روحه، وأماته مائة عام.

فلما أتت عليه مائة عام، وكان فيما بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث. قال: فبعث الله إلى عزير ملكاً فخلق قلبه ليعقل، وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحي الله الموتى، ثم ركّب حَلقَهُ وهو ينظر، ثم كسى عظامه باللحم والشعر والجلد، ثم نفخ فيه الروح، كل ذلك وهو يرى ويعقل فاستوى جالساً. فقال له المَلَك: كم لبثتَ؟. قال: لبثتُ يوماً أو بعض يوم، وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة، وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب، فقال **أو بعض يوم ولم يتم لي يوم**. فقال له المَلَك: بل لبثتَ مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك، يعني بالطعام الخبز اليابس، وشرابه العصير الذي اعتصره في القصعة، فإذا بهما لم يتغير حالهما، فذلك قوله تعالى "**لم يتسنه**" يعني لم يتغير، وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شئ من حالهما. فكأنّه أنكر في نفسه في قلبه فقال له المَلَكَ: أنكرت ما قلت لك؟ أُنظر إلى حمارك، فنظر إلى حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى المَلَكُ عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى رَكَبَّهُ المَلَكَ وعزير ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الروح، فقام الحمار رافعاً رأسه وأُذنيه إلى السَّماء ناهقاً. فذلك قوله تعالى: **(وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً)** يعني: وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضاً في أوصالها حتى إذا صارت عظاماً مصوراً بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحماً. **(فلما تبين له قال أعلم أنّ الله على كل شئ قدير)** أي من إحياء الموتى.][552]

---

[2] قالوا أن " آرمياء بن خلفياء " هو الخضر عليه السلام.

[3] أي مدينة " الخليل " من أعمال فلسطين.

[1] ابن كثير، قصص القرآن، الصفحات (631 – 634).

– إبن كثير، البداية والنهاية، مجلد (1)، الصفحات (43 – 46).

ولرب سائل يتساءل: هل هذا الرجل المار على تلك القرية الخربة المحطمة على قواعدها كان ملحد كافر بالخلق والبعث بعد موت فألقى جملته "أنى يحي هذه الله بعد موتها "إنكاراً وجحوداً؟. وعلى هذا التساؤل يجيب صاحب الظلال:

[إنَّ القائل ليعرف أنّ الله هناك، ولكن مشهد البلى والخواء ووقعه العنيف في حسه يجعله يحار: كيف يحي هذه الله بعد موتها؟ وهذا أقصى ما يبلغه مشهد من العنف والعمق في الإيحاء... وهكذا يلقي التعبير القرآني ظلاله وايحاءاته، فيرسم المشهد كأنّما هو اللحظة شاخص تجاه الأبصار والمشاعر. "أنى يحي الله هذه بعد موتها!! كيف تدبُّ الحياة في هذا الموات؟ "فأماته الله مائة عام، ثُمَّ بعثه. لم يقل له كيف، إنَّما أراه في عالم الواقع كيف!!! فالمشاعر والتأثرات تكون أحياناً من العنف والعمق بحيث لا تُعالَجُ بالبرهان العقلي، وحتى بالمنطق الوجداني، ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذي يراه العيان... إنّما يكون بالتّجربة الشخصية الذاتية المباشرة، التي يمتلئ فيها الحس، ويطمئن بها القلب، دون كلام!.. **(قال كم لبِثْتَ قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم)**. وما يُدريه كم لبثَ، والإحساس بالزمن لا يكون إلاّ مع الحياة والوعي؟ على أنَّ الحس الإنساني ليس المقياس الوحيد للحقيقة، فهو يُخدَعُ وَيَضِل فيرى الزمن المديد قصيراً لملابسة طارئة، كما يرى اللحظة الصغيرة دهراً طويلاً لملابسة طارئة كذلك!: **(قالَ لبثتُ مائة عام)**.

وتبعاً لطبيعة التجربة، وكونها تجربة حسّية واقعية، نتصور أنَّهُ لا بُدَّ كانت هُناك آثار محسوسة تصور فعل مائة عام... وهذه الآثار المحسوسة لم تكن في طعامه وشرابه، فلم يكونا آسنين متعفنين: **(فأنظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه)** وإذاً فلا بد أنّ هذه الآثار المحسوسة كانت ممثلة في شخصه أو في حماره: **(وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً)**... أية عظام؟ عظامه هوَ؟. لو كان الأمر كذلك ـ كما يقول بعض المفسّرين أنّ عظامه هي التي تعرت من اللحم ـ للفتَ هذا نظره عندما استيقظ، ووخز حسه كذلك، وَلمَا كانت إجابته: **(لَبِثتُ يوماً أو بعض يوم)**.

لذلك نُرَجِحُ أنَّ الحمار هو الذي تعَرَّت عظامه وتفسّخت، ثمَّ كانت الآية هي ضَمُ هذه العظام بعضها إلى بعض وكُسْوَتها باللحم وردها إلى الحَياة، على مرأى من صاحبه الذي لم يمسه البلى، ولم يصب طعامه ولا شرابه العفن، ليكون هذا التباين في المصائر والجميع في مكان واحد، مُعَرَّضونَ لِمُؤثرات جوية وبيئية واحده، آية أُخرى على القدرة التي لا يُعْجِزها شئ، والتي تتصرف مطلقة من كل قيد، وليدرك الرجل كيف يحي هذه الله بعد موتها!!!][553]

نعـــم، إنَّ ظلال النَّص القرآني توحي إلينا بخطأ ما ذهب إليه إبن كثير وغيره من رواية "بشر بن إسحق" السابقة من تعري عظام صاحب العظام وإعادة كسوتها باللحم، فالآية كانت فيه **(ولِنجعلك آية للناس)**، وذلك يعني أنّه لم تُبلى عظامه في حين بليت عظام حماره.

---

[1] قطب – سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد (1)، جزء (3)، الصفحات (229 – 300).

كانت تلك قصّة من القصص العديدة، التي أتى بها القرآن الكريم لِلَفت إنتباه الإنسان إلى قدرة الله المطلقة في الخلق والإنشاء والإماتة وإعادة البَعْث، لتكون برهاناً آخر يُضاف إلى البراهين العديدة في طريق الإيمان، وهكذا قالَ الرَّجُل الذي مرّت به التجربة شخصياً ولم تُنْقَلُ إليه نقلاً أو روايَةً، بل شاهدها بعينيه وأحسها ولمسها بنفسه: **(أعْلَمُ أنّ الله على كل شئ قدير)**... قدير على الخلق من عَدَم... وقدير على قبض الروح ونزع الحياة متى شاء... وقدير على إعادة الحياة وبعث الإنسان من جديد.

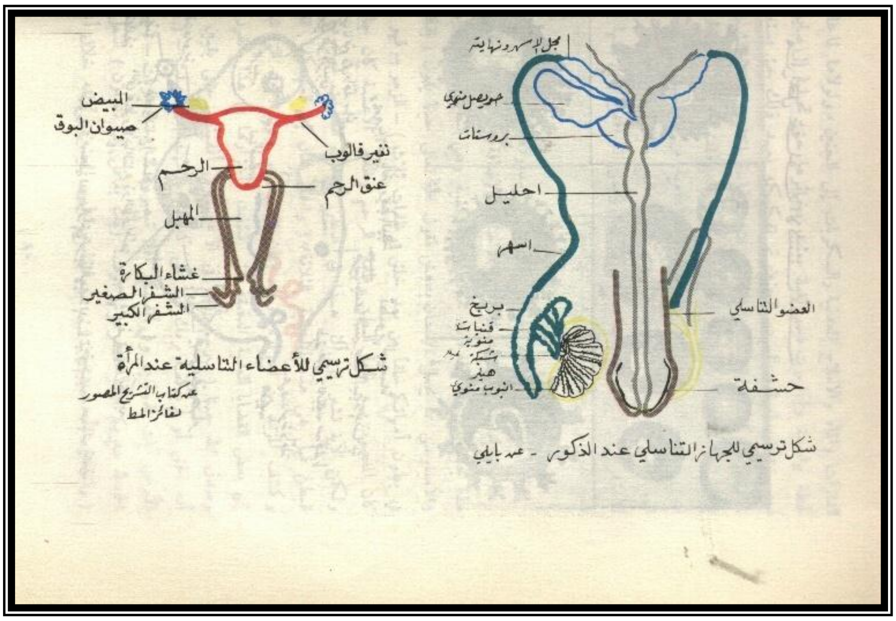
الباب الرابع
عملية الحمل والولادة وتكوّن الإنسان

[*1*] الشّهوة والجهاز
[*2*] التّكوين
[*3*] عملية الحمل وأطواره
[*4*] مُدّة الحمل
[*5*] الخلق في السُّنة الشريفة
[*6*] أطوار الجنين (مراحل الحمل)
[*7*] خلق الإنسان في أحسن تقويم
[*8*] من هو الأصلح للبقاء
[*9*] النَّســب

الشَّـــهوة والجهـــاز

إن بقي في النفوس شئ من الشّك والرّيب بعد كل ما أعلمنا الله به وهدانا إليه، إذا بقي أي شك في البعث والحساب بعد الموت، فليتفكر الإنسان في نفسه وفي مراحل تكونه وتخلقه يجد البرهان والدليل. قال تعالى "**وَفي الإرْضِ آياتٌ لِلموقِنينَ۞وفي أنْفُسِكُمْ أفلا تبصِرونَ ۞**)[554]

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر بني آدَمَ، وكرّمهم على غيرهم من المخلوقات، وجعل بقاء النوع الإنساني مرتبطاً بالزوجية والتناسل الحاصل بينهما، لذا فقد خلق الله لكل من الزوجين جهازاً تناسلياً خاصاً، يُقابل جهازاً تناسلياً آخر خاصاً بالطرف الآخر، ومن كل من الجهازين مجتمعين يتخلق الإنسان.



ولم يوكل التكاثر والتناسل إلى هذين الجهازين العضويين فحسب، إنَّما زرع في كُلٍّ من الذكر والأُنثى الغريزة القوية الدافعة، فيبرز إندفاع تلك الغريزة في مظهر الجوعات الجنسية المتطلبة الإشباع، فشاءت إرادة الله تعالى أن تثور جوعة الجنس متطلبة الإشباع ليتحقق بقاء النوع الإنساني. وفي ذلك يقول "إبن القيم الجوزية":

(ثم لمّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يذر نسلهما . أي آدم وحواء . في الأرض ويكثره، وضع فيهما حرارة الشّهوة ونار الشّوق والطَلَب. وَألْهَمَ كُـلاً منهما اجتماعه بصاحبه، فاجتمعا على قدر... ثُمَّ اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن قدّرَ لخروجها . الشّهوة . أقوى الأسباب المستفرغة لها من خارج

---

[1] الذاريات: (20 – 21).

وداخل... فقيض لها صورة حَسَّنها في عين الناظر وشوقه إليها. وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشَّهْوَةِ والمَحَبَةِ، فَحَنَّ كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً... وجعل هذا محل الحَرْث وهذا محل البَذر ليلتقي الماءان على أمر قد قُدِّر)[555]

هذا بالنسبة للغريزة وشهوتها . أي ثورتها متطلبة الإشباع .. أمّا بالنسبة للتركيب العضوي : فالجهاز التناسلي المذكر . محل البذر . " *Male Genitalia* " يتكون من مصنع للنطف "*Spermatozzons*" ومن مجموعة من الأنابيب الدقيقة الملتفة التي توصل تلك النطف عبر السائل المنوي إلى الإحليل "*Penis*"، والإحليل "القضيب" هو عضو انتصابي بانصباب الدّم فيه حتى يمكن ايلاجه في الفرج "*Tiller*"، وقذف هذه النطف بالقرب من عنق الرحم في المرأة.

ويتكون الجهاز التناسلي الأنثوي . محل الحرث . "*Female Genitalia*" من أعضاء تناسلية ظاهرة وأخرى باطنة. **أمّا** الظاهرة فتشتمل على فتحة الفرج "*Insertion Vent*" وعلى حافتيه الشفران الصغيران والشفران الكبيران، وتقع فتحة الفرج في الدهليز... ويقع أمام فتحة الفرج صماخ[556] قناة مجرى البول. وعند التقاء الشفرين الصغيرين من أمام يقع البظر "*Clitoris*". أما إلتقاء الشفرين الكبيرين من أمام فيكون جبل الزهرة.

أمّا الأعضاء الباطنة فتشمل مصنع النطف الأنثوية وهم : المبيضان " *Ovaris* " ، والرحم " *Viterus* " وقناتيه ، والمهبل " *Vegina* " ، مخزن الحرث حيث يختزن الجنين .

إنّ بقاء النوع الإنساني متوقف على الزوجية المنتجة للذرية. والزوجية تعتمد على التقاء وتزاوج جهازين تناسليين، أحدهما ذكري والآخر أنثوي، ليقوما معاً بإنتاج المخلوق في عملية دقيقة، كما يعتمد ذلك أيضاً على الشهوة الكامنة في الإنسان ذكره وأنثاه وهي غريزة النوع التي تثور طالبة الإشباع، ودافعة كلا الزوجين "الذكر والأنثى" إلى الإلتقاء الجنسي والتزاوج، إذ اودعت لدى كل منهما الشّهوة للإلتقاء بقرينه بقصد الإشباع بالإستمتاع واللذة، ليتم أمر الله تعالى الذي قُدر، بالتناسل لبقاء النوع الإنساني.

(وهكذا نجد بأنّ نظام الزّوجية هو الوسيلة الوحيدة لبقاء الحياة التي شاء الله بقاءها واستمرارها على الأرض بالتناسل. ونظام الزّوجية هو الدليل الثابت على ما في إطراد الزّوجية في النبات والحيوان من دليل على القصد ونفي المصادفة، ويظل التكوين الجنيني للإنسان في تصويره، وخلقته وعظامه وكسوته، وقراره المكين إلى قدره ومدته، في زوايا ظلمته..... أعظم دليل على القصد الإلهي. قال تعالى: **(نخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث)**[557]

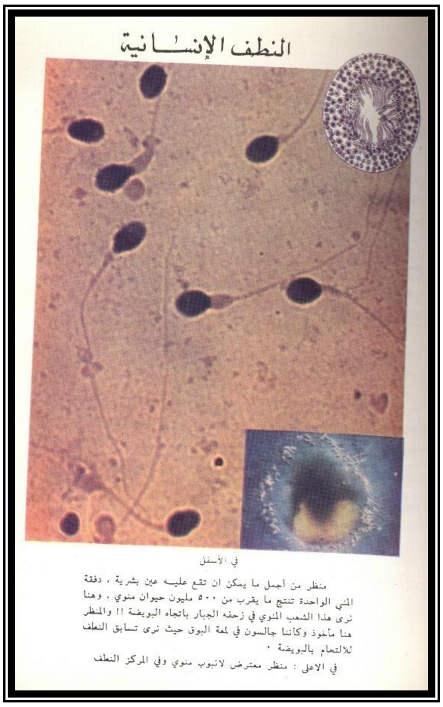
---

[1] ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، صفحه (338).

[1] صماخ: ثقب.

[2] الزمر: (6).

بويضة (*Ovum*) مثل بيضة الدجاجة، ولكنها أصغر منها بكثير، قطرها يتراوح بين جزء وبين جزئين من (*10*) أجزاء من المليمتر. ووزنها جزء من مليون جزء من الغرام وفيها مُح (*cytopalasme*) وفي المح (الحويصلة الجرثومية*Nuyau*) التي يبلغ قطرها جزءاً من (*700*) جزء من القيراط.[558] وفيها تكمن (النطفة الجرثومية *Nucleole*) التي يبلغ قطرها جزءاً من (*3000*) جزء من القيراط.... هذه هي البويضة. تتكون في ظلمة المبيض ضمن حويصلة تسبح في سائلها الألبوميني (الزلالي *Albumin*). فإذا نمت هذه الحويصلة وازداد السائل الذي في باطنها، يتمدد غشاؤها ويرق ثم ينفجر وتخرج البويضة منها ومن المبيض كله .



الجهاز التناسلي المذكر "محل البذر" يتكون من مصنع للنطف ومن مجموعة من الأنابيب الدقيقة التي توصل تلك النطف *Spermatozoons* عبر السائل المنوي إلى الإحليل.....

[1] القيراط: هو جزء من 20 جزء من المثقال الذي يساوي (4.25 جرام).

وتسير البويضة إلى فم (البوق *Oviduct*) وهو عبارة عن طريق ضيق دقيق قطره قطر شعرة ، يختبئ وراء (الرحم *Uterus*) ويمتد منه إلى (المبيض *Ovay*) ويدخل (الحيوان المنوي المذكر *Male Spermatzoon*) من الرحم حتى يصل إلى (البوق *Oviduct*) حيث يلتقي بالبويضة. ولكن هذا الحيوان صغير جداً جداً بالنسبة إلى البويضة، فطوله عبارة عن *60* جزءاً من ألف جزء من المليمتر، يسبح بسرعة هائلة في السائل (المنوي*Spermatic*) الذي يقذف به ، وسباحته تتم في حركة لولبية حى تؤتي السّرعة المطلوبة، وجوهر هذا الحيوان المَنَوِيُّ في رأسه لا في ذنبه، ولذلك جعل له رأس مُكوّز وَجُعِلَ برأسه عنق لولبي، وَجُعِلَ لعنقه ذنب طويل يَضرب به الماء الذي يسبح فيه ويقذف بنفسه، وجعل هذا الذيل معقوداً بأنشوطة لينفكَّ عنه إذا دخل البويضة.

أما عدد الحيوانات المنوية الذكرية (*Male Spermatzoons*) فيربو على (*200*) مليون، ولكنه لا يصل إلى البويضة إلاّ من كان أقواها وأسرعها، حتى يمكنه اختراق الباب الخاصّ الذي يوصله إلى البويضه، الباب المسمى: باب الجاذبية (*Cone d'attraction*) فعندما يدخل الحيوان المنوي ينغلق الباب، وتتقطع الجاذبية وبذلك تموت جميع الحيوانات المنوية الأخرى. ثم تستقرّ البويضة في (الرَّحْم *Uterus*)، فتفتح خلايا غشائه المخاطي، وتتسع الشعيرات الدموية فيه، وتنشط الغدد، ثم يبدأ العمل المشترك ما بين الحيوان المنوي والبويضة في بناء الإنسان الجديد. فيمشج الشريكان كلٌّ ما عنده بما عند الآخر من عناصر التخطيط النووي (الكروموزات *Chromosomes*) وما فيها من الخلق المخلقة (الجينات *Genes*) التي خطّتها وخلّقتها وسوّتها يدُ المُقدِّر الخالق لها قانوناً وسُنّةً عبر الأجيال من الجدود والآباء إلى الأبناء والأحفاد من (سلالة من طين) ثم (سلالة من ماء مهين) لتتكوّن من هذا الإختلاط (النطفة الأمشاج *Fertilized Ovem*) التي أشار إليها أحسن الخالقين:

(إنّا خَلقنا الإنسانَ مِنْ نُّطفةٍ أمْشاجٍ نَبْتليهِ فَجَعَلناُ سَميعاً بَصيراً)[559] وعناصر التخطيط والتخليق والتسوية التي يخلِقُ الله بها المضغة لتكون بشراً سوياً فرداً يتميز عن غيره من الناس بكل صفاته الجسدية والعقلية من شكلٍ وقدٍ ولون وذكورةٍ وأنوثةٍ وجمال وذكاء وأخلاق ترسم كلها للفرد الخطوط الأولى من حظه في الحياة.

وهكذا فإنّ البويضةّ التي تحمل في نواتها عناصر التخطيط المذكورة، تسير النطفة الأمشاج سيراً رهواً بطيئاً في البوق فلا تنتهي منه إلى الرّحم إلاّ بعد ثمانية أو عشرة أيام، تقوم خلالها بتقسيم نفسها تقسيماً بعد تقسيم لكي تهيأ لكل قسم وتعدّه للدور الذي سيقوم به في تكوين الجنين الجديد أو في حفظه وحمايته ووقايته أو تغذيته.

وعندما تصل تلك البويضة الملقحة إلى الرّحم تلتصق بجداره، وتبدأ خلايا ألأقسام عملها العظيم بالتعاون مع بعضها أو مع خلايا جدار الرّحم، فتجعل حول الجنين غلافاً فوق غلاف فوق غلاف....

---

[1] الإنسان (الدهر): (2).

فالغلاف الأول الظاهر الذي يحيط بجميع الأغشية ويسمى (السّلي *Chortion*) فهو المعدّ في جانبه الملتصق بجدار الرّحم كوسيلة للتغذية الأولية ثم لتكوين المشيمة الحجبية، وفي جانبه الظاهر غير الملتصق بجدار الرّحم كوسيلة لوقاية الجنين وحفظه.

والغلاف الثاني ينسج تحت الكوريون ليحيط بالجنين إحاطة كاملة من وراء غلاف مائي يحيط بالجنين إحاطة مباشرة ليقيه مع الغلافين الأولين كل صدمة أو رجة تأتي من الخارج. وتبدأ في الوقت نفسه، الخلايا الجرثومية (المخلّقة) التي تكون الجنين سيرها في تطورها من نطفة إلى علقة إلى مضغة، على الترتيب الذي القرآن الكريم.

ومن هذه المضغة المخططة المخلقة بكروموزوماتها المتخالطة وجنيناتها يبدأ تكوين الأعضاء والأحشاء، كما بدأ تكوين أغشية الحفظ والوقاية والتغذية من خلايا المحّيّة غير المخلقة. فيقوم قسم من الخلايا الجرثومية بتكوين مباديء القلب، بينما يقوم قسم آخر منها بتكوين المخ ومباديء العمود الفقري، إلى جانب خلايا أخرى تقوم بتكوين مباديء الأحشاء من الجهاز الهضمي والتنفسي والتناسلي، إلى جانب خلايا أخرى تقوم بتكوين العظام، كل في دائرة اختصاصه. فلا ينتهي الشّهر الثاني إلاّ وتكاد المضغة تصبح إنساناً كاملاً بجميع أعضائه وأحشائه وأعصابه. وهنا السِّر في الخلق، إذ أنّ هذه الخلايا لها من فطرة الخالق ما يعطيها القدرة على أن تسوّي إنساناً كاملاً، ولكنها تصير عاجزة حين تصبح هي نفسها إنساناً كاملاً عن أن تخلق ذبابة. **(فسُبْحانَ الذي أعطى كل شيء خلقه ثُمَّ هدى)**[560]

أمّا الوظيفة التي تقوم بها المشيمة (*Placenta*)[561] فهي آية أخرى من آيات الإعجاز فخلايا الكوريون وخلايا جدار الرّحم تشترك كما قلنا في صنع المشيمة للجنين... وهذا الجنين الجديد، يحتاج إذا صار مضغة وتكونت أعضاؤه إلى طريقة من التغذية غير الطريقة الإمتصاصية الإرتشاحية الساذجة التي تحصل بين خمل الكوريون وبين جيوب الدم الرّحمية، لأنّ حاجة الجنين إلى الدّم إذا كبر ستكون أكبر، وحاجة الدّم إلى التصفية إذاً ستكون أكثر، وبما أنّه لا يجوز أن يدخل دم الأم بذاته إلى الجنين، وأنّ دَمَ الجنين يجب أن يتخلص من أقذاره وسمومه كما يتخلص كل حيوان، فلا بد من وجود آلة كبرى تتولى هذا الترشيح والتوريد والتصدير بين دم الأم الوارد المطهَّر ودم الجنين الصادر القذر، فكانت المشيمة العجيبة التي بنتها الخلايا من خمل الكوريون واهدابه ومن جيوب الدّم الرحمية، وجعلتها موصولة بسّرة الجنين بحبل يحمل منها إليه عناصر الغذاء والأوكسجين التي تستخلصها المشيمة من دم الأم، ثم الحبل من الجنين إلى المشيمة في وريد آخر ما يتكون في الجنين من سموم وأقذار، حتى إذا خرج الجنين إلى عالَم النور والهواء والثدي وأصبح قادراً على تنفس الهواء برئتيه وامتصاص الغذاء

---

[1] طه: (50).

[561] المشيمة أو السخذ: عضو مؤقت متصل بباطن جدار الرحم عند معظم الثدييات، بواسطتها يتلقى الجنين غذاؤه، وهي مؤلفة من أنسجة مستمدة من الأم والجنين معاً، وتتصل بالجنين بحبل سري غليظ تمتد أوعية الجنين الدموية عبر هذا الحبل إلى المشيمة ثم ترتد راجعة إلى الجنين، تمتص المشيمة الغذاء والأوكسجين من الأم فينقلان عبر الأوعية الدموية في الحبل السري إلى الجنين، وتحمل الفضلات التي يفرزها الجنين إلى المشيمة فيمتصها دم الأم إلى خارج الجسم.

بشفتيه، وقادراً على حرق قمامته في سَحْره، ولفظها من نحره، قطعت المشيمة عن الولد وسُدّ باب السّرة إلى الأبد.[562]

إنَّ هذا النظام الغريب، والجهاز المعقد الدقيق، والتصميم العجيب في خلق الإنسان من بين الصلب والترائب، في حيوان الذكر المنوي وبويضة الأنثى، ثم تخلقه في الأجنّة في بطون النساء، لهو الآية الكبرى والدليل الدامغ على قدرة الله تعالى في الخلق والتصوير... ولو تأمل الإنسان وتفكر لوعى وتبصر. ويكفي الإنسان الواعي الباحث عن الحقيقة المجردة التأمل والتفكير في الدّقة المتناهية في هذا الجهاز البالغ التعقيد والنظام البديع الذي يُسَيّره، بحيث لا يترك أي مجال للصدفة. بل تنظيم دقيق جداً لا يترك شاردة ولا واردة إلآ وأعد لها نظام سيرها مسبقاً، ليتم التناسل والتكاثر بموجبه حِفاظاً على النوع الإنساني. لذا يوجه الله تعالى الدعوة للإنسان للتأمل والتفكير في خلق نفسه، بما في ذلك هذا الجهاز المعقد الدقيق والنظام البديع المسير له:

(فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، إنّه على رجعه لقادر)[563] **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق)**[564]

هذا هو الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وجعل أصل وجوده من طين وتراب الأرض، وأوجب عليه أن يتم خلقه ووجوده بقانون واحد هو: الزوجية المؤدية إلى التناسل والتكاثر، وليتم ذلك فقد خلق لكل من الذكر والأُنثى هذا الجهاز المعقد، وزرع في نفس كل منهما الشهوة الغريزية إلى الجنس الآخر، لتثور متطلبة الإشباع، ليتم أمر الله من التوالد والتناسل والتكاثر، للمحافظة على بقاء النوع الإنساني.

ومما يجدر الإنتباه إليه {{أنّ المسافة بين النطفة في خصية الرجل أو بويضة المرأة حتى يجتمعا معاً مسافة بعيدة، ففي الأنثى تتكون البويضة منذ كانت هي جنيناً في بطن أمها... وتنمو ببطء شديد، ثم تتوقف عن النمو هامدة فترة طويلة من الزمان... وتبدأ نموها مرة أخرى بعد البلوغ.... بويضة واحدة كل شهر، لا تتوقف منذ البلوغ إلى سنّ اليأس، إلا عند حدوث الحمل. أمّا في الذكر فإنّ خلايا الخصية تظلّ هامدة حتى سنّ البلوغ، عندها تستيقظ من رقدتها وهجعتها الطويلة، وتبدأ في إنتاج وإخراج ملايين الحيوانات المنوية. وتحتاج الخصية إلى ستة أسابيع تقريباً حتى يكتمل فيها نمو الحيوان المنوي. فإذا ما التقى الحيوان المنوي "نطفة الرجل" بالبويضة "نطفة الأنثى" ولقحها بأمر الله... تكوّنت عندئذٍ النطفة الأمشاج المختلطة من ماءي الذكر والأنثى، وتحتاج إلى أسبوع تقريباً حتى تبدأ في العلوق

---

[1] الزين – سَميح عاطف، مجمع البيان الحديث – قصص الأنبياء في القرآن الكريم، الصفحات (61–66). بتصرف.

[2] الطارق: (5 – 8).

[3] فصلت: (35).

في جدار الرحم، ويتم علوقها وانغرازها في يومين، فتكون مرحلة ما تستغرقه النطفة الأمشاج أربعين يوماً كاملة}}[565]

إنّه جهاز دقيق... بقوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فرضها من خلقها وأبدعها، وألزم هذا الجهاز السّير بهذا القانون لا يخالفه. **(إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج)**[566]

---

[1] الزين – سميح عاطف، مجمع البيان الحديث– قصص الأنبياء في القرآن الكريم، صفحه (57) بتصرف.

[2] الدهر: (2).

التكويـــن[567]

قال الله تعالى :

[*1*] **(أوَ لَمْ يَرَ الذينَ كَفَروا أنَّ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتقاً فَفَتَقناهُما وَجَعَلنا مِنَ الماءِ كُلَّ شيءٍ حيٍ أفَلاَ يؤُمِنونَ)**[568]

لقد كانت السموات والأرض منسدتين، ففتق السّموات فجعلها سبعاً والأرض سبعاً. وكانت السّماء لا تُمطر، وبعد فتقها بدأت تمطر، والأرض لم تكن تنبت، فبدأت بالإنبات، وصارت صالحة للحياة.

[*2*] **(وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)**[569]

والمراد بخلق السموات والأرض هو جمع اجزائها وفصلها وفتقها من سائر ما يختلط بها من المواد المشابهة المركومة. وكان عرشه سبحانه يومها على الماء، أي أنّ المادة الأولى التي كان يتألف منها الكون هي الماء. وأمّا قوله سبحانه وتعالى **(ثم استوى على العرش)** فيعني احتواءه السموات والأرض، وأخذه في تدبيرهما.

[*3*] **(والسّماء بنيناها بأييدٍ وَإنّا لمُوَسِعونَ ۞ وَالأرْضَ فَرَشْناها فنِعْمَ الماهدونَ ۞ وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خلقنا زَوْجَين لعَلكُمْ تذكَرونَ ۞)**[570]

[*4*] (وَسِعَ كُرْسِيُهُ السَّمَواتِ وَالأرْضَ وَلا يَئودُهُ حِفظُهُما وَهُوَ العلي العظيم)[571]

[*5*] (أفلم يَنْظُروا إلى ألسَّمآءِ بَنَيْناها فوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيْناها وَما لها مِنْ فُروجْ ۞ وَالأَرْضَ مَدَدْناها وَألْقَيْنا فيها رَواسِيَ وَأنْبَتْنا فيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ بَهيج ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرى لكل عَبْدٍ مُنيب ۞)[572]

---

[1] هذا الفصل بالكامل **(بدون الحواشي السفلية)**، منقول بتصرف عن كتاب: مجمع البيان الحديث – قصص الأنبياء في القرآن الكريم)، سميح عاطف الزين، الصفحات (39 – 57).

[2] الأنبياء : (30) .

[3] هود: (8).

[4] بأيد:ريات: (47 – 49). بأيد : يعني بقوة .

[1] البقرة: 255 (آية الكرسي). لا يؤده: يعني لا يعجزه حفظهما.

[2] فروق: 6 – 8).. فروج : أي شقوق تعيبها .

[6] (الذّي خَلقَ المَوْتَ والحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزيزُ الغفورُ ۞ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَواتٍ طِباقاً ما تَرَى في خَلْقِ الرَّحْمانِ مِنْ تَفاوُتٍ فَأرْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطورٍ ۞ ثُمَّ أرْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسيرٍ۞)[573]

طباقـــــــــــــا : أي بعضها فوق بعض من غير مماسة .

ماترى في خلق الرّحمن من تفاوت : أي تباين وعدم تناسب .

فـــــــأرجع البصـــــــر : أي أعده إلى السّماء .

هــل تــرى مــن فطــور : أي هل ترى من صدوع وشقوق .

ينقلب إليك البصر خاسئاً : أي ذليلاً لعدم إدراك الخلل .

وهــــــــو حســــــــير : أي كليل منقطع عن رؤية الخلل .

نحن لا نريد البحث في العوالم السماوية، وما خلق الله فيها، وما هي عليه من أحكام وتنظيم، بل نترك هذا لِمَنْ يريد أن يعرف ما في هذا الكون من إتساع ودقة وإنتظام، فيعود إلى علم الفلك، ليرى في الحقائق التي أثبتها ذلك العلم ما يدهش العقول، ويرمي النفوس في الذهول. لكننا نكتفي بالإشارة هنا إلى ما له علاقة بموضوع خلق الإنسان وتكوينه من خلال العلم المذكور، ولإن كان في إشارتنا جزء يسير من ذلك الفيض الذي لا ينبض.

لقد توصل علماء الفلك إلى التقرير بإنّ المجرة[574] التي يقع في طرفها النظام الشمسي والتي تسمى "درب التبان" ويسميها الإفرنج "الطريق اللبنية" أو "الدرب اللبنية *Milky way galaxy*"، يقع ورائها كثير من "السُّدُم *nebolas*"[575]، ومن جملته "سديم المرأة المسلسلة" الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية،

---

[3] الملك: (2 – 4).

[1] المَجَرَّة " *Galaxy* ": نظام سماوي يتألف من نجوم وسُدُمْ " *Nebolas* " ومادة بَيْنَجيمية " *Interstellar* ". والمجرة التي يؤلف نظامنا الشمسي جزءاً منها تشتمل على ما يقارب مئة مليار نجم. وهي تدعى " الطريق اللّبنية". وفي هذا الكون عدد لا يحصى من المجرات. وقالوا أنّه يوجد نحواً من خمسمائة مليون مجرّة. وهي تنزع إلى التجمع في عناقيد، أكبرها " عنقود كوما *Coma cluster* " الذي يتألف من عشرة آلاف مجرة تقريباً.

[2] السّديم ***Haze***: هو ضباب رقيق ناشئ عن وجود الدخان أو الغبار أو الملح في الهواء، أو عن وجود بعض جسيمات الماء البالغة الصغر فيه، وقد ينشأ السّديم في شهور الصيف الحارّة عن إحترار الهواء على نحو غير متوازن مما يؤدي إلى تفاوت في الكثافة وتفاوت في انكسار موجات الضوء أيضاً. أما المقصود في البحث فهو ما يسمى " السّديم أو الغيمة السديمية *Nebula* " وهي كتلة سحابية الشكل من غاز أو غبار أو منهما معاً، تكون في الفضاء البينجمي " أي الواقع بين النجوم " وتتوهج بفعل أشعة النجوم المجاورة المنعكسة عليها. أما إذا عدمت هذه الأشعة فعندئذ تبدو أشبه بكتلة سوداء تحجب ضياء النجوم الأكثر بعداً وهي تعرف في هذه الحال " السد يم المظلم *dark nebula* ".

وهناك نظرية وضعها الرياضي الفرنسي " لابلاس " عام (1796) تسمى " السّديمية *Nebular hypothesis*"وهي تقول بأنّ الشمس نشأت من سديم غازي ضخم ساخن دوّار، برد شيئاً فشيئاً وتقلص متخذاً شكل كرة. ولقد كان من نتائج هذا التقلص أن انفصلت عن الشمس حلقات غازية ما لبثت أن تقلصت بدورها وشكلت الكواكب السّيارة، وهكذا نشأ في رأيه النظام الشمسي.

ولقد أخذ علماء الفلك بتلك النظرية طوال القرن التاسع عشر، تكاثرت بعها سهام النقد الموجهة إليها، ومن ثم أخذ العلماء بنظرية جديدة معارضه هي " النظرية الكويكبية *Planetesimal hypothesis*" وهي افتراض طلع به العالمان الأمريكيان " توماس تشمبرلين وفورست مولتون " عام (1906) لتفسير نشوء الكواكب السيارة. وهي تقول أنّ الشمس لم يكن لها في الماضي السحيق كواكب سيارة تدور

وقد قدّرالعلماء حتى الآن، من هذه السدوم بعدما رأوها في الآت التصوير حوالي (*500*) ألف سديم، ويقولون أنّه لو تقدمت تلك الآلات وازدادت إتقاناً فلربما رأوا أكثر من مليون سديم.

أمّا الأرض " *Earth* ": وهي ما لها علاقة مباشرة ووثيقة بالإنسان وحياته، إذ هو يعيش فوقها فهي . في علم الفلك . إحدى الكواكب السّيارة في النظام الشّمسي الذي يقع في طرف مجرتنا، والتي ورائها مئات الآلاف من المجرات والسُّدُم ... وهي الكوكب السيّارة الوحيد التي أُتيح لها من بين الكواكب الأخرى في هذا النظام أن تكون صالحة للحياة، وذلك بما خصّها الله به من كثافة وجاذبية وحركة وهواء وماء وما إلى غيرها من أسباب الحياة.

إنّ في النظام الشمسي عدة سيارات كبار غير الأرض، منها ما هو أقرب إلى الشّمس من الأرض، ومنها ما هو أبعد، ومنها ما هو أكبر، ومنها ما هو أصغر، ومنها ما هو أسرع دوراناً حول الشمس وحول محوره، ومنها ما هو أبطأ، ولكنها كلها منفتقة عن السّماء – كما يقول القرآن الكريم– أو منفصلة عن الشّمس –كما يقول علماء الفلك– والمعنى واحد. وأشهر السيارات في النظام الشمسي هي:

عطارد "*Mercury*" : يدور كالأرض حول نفسه وحول الشمس، ومدّة هذا الدوران *88* يوماً في الحالتين، وهذا يعني أنّ عطارد له وجهان، أحدهما موجه دائماً نحو الشمس، فنصفه شمس والنصف الآخر زمهرير... وكثافته تقارب كثافة الأرض، الجاذبية به قليلة. ليس فيه هواء ... ولهذه الأسباب فهو لا يصلح للحياة.

الزهرة "*Venus*" : تدور هي الأخرى على نفسها في نفس المدة التي تدور بها حول الشّمس، أي خلال *225* يوماً، وهي مثل القمر، تتجه بأحد وجهيها نحو الشّمس، والوجه المتجه نحو الشّمس حرارته *90* درجة، بينما الوجه الثاني *20* درجة تحت الصفر. ليس فيها هواء ولا ماء، بل فيها بخار سميك، وتلك المزايا تجعلها غير صالحة للحياة.

حولها، وأنّ كتلاً ضخمة من المادة فصلت عنها بفعل جاذبية نجم أكبر منها، وإنّ هذه الكتل التي تدعى الكويبكات اتخذت لها مدارات اهليليجية حول الشمس ثم اتحدت لتشكل ما يعرف " الكواكب السيارة.

أما " الكويكب أو السيير *Plantoid - asteroid*" فهو كما يقولون جرم سماوي صغير يدور مثل الأرض وسائر الكواكب حول الشمس. وتقع مدارات السييرات أو الكويبكات بين مداري المريخ والمشتري في المقام الأول، ويقولون أنّهم اكتشفوا حتى الآن أكثر من (1700) كويكب، ومعظم السييرات صغير يقل قطره عن ميل واحد.

وللباحث "عطية زاهدة" نظرية نشرها سنة (1988)، في كتابه "من يصدق أنّ الشمس لا تضيئ" ينفي بها أن تكون الشمس هي المصدر الحقيقي للضوء والحرارة. وإذا ثبت صحة تلك النظرية فذلك يعني إعادة النظر في كل النظام الشمسي برمته، وإعادة تقييم المعلومات الفلكية المتداولة . جميعها أو معظمها . على وجه آخر جديد.

المـــريخ "*Mars*" : يدور حول نفسه مرة كل *24* ساعة تماماً كما الأرض، ولكنه يدور حول الشمس *687* يوماً، ويبعد عن الشّمس *142* مليون ميل، وحرارته في النهار بضع درجات فوق الصفر، ولكنها في الليل تنزل إلى *70* درجة تحت الصفر، سطحه بر لا بحر فيه ولا ماء، وإن توهم بعض الباحثين في النصف الأول من القرن العشرين أنّ على سطحه أحياء... هواؤه مؤلف من غاز أثقل من الأوكسيجين. جاذبيته *3/1* جاذبية الأرض، فلا تكفي إذاً لحفظ الأوكسيجين في هواؤه. ولهذه الأسباب فهو لا يصلح أبداً للحياة على رأي المحققين من العلماء.

المشـــــــــتري "*Jupiter*": يتم دورته حول الشّمس في *12* سنة، ويدور على محوره في كل *10* ساعات، يبعد عن الشمس *484* مليون ميل تقريباً، ودرجة الحرارة فيه *130* درجة تحت الصفر، كثافته ¼ كثافة الأرض، ويرجح العلماء أنه كتلة من الغاز والمواد الذائبة، فمن البديهي ألا يكون صالحاً للحياة.

زُحَــل "*Satorn*" : يتم دورته في *29* سنة حول الشمس، ودورته على محوره في *10* ساعات، وبعده عن الشمس *887* مليون ميل، فيصل إليه من حرارة الشمس جزء من *90* جزء مما يصل إلى الأرض، كثافته أقل من ¼ كثافة الأرض، ويظهر أنّ مادة سطحه مائعة متحركة، فمن الطبيعي أنّه لا يصلح للحياة.

امّا **"أورانوس *Uranus*" و "نبتون *Neptune*"[576] و "بلوتو *Pluto*"[577]** فعدم صلاحها للحياة أظهر لأسباب كثيرة، لاسيما وأنّ الأول يتم دورته حول الشّمس كل *48* سنة تقريباً، ويدور على محوره في *10* ساعات، وبعده عن الشّمس *172* مليون ميل. أمّا الثاني فيتم دورته حول الشّمس في *169* سنة تقريباً، ويدور حول محوره في *10* ساعات، وبعده عن الشّمس *2792* مليون ميل تقريباً. أمّا الثالث فيتم دورته حول الشّمس في *247* سنة، وبعده عنها *3670* مليون ميل تقريباً. فيكون كل من فصلي الشتاء والصيف في أحدهما *42* سنة، والثاني *84* سنة،

---

[1] يطلق هذا الاسم أيضاً على إله البحر عند الرومان.

[2] يطلق هذا الاسم أيضاً على إله الموتى والعالم السفلي عند الرومان. أما " بلوتس *Plutos* " فهو يطلق على إله الوفرة والثروة عند اليونان.

والثالث *123* سنة، أما النهار فهو خمس ساعات في كل منهم، وكذلك الليل.

أمّا الأرض والتي أنعم الله علينا بخلقها لسكنانا ومعاشنا في آيات كثيرة، وذكّرنا بمافي هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة والنظام، فهي الكوكب السيّار الوحيد الذي جعله الله صالحاً للحياة دون غيرها من الكواكب: فقربها من الشّمس معتدل، وحرارتها معتدلة، ودورتها اليومية معتدلة وكافية لإحداث ليل ونهار معتدلين صالحين للسعي والراحة معاً ودورتها السنوية معتدلة وصالحة لإرواء الزروع وانضاجها، علاوة على امتيازها بالماء والهواء الصالحين للحياة.

وهذه المزايا السبع هي التي فرض الخالق قوانيها لتجعل الأرض صالحة للحياة، ذلك أنّ حجمها أصغر من حجم الشّمس بمليون و*300* ألف مرة، وكتلتها أي وزنها أقل من وزن الشّمس ب*332* ألف مرة تقريباً – حسب أقوال علماء الفلك – وأنها أكثف من الكواكب السيارة جميعاً، بل أكثف من الشّمس نفسها، لأنّ كثافة الشّمس هي ربع كثافة الأرض، فالثقل النوعي لكل جسم في الشّمس أخف من الثقل النوعي للجسم نفسه وهو على الأرض، وإنّ بعدها عن الشّمس *93* مليون ميل، ودورتها اليومية حول الشّمس تتم في*365,25* يوم، وشكل مدارها حول الشّمس أهليلجي، وسرعة دورانها حول نفسها ألف ميل في الساعة، وسرعة دورانها حول الشّمس بمعدل *18* ميل في الثانية، أي نحو *65* ألف ميل في الساعة. ووضعها على مدارها مائل بزاوية قدرها *23* درجة.

ويقول العلماء – افتراضاً – أنّه لوكان حجم الأرض أكبر أو أصغر، ولو كان ثقلها وكثافتها أقل أو أكثر، لاختل أمر الحياة أو تغير أو تشوه. لأنّ حجمها متناسب مع سرعتها ومع دورتها ومع ثقلها وتناسب مع قوّة جذبها، فلو زاد الحجم أو نقص لتغيرت السرعة والمدّة، ولو قلّ جذبها لأفلت الأوكسيجين منها، ولولا الدورة اليومية لما كان هناك ليل ونهار دائبين ثابتين.

ولو زادت سرعة دورانها حول نفسها عن ألف ميل في الساعة أو قلت، كما هو الحال في بقية السيارات، فكانت مثلاً مئة ميل في الساعة لأصبح طول النهار *120* ساعة، أو لأحترقت زروعنا في لهيب النّار، وذوت في زمهرير الليل، ولإختل ميزان العمل في النهار والراحة والنوم في الليل، لكن هذه السرعة ثابته لم يطرأ تبديل في ثانية واحدة منذ خلقها الله الحكيم الخبير وفرض عليها قوانينها، ولولا الجاذبية التي تربطنا بالأرض لَطِرنا عن ظهرها وانتثرنا انتثاراً نحن وبيوتنا، بل لولا التعادل الدقيق بين الجاذبية التي تلصقنا بالأرض، وقوّة البعد عن المركز "*force centrifuge*" التي تطردنا عن سطحها، لطرنا وطارت بيوتنا، وزحلت بحارنا من وسط الأرض إلى القطبين... **فسبحان الذي قدّر كل شئ بكل الإتقان والدّقة، مما جعل الأرض صالحة للحياة .**

وبعد،، إذا تأملنا في تلك القوانين التي جعلت من الأرض وحدها دون سائر السيارات الأخرى، فإننا قد نتسائل:

ولم كانت الأرض وحدها هكذا؟ ... من أجل أن تكون فيها حياة.
ولمن تكون هذه الحياة؟ ... لمن شاء الله أن يكون خليفة في الأرض.
ومن هو هذا الخليفة؟ ... إنّه الإنسان.
ومم خلق الإنسان؟ ... من تراب الأرض وطينها، أي من الأرض نفسها.
وماذا يعني ذلك؟ ... يعني أنّ الله سبحانه وتعالى عندما جعل الأرض وحدها هي الصالحة، فقد شاءت قدرته وإرادته لمن يعمر تلك الأرض أن يتكوّن منها، وأن ترتبط حياته بها، ثم يعود إلى أصله من التراب، فكما يبدأ من تراب يعود إلى تراب....... وهذه آية الله الكُبرى ومشيئته العُظمى في تكوين الإنسان وخلقه، فقد شاء أن يجبل الإنسان الأول من طين الأرض وصلصالها ويُخلطَ بمائها، ثُمَ يُعجن حتى تتكون الصورة التي أراده عليها، وما أن يلفحها الهواء وتصلها حرارة الشّمس حتى تستمسك وتصلب وتشتد، ويأتيها الروح بإذنه تعالى، فتستوي بشراً سَوِياً.

وهكذا يكون أصل الإنسان من الأرض، وقد خصّها الله بالحياة، فمن الطبيعي أن يكون الإنسان كائناً حياً، وحياته تستمر من الأرض الحيّة، لأنّ هذه الأرض هي التي تمده بالغذاء والماء، وبدونها لا حياة، فكل ما يأكله الإنسان إنما أصله من الأرض سواء أكان لحماً أو خضاراً أو فواكه أو حبوباً، حتى إذا امتنع الإنسان عليه أكل وشرب ما تعطيه الأرض فقد بعد عن الحياة، وبعد فقدانه حياته فإنه إلى ألأرض يعود، قال تعالى: **(مِنها خلقناكُمْ وَفيها نُعيدُكُمْ وَمِنها نُخرجُكُمْ تارَةً أخرى)**[578].

لقد سمى الله الإنسان الأول (آدم) لأنه خلقه من أدمة الأرض، والأدمة في اللغة إنّما هي مشبهة بلون التراب، وآدم أدماً بين القوم. (أصلح وألف ووفق بينهم) وفي هذه الخصيصة الأخيرة معنى جوهري، وهو للدلالة على خواصّ الفكر والإرادة والنطق التي يتصف بها الإنسان عن سائر المخلوقات. وهنا السِّر الإلهي أيضاً، إذ جعل اسم الإنسان الأول يقترن بأصله، وبالتالي يحمل المزايا والصفات التي لا تكون إلاّ للإنسان من سائر المخلوقات، وفي ذلك من التأكيد على العناية بالإنسان.

إنّ الإرادة التي جعلت هذا الكون المترامي الأطراف، الذي لم يقدر العقل البشري على أن يُلِمَّ به أو أن يعرف له حصراً على هذه الصورة من التكوين، وجعلت له هذا النظام الخارق في الدّقة والإتقان، بحيث تسْبَحُ الأفلاك والمجرات والكواكب والكويكبات التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، في نطاق محدد ومحدود معين ثابت لايحيد عنه ومجبر على التقيد التام بأنظمته وقوانيه المفروضة عليه. إنّ تلك الإرادة التي أقامت هذا الإنتظام الشامل الكامل الدقيق، وهي على ما هي عليه من القوّة والإقتدار لقادرة على أن تمنح من قدرتها قدرة لأي كائن حتى تصبح له القدرة والحركة، وعلى سبيل التشبيه مع الفارق: فبمقدار ما يُعطي الإنسان الآلة التي يصنعها طاقة حرارية أوشحنات كهربائية، تكون تلك الآلة قادرة على التحرك والسرعة. وهكذا فإنّ النفخة الإلهية في الإنسان وهي ما عليه من إقتدار وقوّه قد فعلت

[1] طه: (55).

فعلها في الجسم الترابي، عندما نفخ الله فيه من روحه، فاستوى بشراً ذا قدرات خارقة تكمن في ما انطوت عليه تلك الروح التي جعلها فيه، وتقف عند الحدّ الذي شاءت القدرة الواهبة لها أن تحْتَدَ بهِ.

وفي هذا العصر أثبت العِلم أنَّ مادة هذا الكون تتألف من العناصر الأربعة:

التراب ، الماء ، النار ، الهواء

وأنّ هذه العناصر الأربعة تتكون هي نفسها من عناصر وعناصر، وأنّ هذه العناصر الكثيرة تتكون من أجزاء صغيرة، وأنّ تلك الأجزاء الصغيرة مكونة من أجزاء أصغر منها بكثير هي (الذرات *Atomes*) التي تبلغ من الصغر حداً كبيراً، إذ قدّر حجم الذرة الواحدة بجزء من خمسين مليون جزء من البوصة، أمّا وزنها فيتراوح على اختلاف العناصر، بين جزئين و*395* جزءاً من مليون مليار من الغرام، وهذا الحجم مع صغره المتناهي يراه العُلماء عظيماً بالنسبة لحجم الألكترونات والبروتونات التي تتألف منها الذرّة، إذ الفرق بين حجم الذرّة كلها وبين حجم الألكترون الذي هو فيها كالفرق بين حجم ذرّة غبار وبين غرفة في منزل.

إنّ للذرّة غلاف تدور فيه نواة أو نوايات كثيرة، أمّا الغلاف فهو مؤلف من (الكترون *Electron*) واحد أو ألكترونات كثيرة بحسب العناصر، وأمّا (النواة *Rucleus*) فتتكون من (بروتون *Proton*) واحد أو أكثر، أو بروتونات كثيرة، وتتكون من (نوترون*Neotron*) واحد أو نوترونات كثيرة، إلا في الهيدروجين فلا يوجد فيه نوترون. أما الألكترون فهو وحدة كهربائية سالبة، والبروتون هو وحدة كهربائية موجبة، والنوترون هو وحدة كهربائية محايدة، لا سالبة ولا موجبة.

وحسب هذا المفهوم، فالمادة والعالَم كله ونحن معه، عبارة عن وحدات أو شحنات كهربائية. أي أن العالم كله يتألف من طاقات كهربائية متجمدة بشكل ذرات وعناصر.

وقد كان العالم "اينشتاين *A. Einstein*" هو أوّل من جاء بنظرية النسبية[579] التي تقول بأنّ المادة والقوة هي شئ واحد، وقد صحت نظريته علمياً عندما أمكن فلق الذرة وتحويل مادتها إلى قوة، وبناء على نفس النظرية فما دام ثبوت أنّ المادة والقوة شئ واحد، فقد أمكن أن تتحّول المادة إلى قوة،[580] كما ثبت علمياً بتحطيم الذرة، فقد يثبت يوماً إمكان تحويل القوة إلى مادة، مما يكون دليل للمتشككين بإمكان خلق مادة العالَم من العَدَمْ.

---

[1] نظرية النسبية " *Relativity* " نظرية في الكون وضعها آينشتاين عام (1905)، تبحث في حركة المادة وسرعة الضوء والجاذبية، والعلاقة بين المادة والقوة.

[2] وبناء عليه فقد تمكن العقل البشري من إنتاج القنبلة الذرية " *atomic bomb* " تلك الآلة الشيطانية التي تستمد قوتها المدمرة من انشطار بعض العناصر الثقيلة كالبولتوليوم واليورانيوم وتحولها إلى طاقة لقذفها بوابل من النيوترونات ونشوء ما يعرف ب "التفاعل المتسلسل *chain reaction* ". وقد صُنِعَت أولى القنابل الذرية المدمرة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، وقام رأس الكفر الصليبي بإلقاء أول قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما باليابان في 6 أغسطس 1945. بأمر من رئيسهم المجرم هاري ترومان، فجعلتها قاعاً صفصفاً، وقضت على عدد لا يحصى من سكانها الأبرياء لإشفاء غل الكفار الحاقدين، وليتمكنوا من استعمار العالم والتحكم في مصائر الناس. وبعد ثلاثة أيام ألقى الكفرة الأمريكيون قنبلتهم الجهنمية الثانية على مدينة ناغازاكي باليابان، فقتلت

وهكذا فإنّ "اينشتاين" قد وضع أساس العِلم الحديث الذي يقول بالوحدة بين المادة والقوة، وبتحويل المادة إلى قوة وفنائها، وقد استنتج من خلال نظريته النسبيّة فكراً محدداً حول الخلق والفناء، خلافاً للقول: "لاشئ في الطبيعة يخلق، ولا شئ يفنى" ، وبذلك أوصله علمه وتفكيره العميق المستنير إلى الإيمان بالله تعالى خالقاً لهذه الموجودات من العدم وإلى أنّ العِلم لا يستقيم في سيره بدون إيمان، وأنّ إعمال العقل في التفكر في المخلوقات لا بد أن يوصل إلى اٌيمان بالله تعالى، وفي ذلك قوله:

(إنّ أجمل هزّة نفسيّة نشعر بها هي تلك الهزّة التي تَعْرونا عندما نقف على عتبة الخفاء من باب الغيب، إنّها النواة لمعرفة الحق في كل فن وعلم، وإنّه لمَيت ذلك الذي يكون غريباً عن هذا الشعور، فيَعيش مُسْتغلقاً رُعْباً، من غير أن تجد روعة التّعجب إلى نفسه سبيلاً، إنّ جوهر الشُّعور الديني في صميمه هو أن نعلم بأنّ ذلك الذي لا سبيل إلى معرفة كُنه ذاته موجوداً حقاً ويتجلّى بأسمى آيات الحكمة وأبهى أنوار الجمال، التي لا تستطيع ملكاتنا العقلية المسكينة أنْ تدرك منها إلآ الجِبليّة في السطح دون الدقائق في الأعمال. أيَّ ايمان عميق بالحكمة التي بُنِيَ عليها الكون كان إيمان كبلر ونيوتن؟[581] وأيّ شوق لهّاب كان شوقهما لأنْ يريا أضأل شُعاع من نور العقل المتجلي في هذا الكون؟..... إنني لا أستطيع

أربعين ألف شخص من المدنيين الأبرياء وجرحت أربعين ألف آخرين ومحت جزءاً كبيراً من المدينة. ليظل عملهم هذا ناطقاً أبد الدهر ومذكراً البشرية جمعاء بإجرام هؤلاء الكفرة المتباهون بدموقراطيتهم العفنة حيناً، وبعلمانيتهم الكافرة حيناً آخر، وبصليبيتهم الكافرة الحاقدة أحياناً أخرى. وبعد رأس الكفر الولايات المتحدة صنع الإتحاد السوفييتي البائد قنبلته الذرية الأولى، وتبعه كل من بريطانيا الصليبية وفرنسا الصليبية والصين الشعبية... على التعاقب.

[1] كَبْلر جوهانس " *Jphannes Kepler* " (1571–1630): عالِم فلك ورياضيات وبصريات ألماني، يُعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الفلك الحديث، وضع ثلاثة قوانين شهيرة خاصة بحركات الكواكب، تعرف باسم: "قوانين كبلر *Kepler`s Laws*" **ينص القانون الأول منها**:على أنّ جميع الكواكب تدور حول الشمس في مسار يتخذ شكل قطعٌ ناقص " *ellipse* " يقع مركز الشمس في بؤرتيه أو مركزيهُ. وينص القانون الثاني:على أنّ الخط الذي يصل مركز الشمس بمركز الكواكب يرسم مساحات متساوية في فترات متساوية من الزمن. أما القانون الثالث: فينص على أنّ مربع المدة الزمنيّة التي يستغرقها دوران الكوكب حول الشمس يتناسب تناسباً طردياً مع مكعب بعده المتوسط عن الشمس.

أما الثاني فهو "سير إسحق نيوتن *Sir Isaac Newton*" (1643–1727): رياضي وفيزيائي إنكليزي، يعتبر أحد أبرز وجوه الثورة العلمية في القرن السابع عشر، وأحد أعظم العباقرة في تاريخ العلم الحديث، وضع "النظرية الجسيمية في الضوء *Corpuscular theory* " وهي نظرية في الفيزياء. قال فيها أنّ الضوء يتكون من جسيميات مادية تنطلق في جميع الاتجاهات من سطوح الأجسام المضيئة. وقد حل محل النظرية السابقة " النظرية الموجبة *Wave theory* " للعالم الهولندي " كريستيان هايجنز ". أما النظرية الثانية فهي: "قانون الجاذبية والتجاذب *a Gravity and gravitation*" الذي ينص على أنّ قوة التجاذب بين كتلتين تتناسب تناسباً طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين، وتتناسب تناسباً عكسياً مع ربع المسافة التي تفصل بين مركزيهما. وأما نظريته الثالثة فكانت: " قوانين الحركة في الديناميكا Dyanamics *Law* " التي تقول على أنّ الجسم الساكن يظل ساكناً، والجسم المتحرك يظل متحركاً بسرعة ثابتة في خط مستقيم ما لم تؤثر عليه في كلتا الحالتين قوة خارجية، وأنّ هذه القوة الخارجية تُسَرِّع حركة الجسم في اتجاهها هي وهذا التسارع يتناسب تناسباً طردياً مع القوة الخارجيّة، ويتناسب تناسباً عكسياً مع كتلة الجسم. وأنّ لكل فعل ردّة فعل مساوياً له في المقدار ولكنه مضاد له في الاتجاه.....وقوانين الحركة في الديناميكا هي أساس الديناميكا الكلاسيكية، اما حين تبدأ سرعة الأجسام في الاقتراب من سرعة الضوء فيستعاض عن قوانين نيوتن بنظرية النسبية التي وضعها " آينشتاين ". ومن أشهر مصنفات نيوتن " علم البصريات *Optics* " عام (1704).

أن أتصور عالِماً حقاً لا يُدرِكُ أنّ المبادئ الصحيحة لعالم الوجود مبنيّة على حكمة تجعلها مفهومة عند العقل، إنّ العِلمَ بلا إيمان ليمشي مشية الأعرج، وإنّ الإيمان بلا عِلم ليتلمّس تلمّس الأعمى)

أما الرّبط القرآني بين أول الخلق وبين تتابع هذا الخلق فهو واضح وصريح في قوله تعالى: **(وَلقدْ خلقنا الإنْسانَ مِنْ سُلالةٍ مِنْ طينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلناهُ نطفةً في قرارٍ مَكينٍ ۞ ثُمَّ خلقنا النُطفةَ عَلقةً فخلقنا العَلقةَ مُضغةً فخلقنا المُضغةَ عِظاماً فكَسَوْنا العِظامَ لحْماً ثُمَّ أنشَأناهُ خلقاً ءآخرَ فتبارَكَ اللهُ أحْسَنَ الخالقينَ)**[582]

"ولقد خلقنا الإنسان" إيجاداً من العدم مع عدم سبق وجود المادة الأصلية. أما قوله "من سُلالة" فيشير إلى أنّ المواليد كلها أصول للإنسان، وأنّه المقصود بالذات الجامع لطبائعها. "ثم جعلناه نطفة" بالإنضاج والتخليص الصادر عن القوى المعدّة لذلك، ففي قوله هذا "ثم جعلناه نطفة": تحقيق لما صار إليه الماء من خلع الصور البعيدة، وقوله "في قرار مكين" يعني الرّحم، ومكين تعني – كما ثبت لاحقاً– أنّ الرحم مجهز في تكوينه وفي خصائصه بما يُمَكن أشدّ التمكين للجرثومة التي يكون منها اللقاح من الحفظ والوقاية والدفاع عنها.

أمّا الطور الثالث فهو "ثم خلقنا النطفة علقة": أي صَيَّرناها دماً قابلاً للتّمدد والتخلق والعلوق باللزوجة والتماسُك، ومما يميز العلقة عن غيرها من الأطوار هي النشوب والتعلق واحاطة النطفة الملقحة بالدّم المتجمد الغليظ. وقد ثبت في علم الأجنّة أنّ النطفة التي يتكون منها اللقاح في مني الرجل، تعلو رأسها نازعة كالسنان فتهاجم البويضة في الرّحم، وتخرقها لتعلق بها، ولذا سميت علقة، فإذا امتزجتا يكون التحول الأول للنطفة إلى علقة، ولما كان بين هذه المراتب من المهلة والبعد ما ستقرره، فقد عطفها ب "ثم" المقتضية المهلة ما بين هذا الدور والأدوار الأخرى.

وبعد انقضاء المهلة المحددة يأتي الدور التالي وهو تحويل العلقة مضغة، أي تحويل ذلك الدّم الغليظ جسماً صلباً قابلاً للتفصيل والتخليط والتصوير والحفظ وجعل مرتبة المضغة في الوسط وقبلها ثلاث حالات وبعدَها كذلك، لأنّها الواسطة بين الرّطوبه السَيّالة والجسم الحافظ للصور.

ثم يأتي دور العظام "فخلقنا المضغة عظاماً" أي صلبنا تلك الأجسام بالحرارة والشدّة حتى قبلت التوثيق والرّبط والإحكام والضبط، وذلك بعد تخلق الأعضاء المشاكلة للعظام ويتحول دم المحيض مُغذيا، وقوله "فكسونا العظام لحْماً" يعني حال تحويل الدّم إلى لحم وشحم والدور الذي يكون فيه الإنسان كالنبات: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً)[583]

بهذا تكون أطوار الخلق سبعة. وقد ربط بعض المفكرين بينها وبين عدد الكواكب السّيارة السبعة، كما ربطوا بينها وبين عدد السموات وهو سبعاً، وعدد الأيام التي يتكون منها وهي سبعاً، وتسمية القرآن بالسبع المثاني.

---

[1] المؤمنون: (12 – 14).

[583] نوح: (17).

وبعدما يشتدُّ المخلوق ويفيض بالحياة والحركة مِن نفخ الرّوح فيه، يستوي بشراً سوياً، إنساناً فيه من دقة الخلق والتصميم والتصوير مما يشير إلى عظمة الخالق المصور المبدع "ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" ومعنى خلقاً آخر هو تكوينه على صورة الإنسان، بعدما كان خلقه في أطواره الأولى متشابهاً مع خلق الحيوانات الأخرى، كما يشير إلى ذلك العِلم الحديث، فإنّ العالِم الطبيعي الألماني "فون باير *Von Baer*"[584]، قام بجمع أجنة حيوانات مختلفة في مرحلة خاصة من مراحل تطورها، واحتفظ بها في وعاء زجاجي به مطهر حافظ من التعفن والتمصّل، ولثقته في نفسه، لم يضع على كل جنين ما يوضح هويته أو نوعه، وعندما عاد إليها ليدرسها لم يستطع أنْ يرجع معظمها إلى أصولها التي جاءت منها، لــذا فقد كتب في مذكراته: (إنني لا أستطيع أنْ أحدّد إطلاقاً إلى أيّة فصيلة أو رتبة تنتمي هذه الأجنّة... فقد تكون لسّحالي أو لطيور صغيرة أو لحيوانات ثديية في مراحل نموها المبكّر..... فكم هي متشابهة في أشكالها وتكوينها هذه البدايات لأجنّة تلك الحيوانات!!!)

ومما لاشكّ فيه أنّ هذا التكوين للمخلوقات إنّما هو نتاج لنظام الزّوجيّة، هذا النظام الذي يقول العلماء بأنه مطرد وشامل لجميع الأحياء من الحيوانات والنباتات كلها بطريقة واحدة ونَسَقٌ واحد، وأعضاء متماثلة ولقاءً متماثلاً، فيتسائلون كيف اتفق هذا الإطراد والشمول والتماثل في كل حي؟ لقد استلفت هذا الإطراد نظر الفيلسوف "هنري برغسون *Henri Bergson*"[585]. فبعد أن تكلم عن حاسّة الإبصار، واستبعد أنْ يكون اطرادها في الإنسان وفي جميع الحيوانات على نسق واحد، وتركيب مماثل أثراً من آثار المصادفة، قال:

(وإذا سلمنا بأنّ هذه المصادفة جائزة الحدوث في تكوين حاسة الإبصار الواحدة في جميع الحيوانات، وقلنا أنّ الحيوانات ترجع إلى نوع واحد، فماذا نقول في النبات وهو نوع آخر يسير في طريق مختلفة كل الإختلاف عن طريق الحيوان إذا نحن رأيناهما يسيران على طريقة واحدة واحدة في عملية التناسل؟ فكيف أتفق أن اخترع الحيوان الذكورة والأنوثة، ووفق النبات إلى الطريق نفسها وبالمصادفة نفسها؟)

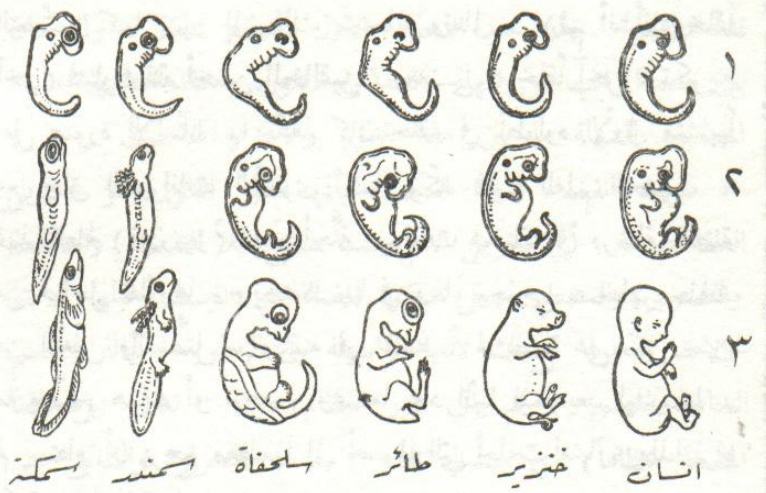
ونحن نضيف إلى تساؤلات هذا الفيلسوف تساؤل آخر وهو: لماذا ألزمت تلك المخلوقات نفسها وأبناء جنسها بتلك الطريق وفرضتها على نفسها وعلى غيرها قانوناً وحيداً لا يتخلف ولا يتبدل للتكاثر والنشوء ؟ !!!.[586]

---

[584] فون باير " *Von Baer* " (1792 – 1872): عالم طبيعي بروسي، تخصص في علم الأجنة، له نظريات في التطور الطبيعي الجنيني.... انظر صفحه (49) – الفصل الثالث – الباب الأول.

[1] هنري برغسون: فيلسوف فرنسي (1859 – 1941)، قال بأنّ العالم المادي قوّة كامنة تعمل على تطوير المتعضيات والكائنات. وقد دعا هذه القوة " دفعة الحياة " أو " الدافع الحيوي " (*élan vital*).ومن أشهر آثاره: " التطور الخلاق *L'Evolution creatrice* " عام (1907)، منح جائزة نوبل في الآداب عام (1927).

[1] هذا الفصل بالكامل (بدون الحواشي السفلية) منقول بتصرف عن كتاب: – معجم البيان الحديث – قصص الأنبياء في القرآن الكريم)، سميح عاطف الزين، الصفحات (39 – 57).



كم هي متشابهة هذه البدايات لأجنة الحيوانات المختلفة إذ كلما عدنا إلى الوراء في الزمن (الصورة رقم ١) . كان من الصعب تمييزها ، ثم يبدأ التمييز بين أجنة السمكة والسمندر (حيوان برمائي) . في حين أن الحيوانات الفقرية يصعب تمييزها (الصورة رقم ٢) . ومن مراحل متأخرة نسبياً يمكن تمييز جنين الطائر والخنزير والإنسان (الصورة رقم ٣) .

عملية الحمل وأطواره

لقد كان أصل الخلق من تراب، كان هذا في الخلق الأول، خلق آدم عليه السلام، ثم تم خلق حواء من ضلعه الأيسر، وخلق في كليهما غريزة النوع التي من آثارها الميل الجنسي، ميل كلا الجنسين للجنس الآخر، أما ثورة الغريزة فإنها تتطلب الإشباع، والإشباع يتم بمعاشرة جنسية بين ذكر وأنثى (جماع)، وفي اجتماع الزوجين الذكر والأُنثى والذي يتم بمعاشرة جنسية ليتم في نهايتها قذف السّائل المنوي من قضيب الرّجل المولج في فرج الأنثى وبالذات في رحمها أو مهبلها، وتكون لحظة بلوغ المرأ قمّة اللذه والنشوة الجنسيّة ، فيندفع هذا السائل المتدفق من قضيب الرّجل والمحتوي على النطفة مُلقحاً بويضة المرأة ، ليُكوّن هذا التلقيح إتحاداً بين افرازات النسل الذكرية وبين افرازات النسل الأنثوية، مكوناً "النطفة الأمشاج" التي هي: النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الملقِح لبويضة المرأة، أي ما يُدعى: "البويضة الملقحة *Fertilized Ovum*" التي تتحرّك في قناة الرحم لتصل إلى الرّحم "القرار المكين" فتستقرّ فيه وقد تحولت إلى قطعة متجمدة من الدّم، ثم تتطور إلى قطعة من اللحم مصورة فيها معالِمُ الإنسان، أو غير مصورة المعالِم، ليبين لنا الله قدرته على الإبداع في التكوين والتغيير من حال إلى حال، وبمشيئته تعالى يُسْقِطُ من الأرحام ما يشاء وَيُقِرُ بها ما يشاء، حتى تكتمل الشهور التسعة المقدرة لمدة الحمل في العادة (أو أكثر أو أقل)، ليخرج الطفل من رحم أمه بشراً سوياً مكتمل الخلق حاملاً لكل الصفات الإنسانية، وفي ذلك قوله تعالى من سورة الحج : **(يا أيُّها النّاس إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فإنّا خلقناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفةٍ ثُمَّ مِنْ عَلقةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلقةٍ وَغَيْرِ مُخَلقَةٍ لِنُبَيِنَ لكُمْ وَنُقِرُ في الأرْحامِ ما نَشاءُ إلى أجَلٍ مُسَمى ثُمَّ نُخرِجَكُمْ طِفلاً ثُمَّ لِتَبْلُغوا أشُدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفى وّمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمْرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلمٍ شَيْئاً وَتَرى الأرْضَ هامِدَةً فَإذا أنْزَلنا عَلَيْها الماءَ إهْتَزَتْ وَرَبَتْ وَأنبَتّتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجْ ۞ ذالِكَ بِأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأنَّهُ يُحْيِ المَوْتى وَانَهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قدير ۞ وَأنَّ الساعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها وَأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القبورِ ۞)**[587]

ونستطيع أن نحدد المراحل والأطوار التي يمر بها الحمل حسب السياق القرآني الوارد في سورة الحج كما يلي:

(*1*) النُطفة : وهي نطفة يقذفها جهاز الرّجل التناسلي من خلال القضيب في مهبل المرأة لتتلقفها نطفة الأنثى، **والنطفة نوعان :**

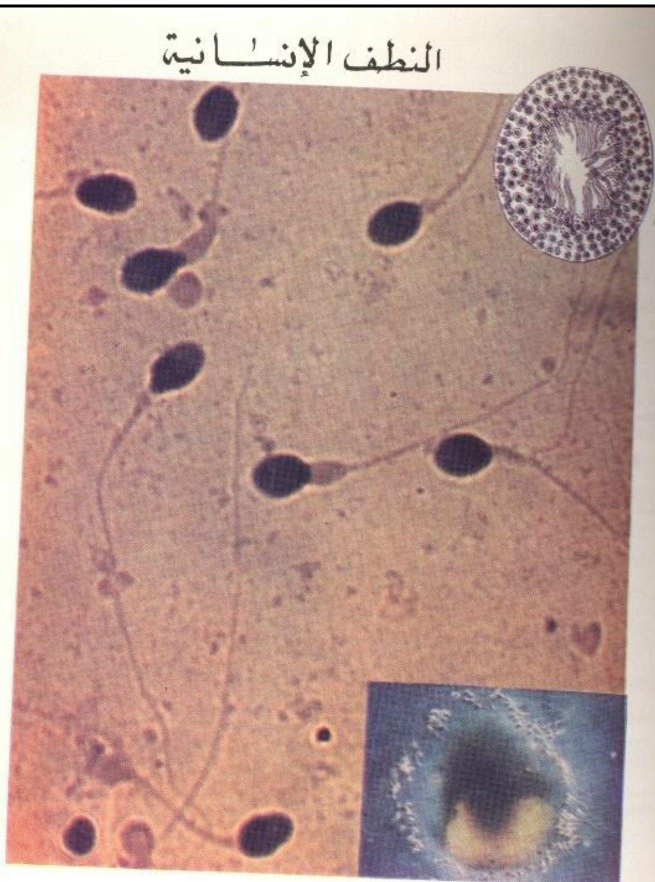
---

[1] الحج : (5 – 7) .

1. **النطفة المذكرة "نطفة الرّجل"**: وهي الحيوانات المنوية الموجودة في سائل الرجل المنوي "المني" المتدفق من قضيبه.
2. **النطفة المؤنثة "نطفة الأنثى"**: وهي البويضة التي يفرزها مبيض المرأة مرَّة كل شهر.

أمّا المنـي : فهو لفظ يطلق على الإفرازات التناسلية للرجل، ويتكون من الحيوانات المنوية "النطفة" والسائل المنوي الحامل لتلك الإفرازات ويغذيها.

ومتى اختلطت مياه الرجل بمياه المرأة ، يتم تلقيح بويضة المرأة من الحيوان المنوي للرجل فيكونان "النطفة الأمشاج" أو "البويضة الملقحة *Fertilized Ovum*"



في الأسفل

منظر من أجمل ما يمكن ان تقع عليه عين بشرية ، دفقة المني الواحدة تنتج ما يقرب من ٥٠٠ مليون حيوان منوي ، وهنا نرى هذا الشعب المنوي في زحفه الجبار باتجاه البويضة !! والمنظر هنا مأخوذ وكأننا جالسون في لمة البوق حيث نرى تسابق النطف للالتحام بالبويضة ·

في الاعلى : منظر معترض لانبوب منوي وفي المركز النطف

الجهاز التناسلي المذكريتكون من مصنع للنطف " *Spermatozzons* " التي يحملها السائل المنوي من خلال المني ، والتي يقذفها جهاز الرجل التناسلي من خلال القضيب في مهبل المرأة لتتلقفها نطفة الأنثى ، ليتم التلاقح المنتج للإنسان..

(*2*) **العلقة :** وقد فسَّرَها بعض المفسرين بِ "الدّم الغليظ المتجمد *Colt*"[588] وقال إبن الجوزي: وقيل سميت علقة لرطوبتها وتعلقها بما تمر بـه.[589] وجاء في "المصباح المنير" : علقت المرأة أي حبلت. وجاء في "لسان العرب": علق بالشئ عَلقاً وعلقه: نشب فيه، والعلق: هو الدّم الجامد الغليظ. **وقال الأطباء:** العلقة هي المرحلة التي تعلق فيها النطفة الأمشاج بجدار الرحم وتتشب فيه.[590]

وفي استعراض معاجم اللغة العربية نرى أنّ لفظ العلقة يطلق أساساً وعادةً على ما ينشب ويعلق، وكذلك تفعل العلقة إذ تنشب في جدار الرّحم وتنغرز فيه محاطة بالدّم المتجمد من كل حياتها. ويذكر الأطباء أنّ حجم العلقة عند بدأ انغرازها لا يزيد على ربع مليمتر، **لذا** ندرك لماذا أصرَّ بعض المفسرين القدامى على أنّ العلقة هي الدّم الغليظ، فذلك ناتج عن الملاحظة بالعين المجردة وهو تفسير صحيح،. فالعلقة الملتصقة بجدار الرّحم متعلقة به والتي لا تكاد تُرى بالعين المجردة هي محاطة بالدّم الغليظ غير منفصلة عنه بحيث يراه هكذا كل ذي عينين. **لذا** فإنَّ وصف العلقة هو أدقُ وصف، وأهم ما يميز هذه المرحلة من مراحل تخلق الجنين ونموه، وقد وصفها علماء الأجنّة بأنّها "مرحلة الإلتصاق والإنغراز *Attachment and Implation*" وذلك حينما تقترب العلقة من الغشاء المخاطي المبطن للرحم، والذي استعد أيما استعداد لإستقبال النطفة الأمشاج "البويضة الملقحة" فتعلق بجدار الرحم منغرزة به.

(*3*) **المُضــغه:** وهي القطعة من اللحم بمقدار ما يُمضغ ولم ينضج. ويفسرها بعض الأطباء بأنَّ المقصود بها مرحلة "الكتل البدنيّة *Somites*" التي تحمل الجنين وكأنّه مضغة من اللحم الغير ناضج ، وفي هذه المرحلة يبدو الجنين فيها وكأنَّ أسناناً إنغرزت فيه ولاكته ثم قذفته[591]

(*4*) **مخلقة وغير مخلقة:** وذلك – كما ذهب إليه المفسرون – هو وصف للمضغة، وقال بعضهم أنّ المخلقة هي المصورة، وغير المخلقة هي غير المصورة. روي عن الحسن البصري عن إبن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: مخلقة أي تامة الخلق لا عيب فيها ولا نقص، وغير مخلقة أي أنّ بها عيب ونقص........ وفسّرها بعضهم أنّ غير المخلقة هي "السُقط أي الجهيض *Abortive*".

وفي موضع آخر من محكم التنزيل يقص علينا الله تعالى قصة المراحل التي بدأت بخلق آدم عليه السّلام من خلاصة الطين، ثم يعرج إلى خلق نسله بطريق الزوجيّة والتّوالد، الذي يكون في أول مراحله "نطفة" من مني الرجل: **الذي هو ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى**، تستقر في الرّحم الذي هو مكان للإستقرار حصينٌ ومهيأ لحماية تلك النطفة، ثم صَيَّرَ النطفة بعد تلقيح البويضة والإخصاب دماً، ثم كوَّنَ الدَّمَ بعد ذلك قطعة من اللحم، الذي تحوّل تخلقها بعد ذلك فصارت هيكلاً عظمياً، وكسا العظام باللحم، ثم أتم خلقه إنساناً كاملاً لا روح فيه، متمماً الخلق بعد نفخ الروح فيه خلقاً مغايراً لمبدأ تكوينه. فتعالى الله في عظمته وقدرته. وفي ذلك قوله تعالى من سورة المؤمنون:

---

588 – البار – د.محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، صفحه (202): نقلاً عن: سيد قطب في " في ظلال القرآن "، والمراغي في تفسيره، وآخرين.

589 – المصدر السابق، نقلاً عن: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير.

590 – البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، صفحه (211 – 233).

[1] المصدر السابق ، صفحه (367) وما بعدها ، بتصرف .

(وَلقدْ خلقنا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ ۞ ثمَّ جعَلناهُ نُطفةً في قرارٍ مَكينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلنا النطفةَ عَلقةً فخلقنا العَلقةَ مُضغةً فخلقنا المضغة عِظاماً فكَسَوْنا العِظامَ لحْماً ثُمَّ أنْشأناهُ خلقاً آخرَ فتبارَكَ اللهُ أحْسَنَ الخالقينَ ۞)[592]

وهنا إعلامٌ لنا بالمراحل التي تم فيها خلق الإنسان، **فالمرحلة الأولى** هي خلق آدم عليه السّلام بالطريقة التي أعلمنا بها القرآن في أكثر من موضع: وهو سلالة الطين. **أمّا الثانية:** فهو تَكَوّنُ كافة البشر بعد آدم بطريقة واحدة تخضع لقانون الزوجية والتلاقُح وأطوار تكون الجنين.

من سُلالـةٍ من طين: وهذا نص يشير إلى أطوارالنشأة الإنسانية ولا يحددها، فيفيد أنّ الإنسان قد مرَّ بأطوارمُسلسلة من الطين إلى الإنسان، فالطين هو الطور الأول لتكون الإنسان، ومنه خُلق آدم أول البشرية "الإنسان الأول، وهذا يعني أنَّ الطين هو أصل نشأة الجنس الإنساني التي كانت من سلالةٍ "خلاصةٍ" من طين..... وأمّا نشأة الفرد الإنساني بعد آدم، فتمضي في طريق آخر معروف هو ما سيحدثنا عنه القرآن بعد ذلك.

القرار المكين: هو رحم المرأة الذي تنمو فيه النطفة الملقحة حتى تصير جنيناً، ثم تحافظ عليه في بقية أطواره حتى تخرجه طفلاً كامل الخلقة سوي التكوين.... لذا لا بد له أن يكون محروساً ومهيئاً للمحافظة على تلك النطفة. وأول شئ نلاحظه هو أنّ الرحم موضوع في في الحوض الحقيقي لهيكل المرأة مما يوفر له الحماية الكاملة من أي عدوان خارجي، ثم نجد الأربطة والصفاقات المختلفة التي تمسك بالرحم، ومع ذلك تسمح له بالحركة والنمو حتى أنّ حجمه ليتضاعف أكثر من ثلآثة آلآف مرة في نهاية الحمل، ومع ذلك يبقى الرحم في مكانه والأربطة ممسكة به، وبايجاز أن هناك عوامل كثيرة تحفظ الرحم في مكانه وتجعله القرار المكين.

ولرُبَّ سائل يتسائل : هل يخلق الإنسان من ماء الرجل أم من ماء المرأة أم من كليهما ؟ وهل للمرأة ماء كما للرجل؟ .

لقد وقع الخلاف والنزاع قديماً حول هذه النقطة، كما يقول الإمام "الفخر الرازي" في كتابه: المباحث الشرقية"[593]، فقد نفى "أرسطو"[594] أن يكون للمرأة مني... أمّا "جالينوس"[595] وهو أشهر

---

[2] المؤمنون: (12 – 14).

[1] الرازي – فخر الدين، المباحث الشرقية، جزء (2)، صفحه (243). والرازي – فخر الدين، (1149–1209 م)، فقيه ومفسر مسلم، ولد في الرّي بإيران، وتوفي في هَراة بأفغانستان، عُرف بدفاعه الشديد عن آراء مذهب " أهل السنة "، فطارت له شهرة واسعة... وضع نحواً من مائة مجلد بعضها موسوعي الطابع، أشهر آثاره تفسيرٌ للقرآن الكريم دعاه " مفاتيح الغيب. وهو من أشهر وأوثق التفاسير.

[2] أرسطو "أرسطوطاليس *Aristotle*" (384– 322 ق.م.): فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون وأستاذ الإسكندر المقدوني. جرت فلسفته في اتجاه مغاير لمثالية أفلاطون، وتعاظم اهتمامها شيئاًَ فشيئاً بالعلم وظواهر الطبيعة. ويعتبر واحداً من أعظم فلاسفة العالم، وقد انسحب أثره على جميع المفكرين في عصره ممن أتى بعده حتى مُنبلج العصر الحديث، من أشهر آثاره: " الأورغانون " في المنطق، وكتاب السياسة، وكتاب ما وراء الطبيعة، وكتاب الشعر.

أطباء اليونان القديمة فقد أكثر من التشنيع عليه في ذلك، مثبتاً أنّ للمرأة منياً، وإن كان يختلف عن مني الرجل في طبيعته، وأنه لا يقذف ولا يندفع بل يسيل على العضو المخصوص وأنه رطوبة بيضاء.[596]

امّا العِلم الحديث فيقرر أنّ الماء الذي لا يقذف ولا يندفع بل يسيل على العضو المخصوص إنّما هو افرازات المهبل وغدد "بارثلون" المتصلة به، وخروج الماء من فرج المرأة هو أمر طبيعي ومشاهد عند الجماع أو الإحتلام. والإسلام يعتبره موجباً للغسل، وعند الجماع يختلط هذا الماء بمني الرجل... ويتقلص الرحم تقلصات عديدة تدفع بهذا الماء المختلط من مني الرجل وماء المرأة إلى الرحم ومنه إلى قناة الرحم، حيث يلتقي الحيوان المنوي ببويضة المرأة ليلقحها[597]. وبالدراسة يتضح أنّ للمرأة نوعين من الماء :

1. ماء لذج يسيل ولا يتدفق وهو ماء المهبل، وليس له أي علاقة في تكوين الجنين، سوى مساعدته في سهولة الإيلاج وفي ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والميكروبات.

2. ماء متدفق يخرج مرة واحدة في الشهر من حويصلة "جراف" بالمبيض عندما تقترب هذه الحويصلة المليئة بالماء الأصفر من حافة البويضة. وفيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنّ ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر"[598] وعند تمام نموها تنفجر فتنذلق المياه على أقتاب البطن، ويتلقف البوق "وهو في نهاية الرحم" البويضة فيدفعها دفعاً خفيفاً حتى تلتقي بالحيوان المنوي الذي يلقحها في الثلث الوحشي من قناة الرحم. وهذا الماء يحمل البويضة "النطفة المؤنثة" كما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية "النطفة المذكرة". وكلاهما متدفق .... وكلاهما يخرج من بين "الصلب والترائب"، أي من الغدد التناسلية المنتجة. ماء دافق يندفق من خصية الرجل يحمل النطفة المذكرة. وماء دافق يخرج من حويصلة جراف بمبيض المرأة يحمل النطفة المؤنثة.[599]

وفي الحديث الشريف :

(أخرج الإمام أحمد في مسنده: أنّ يهودياً مَرَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه. فقالت قريش: يا يهودي إنّ هذا يزعم أنّه نبي، فقال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا يهودي، من كل يخلق، من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة. فقال اليهودي: هكذا كان يقول من قبلك)[600]

وقال العسقلاني: (المراد أنّ المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة مبثوثاً متفرقاً فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم. والمراد بالنطفة المني، وأصله الماء الصافي القليل،

---

[3] جالينوس *Galleons*: طبيب يوناني، له مذهب في الطب يدعى " الجاليسونية *Galennism* "، وهو يقوم على أساس القول بأنّ الأخلاط الأربعة " الدم والبلغم و الصفراء والسوداء " هي التي تقرر صحة الإنسان ومزاجه.

[4] البار – محمد علي ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، صفحه (121 – 122) .

[1] البار – د. محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، صفحه (122).

[2] رواه مسلم.

[3] المصدر السابق، صفحه (123 – 124).

[4] المقصود بمن قبلك: أي الأنبياء.

والأصل في ذلك أنّ ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع، وأراد الله أن يخلق من ذلك جنيناً هيأ أسباب ذلك، لأنّ في رحم المرأة قوتين: قوة انبساط عند ورود مني الرجل حتى ينتشر في جسد المرأة، وقوة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوساً ومع كون المني ثقيلاً بطبعه، وفي مني الرجل قوة الفعل، وفي مني المرأة قوة الإنفعال، وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال ولكن الأول في الرجل أكثر، والثاني في المرأة أكثر. وزعم كثير من أهل التشريح أنّ مني الرجل لا أثر له في الولد إلآ في عقده، وأنّه إنّما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك. وما ذكر أولاً أقرب إلى موافقة الحديث. والله أعلم)[601]

ويقول الإمام أبن القيم: (ومني الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يماذجه مادة أخرى من الأنثى... إنّ الأعضاء والأجزاء والصورة تكونت من مجموع المائين، وهذا هو الصواب.)[602]

أمّا القرآن الكريم، فيجيب على نفس التساؤلات في مطلع سورة الإنسان:

(هَلْ أتى على الإنسان حينٌ مِنَ الدّهْر لم يكن شيئاً مذكوراً ۞ إنّا خلقناهُ مِنْ نُطفةٍ أمشاج نَبْتَليه فجَعَلناهُ سَميعاً بَصيراً ۞)[603]

قال إبن جرير الطبري في تفسيره :

(إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج: إنّا خلقنا ذرية آدم من نطفة، يعني من ماء الرجل وماء المرأة. والنطفة كل ماء قليل في وعاء – كان ذلك في ركية أو قربة أو غير ذلك – وقوله "أمشاج" يعني أخلاط، واحدها مَشَجَ ومَشيج، يقال إذا مشجت هذا بهذا أي خلطته، وهو مشوج به ومشيج أي مخلوط... وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة)[604]

وقال عكرمة: أمشاج نبتليه: ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر، أي ماء الرجل وماء المرأة يختلطان. وعن إبن عباس رضي الله عنهما: ماء الرجل وماء المرأة يختلطان. وعن الربيع بن أنس قال: إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة. وقال الحسن البصري: مشج "خلط" ماء المرأة مع ماء الرجل. وقال مجاهد: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة.[605] وقد قال تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائل لِتَعارفوا إنّ أكرَمَكُم عِندَ الله أتقاكُمْ.)**[606]

أما إبن كثير فيقول في تفسيره :

(يقول تعالى مُخبِراً الإنسان أنّه وُجِدَ بَعْدَ أن لمْ يّكُن شيئاً مذكوراً لضعفه وحقارته) ثم يستطرد مفسراً ("أمشاج" أي أخلاط، والمشج والمشيج المختلط بعضه مع بعض)

---

[1] العسقلاني، فتح الباري – شرح صحيح البخاري، مجلد (11)، صفحه (479 – 480).

[2] الجوزية – الإمام أبن القيم، التبيان في أقسام القرآن، صفحه (242 – 256).

[3] الإنسان: (1 – 2).

[1] الطبري – إبن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، جلد (29)، صفحه (120).

[2] البار – محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، صفحه (192).

[3] الحجرات: (13).

ويقول صاحب الظلال رحمه الله :

(ألأمشاج: الأخلاط. وربما كانت هذه اشارة إلى تكوّن النطفة من خلية الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح. وربما كانت هذه الأخلاط تعني الوراثات الكامنة في النطفة والتي يمثلها علمياً ما يسمونه علمياً: "الجينات" وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولاً، ولصفات الجنية العائلية أخيراً. وإليها يُعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكون جنين إنسان لا جنين أي حيوان آخر، كما تُعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة، ولعلها في هذه الأمشاج المختلطة من وراثات شتى)[607]

وبذلك نرى أنّ غالبية المفسرين من قدامى ومحدثين متفقون على أنّ النطفة الأمشاج هي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، وأنّ الخلق يتكون من نطفتيهما. ويؤكد القرآن الكريم على حقيقة حصر الخلق في الزوجية في أكثر من موضع في محكم التنزيل، أكتفي منها بما جاء في سورة الحجرات: **(يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)**[608] وفي تفسير تلك الآية يقول إبن جرير الطبري في تفسيره: (يا أيها الناس إنّا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال ومن ماء انثى من النساء، وبنحو ذلك الذي قلنا قال أهل التأويل)... وروى بسنده عن مجاهد قال: (لأنَّ الله تعالى يقول من ذكر وأنثى).

وقال إبن كثير في تفسيره: (يقول تعالى أنّه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء، أي من ذكر وأنثى)[609]

ويقول القرطبي في تفسيره: (ذهب قوم من الأوائل إلى أنَّ الجنين إنّما يكون من ماء الرجل وحده، ويتربى في رحم الأم ويستمد من الدّم الذي يكون فيه.... والصحيح أنّ الخلق إنّما يكون من ماء الرجل وماء المرأة – لهذه الآية – فإنها نَصٌ لا يحتمل التأويل، ولقوله تعالى **(خلِق من ماء دافق يخرج من بين الصّلب والترائب)**[610] والمراد منه أصلاب الرجال وترائب النساء... وأما ما احتجوا بهِ فليس فيه أكثر من أنّ الله ذكر خلق الإنسان من الماء والسلالة والنطفة، ولم يضفها إلى أحد الأبوين دون الآخر. فدلَّ على أنَّ الماء والسُّلالة لهما "والنطفة منهما" بدلالة ما ذكرنا. وبأنَّ المرأة تُمنى كما يُمنى الرجل)[611]

يتضح بجلاء مما تقدم أنّ ما إكتشفة الإنسان وعلومه مؤخراً (في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) قد سبقه القرآن الكريم بوضوح لا يحتمل أي تأويل أو شك. وزادت عليه الأحاديث الشريفة توضيحاً، فقدما الأجوبة الصريحة الدقيقة لإستفسارات الإنسان وتساؤلاته. كما أنّ نجوم هذه الأمة الصحابة الكرام ومن تبعهم من المفسرين والفقهاء قد فهموا من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ما نفهمه نحن اليوم منهم، ويأكد فهمنا هذا الإكتشافات العلمية.

---

[4] قطب – سيد، في ظلال القرآن، جلد (6)، صفحه (3779).

[1] الحجرات: (13).

[2] إبن كثير، تفسير إبن كثير، جزء (4)، صفحه (454).

[3] الطارق: (6 – 7).

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جلد (16)، صفحه (343).

أمّا في سورة المرسلات، فإنّ الله تعالى يطلب من الإنسان كل إنسان إعمال عقله والتفكر في الخلق: للإهتداء إلى وجود الخالق المدبر المصور، والدعوة أتت على صورة أسئلة تذكيرية هادفة لتوجه الإنسان إلى الطريقة المنتجة للتفكير: ألم يتم خلقكم من ماء مهين حقير هو النطفة "الحيوان المنوي المذكر والبويضة المؤنثة" وجعلنا تلك النطفة بعد أن تلقحت وامتزجت في مكان آمن حصين تتمكن فيه، فيتم الخلق والتصوير إلى وقت محدود قرره الله تعالى؟ فقدرنا على خلقه وتصويره واخراجه للوجود بشراً سوياً!!! فنعم الخالقون نحن المقدرون له. وبعد كل تلك الأدلة التي لا مجال لدحضها بتاتاً فالويل والثبور لكل من أنعمَ الله تعالى عليه بعقل مفكر ورغم ذلك يُكذب الحقائق ويُنكر ويكفر بنعمة الخلق والتقدير. لقد جاء هذا التساؤل والتذكير والوعيد في سورة المرسلات:

(أَلمْ نخلقكُمْ مِن ماءٍ مَّهينٍ ۞ فجَعَلناهُ في قرارٍ مَكينٍ ۞ إلى قدَرٍ مَعْلومٍ ۞ فقدَرْنا فَنِعْمَ القادرونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلمُكذبينَ ۞)[612]

والمقصود "بماء مهين": أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عز وجل وهو النطفة. أما المقصود ب "قرارمكين" فيعني جمعناه في الرحم وهو قرار المائين من الرجل والمرأة، فالرحم معد لذلك تماماً، حافظ لما اودع فيه من من ذلك الماء. وأما قوله تعالى:

"إلى قدر معلوم" فيعني إلى مدة معينة "تسعة أشهر أو أكثر أو أقل". أما "فقدرنا" أي قررنا أو أقدرنا.

قال القرطبي في تفسيره: (ألم نخلقكم من ماء مهين: أي ضعيف حقير وهو النطفة – وقد تقدم –. وهذه الآية أصل لمن قال: إنّ خلق الجنين هو من ماء الرجل وحده – وقد مضى القول فيه –[613]. "فجعلناه في قرار مكين" أي مكان حريز وهو الرحم. "إلى قدر معلوم" قال مجاهد: إلى أن نصوره، وقيل: إلى وقت الولادة. "فقدرنا" أي فقررنا وقت الولادة وأحوال النطفة في التنقيل من حالة إلى أخرى حتى صارت بشراً سوياً، أو الشقي والسعيد، أو الطويل والقصير)[614]

ودعوة أخرى إلى إعمال العقل والتفكر في صورة سؤال يحوى في طياته التحدي والتذكير الجميل والوعيد كما يحوى التعليم أيضاً، وإعلام بكيفية الخلق والتكوين... أيظن أو يحسب هذا الإنسان المُلحِد المُنكِر لِلبَعث أن يُترَكَ مُهملاً فلا يُحاسَب!!! أَلَم يكن ذلك الإنسان نفسه في طور من أطوار تخلقه نطفة من مني قدر تكوينه وحفظه في الرحم؟ ثم صار علقة مع دم جامد، فخلقه الله وسواه في أحسن تقويم!!! وجعل منه صنفي الإنسان الذكر والأنثى، أليس ذلك الخالق المبدع المصور المصور الفعال لِما يُريد، أليس بقادر على إعادة الأحياء ثانية للموتى بعد جمع عظامهم تارة أخرى وقد خلقهم أصلاً من عدم!!! إستعمل عقلك أيها الإنسان المُنكِر للبعث ثانية والحساب، وتفكر في الخلق إنشاءاً من العدم، هل من أنشأ من العدم عاجز عن إعادة الإنشاء ثانية!!! فإلى سورة القيامه:

---

[1] المرسلات: (20 – 24).

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جزء (12)، صفحه (7).

[2] المصدر السابق، جزء (19)، صفحه (159 – 160).

(أيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدى ۞ ألَمْ يَكُ نُطفةً مِنْ مِنِيٍ يُمْنى ۞ ثُمَّ كانَ عَلقةً فخلق فسوّى ۞ فجَعَلَ مِنْهُ الزّوْجَينِ الذكَرَ وَالأنثى ۞ أليْسَ ذلِكَ بقادِرٍ عَلى أنْ يُحْيِى المَوْتى ۞)[615]

وهنا لفتة طريفة، ففي هذه الآية الشّريفة يتحدث خالق النطفة ومنشئها، فيُعَلمنا التمييز بين النطفة وبين المني، : إذ جعل النطفة جزء من المني.

ويفسّر ذلك حديثه عليه الصلاة والسّلام: (من كل الماء يولد الولد، وإذا أراد الله خلق لم يمنعه شئ)[616] ويتطابق هذا أيضاً مع ما جاء في سورة السّجدة: **(ثُمَّ جَعَلنا نَسْلهُ مِنْ سُلالةٍ مِنْ ماءٍ مهين)**[617] والسُّلالة كما يقول المفسرون هي الخُلاصة. أي جعل نسل بني آدم من خلاصة الماء المهين الذي هو المني. ونحن نعلم الآن أنَّ جزءاً يسيراً جداً من المني هو اللازم لتلقيح البويضة، أي اللازم لعملية تخلق وتكوين الولد. فالدفقة الواحدة من المني تحمل كما يقول العِلم الحديث مائتي مليون حيوان منوي... والذي يقوم بالتلقيح للبويضة هو حيوان منوي واحد من هذا الكم الهائل فقط.

وعندما تحدى رأس الكفر "أمية بن خلف" رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلف، منكراً البعث ومستهزئاً باعتقاد المسلمين به. أتى ذلك الكافر الملحد الرسول صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بين يديه وقال: يامحمد أترى الله يحيي هذا بعدما أرم؟[618] فأجابه عليه الصلاة والسلام راداً التحدي بأعظم منه: (نعم، يبعث الله هذا ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم)[619]

ويأتي وحي السّماء مصدقاً لتأكيد رسول السّماء، وليؤكد كفر والحاد أمية بن خلف، ومؤكداً صدق إيمان المسلمين بالخلق والبعث والحساب. فيأتي السياق القرآني في صورة سؤال وتعجب واستهزاء، لافتاً النظر للتفكر بالخلق وقوانينه التي إن أُعمِلَ العقل بدراستها بتمعن ورغبة صادقة في الوصول إلى الحقيقة سيصل حتماً للجواب القاطع الغير قابل للجدل والعناد والمكابرة. أجحد الإنسان وجود الله وقدرته؟ أنسي أنا خلقناه بعد العدم وبعد أن لم يكن؟ ألا يعلم أنا خلقناه من نطفة مهينة حقيرة؟ ومع هذا إذا به مجادل شديد الخصومة مبين للحجة، يري بذلك أنّه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً خصيماً مبيناً، وساق لنا هذا الخصم المبين مثلاً ينكر فيه قدرتنا على إحياء العظام بعد أن تبلى. ونسي أنّا خلقناه بعد أن لم يكن إذ قال ملحداً منكراًً ومستبعداً قدرتنا على ذلك: "من يحيي العظام وهي رميم؟". قل يا محمد: يحييها الذي أنشأها أول مرة من العدم، ففي استطاعة من بدأ الخلق أول مرة أن يعيده ثانية، إن من كان عظيم العِلم بكل ما خلق لا يعجزه جمع الأجزاء بعد تفرقها. لقد جاء هذا التحدي الرائع الجميل في سورة يسن: **(أوَ لَمْ يَرَ الإنسانُ أنّا خلَقناهُ مِن نطفةٍ فإذا هُوَ خصيمٌ مُبين ۞ وَضَرَبَ لنا مَثَلاً وَنَسِيَ خلقهُ قالَ مَنْ يُحْيي العِظامَ وَهِيَ رَميمْ ۞ قُلْ يُحْييها الذي أنْشَأها أوَلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بكلّ خلق عَليمٌ)**[620]

---

[3] القيامة: (36 – 40).

[1] صحيح مسلم.

[2] السجدة: (8).

[3] حائل: أي متفتت. وأرم : تعني بالي .

[4] النيسابوري، أسباب النزول، صفحه (209).

[1] يسن : (77 – 79) .

إنّ هذا الرّد الذي يحمل قمة التحدي، هو في نفس الوقت حوار هادف، يقوم بتعليم هذا العُتل الزنيم كيفية إعمال العقل في المشاهدات والدلائل القاطعة للتوصل إلى الجواب الشافي لمن أراده، وليس المكابر المجادل الخصيم المبين.

فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تعالى المَلَكَ فينفخ فيه الروح).

وفي سورة السّجدة يقول المَلك الجبارالعزيز الرحيم، أنّه قد أتقن كلّ شئ خلقه، أتقنه خلقاً متكاملاً بما فيه من الخصائص والطاقات الكامنة التي كونها فيه. أمّا الإنسان الأول فقد إبتدأ خلقه من طين: ذلك هو آدم أوّل البشر عليه السّلام. أمّا نسله وذراريه وهم كل البشر بلا استثناء فقد جعل خلقهم بعد ذلك من ماء حقير ضعيف "مهين" لا يُؤبه له في العادة، ثم قوَّمَهُ ونفخ فيه من روحه، أي أمده بالروح التي هي سرّ الحياة، وخلق له موهِباً إياه ومُزَيِنَهُ بالسّمع والإبصار والإدراك والحس والعقل، ليسمع ويبصر ويدرك ويعقل ويتفكر.

ومع كل تلك النِّعَم العظيمة التي لا تقدر، فإنّ هذا الإنسان المُنعَم عليهِ بما لم يُنْعَمَ على غيره من المخلوقات الكثيرة، لا يقوم بواجب الشكر لله والحمد له على تلك النعم إلآ في القليل النادر. حتى أنّ الملاحدة من الناس المنكرين للبعث والحساب قالوا متسائلين يعتريهم العجب: أيعقل أننا بعد أن نصبح تراباً مختلطاً وممزوجاً بأديم الأرض ومتحداً معه بحيث لا يتميز عنه، أيعقل أننا سنعود في خلق جديد؟ إنّ هؤلاء وأمثالهم بالحادهم لا يُنكرون البعث والحساب وحده، بل بجميع ما بعد الحياة الدنيا "أي الآخرة" هم مكذبون. وفي هذا جاء الرّد القرآني في سورة السّجدة:

(ذَلِكَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ العَزيزُ الرَّحيمُ ۞ الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَئٍ خلقهُ وَبَدَأ خَلقَ الإنسانِ مِنْ طينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالةٍ مِنْ ماءٍ مَهينٍ ۞ ثُمَّ سَوّاهُ وَنَفَخَ فيهِ مِنْ روحِهِ وَجَعَلَ لكُمْ السَّمْعَ وَالأبْصارَ وّالأفئِدَةَ قليلاً ما تَشْكُرونَ ۞ وَقالوا أءِذا ضَلَلنا في الأرضِ أءِنا لفي خلقٍ جَديدٍ ، بَلْ هُمْ بلِقاءِ رَبّهِمْ كافِرونَ ۞ قُلْ يَتَوَفاكُمْ مَلكُ المَوْتِ الذي وُكلَ بِكُمْ ثُمّ إلى رَبِكُمْ تُرْجَعونَ ۞)[621]

بعد قرون طويلة من اتمام نزول القرآن، وفي منتصف القرن العشرين، توصل العِلم الحديث إلى معرفة حقيقة ظلت مجهولة لكل الناس – إلآ المسلمين الذين دونت في كتبهم وأسفارهم نقلاً عن القرآن الكريم – وهي أنّ ماء الرجل المنوي يتكون في عظام الظهر الفقارية، وأنّ المرأة تنتج هي الأخرى ماءاً يتكون في عظام الصدر العلوية، حيث يلتقي الماءان بعد ذلك "ماء الرجل وماء المرأة" من خلال الإتصال الجنسي "الجماع" فيتماذجان ويتحدان في مقر حصين آمن حافظ "مكين" الذي هو رحم المرأة مكوناً أول مراحل تخلق الجنين الإنساني.

وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة أنّ نواة الجهاز التناسلي والجهاز البولي في الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري، وبين الخلايا المكونة لعظام الظهر، وأنَّ الأعضاء

---

[1] السجده: (6 – 11).

التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ في موضع من الجسم بين الصلب والترائب "العمود الفقري *Vertebral column*" و "القفص الصدري *Thoracic cavity*". أليس هذا الذي توصل إليه العِلم الحديث بعد أن جنّد كافة امكاناته المادية من مختبرات وأجهزة وتجارب وتشريح وأشعة ومواد كيماوية... علاوة على الأطباء والعلماء والمشرحين وغيرهم.... أليس هو عين ما تعنيه الآية الكريمة التالية من سورة الطارق؟ أَلَمْ يّأنِ لهؤلاء العلماء أن يطأطؤا رؤوسهم إجلالاً واحتراماً وأن تخشع قلوبهم من خشية الله وإقراراً بعجزهم أمام قدرته تعالى؟:

(فَلْيَنظُر الإنسانَ مِمَ خلِقَ ۞ خلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ ۞ يَخرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلبِ وَالتَرائِبْ ۞ إنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لقادِر ۞)[622]

ماء: يعني ماءي الرجل والمرأة. دافق: متدفق ومصبوب بدفع وسرعة إلى الرحم. الصّلب: الشديد، وباعتبار الصّلابة سمي الظهر صلباً. الترائب: ضلوع الصّدر.

ذكر القرطبي في تفسيره عن الحسن البصري وغيره[623]: بأنَّ الماء الدّافق يخرج من صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها. وذكر الألوسي في تفسيره مثل هذا.[624] وقد أوضح ذلك ببيان جلي الشيخ المراغي رحمه الله حيث يقول في تفسيره للقرآن:

(وإذا رجعنا إلى علم الأجنّة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب، وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى، كل على قدر ما أوتي من عِلم... وإن كان بعيداً عن الفهم الصحيح والرأي السائد.

ذاك أنّه في الأسبوع السادس والسابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ ما يسمى "ولف" وقناته على كل جانب من جانبي العمود الفقري. ومن جزء من هذا تنشأ الخصية وبعض الجهاز البولي... ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة. فكل من الخصية والمبيض في بدأ تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ومقابل أسفل الضلوع.

ومما يفسر لنا صحه هذه النظرية أنَّ الخصية والمبيض يعتمدان في نموهما على الشريان الأورطي في مكان يقابل مستوى الكلى الذي يقع بين الصلب والترائب، ويعتمدان على الأعصاب التي تمد كلاً منهما، وتتصل بالضفيرة الأورطية ثم بالعصب الصدري العاشر، وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادي عشر، وكل هذه الأشياء تأخذ موضعها من الجسم فيما بين الصلب والترائب.)[625]

---

[1] الطارق: (5 – 8).

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جلد (20)، صفحه (4 – 6).

[3] تفسير الألو سي " روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني "، سورة الطارق.

[1] البار – د. محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، صفحه (120 – 121)، نقلاً عن: تفسير المراغي.

(والآية الكريمة تحثنا على النظر والتمعن في تخلق الإنسان من هذا الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب، وسبب تدفقه هو تقلصات جهاز الحويصلة المنوية والقناة القاذفة للمني مع تقلصات عضلات العجان، فتدفع بالسائل المنوي بمحتوياته من ملايين الحيوانات المنوية عبر الإحليل إلى المهبل. وهذا هو سبب الرّعشة عند الإنزال. وذلك كله متعلق بِالجهاز العصبي اللاارادي، والمسمى بِ "الجهاز التعاطفي *Sypathetic nerves*".

أمّا الإنتشار والإنتصاب فسببه أعصاب خاصة من الجهاز العصبي اللاّارادي المسمى "نظير التعاطفي *Para Sypathetic*" وبواسطته تمتلئ الأوردة الدموية الكثيفة في القضيب فتسبب الإنتشار. وهذه الأعصاب تأتي من منطقة بين الصلب والترائب. ونرى أنّ ذلك كله موكول إلى جهاز غير إرادي ولا تتحكم فيه الإرادة حتى يخرج أمر الخلق والتخلق من كل شبهة للإرادة الإنسانية.)[626]

تقول الآية الكريمة أنّ الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، ونحن قلنا أنَّ الماء الدافق "المني" إنّما يتكون في الخصية وملحقاتها، كما تتكون البويضة في مبيض المرأة. فكيف تتطابق تلك الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية؟.

على هذا السؤال يجيب الدكتور محمد علي البار قائلاً :

(إنّ الخصية والمبيض إنّما تتكونان من الحدبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه، والصلب هو العمود الفقري، والترائب هي الأضلاع ، وتتكون الخصية والمبيض من هذه المنطقة بالضبط أي بين الصلب والترائب. ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن "خارج الجسم" في أواخر الشهر السابع من الحمل.... بينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة ولا ينزل أسفل من ذلك. **ومع هذا** فإنّ تغذية الخصية والمبيضين بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها... أي بين الصلب والترائب. فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهر "الأورطي البطني *Aorta artery*" من بين الصلب والترائب، كما أنَّ وريد الخصية يصب في نفس المنطقة... يصب الوريد الأيسر في الوريد الكلوي الأيسر، بينما يصب وريد الخصية الأيمن في الوريد الأجوف السفلي... وكذلك أوردة المبيض وشريانها تصب قي نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب... كما أنّ الأعصاب المغذية للخصية أو المبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب... وكذلك الأوعية الليمفاوية تصب في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب.

فهل يبقى بعد كل هذا شك أنَّ الخصية أو المبيض إنّما تأخذ تغذيتها ودمائها وأعصابها بين الصلب والترائب؟ ... فالحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنّما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب، كما أنّ منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب والآية الكريمة إعجاز كامل

---

[1] المصدر السابق، صفحه (114 – 116)، بتصرف.

حيث تقول "من بين الصلب والترائب"... فكلمة "بين" ليست بلاغية فحسب، وإنّما تعطي الدقة العلمية المتناهيه)[627]

هذا هو التفسير العلمي، والذي أتى مطابقاً لما ورد في القرآن الكريم. أمّا قول بعضهم أنّ المني يخرج من صلب الرجل، أما ماء المرأة فيخرج من ترائبها ويتكون في ترائبها، فإنّ هؤلاء لم ينتبهوا إلى كلمة "بين" الواردة في النص القرآني، لذا فقد وقعوا في الخطأ. ذلك الخطأ الذي وقع فيه عدد من المفسرين قد تنبه إليه الإمام أبن القيم، حيث ورد في كتابه "إعلام الموقعين عن رب العالمين" ما يلي: (ولا خلاف أنّ المُراد بالصّلب صلب الرجُل. واختلف في الترائب، فقيل المراد ترائبه أيضاً، وهي عظام الصدر بين الترقوة إلى الثندوة... وقيل المراد بها ترائب المرأة. والأول أظهر لأنه سبحانه قال "يخرج من بين الصلب والترائب" ولم يقل "من الصلب والترائب"، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجاً من بين هذين الملتقيين كما قال في اللبن "يخرج من بين فرث ودم"... وهذا لا يدل على إختصاص الترائب بالمرأة، بل يُطلقُ على كل من الرجل والمرأة. قال الجوهري: الترائب عظام الصدر بين الترقوة إلى الثندوة)[628]

أمّا القرطبي فيقول في تفسيره: (يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل، ومن صلب المرأة وترائب المرأة،... وأيضاً المكثر بالجماع يجد وجعاً في ظهره وصلبه، وليس ذلك إلا لخلو صلبه عما كان محتبساً من الماء.)[629] وللألوسي في تفسيره والشيخ المراغي كذلك نفس الفهم، وقد نبهنا إلى رأيهما في موضع سابق من هذا الفصل.

يتضح مما تقدم أنّ تخلق الإنسان قد حصل من جراء الزوجية المتمثلة بالجماع الحاصل بين ذكر وأنثى، فيتكون الجنين من اختلاط وتلاقح مائيهما، وكلا المائين دافق، وكلا المائين يخرج من بين الصلب والترائب: من الغدة التناسلية: الخصية في الرجل، أو المبيض في المرأة، وكلاهما يتكون من بين الصّلب والترائب، كما أنَّ تغذيتهما وترويتهما بالدماء والأعصاب تأتي من بين الصُّلب والترائب. فيتضح لنا معاني الآية الكريمة في إعجازها الدقيق الرائع: ماء دافق من الخصية يحمل الحيوانات المنوية... وماء دافق من حويصلة جراف بالمبيض يحمل البويضة ....ومن كلاهما يتخلق الإنســـان.

---

[1] البار – د. محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، صفحه (114 – 116)، بتصرف.

[2] ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، جزء (20) صفحه (158).

[3] تفسير القرطبي، جزء (20) صفحه (7).

مـــدة الحمـــل

إنّ أقل مدّة الحمل ستة أشهر. لما روى الأثرم بإسناده عن أبي الأسود أنه رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشر فهم عمر برجمها، فقال علي: ليس لك ذلك. قال تعالى: (والوالدات يُرضعنَ أولادهن حولين كاملين)[630] وقال تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)[631]، فحولان وستة أشهر ثلاثون شهراً، لا رجم عليها. فخلّى عمر سبيلها. وولدت امرأة أخرى لذلك الحد. ورواه الأثرم أيضاً عن عكرمة عن ابن عباس قال ذلك الأحول: فقلت لعكرمة أنا بلغنا أنَّ علياً قال ذلك، فقال عكرمة: لا ما قال هذا إلاّ ابن عباس. وذكر ابن قتيبة في "المعارف" أنَّ عبد الملك بن مروان وُلِدَ لستة أشهر، وهذا قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي وغيرهم.[632]

وظاهر مذهب الحنابلة أنّ أقصى مدة الحمل أربع سنين، بِهِ قال الشافعي، وهو المشهور عن مالك. وروي عن أحمد أنَّ أقصى مدته هو سنتان، وروي ذلك عن عائشة، وهو مذهب سفيان الثوري وأبي حنيفة، لما روت جميلة بنت سعد عن عائشة: "لا تزيد المرأة عن سنتين في الحمل."، ولأنّ التقدير إنّما يُعلمَ بتوقيف أو اتفاق، ولا توقيف ههنا ولا اتفاق، وإنّما هو على ما ذكرنا وقد وُجِدَ ذلك، فإنَّ الضحاك بن مزاحم وهرم بن حيان حملت أمُ كل منهما به سنتين، وقال الليث بن سعد: "أقصاه ثلاث سنين، حملت مولاة لعمر بن عبد الله ثلاث سنين." وقال عباد بن العوام: خمس سنين. وعن الزهري قال: قد تحمل المرأة ست سنين، وسبع سنين. وقال أبو عبيد: ليس لأقصاه وقت يوقف عليه.[633]

ولنا أنَّ ما لا نَصَّ فيه يُرجَعُ فيه إلى الوجود. وقد وُجدَ الحمل لأربع سنين، فقد روى الوليد بن مسلم قال: (قلت لمالك بن أنس حديث جميلة بنت سعد عن عائشة قالت لا تزيد المرأة عن سنتين في الحمل، قال مالك: سبحان الله! من يقول هذا؟ هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان تحمل أربع سنين قبل أن تلد) وقال الشافعي: بقي محمد بن عجلان في بطن أُمِّهِ أربع سنين، وقال أحمد: (نساء بني عجلان يحملن أربع سنين، وامرأة عجلان حملت ثلاث بطون كل دفعة أربع سنين، وبقي محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي في بطن أُمه أربع سنين، وهكذا إبراهيم بن نجيح العقيلي، حكى ذلك أبو

[1] البقره: (233).

[2] الأحقاف: (15).

[3] ابني قدامة، المغني والشرح الكبير، جزء (9)، صفحه (116).

[4] المصدر السابق، صفحه (117).

الخطاب، وإذا تقرر وجوده وجب أن يُحكم به ولا يُزاد عليه لأنه ما وُجِد. ولأنَّ عمر ضَرَبَ لامرأة المفقود أربع سنين ولم يكن ذلك إلا لأنه غاية الحَمل، وروي عن عثمان وعلي وغيرهما)[634]

أمّا أكثر الحمل عند الأطباء فلا يزيد عن شهر بعد موعده، وإلا لمات الجنين في بطن أمه، ويعتبرون ما زاد على ذلك خطأ في الحساب.[635]

أمّا الإمام علي بن أحمد بن حزم الظاهري فيقول في "المُحَلّى":
(لا يجوز أن يكون حمل أكثر من تسعة أشهر، ولا أقل من ستة أشهر، لقول الله تعالى: "وحمله وفصاله ثلاثون شهراً"[636] وقال تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة"[637] فمن ادعى حملاً وفصالاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً فقد قال الباطل والمحال ورد كلام الله عز وجل جهاراً.)[638] وبعد أن ذكر مختلف الأقوال في مدد الحمل التي قال بها الفقهاء – والتي سبق أن ورد بعضها في بداية الفصل – بعد أن ذكر كل تلك الآراء قال: (وكل هذه أخبار مكذوبة راجعة إلى من لا يصدق ولا يُعرف من هو ولا يجوز الحكم في دين الله بمثل هذا.)[639]

إلا أنَّ الجنين قد يموت في بطن أمه ويبقى فيها أمداً طويلاً، وقد يتكلس[640] الجنين بعد موته ثم يقذفه الرحم بعد فترة، وقد يقذفه على فترات متقطعة. وهذا أمر معروف عند الأطباء ومشهور لديهم.[641] وقد نقل عن ابن حزم عن الإمام علي قال: (إلا أنَّ الولد قد يموت في بطن أمه فيتمادى بلا غاية حتى تلقيه متقطعاً في سنين...)[642]

وينفي د. محمد علي البار إمكانية حدوث هذا الحمل الطويل الممتد سنيناً..... حيث يذكر أنّهُ قد وجدت نساء ممن كُنَّ يترددن على عيادته في اليمن يزعمن أنَّهُنَّ حوامل لعدة سنوات.... وبالفحص تبين أنهن لم يَكُنَّ حوامل... ويعلل ذلك بأنهُ كان ذلك "الحمل الكاذب *Pseudo pregnancy*"[643]

---

[1] المصدر السابق، صفحه (117 – 118).

[2] البار – د. محمد علي، خلق الإنسان في الطب والقرآن، صفحه (452).

[3] الأحقاف: (15).

[4] البقرة: (233).

[5] المصدر – ابن حزم – علي بن أحمد، المحلى، جزء (10)، صفحه (316)، طباعة دار الفكر – بيروت.

[1] المصدر السابق .

[2] يتكلس: يعني ترسب فيه أملاح الكالسيوم فيصبح مثل الجير.

[3] البار – د. محمد علي، خلق الإنسان في الطب والقرآن، صفحه (453).

[4] المحلى لإبن حزم، جزء (10)، صفحه (316).

[5] الحمل الكاذب: *Pseudopregncy* حالة سيكوسوماتية (أي جسدية نفسية) تتوهم المرأة الباحثة عن الإنجاب تتوهم أنها حامل، وتكون مصحوبة عادةً ببعض الأعراض الطبيعية الواضحة، كانقطاع الطمث وتضخم البطن، وبحركة جنينية ظاهرة، وباضطراب في عمل الغدد الصم شبيه بذلك الذي يرافق الحمل ولكنه أقل وضوحاً. وتعتقد المرأة مع هذه أنها حامل فعلاً، رغم تأكيد كل الفحوصات

أمّا الغالب في مدّة الحمل فقد حَدّدَ أحد الأطباء المسلمين مدّة الحمل، فقد حدّدها الطبيب العربي "أحمد بن محمد البلدي" والذي عاش قبل أكثر من ألف عام في كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان" حيث قال: (إنّما نجد جميع من يلد من النساء يكن ولادهن في الأيام التي فيما بين مائتين وثمانين يوماً ونصف بالتقريب، وبين مائتين وأربعة وسبعين يوماً على التقريب)[644]

وهذا التحديد هو الشائع الآن، وهو ما يقول به أطباء أمراض النساء والولادة، أي أنَّ معدل مدّة الحمل هي *280* يوماً، أو عشرة أشهر قمرية، من الممكن أن تزيد قليلاً. أمّا أقل مدّةٍ للحمل التي هي ستة أشهر، فقد اتفق عليها الفقهاء كما ذكر ابن القيم الجوزية في كتابه "التبيان في أقسام القرآن"، كما أنّ أطباء الولادة يوافقون المسلمين في ذلك.

فتعتبر مدّة الحمل الطبيعية (*280* يوماً)، تُحسب من بدء آخر حيضة حاضتها المرأة ، وبما أنَّ التلقيح وبداية الحمل يحدث عادة في اليوم الرابع عشر من بدء الحيض تقريباً ... فإنَّ مُدّة الحمل الحقيقية تكون (*280 – 14=266*) يوماً . أي حوالي تسعة أشهر في الغالب وأقله ستة أشهر وأكثره سنتان.[645]

الطبية بعدم وجود الحمل. وقد يحدث لأحدى هؤلاء الواهمات بالحمل الكاذب الذي تتصور أنه بقي سنيناً... قد يحدث فعلاً أنها تحمل فعلاً... فتضع طفلاً طبيعياً في فترة حمله، فتتصور أنها قد حملته لسنين عدة.

[1] البلدي – أحمد بن محمد، كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان، تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، الطبعة العراقية سنة (1987)، صفحه (115).

[2] النبهاني – الشيخ تقي الدين، النظام الاجتماعي في الإسلام، صفحه (169).

الباب الخامس – الخلق في السنة الشريفة :

الخلق في السُّنة الشريفة

بعد أن قمنا باستعراض بعض نصوص القرآن الكريم – المصدر الأول للتشريع – التي تتناول تفسير عملية الحمل وأطواره، وبما أنّ السنة الشريفة – وهي المصدر الثاني للتشريع – قد تناولت ذلك مبينة وشارحة لما ورد في القرآن الكريم، فسنستعرض إن شاء الله بعض ما جاء فيها:

1. أخرج الإمام أحمد في مسنده: أنَّ يهودياً مَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث أصحابه. فقالت قريش: يا يهودي إنَّ هذا يزعم أنّه نبي. فقال لأسألنّه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، فقال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا يهودي، من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة. فقال اليهودي: هكذا كان يقول من قبلك. "أي الأنبياء".

2. إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً قال يا رب مخلقة أو غير مخلقة، فإن قال غير مخلقة مجتها الأرحام دماً.[646]

3. وعن أنس رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: وكل الله بالرحم ملكاً يقول: أي رب نطفة؟ أي رب علقة؟ أي رب مضغة؟ فإذا أراد الله أن يخلق خلقاً قال: يا رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه.[647]

4. وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون، بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها و بصرها وجلدها وعظمها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك.[648]

5. وفي رواية لعبد الله بن مسعود عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة. ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة في ذلك مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.[649]

6. ما من كل الماء يولد الولد. وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء.[650]

---

[1] أخرجه إبن أبي حاتم وابن رجب في " جامع العلوم والحكم " وابن القيم في " طريق الهجرتين ".

[2] رواه البخاري ومسلم.

[1] رواه مسلم في كتاب القدر.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] أخرجه مسلم.

7. يقول المصطفى عليه السلام لليهودي الذي سأله عن الولد: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنث بإذن الله، قال اليهودي: صدقت وإنك لنبي.[651]

8. وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هاتين يقول: إنَ النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيجله الله ذكراً أو أنثى. ثم يقول يارب أسويٌ أم غير سوي؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي. ثم يقول: يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خُلقُهُ؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً.[652]

9. عن أنس رضي الله عنه أنّ عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: من أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: وأمّا الشبهُ في الولد فإنّ الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماءه كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها.[653]

10. إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها الملك فاختلجها ثم عرج بها إلى الرحمن عز وجل، فيقول: اخلق يا أحسن الخالقين، فيقضي الله بها ما يشاء من أمره، ثم تُدفع إلى الملك فيقول: أسَقطٌ أم تمام؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب أواحدٌ أم توأمين ؟ فيبين له، ثم يقول: أشقي أم سعيد؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب اقطع له رزقه مع أجله، فيهبط بها جميعاً. فوَ الذي نفسي بيده لا ينال من الدنيا إلا ما قسم له.[654]

11. إذا خلق الله النسمة قال مَلكُ الأرحام: يا رب أذكر أم أنثى؟ قال: فيقضي الله أمره، ثم يقول: أي رب أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله أمره. ثم يكتب ما أمره الله بين عينيه حتى النكبة ينكبها.[655]

---

[4] أخرجه مسلم.

[5] أخرجه مسلم.

[1] أخرجه البخاري.

[2] أخرجه الألكاني عن عبد الله بن عمر. وذكره إبن رجب الحنبلي في كتابه " جامع العلوم والحكم ". وذكره العسقلاني في " فتح الباري "

[3] أخرجه البزار عن إبن عمر.

أطوار الجنين (مراحل الحمل)

من استعراض النصوص المتعددة في القرآن الكريم والحديث الشريف التي تعرضت لموضوع مراحل الحمل وتطور خلق الجنين الإنساني، نستطيع أن نحدد معالم أطوار التخلق الإنساني والتي أكدتها أيضاً مصادر علم الأجنة حديثاً، وهي:

أولاً: مرحلة النطفة:

عند الجماع والقذف تنطلق ملايين الحيوانات المنوية التي تحوى "النطفة المذكرة" دافقة قاصدة الرحم لتلتقي مع "النطفة المؤنثة" التي هي بويضة الأنثى، لتتزاوج وتختلط معها مكونة "النطفة الأمشاج"، وهذا ما يسمونه علمياً "العلوق" أو "الإخصاب" والذي يعني حصول الحمل.

ثانياً: مرحلة العلقة:

تستغرق المرحلة الأولى أسبوعاً كاملاً حتى تعلق هذه النطفة الأمشاج بجدار الرحم، إذ يبدأ العلوق في اليوم السابع بعد التلقيح بالالتصاق بجدار الرحم، وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تنمو خلالها العلقة.

ثالثاً: مرحلة المضغة:

في نهاية الأسبوع الثالث للتلقيح تبدأ المرحلة الثالثة في الظهور ككتل بدنية "*Somites*"، وتتحول إلى قطعة من اللحم كمن مضغتها الأسنان ثم قذفتها، وهي في هذه المرحلة إما أن تكون مضغة كاملة مخلقة، أو مضغة غير تامة الخلق "سقط"، فيقر في الرحم المضغة التامة، أما الغير تامة فتسقط إجهاضاً طبيعياً.

رابعاً: مرحلة العظام:

وهذه المرحلة تستغرق الأسابيع الخامس والسادس والسابع، إذ تتحول المضغة إلى عظام وفي آخر هذه المرحلة تُكسى العظام باللحم وتتكون العضلات.

خامساً: مرحلة الإنشاء "التسوية والتصوير والتعديل"

وتبدأ هذه المرحلة بعد الأسبوع السابع، إذ يتكون بالكامل تصوير الإنسان، الذي يشمل جميع الأعضاء والأطراف، ويدخل في هذه المرحلة تكون المولود ذكراً أم أنثى، إذ تتميز الأعضاء التناسلية الخارجية بحيث يمكن التمييز بين الذكر والأنثى في نهاية الشهر الثالث.

سادساً: مرحلة نفخ الروح:

بعد نهاية الشهر الثالث، وبعد أن يكتمل إنشاء الجنين وتصويره، يمكن سماع أو الإحساس بتحرك الجنين إرادياً، وهو علامة من علامات نفخ الروح فيه.

سابعاً: الــولادة:

بعد اكتمال الوقت المقرر للجنين وهو تسعة أشهر "أو تزيد أو تنقص" يكون الجنين قد اكتمل بشراً سوياً، فيخرج إلى الحياة إنساناً كاملاً مستقلاً كامل الصفات والأوصاف.

أما المراحل حسب ما يراه علماء الأجنة فهي كالتالي :

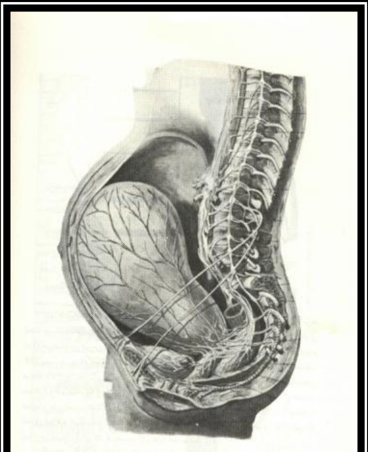
[1]		مرحلة البويضة الملقحة "النطفة الأمشاج"	*Fertilized ovum*
[2]		مرحلة الحمل	*Embryo*
	1.	الإنغراز " العلقة "	*Implanotation*
	2.	الجنين ذو الطبقتين	*Bilaminar Germ Disc*
	3.	مرحلة الجنين ذو الثلاث طبقات	*Trilaminar Germ Disc*
	4.	الكتل البدنية " مضغة "	*Somites*
	5.	تكون الأعضاء " الإنشاء"	*Oregano Genesis*
[3]		مرحلة الجنين	*Fetus*
[4]		الولادة	*Accouchement*

هذه هي المراحل كما يقررها مشاهير علماء الأجنة، في حين أنّ بعضهم يقسم المرحلة الثانية تقسيماً آخر، ومما لا شك فيه أنّ التقسيم القرآني لمراحل نمو الجنين الإنساني هو أصح وأدق بكثير من وصف علماء الأجنة... وإن كان التقسيم القرآني يلتقي مع كثير من تقسيماتهم كالنطفة والعلقة والمضغة... ولا يركز علماء الأجنة على مرحلة العلقة كما يركز عليها التقسيم القرآني... وكذلك التصوير والتسوية والتعديل. على أنه يجب أن يكون واضحاً بجلاء أننا كمسلمين نأخذ بالحقيقة القرآنية فقط وبدون أي تحفظات، وبإيمان وتصديق كاملين في حالة التعارض بين الحقيقة القرآنية وبين النظريات العلمية.

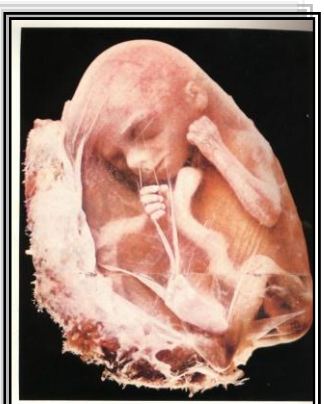
أما نفخ الروح، وهو أهم أقسام ما في الإنشاء والتخلق، فهو مما لا تفسير مادي له عند علماء الأجنة، لذا فإنهم لا يتعرضون له في استعراضهم لمراحل الحمل، بل يتعمدون تجاهل الخوض في بحثه، ولكون تعاملهم هو مع المادة والوقائع المادية التي تخضع للاختبارات وصور الأشعة، فهم بالتالي ينكرون أو يتجاهلون أهم طور في أطوار تخلق الجنين البشري، إذ لولاه لكان ذلك الجنين مجرد مادة لا يمكنها بحال التحول إلى إنسان سوي إلا

بنعمة الله الكبرى التي لا تدركها عقولهم ألا وهي نفخ الروح التي بها وبها وحدها يكون سر الحياة.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع في مسألة الخلق والإنشاء، والذي أشكل فهمه على جهابذة علماؤهم وكبراؤهم سنفرد له بحثاً خاصاً باسم "الحياة والروح".[656]



صورة رائعة للرحم وهو يملأ تجويف البطن ... والصورة توضح تغذية الرحم بالدماء والأعصاب



يلاحظ في الاعق المشيمة التي تمثل اجهزة الجنين مجتمعة فهي للتنفس والتغذية والتصفية والافراز والافراغ .. كما تراه مغلف بحجب شفافة رقيقة ثلاث (الامينوسي ، الكوريوني ، والساقط)

ان معظم اجهزة الجنين اكتملت في الخلق وهو يمشي الآن في اتجاه زيادة الوزن ...

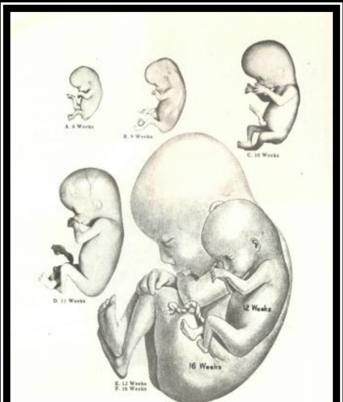


Fig. VII-9. Human embryos between 8 and 16 weeks, actual size. (A) to (D) From photographs of embryos in the University of Michigan Collection. (E), (F) Redrawn, with slight

صورة أخرى توضح مراحل النمو في الجنين Fetus منذ الاسبوع الثامن الى الاسبوع السادس عشر.

---

[1] يمكن الرجوع إلى بحث " الحياة والروح " وبحث " الموت " في الباب الخامس.

خُلِقَ الإنسان في أحسن تقويم

خلافاً لكل نظريات الإلحاد والشرك والكفر، وخلافاً لكل آراء ومعتقدات أصحاب الديانات الوضعية، ينظر الإسلام بلسان القرآن الكريم، وبلسان رسوله الأمين، وبأيمان أتباعه، إلى الإنسان نظرة تختلف اختلافاً جوهرياً وبالكامل عن جميع النظرات الأخرى.

في حين ينظر للإنسان من أعمى الله قلوبهم أنّه آثم خاطيء بالوراثة، أو أنّه من سلالة القرود والسعادين، أو أنه قريب من نسل الكلاب والحشرات؛ ماسخين إياه في أحط صورة؛ واصفين أصله بالوضاعة المتناهية وبالتالي حقارة ودناءة هذا المنشأ. وفي حين يعتبره بعضهم مادة للبحث يستخدمونها لإجراء التجارب عليها في معاملهم ومختبراتهم، وحقل تجارب واستكشاف لدى علماء النفس والاجتماع. فإنَّ الإسلام ينظر إليه نظرة تبجيل واحترام. فهو في نظر الإسلام مخلوق خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، صاحب أجمل صورة. وأنّ الله صوره فأحسن التصوير.

نعــم، إنه الإنسان الذي سجدت له ملائكة الرحمن، الإنسان الذي كرّمه الله وزينه بالسمع والبصر والفؤاد والإدراك والتمييز وحُسن الصورة وجمالها.

قال تعالى من سورة الانفطار: **(يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ۞ الذي خلقك فسواك فعدلك ۞ في أي صورة ما شاء ركبك ۞)**[657]

وقال تعالى من سورة غافر: **(الله الذي جعل لكم الأرضَ قراراً والسّماء بناءاً وصوركم فأحسَنَ صُوركم وَرَزَقَكُم مِنَ الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ۞)**[658]

وقال تعالى من سورة التغابن: **(خلقَ السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ۞)**[659]

ومن سورة المُلك: **(هُوَ الذي أنشأكم وَجَعَلَ لكمُ السّمْعَ وَالأبْصارَ وَالأفئدةَ قليلاً ما تشكرونَ ۞ قُلْ هُوَ ذرأكمْ في الأرْضِ وَإليْهِ تُحْشَرونَ ۞)**[660]

ومن سورة التين: **(لقدْ خلَقنا الإنسانَ في أحْسَنِ تقويمٍ ۞)**[661]

---

[1] الانفطار: (6 – 8).

[1] غافر: (64).

[2] التغابن: (3).

[3] المُلك: (23–24).

[4] التين: (4).

ومن سورة الإسراء: **(وَلَقدْ كرَّمْنا بني آدَمَ وَحَمَلناهُمْ في البَّرِ وَالبَحْرِ وَرَزَقناهُمْ مِنَ الطَّيِباتِ وَفَضَلناهُمْ على كثيرٍ مِما خلقنا تفضيلاً ۞)**[662]

وفي تفضيل الله تعالى الإنسان على غيره من المخلوقات يقول محمد بن جرير الطبري في تفسيره: (إنَّ التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوانات بالفم، وروي عن إبن عباس والكلبي ومقاتل نفس ذلك، وقال الضحاك: كرّمهم بالنطق والتمييز، وقال عطاء: كرّمهم بتعديل القامة وامتدادها، وقال يمان: بحُسن الصورة)[663] وله أيضاً: (بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم) وقال آخرون: (بالكلام والخط، وقيل بالفهم والتمييز)[664]

وقال القرطبي في تفسيره مُرَجحاً: (والصحيح الذي يعول عليه أنَّ التفضيل إنّما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رُسُله، إلا أنّه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بُعِثت الرّسُل وأرسلت الكتب)[665]

أما ابن كثير فيقول في تفسيره: (يخبر الله تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كقوله تعالى "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"[666]، أن يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه به ذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية.....)[667]

وقال العلامة الشيخ تقي الدين النبهاني، في كتابه "التفكير": (إنَّ الإنسان هو أفضل المخلوقات على الإطلاق، حتى لقد قيل ~ وهو قول حق ~ إنَّه أفضل من الملائكة، والإنسان فضله إنّما هو في عقله، فعقل الإنسان هو الذي رفع شأن هذا الإنسان وجعله أفضل المخلوقات)[668]

وأورد محمد علي الصابوني في تفسيره: (أي لقد شرفنا ذرية آدم على جميع المخلوقات: بالعقل والعلم والنطق وتسخير جميع ما في الكون لهم... وفضلناهم على جميع من خلقنا من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات من الجن والبهائم والدواب والوحش والطير وغير ذلك)[669]

---

[5] الإسراء: (70).

[6] تفسير القرطبي، جلد (10) صفحه (294) أيضاً: تفسير الطبري، جلد (15)، صفحه (126).

[7] المصدر السابق.

[1] تفسير القرطبي، جلد (10)، صفحه (294).

[2] التين: (4).

[3] – تفسير ابن كثير ، مجلد (3) ، صفحه (52).

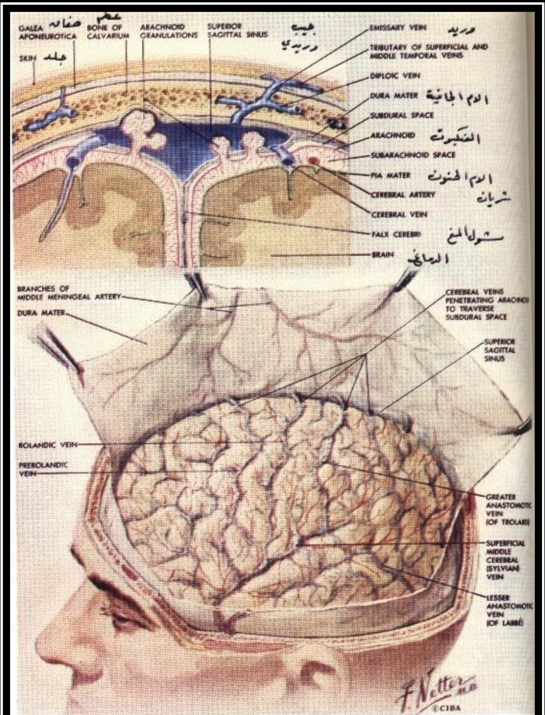
[4] النبهاني – الشيخ تقي الدين، كتاب " التفكير "، صفحه (5).

[5] الصابوني – محمد علي، صفوة التفاسير، جلد (2)، صفحه (170).

وأمّا صاحب الظلال فيقول: (ذلك وقد كرّم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه، كرّمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان!! وكرمه بالاستعدادات التي أودعها في فطرته، والتي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ فيها الكمال المقدر للحياة..... وكرّمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك..... وكرّمه بذلك الاستقبال الضخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جلّ شأنه تكريم الإنسان)[670]

قال عالِم التطور "ميلرش *H.Mellersh*" في كتابه "تاريخ الإنسان": (إنّ دماغ الإنسان يختلف عن أدمغة بقية الحيوانات، وهو يشكل حدثاً جديداً في الحياة. وكل الأجناس البشرية تتمتع بهذه المزية... فأقوام أستراليا البدائيون يستطيعون أن يتثقفوا في بحر جيل واحد، وهذا يدل على أنّ الإنسان سواء أكان شرقياً أو غربياً، متمدناً أو بدائياً، يتمتع بالقدرات العليا ذاتها. وهذا ما أقرّه العِلم! فالهوّة إذاً سحيقة بين الإنسان والحيوان)

أمّا مجلة "لايف *Life*" فقد كتبت في عددها الصادر بتاريخ *1963/06/28*، شارحة تفوق الدماغ الإنساني تقول: (لخلايا الدماغ العصبية آلاف الاتصالات بعضها ببعض، وهناك اتصالات إضافية بفضل الكمية العليا من القشرة الدماغية التي تضاعف القدرة أضعافاً لا نهاية لها على استقبال وتحليل المعلومات. وهذه القدرة الاعتيادية تجعل الدماغ الإنساني بمنزلة رفيعة لا تُدانى بالنسبة إلى باقي الكائنات الحية)



من هنا نبعت الحضارة، مركز الادراك والتفكير والذاكرة، ان الدماغ يحوي ١٣ مليار خلية عصبية موزعة على القشر ومختصة بمئات الوظائف وتشكل فيما بينها حلقة اتصال مدهشة ، ويغلف المخ بثلاث أغلفة ينساب فيما بينها سائل رقراق كماء النبع كما في الصورة مما دعا علماء الفضاء الى تصميم حماية المركبة الفضائية بنفس الطريقة .

وبالتالي فالهوة سحيقة جداً بين الإنسان وبين الحيوان، أو حتى بين الإنسان وبين أي مخلوق آخر، فلو كانت نظرية النشوء والارتقاء المادي أو جميع نظريات التطور المادي الأخرى صادقة لما كانت تلك الهوة السّحيقة، بل لكان التقارب النسبي واضحاً.

يقول علماء التطور المادي بوجود مراحل للذكاء، ولكننا لا نعلم بوجود ذلك مطلقاً، بل إنّ ما نعلمه "أنَّ *90*% من الناس أذكياء، فعامة الناس أو أكثرهم أذكياء، والنادر هم البلداء أو الأغبياء،

---

[1] قطب – سيد، في ظلال القرآن، جلد (4)، صفحه (2241).

وهذا النادر لا حكم له." وهذا الرأي هو ما قال به العلامة النبهاني في كتابه "سرعة البديهة".[671]

كما يزعم علماء التطور المادي بأنّ الإنسان المعروف باسم "إنسان ما قبل التاريخ" والذي يدّعون أنه انقرض كان يمثل الحلقة الوسطى. فلماذا عاشت هذه الحلقات الدنيا مثل القردة بينما انقرض إنسان ما قبل التاريخ، مع العِلم أنّ المفروض فيه حسب منطوق ومفهوم نظرياتهم أن يكون أرقى من القردة بكثير وأصلح للبقاء؟ وما الدليل على ذلك إن وُجد؟.

ويقول داروين: **(قد يكون للإنسان عذره في أن يشعر بشيء من الكبرياء لأنه ارتقى إلى ذروة السّلم العضوي، ولو أنّ ذلك الارتقاء لم يكن نتيجة لجهده الخاص. وإذا كان الإنسان قد ارتقى إلى مكانه الذي يحتله الآن، ولم يوجد في الأصل ومنذ البداية في هذا المكان فإنَّ ذلك خليق بأن يعطيه بعض الأمل في مصير أفضل في المستقبل البعيد... "ومع ذلك"... ورغم كل هذه القوى المثيرة فلا يزال الإنسان يحمل في هيكله المادي وصمَةً لا يمكن محوها تشير إلى أصله الوضيع)**[672]

وصمة الأصل الوضيع!!!! هكذا ينظرون للإنسان وأصله، ونحن نقول ومعنا كل الأدلة الدامغة التي تؤكد صحة قولنا؛ وتنفي نفياً قاطعاً ادعاءات وترهات داروين والتي نسجها من خياله الواسع!!!! نقول: نعم، لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم... إنّه الإنسان العاقل، الذي علمه الله، وزينه بالعقل والإدراك. إنّه الإنسان الأول "آدم عليه السّلام" الذي هو نفس الإنسان الحالي بجميع أوصافه التي نراها وندركها. لم يتبدّل ولم يتغير ولم يتطور. وله أن يفخر بأصله بحق، وله أن يفخر بأنّ الله قد فضله على جميع مخلوقاته، إذ اختاره من دون المخلوقات جميعها ليهبه العقل المميز، وأن يُسّخِرَ له ولمنفعته كل ما خلق. الإنسانُ الذي خلقهُ الله في أحسن تقويم.

---

[1] النبهاني – الشيخ تقي الدين، سرعة البديهة، صفحه (23).

[2] دورية " عالم الفكر "، المجلد الثالث، العدد الرابع (1973)، صفحه (152).

من هو الأصلح للبقاء ؟

إنَّ الخلود في هذه الحياة الدُنيا ليس هدفاً للمسلم، وليس غاية يُسعى لتحقيقها، فالمسلم يعتبرها دار امتحان ومعاش وعبادة؛ وهي دار ممر إلى حياة الخلود التي لا يموت الإنسان فيها ولا يشقى، فعقيدة المسلم أنَّ الإنسان قد وُجِدَ في هذه الحياة الدنيا فترة من الزمن ليعبد الله ويُقدسه، قال تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)**[673]

أمّا فكرة "الصراع" فهي فكرة استعمارية كافرة نشأت وأنشأت في عصر النهضة الاستعمارية، تلك النظرية التي تعتمد على القوة كوسيلة لغلبة القوي على الضعيف، فهي شريعة الغاب التي سادت في الحروب الاستعمارية وانطبعت فيها العقلية الجاهلية.

والصراع لغلبة القوي على الضعيف هي فكرة مادية لا أخلاقية، تهدف إلى الاستيلاء على موارد الغير بالقوة والعنف، وبسبب حمل المجتمعات الجاهلية لتلك الفكرة كانت الحروب العالمية والثورة الفرنسية، كما كانت السبب في ظهور الفاشية والنازية والشيوعية والقومية؛ ولنفس السبب قامت الحروب الصليبية وغزواتها على بلاد المسلمين. **وبهذا** المنطق احتلت روسيا الشيوعية أفغانستان المسلمة.

وما الحرب التي دارت رحاها حديثاً، ولا تزال آثارها ومصائبها إلى اليوم وفي هذه اللحظات على أرض الإسلام من أراضي الخليج العربي والتي أسموها "حرب الخليج" أو "عاصفة الصحراء" أو "حرب تحرير الكويت"، والتي قادتها قوى الكفر والشر بقيادة رأس معسكر إبليس الولايات المتحدة وغيرها من الدول الصليبية الكافرة مثل رؤوس الكفر والحقد بريطانيا وفرنسا، إلا صراع لتحقيق غلبة القوي المتغطرس المتمثل في الدولة العظمى الأولى وحليفاتها، على الضعيف المحدود القوة المتمثل في العراق، للاستيلاء على خيرات وموارد بلا د المسلمين، ولإجبار المسلمين على الخنوع لصلف وغطرسة الكفرة. ومما يعزز هذا ما نراه من تصرفات حاقدة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، المتمثلة في استغلال اسم "هيئة الأمم" و "مجلس الأمن" وما يسمى بِ "الشرعية الدولية" لتركيع وتجويع شعب العراق المسلم وإذلاله، وقتل الشيوخ الرّكع والأطفال الرّضع والبهائم الرّتع، وإهلاك الزرع والحرث والنسل. يُساندهم في ذلك كل قوى الشر والكفر والعدوان في شرقي العلم وغربيه على اختلاف مللهم ونحلهم وعقائدهم!!!!

[1 الذاريات: (56).

وعلى إثر تفجيرات يوم الثلاثاء المشهود *2001/09/11*، في مدن نيويورك وواشنطن الأمريكيتين، هذا الحادث الذي أظهر عجز الدولة العظمى عن حماية بلادها ورعاياها، وكشف البرقع الشفاف من الجبروت والخيلاء الذي يخفي هوان وعوار تلك الدولة العظمى وقلة حيلتها، فقام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "بوش الإبن" بالسير على نهج وسلف وجبروت أباه، وبأسلوب رعاة البقر الشائع في أمريكا *Cowboy*، فأعلنها حرب صليبية حاقدة كافرة ضد الإسلام والمسلمين، بادعاء محاربة الإرهاب، فجَيَّشَ الجيوش وحَشدَ الحُشود، وجمع دول "أصحاب الفيل" في تحالف آثم حقود ضمّ دول الصليب الحاقد جميعاً من بريطانيا إلى فرنسا إلى إيطاليا ألذي استعرض حاكمها عضلاته واستغلها فرصة لمهاجمة حضارة الإسلام، وبقية دول الصليب بلا استثناء، كما ضم هذا التحالف الكافر دول الكفر الأخرى كروسيا الأرثوذكسية واليابان الوثنية، وقد قام هذا التحالف أيضاً باسم "الشرعية الدولية" وضم فيه معظم الدول القائمة في العالم الإسلامي عرباً وعجماً بمن فيهم حاكم السودان صاحب العمامة البيضاء والذي أوهم سذج ورعاع الأمة يوماً أنّه إمام المسلمين وخليفتهم!!! ومن شابه منهم أبو جهل وأبو لهب وأبو رغال وأرناط وشاور، والهدف المُعلن كان مكافحة الإرهاب ولقتل الشيخ أسامة بن لادن رئيس تنظيم القاعدة، للشك بلا دليل ثابت في اشتراكه في تدبير الحادث اللهم إلا الظن والهدف الحاقد، ولمعاقبة دولة أفغانستان لحمايتها له. ومما يثبت كذب ادعائهم هذا إعلان كبرائهم استمرار الحرب لمدة طويلة، وإعلانهم أنها ستطال شعوب ودول ومنظمات وجمعيات عدة كلهم عرب ومسلمين، وتهديدهم كل دول العالم بأسلوب هوليودي بأن من لم ينضم معنا فهو مع الإرهاب!!!

وصب أصحاب الفيل جام غضبهم على أصحاب العقيدة والمبدأ، وأمطروهم خلال مدة تقارب الشهرين بل تزيد، بوابل من حمم النار والقنابل المدمرة على اختلاف أنواعها، المحرمة في قوانينهم وغير المحرمة على السواء، تصبها عليهم أحدث الطائرات الحربية، والمنطلقة من مطارات وقواعد حربية في بلاد المسلمين، فدمروا البلاد، وهدموا المساجد والمصحات، وقتلوا الأطفال والشيوخ والجياع العراة، وشردوا الناس الذين هاموا على وجوههم في الفيافي والقفار هاربين من البلاء إلى الضياع، وارتكبوا كل أنواع المنكرات، وقاموا بأبشع أنواع الإرهاب الذين يدعون محاربته، وكشفوا عن مكنون الغل والحقد الذي تخفيه نفوسهم. حتى امتد غلهم وحقدهم إلى مواطنيهم من حملة الجنسية الأمريكية من المسلمين فاعتدوا عليهم بالقتل والسجن والتعذيب ومصادرة الأموال وتحريق البيوت وكشف عورات النساء، وكل ما يعد مخالفاً لقوانينهم ومبادئهم، وداسوا الحرية الشخصية للأفراد أمام صنمهم المعبود "تمثال الحرية".

والهدف الحقيقي لهذه الحملة الصليبية الحاقدة الكافرة والتي قادها رعاة البقر، هو بسط سيطرتهم وجبروتهم على مدن العالم الإسلامي، لاستغلال مواردهم ونهب خيراتهم، وسرقة أموالهم، (وقد فعلوها علانية بتدخلهم في ودائع الأشخاص والهيئات في بنوك العالم، ومصادرة ما يشاءون منها خلافاً لقوانينهم وتشريعاتهم، قوانين الصليب والغاب وقوانين رعاة البقر، واعتداءاً صارخاً على الملكية الفردية). وللحيلولة بين هذه الأمة الكريمة وبين نهضتها وبعثها من مرقدها. إنّه الصراع بين الحق والباطل.

وأخيراً قيام إمبراطورية الشر "الولايات المتحدة الأمريكية" وحليفاتها بتاريخ *2003/3/20*م بشن حرب صليبية غاشمة على العراق ومن ثم احتلاله بالكامل يوم *2003/4/9*م واستعماره بعد معركة صبوا بها جميع أنواع وحمم الأسلحة المتطورة الفتاكة من قنابل إنشطارية جهنمية وصواريخ محتوية اليورانيوم المنضب والغير منضب على السواء، فدمروا البلاد وقتلوا العباد ومثلوا بجثثهم، ونهبوا الخيرات وأهلكوا الحرث والنسل، وروعوا الناس، وهتكوا الأعراض، وعاثوا في البلاد الفساد، يساندهم سراً وعلانية جميع دول الصليب الأوروبية بما في ذلك فرنسا وألمانيا وروسيا علاوة على بريطانيا وأسبانيا واستراليا... كما شاركهم وساعدهم في ذلك صراحة كل المحافل السياسية العالمية ومنها الأمم المتحدة ومجلس الأمن وسكرتير عام الأمم المتحدة ومنظمة الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسان وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ووفود الدول العربية في الأمم المتحدة، وحجتهم في ذلك عن "أسلحة الدمار الشامل" التي ليس لها وجود!!!!

لم تعتمد صراعاتهم مبدأ عدل يسعون لنشره، أو إصلاحاً يعملون لتحقيقه، أو دعوة حق يحملون لوائها، بل من أجل المادة والاستعمار والتسلط، والتحكم في مصائر البشر ومصادر رزقهم وعيشهم، واستغلالهم ونهب أموالهم وموارد بلادهم وخيراتها.

[وأصل فكرة الصراع هي نظرة التفكير الرأسمالي بالعيش، وما صاغ به الحياة الإنسانية كلها من صياغة معينة، تُري ما جلبت هذه الصياغة للحياة الإنسانية كلها من شقاء وتعاسة، وجعل الإنسان يقضي حياته كلها يركض وراء الرّغيف. وكيف جعلت العلاقات بين الناس علاقات خصام دائم، هي علاقة الرّغيف بيني وبينك آكله أنا أو تأكله أنت، فيستمر بيننا الصراع حتى ينال أحدنا الرّغيف ويحرم منه الآخر، أو يعطي أحدنا ما يبقيه ليوفر باقي الرّغيف للآخر ويزيد من خبزه. **فنظرة واحدة لهذه الصياغة التي صاغها التفكير الرأسمالي للحياة تُري كيف جعلت الحياة الدنيا دار شقاء وتعاسة، ودار خصام دائم بين الناس.**

وذلك بأنّ التفكير الرأسمالي بالعيش، وإن كان قد بناه على فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة، أي وإن كان بناه على فكرة كلية أي نظرة معينة في الحياة، **فإنّه وإن حقق نهضة الشعوب والأمم التي سارت على هذا الطراز من التفكير بالعيش، فإنّه أشقى تلك الشعوب والأمم، وأشقى الإنسانية بأجمعها.** فهو الذي خلق وأوجد فكرة الاستعمار والاستعباد والاستغلال. وهو الذي أتاح لأفراد أن يعيشوا في مستوى هيأ لهم أن يأخذوا الرسائل التي تأتيهم على طبق من ذهب يقدمه إليهم الخدم، أي العبيد، وحرم أفراداً حتى من أن يكونوا خدماً وعبيداً لأبناء عائلاتهم أو عشيرتهم أو أمتهم يستطيعون أن ينعموا بفضلات العيش وفتات الموائد. وفي أمريكا الغنية المتغطرسة، وإنجلترا التي لا تزال تحلم بأمجاد الإمبراطورية المتناهية الأطراف، وفي فرنسا التي يسبح خيالها بسراب العظمة والمجد، نماذج عديدة من تلك الحياة، فضلاً عما فعلته فكرة الاستعمار

والاستغلال في غير أوروبا وأمريكا من استعباد ومص دماء. وكل هذا إنّما كان لأنّ التفكير بالعيش ليس تفكيراً مسؤولاً، أي ليس تفكيراً فيه المسؤولية الحقيقية، حتى وإن كانت تظهر فيه أحياناً المسؤولية عن العائلة والعشيرة أو القوم أو الأمة، ولكنه في حقيقته خالٍ من المسؤولية، لأنه ليس فيه إلا ما يضمن الإشباع[674]

لقد استغل دعاة العنصرية نظرية "داروين" في القول ببقاء الأصلح، مبرراً لاضطهاد الشعوب الملونة، وغالوا في ذلك حتى أنكروا حق النفس السّوداء – نسبة إلى لون البشرة – في الوجود على نحو ما عبر عنه "مونتسيكو" في كتابه، وفي ذلك يقول "الدكتور محمد بدوي" في كتابه "كتاب التطور": (استطاع العنصريون أن يتخذوا من نظرية داروين البيولوجية أساساً لنظرية اجتماعية داروينية، بمعنى أنّهم نادوا بما يسمى بالاختيار الاجتماعي ليقابل مبدأ الاختيار، ومن ثم فإن المجتمع يختار أصلح من يقود هذه المجتمعات في امتياز بعض الشعوب على بعضها الآخر.)

وفي طريقة تعامل بيض البشرة من الشعوب الصليبية الوافدة حديثاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية، الدولة الأولى في العالم، وقائدة ما يسمى بالعالم الحر، ورائدة الديموقراطية العفنة، تلك الدولة التي تتبجح وتتباهى بأنها بلد الحريات، مع أهل البلاد الأصليين سود البشرة "الزنوج"، أبشع صور لتلك النظرة ووصمة عار لا تمحى في جبين عالم القرن العشرين وفي جبين ذلك النظام الديموقراطي الفاسد العفن. كما يماثلها ويقاربها في البشاعة والانحطاط عنصرية المستعمر الصليبي الكافر تجاه الأفارقة سود البشرة في بلادهم المحتلة في جنوبي أفريقيا ووسطها وشرقها وغربها وشمالها، وفي مناطق متعددة من العالم، والمصائب التي حلت بهم من المستعمر الكافر إنجليزي وفرنسي وإيطالي وأسباني وبرتغالي وهولندي ومن كل هؤلاء الكفرة على اختلاف جنسياتهم سواء بسواء. تلك العنصرية الرعناء التي تنظر إلى هؤلاء الناس وتعاملهم على أنهم ليسوا نوعاً من البشر الذي ينتمون إليه. وفي هذا يقول "جوان توماس" في كتاب "خرافات عن الأجناس":

(إنَّ الاستعمار يحاول تبرير القول بأنَّ الزنجي ليس أحط من الرجل الأبيض فحسب، بل أنّه لا يختلف إلا بقدر يسير عن الحيوان وإنّ نظرية داروين الخاصة ببقاء الأصلح رَحَبَ بها البيض واعتبروها وسيلة لتدعيم سياسة التوسع والعدوان على حساب الشعوب المنحطة. وبناء على ذلك اعتقد الأبيض أنَّ استعباد أو إفناء المجموعات البشرية المنحطة بواسطة الرصاص الأوروبي ليس إلا تنفيذاً لنظرية استبدال مجتمعات منحطة بأخرى راقية.

[1] النبهاني – الشيخ تقي الدين، كتاب " التفكير " صفحه (78 – 79).

لقد رَحَّبَ الماديون بفكرة داروين لأن عقيدتهم تقوم على العنف وصراع الطبقات، ولم يكن الدّافع لتبني نظرية داروين الأدلة العلمية – فهي أبعد عنها – وإنّما كان مذهبهم السياسي، علاوة على أنَّ نظرية نشوء الإنسان من الحيوان تلائم النظرة المادية الشيوعية.

لقد ذكر القرآن الكريم أنّ الصلاح هو سبب بقاء الأمم والحضارات في الدنيا، وسبب تغلب الضعفاء العقائديين المتقون على الأقوياء الكفرة. وأنّ الفسق والفجور والضلال والعصيان والكفر والإلحاد والشرك والوثنية والجاهلية هم سبب الهلاك والزوال وانتقام الله، وفي ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران:

(إنَّ الذينَ كفروا لن تُغنيَ عَنهُمْ أمْوالهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأوْلئِكَ هُمْ وَقودُ النّارِ ۞ كدَأبِ آلِ فِرْعَونَ والذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذّبوا بِآياتِنا فَأخذهُمُ اللهُ بِذُنوبِهِمْ وَاللهُ شَديدُ العِقابِ ۞ قُلْ للذينَ كفروا سَتُغلبونَ وَتُحْشَرونَ إلى جَهَنَّمَ وَبِئسَ المِهادُ ۞ قدْ كانَ لكُمْ آيَة في فِئتينِ التقتا فِئة تُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ وَأُخرى كافِرَة يَرَوْنهُمْ مِثليهِمْ رَأيَ العَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِدُ مَنْ يَشآءُ إنَّ في ذلِكَ لعِبْرَةً لأولي الأبْصارِ ۞)[675]

هذه النظرة التي طرحها الإسلام بمفاهيمها وقيمها الإنسانية الكريمة عن النزاع القائم في الحياة الدنيا. فرفع الإنسان فكرياً وسلوكياً عن مستوى الغاب وشريعته التي تنادي بالبقاء للأقوى، إلى المستوى الإنساني الفاضل الذي ينادي بالبقاء للصالح فعلاً. فهلاك الأمم والشعوب واندثارها هو بسبب الذنوب والمعاصي والآثام، منذ خلق الله الأرض ومن عليها، وإلى أن يرثها ومن عليها، وفي ذلك قوله تعالى من سورة الأعراف: **(أوَ لمْ يَهْدِ للذينَ يَرِثونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِها أنْ لوْ نَشاءُ أصَبْناهُمْ بذنوبِهِمْ وَنَطبَعُ عَلى قُلوبِهِمْ فَهُمْ لآ يَسْمَعونَ ۞ تِلكَ القرى نَقُصُّ عَليْكَ مِنْ أنْبائِها وَلقدْ جائتهُمْ رُسُلهُمْ بالبَيناتِ فما كانوا لِيُؤمنوا بِما كَذّبوا مِنْ قبْلُ كَذلِكَ يَطبَعُ اللهُ على قلوبِ الكافرينَ ۞)**[676] وقوله تعالى من سورة الكهف: **(وَتِلكَ القرى أهْلكناهُمْ لمّا ظلموا وَجَعَلنا لمهلكهم مَوْعِداً ۞)**[677] وقوله تعالى من سورة يونس: **(وَلقدْ أهْلكنا القرونَ مِنْ قبْلكمْ لمّا ظلموا ۞)**[678]

وليس ببعيد عن أذهاننا قصة فرعون حين علا وتغطرس وتجبر ببني إسرائيل، ولم يكن المنتصر فيها القوي الجبار المتغطرس، بل كان المنتصر الفئة المؤمنة المستضعفة. وفي ذلك قوله تعالى من سورة يونس: **(وَجاوَزنا بِبَني إسْرائيلَ البَحْرَ فَأتبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنودُهُ بَغياً وَعَدْواً حَتىّ إذا أدْرَكَهُ الغرَقَ قالَ آمَنتُ أنّهُ لآ إلهَ إلآ الذي آمَنَتْ بِهِ بَنو إسْرائيلَ وَأنا مِنَ المُسْلِمينَ ۞ ءآلنَ وَقدْ عَصَيْتَ**

---

[1] آل عمران: (10 – 13).
[2] الأعراف: (100 – 101).
[3] الكهف: (59).
[4] يونس: (13).

قبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفسِدينَ ۞ فاليَومَ ننَجيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكونَ لِمَنْ خلفكَ آيَةً وَإنَّ كثيراً مِنَ الناسِ عَنْ آياتِنا لغافِلونَ ۞)[679]

لقد قصَّ علينا القرآن الكريم كيف أهلك الله تعالى قوم نوح بالإغراق، وكيف انتقم وأهلك قوم لوط، وكيف انتقم من الفراعنة وكل الجبابرة العتاة، وقصّ علينا من أمثال العذاب والهلاك في الدنيا التي سلطها الله تعالى على الكفرة العتاة الظلمة، علّ ذلك يكون عبرة لكل معتبر. ولنتمعن في هذه الآيات البينات من سورة الأنبياء: **(وَنوحاً إذ نادى مِن قَبْلُ فاسْتجَبْنا لَهُ فنجَيناهُ وَأهْلهُ مِنَ الكَرْبِ العَظيمِ ۞ وَنصَرْناهُ مِنَ القوْمِ الذينَ كذبوا بآياتِنا إنَّهُمْ كانوا قوْمَ سوءٍ فأغرَقناهُمْ أجْمَعينَ ۞)**[680] وقال تعالى من سورة الحاقة: **(كَذّبَتْ ثمودُ وَعادٌ بالقارِعَةِ ۞ فأمّا ثمودُ فأُهْلِكوا بالطاغِيَةِ ۞ وَأمّا عادٌ فأُهْلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ ۞ سَخرَها عَليْهِمْ سَبْعَ ليالٍ وَثمانِيَة أيامٍ حُسوماً فترى القَوْمَ فيها صَرْعى كأنَّهُمْ أعْجازُ نحلٍ خاوِيَة ۞ فهَلْ ترى لهُمْ مِنْ باقِيَة ۞)**[681] وقصص أخرى من قصص الهلاك ومع سورة الفجر: **(ألَمْ تَرَ كَيْفَ فعَلَ رَبُّكَ بعادٍ ۞ إرَمَ ذاتِ العِمادِ ۞ التي لَمْ يُخلَقْ مِثلها في البلادِ ۞ وَثَمودَ الذينَ جابوا الصَّخرَ بالوادِ ۞ فأكثَروا فيها الفَسادَ ۞ فصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ ۞ إنَّ رَبّكَ لَبالمِرْصادِ ۞)**[682] وصورة أخرى هي الهلاك بالمطر ومع سورة النمل: **(وَلوطاً إذ قالَ لِقَوْمِهِ أتأتونَ الفاحِشَةَ وَأنتُمْ تبْصِرونَ ۞ أئِنَّكُمْ لَتأتونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دونِ النِساءِ بَلْ أنتُمْ قوْمٌ تجْهَلونَ ۞ فما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاّ أنْ قالوا أخرِجوا آلَ لوطٍ مِنْ قرْيَتِكُمْ إنَّهُمْ أناسٌ يَتطَهَرونَ ۞ فأنْجَيْناهُ وَأهْلهُ إلاّ إمْرَأتَهُ قدَّرْناها مِنَ الغابِرينَ ۞ وَأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فساءَ مَطَرُ المُنذَرينَ ۞)**[683]

أما المسخ فقد سلطه الله تعالى على قوم من اليهود لعصيانهم أمر الله بصيدهم الحيتان في السّبت وقد حُرّم عليهم ذلك، على قول إبن عباس في رواية عكرمة الواردة في كتاب "المستدرك"، إذ مسخهم الله قردة جزاءَ عصيانهم لأوامر الله تعالى، وفي ذلك قوله تعالى من سورة الأعراف:

(وَاسْألهُمْ عَنِ القرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ إذ يَعْدونَ في السَّبْتِ إذ تَأتيهُمْ حيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبتونَ لا تَأتيهِمْ كَذلِكَ نبْلوهُمْ بما كانوا يَفسُقونَ ۞ وَإذ قالتْ أُمَّة مِنْهُمْ لِمَ تعِظونَ قوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مُعَذِبُهُمْ عَذاباً شَديداً قالوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يتقونَ ۞ فلمّا نَسُوا ما ذكِروا بِهِ أنجَينا الذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ وَأخذنا الذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ بِما كانوا يَفسُقونَ ۞ فلما عَتَوا عنْ ما نُهوا عَنْهُ قلنا لهُمْ كونوا قِرَدَةً خاسِئينَ ۞)[684]

---

[4] يونس: (90 – 92).

[1] الأنبياء: (76 – 77).

[2] الحاقة: (4 – 8).

[3] الفجر: (6 – 13).

[1] النمل: (54 – 58).

[2] الأعراف: (163 – 166).

[وقصة المسخ تلك في جماعة من يهود كانوا يسكنون في إيلات في خليج العقبة، فحرّم الله تعالى عليهم الصيد يوم السبت، فكانت الحيتان تأتيهم ظاهرة مشرعة بكثرة يوم سبتهم، فإذا كان بقية الأسبوع اختفت، وذلك امتحان لهم من ربهم. فابتدأ نفر منهم بوضع الشباك لها يوم الجمعة ويمسكوا بها يوم السبت ليأخذونها يوم الأحد تحايلاً على أمر الله. فلما ظهر فيهم هذا الأمر انقسموا إلى ثلاث طوائف: **طائفة** تحايلت على أمر الله ... **وطائفة** نهت عن المنكر ... **وطائفة** سكتت ...، **وكان** ابن عباس رضي الله عنهما يرى أنّ الذين نجوا هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر منهم فقط، ويرى أنَّ الذين سكتوا وقالوا لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً مع الهالكين... ثم يبكي خشية أن يكون من الذين رأوا المنكر فلم ينهوا عنه وذلك في أيام بني أمية... فجاء مولاه عكرمة وأقنعه بأنّ الذين كرهوا وسكتوا هم الناجون، فسر بذلك رضي الله عنه... وأما الطائفة الثالثة فقد مسخها الله قردة][685]

فيما روي من سؤال عائشة رضي الله عنها عن القردة هل هي ممن مسخ الله من يهود؟ فقالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما جعل الله لمسخ من نسل.)[686]

وفيما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن سأله عن القردة والخنازير هل هي مسخ؟ قال: (إنَّ الله لا يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإنّ القردة والخنازير كانوا من قبل.)[687]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب)[688]

وقد ورد ذكر المسخ من أشراط الساعة عن ابن عمر مرفوعاً: (يكون في أمتي خسف وقذف)[689]

وفيما رواه أبو أمامه: (ليبيتن أقوام من أمتي عن أكل ولهو ولعب، ثم ليصبحن قردة وخنازير)[690] وفي حديث آخر برواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف)[691]

---

[1] تفسير ابن كثير، (2: 158)– تفسير الطبري، (13: 185) – تفسيير القرطبي، (7: 306) – في ظلال القرآن، (9 : 1383) .

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل.

[3] صحيح مسلم.

[4] صفوة التفاسير، (1: 479).

[5] رواه الحاكم ومسلم وأحمد بن حنبل.

[6] رواه الطبراني.

[7] رواه ابن ماجه.

وفيما روته عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال: (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف. قيل يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث)[692]

فنسألك اللهم ونجأر إليك بالدعاء متوجهين إليك مبتهلين وقد خلقتنا في أحسن تقويم، وأكرمتنا بجمال الخَلق وحُسْن الخُلق وأنعمت علينا بنعمتي العقل والإسلام، أن تلطف بنا فيما جرت به المقادير، وأن تثبت قلوبنا على التقوى والأيمان، وأن تُبعد عنا شرّ انتقامك الحق، ونبرأ إليك ربنا من سفهاء قومنا، سواء منهم من الحد أو شكك في جلالك، أو من أشرك بك أو كفر، ومن اتبع خطوات الشيطان من أنس وجان.

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ولا تحملنا ما لا طاقة واعف عنا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فاهدنا الصراط المستقيم وأنر دربنا وأعنا على حمدك وشكرك وحسن عبادتك، وأهلك الكفرة أعداءنا وأعدائك وانتقم منهم انتقام العزيز الجبار.

[5] رواه الطبراني.

النَّسَـــب

اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون المرأة محل الحمل والولادة، لذلك وجب أن تقتصر في التزوج برجل واحد، ومُنِعت من التزوج بأكثر من زوج "الجمع بين الأزواج"، وقد حُرِّم ذلك حتى لا يختلط النّسب بحيث يُمَكنَ كل شخص أن يعرف من انتسب إليه، لذا فقد عني الشرع بثبوت النسب وبيّن حكمه أتم بيان. والله تعالى حين نهى عن جعل العصبية القبلية أن تكون الرابطة بين أبناء الأمة الإسلامية ونهى نهياً جاذماً عن تحكيمها في العلاقات بين الناس، إلا أنه في نفس الوقت أمر بصلة الأقارب وبرهم.[693]

روي أنَّ رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: من أبر؟ فقال: أمك وأباك وأختك وأخاك.[694] وفي لفظ آخر: ومولاك الذي هو أدناك حقاً واجباً ورحماً موصولا.

وعن أسماء بنت أبو بكر قالت: أتتني أمي وهي مُشركة في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا الرسول مع ابنها؛ فاستفتيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فقلت: إنَّ أمي قدمت وهي راغبة. فقال: صلي أمك.[695]

والأقارب رتبوا حسب الأحكام الشرعية إلى قسمين:

1. **أصحاب الفروض والعصبات:** وهم الذين يمكن أن يرثوا الشخص حال وفاته.
2. **أولوا الأرحام:** وهم من لا سهم لهم في الميراث وليسوا عصبة. وهم عشرة: الخال والخالة، الجدة لأم، ولد البنت وولد الأخت، بنت الأخ، بنت العم، العمة، العم لأم، إبن الأخ لأم، ومن أدلى بأحد منهم، وهؤلاء لم يجعل الله لهم نصيباً في ميراث الشخص مطلقاً ولا تجب نفقة أي منهم على الشخص.

إنّ الله قد أمر بصلة الأقارب جميعاً وصلة الرّحم تشمل كل واحد من الأرحام سواء أكان رحماً محرماً أم رحماً غير محرم، من العصبة أو ذي الأرحام، فإنهم كلهم يصدق عليهم أنهم ذوو أرحام.[696]

وقد وردت عدّة أحاديث تحث على صلة الرَّحم وتبين أحكامها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[697]. وعن أنس بن مالك أنّ الرسول صلى الله عيه وسلم قال: (من أَحَبَّ أن

---

[1] النبهاني – الشيخ تقي الدين، النظام الاجتماعي في الإسلام، صفحه (183).

[2] رواه البخاري وإبن ماجة وأحمد بن حنبل.

[3] رواه مسلم في صحيحه.

[1] النبهاني، المصدر السابق.

[2] رواه مسلم واحمد بن حنبل في مسنده.

يُبْسَطَ له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه)[698] وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس الواصل بالمكافيْ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها)[699]

لـــذا فقد تقيد المسلمون بصفاء أنسابهم وحالوا دون اختلاطها، كما اهتم المسلمون بعلم الأنساب، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشهر من عني بتسلسله من السّلف، ودوّن السابقون العديد من المؤلفات في علم الأنساب شارحة تسلسله من آدم أبو البشر عليه السلام إلى أيامهم، وتبعهم من تبعهم إلى يومنا هذا. وقد اهتم المسلمون بهذا العلم، وتسابقت القبائل والعائلات للاحتفاظ بأنسابهم ومصادرها، كما اهتمت المحاكم الشرعية بتدوين الأنساب في سجلاتها، وبالأخص ما يتم بواسطته تنظيم توزيع الإرث على أصحاب الفروض.

ولا خفاء أنّ المعرفة بعلم الأنساب هي من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة، لما يترتب عليها تنفيذ بعض الأحكام الشرعية، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)[700]. وقد ورد الحث على العلم بها واعتبارها في عدّة مواضع منها:

1. العلم بنسب النبي صلى الله عليه وآلهِ وسلم، وأنَّه النبي القرشي المولود بمكة من نسب شريف؛ فلا بدّ لصحة الأيمان من معرفة ذلك، ولا يعذر مسلم في الجهل بنسبه الشريف. وقد ورد في السيرة الشريفة قوله: (أنا النبي لا كذب أنا أبن عبد المطلب)

2. العلم بنسب الأنبياء السابقين ومعرفة قرابة بعضهم لبعض.

3. معرفة الأقارب بعضهم بعضاً، ومعرفة درجة القرابة، حتى يتم بذلك صلة الرحم.

4. التعارف بين الناس حتى لا يُعزى أحد إلى غير آبائه، ولا ينتسب إلى غير أجداده. لقوله تعالى: **(وَما جَعَلَ أدْعِياءكُمْ أبناءَكمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأفْواهِكُمْ وَاللّهُ يَقولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيلَ ۞ إدْعوهُمْ لِآباءِهِمْ هُوَ أقسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإن لَمْ تَعْلَموا آبائَهُمْ فَإخوانِكُمْ في الدينِ وموالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فيما أخطأتمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قلوبُكُمْ وَكانَ اللهُ غفوراً رَحيماً۞)**[701] وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[702] وعن أبي عثمان النهدي عن سعد وأبو بكرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجَنَّة عليه حرام)[703] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية

---

[3] رواه البخاري ومسلم واحمد بن حنبل.

[4] رواه البخاري والترمذي.

[1] رواه الترمذي.

[2] الأحزاب: (4 – 5).

[3] رواه ابن ماجه.

[1] رواه ابن ماجة .

الملاعنة: (أيما امرأة أدخلت على قوم نسباً ليس منهم فليست من الله في شيْ؛ ولن يُدخلها الله الجنة؛ وأيما رجل جحد إبنه وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين)[704] ولقوله تعالى: **(يا أيها الناس إنّا خلقناكم مِن ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)**[705]

5. على هذه المعرفة تترتب أحكام الوراثة فيحجب بعضهم بعضاً، وأحكام الأولياء فيقدّم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف الذري إذا حصر الواقف بعض الأقارب أو الطبقات دون الآخر، وأحكام العاقلة في الدّية حتى تُضرب العاقلة على بعض العصبات دون الآخر، فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك تلك الأمور وتعذر الوصول إليها.

6. اعتبار النسب في كفاءة الزوج والزوجة في النكاح على مذهب الشافعي وغيره.

7. مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة لحديث الرّسول صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع : لدينها وَحَسَبِها ومالها وجمالِها)[706]

8. التفريق بين جريان الرّق على العجم دون العرب على مذهب من يرى ذلك، وهو أحد القولين للشافعي.

---

[2] رواه الدارمي.

[3] الحجرات: (13).

[4] رواه البخاري وأبو داوود والنسائي وأحمد بن حنبل والإمام مالك في الموطأ.

طبقـــات الأنســـــاب

ذهب بعض الفقهاء إلى كراهية رفع النسب، وذهب بعضهم إلى تكذيب من يرفعه إلى أبعد من عدنان، ألا أنَّ كثيراً منهم مثل: البخاري، ابن اسحق، والطبري قد ذهبوا إلى جواز الرّفع في الأنساب احتجاجاً بعمل السَّلف، فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في علم الأنساب بالمقام الأول والجانب الأعلى، وذلك كما يقرر "البغدادي" صاحب "سبائك الذهب" أدلَّ دليل وأعظم شاهد على شرف هذا العلم وقدره لإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم.[707]

والعرب ترجع أصولهم إلى أحد أصلين: عدنان وقحطان. وقسّم النسابون العرب إلى ستة طبقات:

1. **الشّعْب :** وهم مجموعة الناس المنتسبون إلى أرومة واحدة؛ والعرب كلهم شعب واحد، ويُعَرَّف الشعب عندهم أنّه النسب الأبعد كعدنان، والجمع شعوب.
2. **القبيلة :** وهي ما انقسم من الشّعب كربيعه ومضر، وسميت قبائل لتقارب الأنساب فيها، والجمع قبائل.
3. **العمـــارة :** وهي ما انقسم من أنساب القبائل كقريش وكنانة، والجمع عماير.
4. **البطــــن** والجمع بطون، كبني عبد مناف وبني مخزوم.
5. **..** والجمع أفخاذ وفخوذ، كبني هاشم وبني أمية وبني شيبة.
6. **الفصِيلة** والجمع فصائل، كبني العباس وبني عبد المطلب.

وهذا الترتيب هو المعتمد لدى كثير من أصحاب هذا العلم مثل: البغدادي في "سبائك الذهب" والماوردي في "الأحكام السلطانية" والزمخشري في تفسيره، وغيرهم.[708] وقال النووي في "تحرير التنبيه": وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة. وقال الجوهري: وعشيرة الرجل رهطه الأدنَوْن. وروى أبو عبيد عن ابن الكلبي عن أبيه: تقديم الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم الفخذ. وأضاف بعضهم طبقة سابعة على ما ذكر وهي "الحي" ~ جمعها أحياء ~ وهي أقسام كل الفصائل.[709]

جاء في "لسان العرب": فخذ الرجل ~ نفره من حيه الذين هم أقرب عشيرته إليه، والجمع فخوذ وأفخاذ، وهو أقل من البطن ~. وأولها الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ، وهي القطعة من أعضاء الجسد. وأمّا الذي في الحديث: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه: (وأنذر عشيرتك

---

[1] البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، صفحه (7).

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

الأقربين)[710] بات يُفخِذُ عشيرته أي يدعوهم فخذاً فخذاً. يقال فَخَذَ الرّجلُ بني فلان إذا دعاهم فخذاً فخذا. ويقال: فَخَذْتُ القوم عن فلان أي خذلتهم. وفخذت بينهم أي فرقت وخذلت.[711]

[3] الشعراء: (214).

[4] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، الصفحات (501 – 502).

التفـاخـر بالأنسـاب

لقد اهتم الإسلام بحفظ الأنساب، ومعرفة ما يتحقق بمعرفته تحقق بعض المعارف الشرعية، وتنفيذ بعض الأحكام الشرعية على ما ورد سابقاً، فوجب حفظ الأنساب وصيانتها وعدم ضياعها. إلاّ أنّه قد ذمَّ وحرّم التفاخر بالأنساب، ونهى عن العصبية القبلية أن تكون الرابط بين المسلمين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(**كلكم بنو آدم؛ وآدم من تراب؛ ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**)**[712].

وفي الترمذي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم خطب بمكة فقال: (..يا أيها الناس: إنَّ الله قد أذهب عنكم عَبِّيَةَ الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي على الله، ورجلٌ فاجر شقي هيّن على الله، والناس بنو آدم وآدم من تراب)[713] وينسب لعلي كرّم الله وجهه:[714]

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم وأمهم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	وأعظم قد خلقت وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل الفضل إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الحجرات: **(يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)**[715]، يقول "شيخ زاده": **[**والمعنى أنَّ الحكمة التي من أجلها جعلكم شعوباً وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض ولا تنسبه لغير آبائه، لا أن تتفاخر بالأنساب والأجداد، والنسب وإن كان يُعتبر عُرفاً وشرعاً حتى لا تتزوج الشريفة بالنبطي، إلا أنّه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدراً منه وأعز وهو الإيمان والتقوى، كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشّمس)[716]. لذا فيقتصر في معرفة الأنساب على ما أمر الشرع بمعرفته فقط، دون التفاخر بذلك، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)[717] ولقوله أيضاً: (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام ما فقهوا)[718]

---

[1] رواه أبو بكر البزار في مسنده من حديث حذيفة.

[2] رواه الترمذي.

[3] تفسير القرطبي: 16: 243.

[4] الحجرات: (13).

[1] شيخ زادة، حاشية شيخ زاده على البيضاوي، 3: 375.

[2] رواه الترمذي.

[3] الملاحق بخاري والنسائي.

إنَّ التفاخر بالأنساب هي عادة جاهلية مقيتة ممجوجة شرعاً درجت في الجاهليتين الأولى والمعاصرة، فقد تباهى الإغريق بأصولهم، واعتبر الجرمان أنّ نسبهم هو أرفع الأنساب على الإطلاق وكذا العبرانيون، وارتبط العرب بقبائلهم وتفاخروا بالانتساب إليها، وهذا التفاخر هو العصبية القبلية الموصلة إلى أدنى الروابط البشرية وأحطها على الإطلاق ألا وهي "الوطنية والقومية"، وقد حرّم الإسلام ذلك معتبراً إياها من دواعي الجاهلية النتنة لما تقدم ولقوله صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها جيفة منتنة) معتبراً أنّ ما يُفتخر به هو التقوى وصالح الأعمال وليس النسب.

شـــجرة النَّســـب

لقد اهتم المسلمون بمعرفة وحفظ الأنساب، وكتبوا العديد من الكتب والموسوعات والمعاجم في هذا العلم، ولقد حوت أمهات الكتب ومشاهيرها تفصيلاً شاملاً لأنساب الناس عموماً والعرب تخصيصاً، بحيث رفعها بعضهم إلى آدم عليه السلام، وكان أكثر ما أولوه من عناية واهتمام نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأشراف الأطهار، كما اختصّ بعضها بأنساب طبقات وشرائح معينة من مشاهير المسلمين كالصحابة والخلفاء والفقهاء والرواة والمفسرين والنُحاة والقضاة والأدباء والشهداء وقادة الفتح وغيرهم...

كما حوت سجلات ووثائق المحاكم الشرعية في أُمهات المُدُن الإسلامية تفصيلاً لأنساب المسلمين[719] واهتمت نقابات الأشراف بتدوين أنساب آل البيت وأعقابهم من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا[720] واهتمت العائلات بتدوين وتوثيق أنسابها وإشهاد الشهود من قضاة وشيوخ ومشاهير الناس عليها، وتسجيلها في المحاكم والمؤسسات والدوائر المختصّة[721]، منها ما تم طباعته ونشره وتوزيعه على الناس، أو على المكتبات العامة، ومنها ما بقي كمخطوطات احتفظ بها أصحابها لأنفسهم دون نشر لسبب أو لآخر.

ونسب آل الشرباتي على سبيل المثال قد تم استخراجه من سجلات ووثائق "محكمة صفد الشرعية" حيث كان مدوناً في سجلاتها تحت اسم "نسب السادات السّعدية والبهجة السّنية" إلى أن قام نفر خير من أفراد العائلة باستخراجه وتصديقه وإشهاد الشهود عليه[722] وتم الاحتفاظ به كمخطوطة موثقة في خزائن بيوتهم دون نشر عشرات السنين إلى الآن، حيث قامت العائلة مؤخراً بفتح واستعراض محتويات هذا النسب الشريف "المخطوطة المستوفية التصديق" وعهدت إلي بإكمال ما استجد من أنساب بعد ذلك وإلحاقها بالأصل حسب القواعد والأصول المتبعة. فأدعوه تعالى أن يوفقني على إنجاز هذا العمل بالصدق والحق خير إنجاز.[723]

وقد درج الناس على إطلاق مصطلح "شجرة النّسب" على الوثائق الخاصة بتسلسل أنسابهم، واستكمالاً للفائدة فقد آثرت أن يلحق بهذا البحث أنساب آل البيت وأنساب بعض مشاهير الصحابة وقادة الفتح أعلام الإسلام ونجومه، علماً أنّ في حوزتنا مراجع مفصلة لمعظم أنساب الناس بتسلسل فريد يتصل بآدم عليه السلام، إلا أنّ موضع تفصيلها ليس هذا البحث المحدود الهدف.

---

[1] الملاحق : انظر النموذج (13 – 14 – 15) .

[2] الملاحق: انظر النموذج (12).

[3] الملاحق: انظر النموذج (14 – 15).

[4] الملاحق: انظر النموذج (14 – 15).

[723] – كتاب " نسب آل ألشرباتي الشيباني " للمؤلف. (تحت الطبع).

الملاحـــق

نماذج ووثائق وشهادات ومستندات النسب

1. نسب الناس من آدم إلى نوح عليهما السلام.
2. نسب الناس من نوح إلى إبراهيم عليهما السلام.
3. نسب الناس من إبراهيم عليه السلام إلى إلياس.
4. نسب الناس من إلياس إلى قصي بن كلاب.
5. نسب قريش من قصي بن كلاب.
6. نسب بعض مشاهير الصحابه وقادة الفتح.
7. نسب بني أمية بن عبد شمس "الخلفاء".
8. نسب أعقاب العباس بن عبد المطلب والخلفاء العباسيون.
9. نسب بنو شيبه " الحجبه " من أعقاب عثمان بن طلحة.
10. نسب آل الشرباتي الشيبي حتى قدوم الخليل.
11. نسب آل الشرباتي الشيبي سكان محلة القزازين / الخليل.
12. صورة شهاده نسب صادرة عن نقابة الأشراف بمصر.
13. صورة حجة نسب صادره عن محكمة القدس الشرعية.
14. صورة تصديق محكمة صفد الشرعية على صحة نسب السادات السعدية.
15. صورة تصديق محكمة الخليل الشرعية على صحة نسب آل الشرباتي.
16. نموذج قصيدة مدح "للمبحرين المخلصين منارة". مع ملاحظة أنّ ناظم القصيدة لم يتناول النسب الشريف في مدحه، على طريقة المسلمين بالامتناع عن التفاخر به.

[1] نسب الناس من آدم إلى نوح عليهما السّلام[724]

1. **آدم ، نبي الله وأبو البشر عليه السلام:** أبو البشر وأول من خلق الله منهم، اختلف بسبب تسميته بهذا الاسم، فذهب قوم إلى أنّه بسبب خلقه من أدومة الأرض، وذهب آخرون إلى أنّها اشتقت من كلمة "أدمة" بسبب سمرة اللون، وُلِدَ له أربعين ولداً في عشرين بطناً من زوجته حواء. يقال أنّه عاش ألف سنة، ودفن في جبل أبي قبيس، والله أعلم.
2. **شيت بن آدم:** كان أجود أبناء آدم عليه السلام وخليفته في الأرض، وإليه انتهت أنساب الناس. وهو أول من تكلم العبرية، وأول من لبس القلنسوة. والله أعلم.
3. **آنوش بن شيت:** ويسمى أيضاً "يانش". استخلفه شيت أباه بسياسة المُلك. يقال أنّه أول من غرس النخل. مات وعمره تسعمائة وستة وستين عاماً. والله أعلم.
4. **قينان:** ويسمى أيضا "قَيْنَن". كان رجلاً صالحاً تقياً. خلف والده آنوش. ويقال أنّه اشترك مع ولد أبيه في قتال الجان لتمردهم عليه. عاش سبعمائة وعشرين سنة. والله أعلم.
5. **مهلائيل:** ويسمى أيضاً "مهليل". حلف أبيه بالرياسة. ويقال أنّ في زمنه ترك بعض أولاد آدم الجبل المقدس واشتغلوا باللهو ومغازلة بنات قابيل. عاش تسعمائة وخمسة وعشرين سنه. والله أعلم.
6. **اليارد:** ويسمى أيضاً "يرد". كان تقياً صالحاً. وإليه انتقلت الرياسة عن والده والله أعلم.
7. **إدريس عليه السلام:** ويسمى "أخنوخ". أول من خطّ بالقلم وأول من جاهد في سبيل الله. وأول من بنى المدن. يقال أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنه، والله أعلم.
8. **متوشلخ:** خليفة أبيه إدريس في رياسة الناس. قيل أنه أول من ركب الخيل. عاش تسعمائة وثمانين سنة، والله أعلم.
9. **لآمك:** ويسمى "لَمَك". كان تقياً صالحاً. وفي زمنه كثرت الجبابرة من ولد قابيل. عاش ثمانمائة سنة، والله أعلم.
10. **نوح عليه السّلام:** رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول نبي بعد إدريس عليه السلام، وأول نذير من الشرك لأهل الأرض، وأمل نبي عُذِّبَ قومه لمخالفة دعوته، وهو صاحب السّفينة المعلوم خبرها وإغراق قومه بنص القرآن الكريم. يقال أنه عاش ألف وأربعمائة وثمانين سنة، والله أعلم.

[وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝][725]

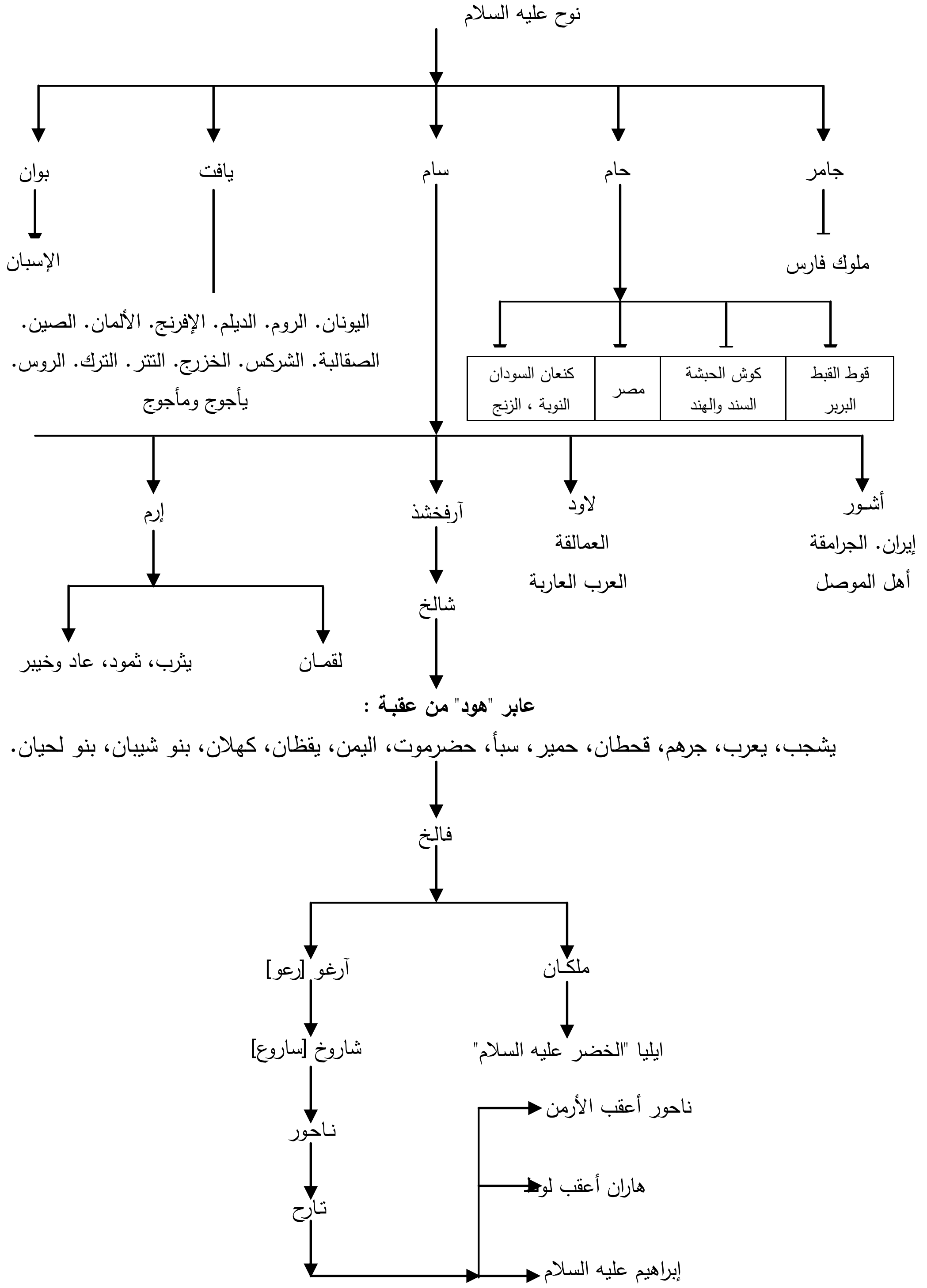
---

[1] – وثيقة نسب آل ألشرباتي " مخطوطة ".

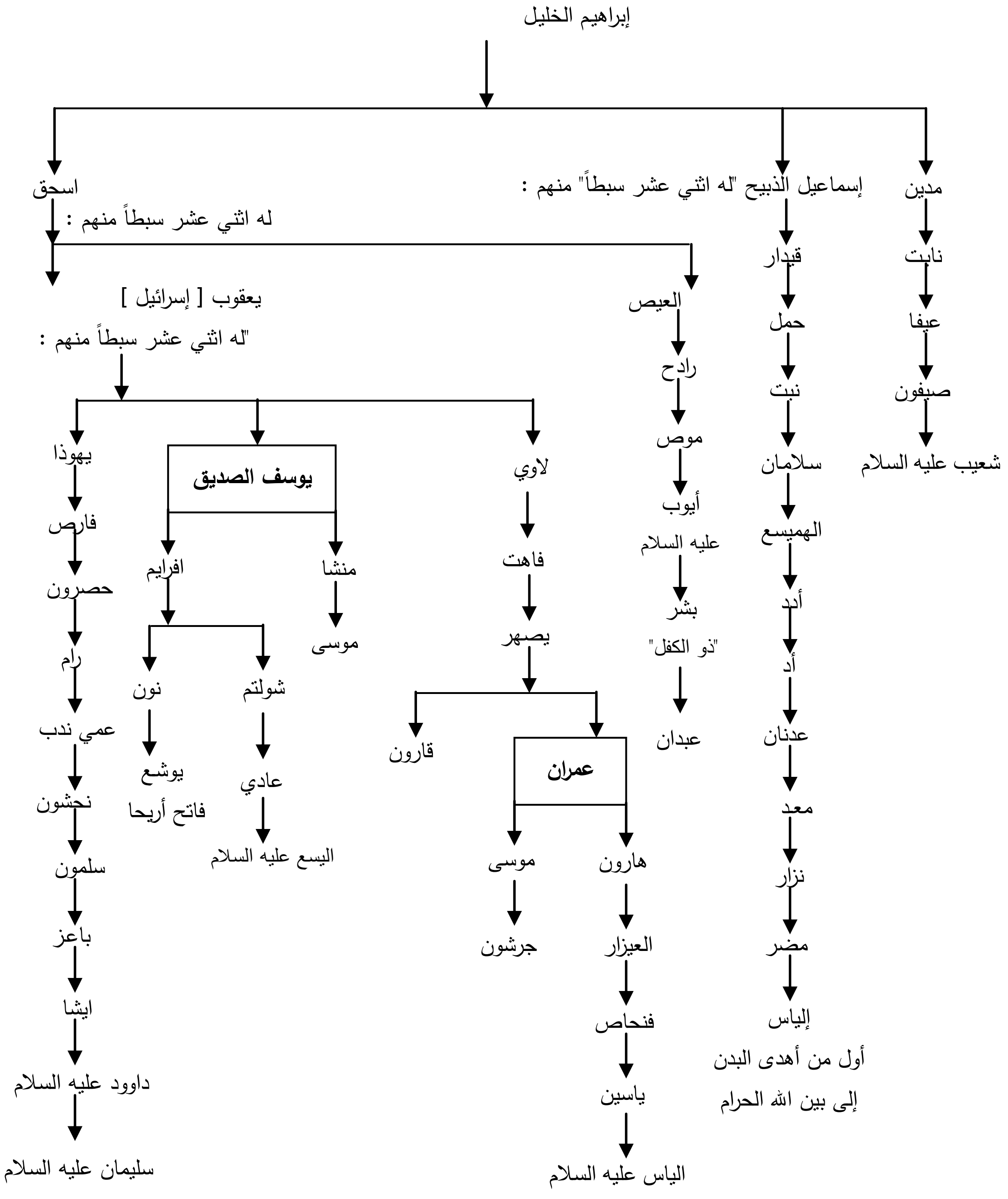
- نسب السادات السعدية والبهجة السنية، محكمة صفد الشرعية، سجل1، صفحه 249، عدد 108.
- البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، الصفحات (10 – 12).

[1] نوح – (26 – 28).

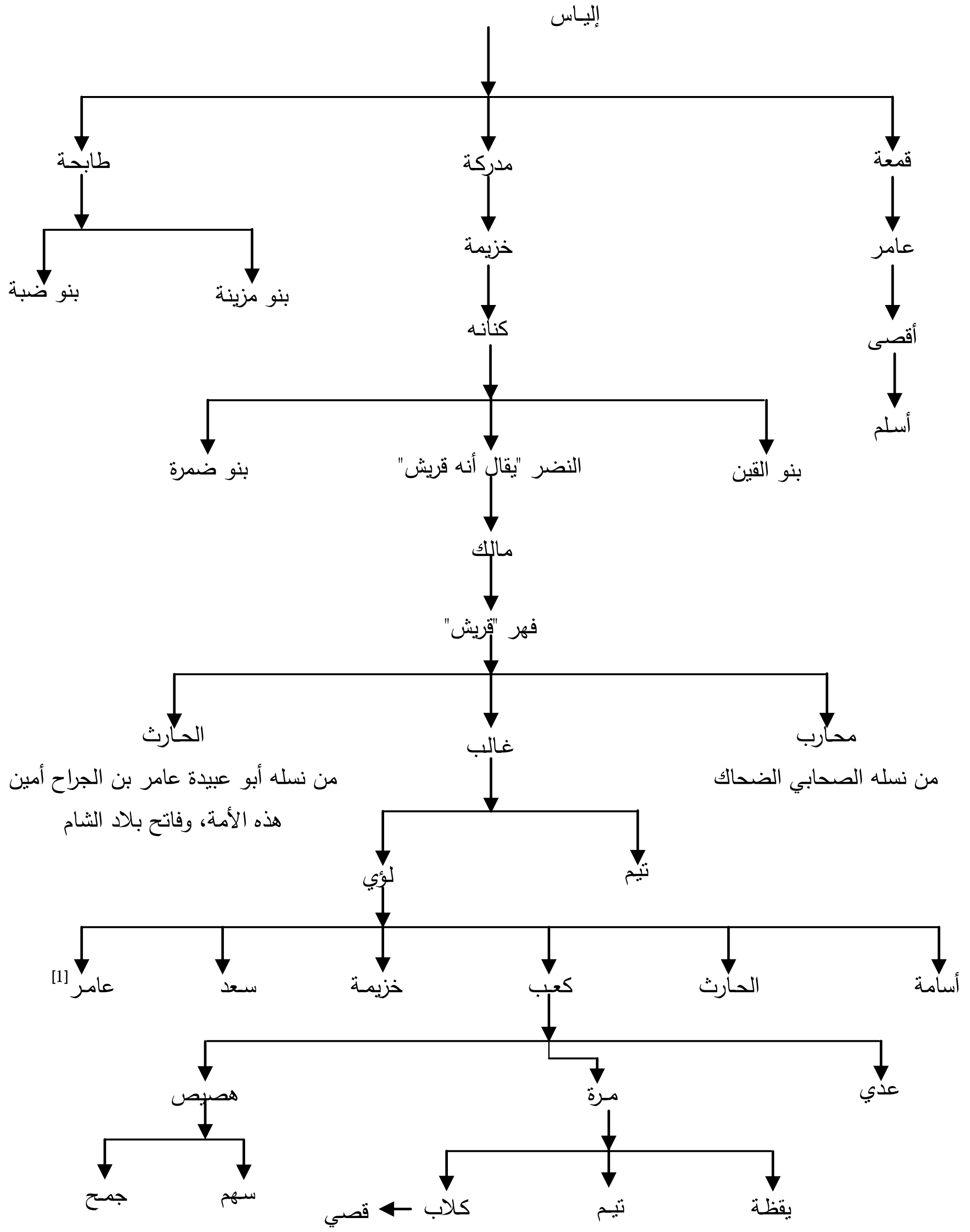
2. نسب الناس من نوح إلى إبراهيم عليهما السلام



3. نسب الناس من إبراهيم الخليل عليه السلام إلى إلياس

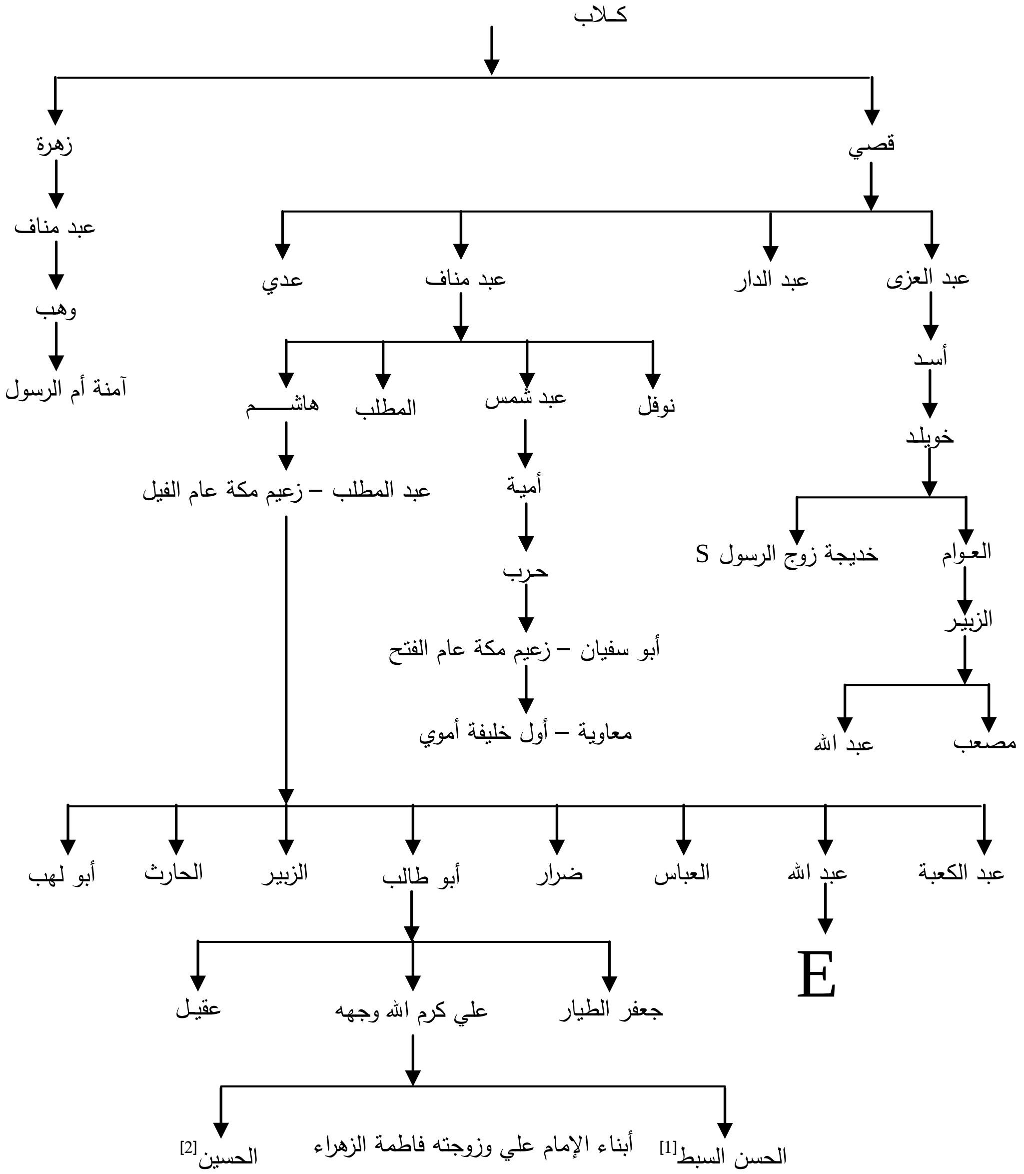


4. نسب الناس من إلياس إلى قصي بن كلاب



[726] من نسل عامر: ابن أم مكتوم مؤذن الرسول، وسهيل بن عمرو الذي مثل قريش في صلح الحديبية، وعبد الله بن أبي السرح أخو عثمان بن عفان في الرضاعة، وعمرو بن ود العامري فارس العرب.

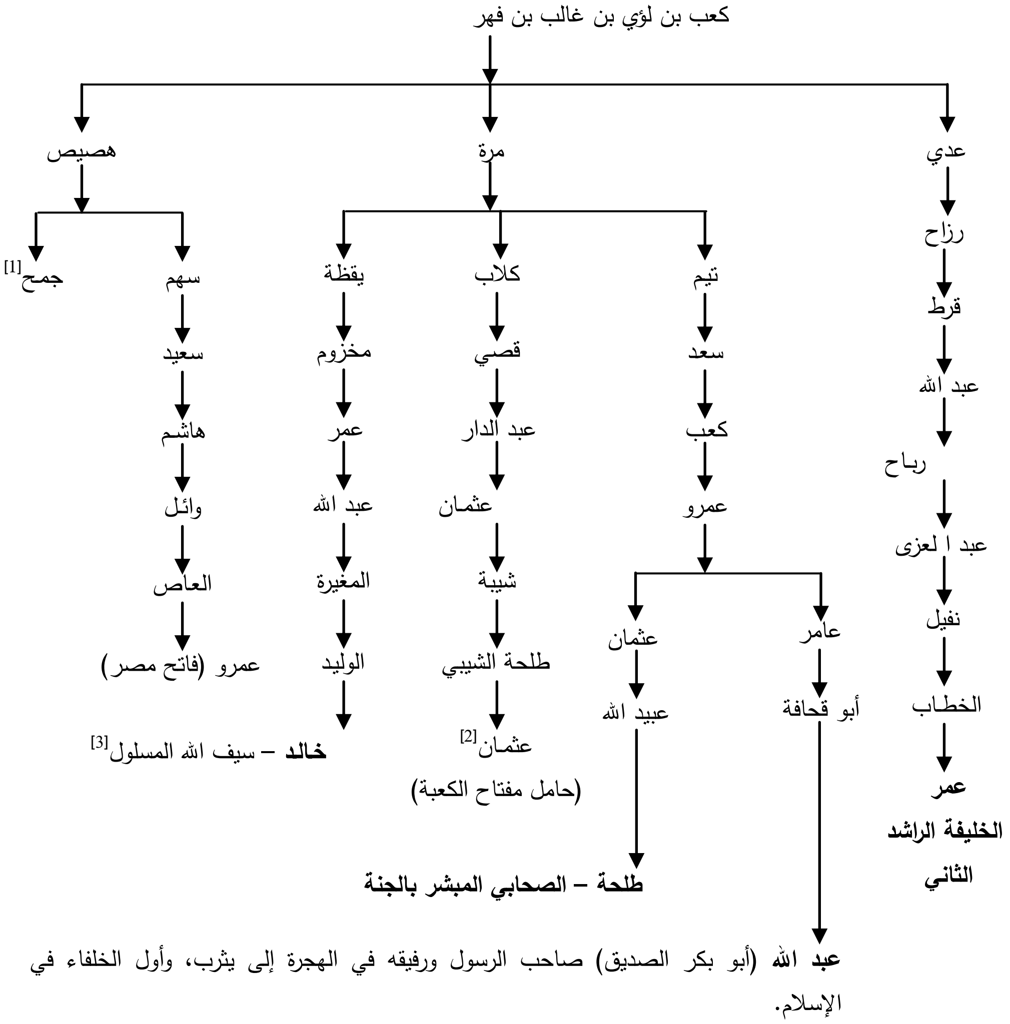
5. نسب قريش من أعقاب قضي بن كـــلاب



[727] من أعقاب الحسن السبط: السليمانيون، الثعالبة، الأدارسة، والعثمانيون العمريون.

[728] الحسين السبط أعقب علي زين العابدين، الذي أعقب محمد الباقر، الذي أعقب جعفر الصادق، الذي أعقب موسى الكاظم، الذي أعقب علي الرضا، الذي أعقب محمد الجواد، الذي أعقب علي الهادي، الذي أعقب حسن العسكري، الذي أعقب محمد المهدي... رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

6. نسب بعض مشاهير الصحابة وقادة الفتح



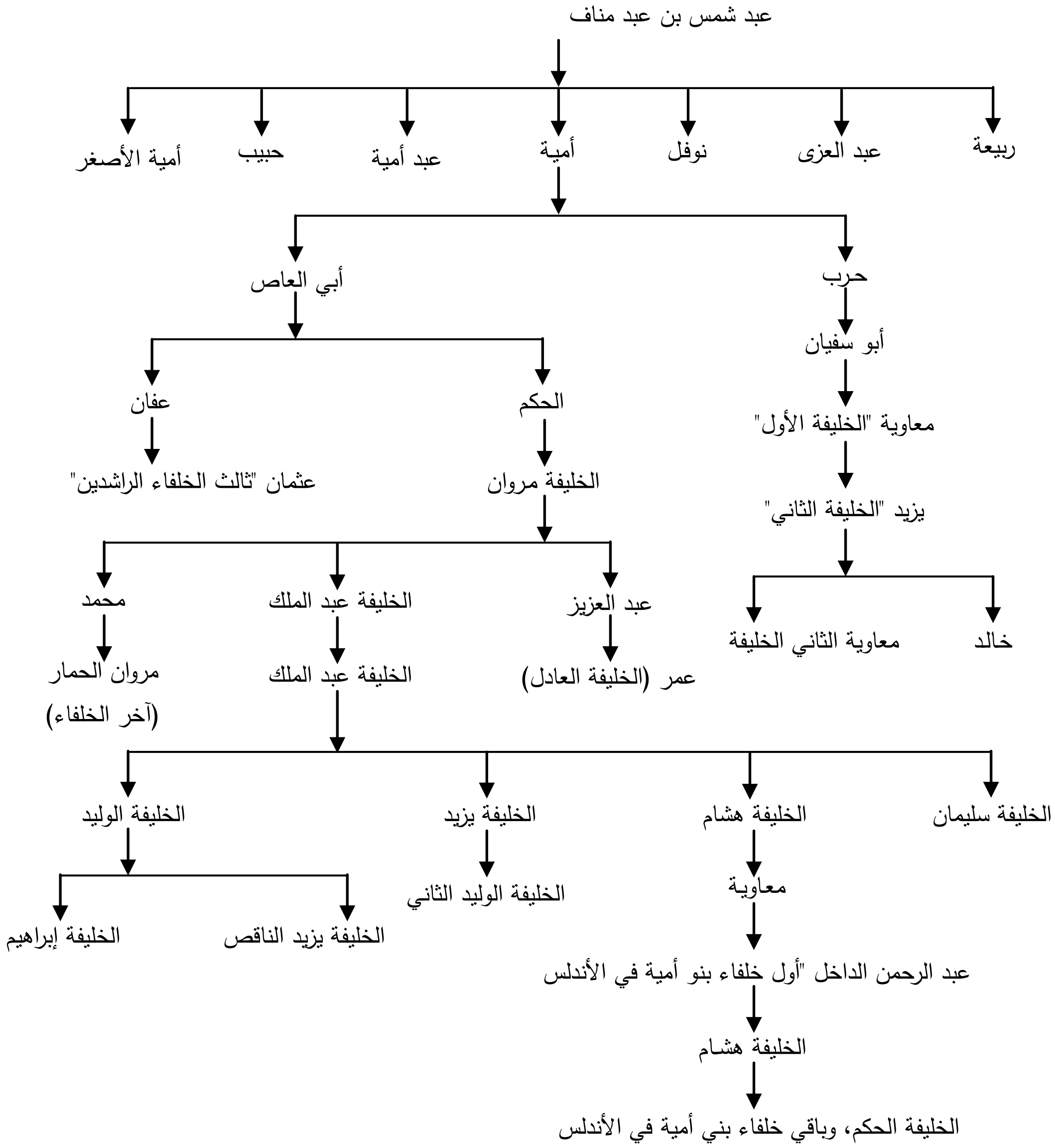
---

[729] من أعقاب جمح: عدو الله أمية بن خلف، وأبي بن خلف.

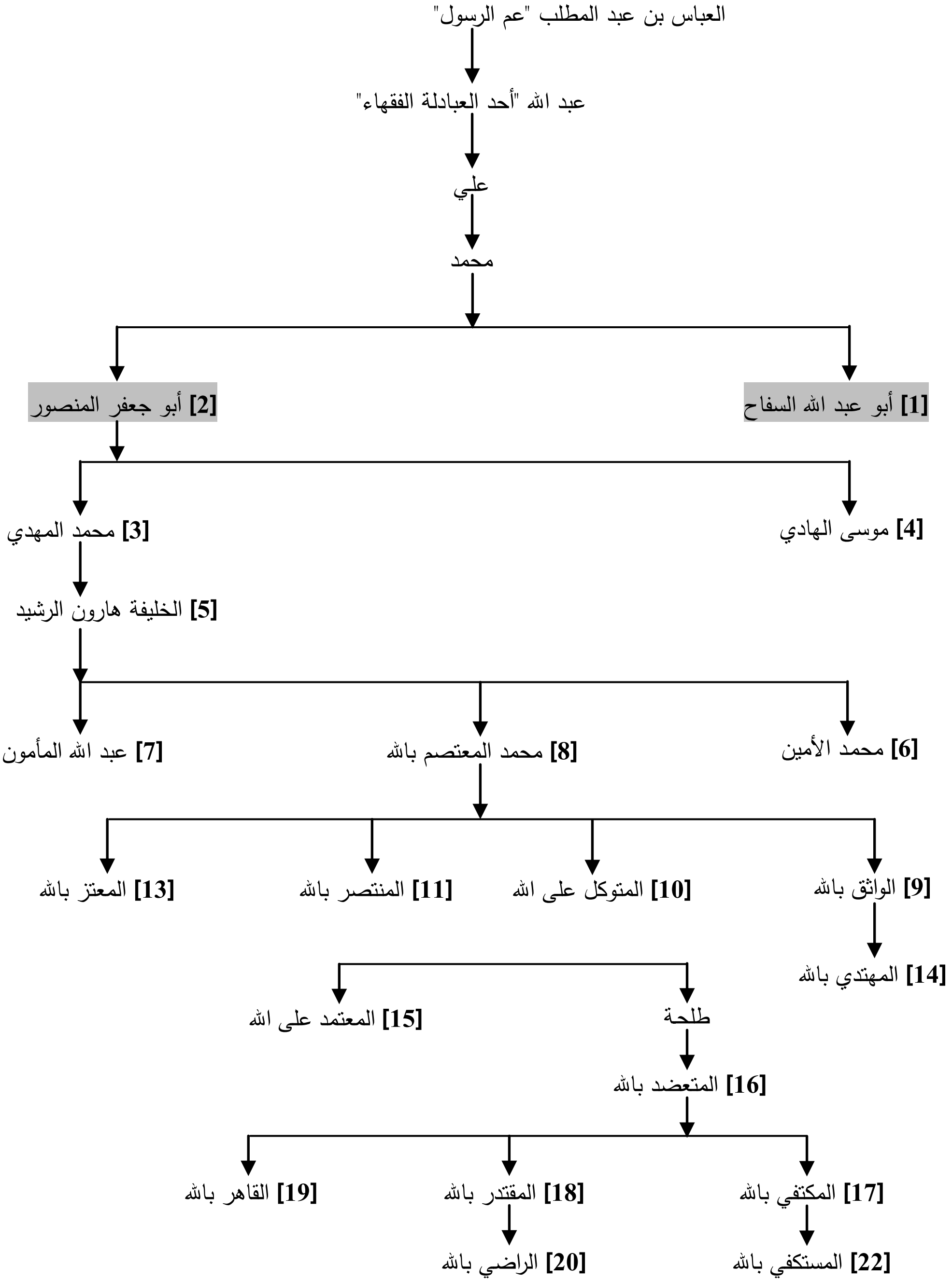
[730] لما فتحت مكة في 20 رمضان للسنة الثامنة للهجرة، لم ينقل إلى الإسلام من مناصب بيت الله الحرام إلا سقاية الحاج من زمزم، وجعلها صلى الله عليه وسلم لعمه العباس بن عبد المطلب، وسدانة الكعبة الشريفة، وأقرها صلى الله عليه وسلم في عثمان طلحة وأبنائة من بعدة، خالدة تالدة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لا يأخذها منهم إلا ظالم، ولا تزال في عقبة إلى الآن.

[731] من بني مخزوم أيضاً، عدو الله أبو جهل الحكم بن هشام، والتابعي سعيد بن المسيب.

7. نسب بني أمية بن عبد الشمس "الخلفاء



8. نسب أعقاب العباس والخلفاء العباسيين



9. نسب بنو شيبه "الحجبة" من عثمان بن طلحة

عثمان بن طلحة "حامل مفتاح الكعبة"

عبد الرزاق الحجي المكي

خلف

السايب

عبد القاهر المكي

طلحة الشيبي

عثمان المكي

عبد الرحمن المكي

الشيخ يونس الكبير "دفين مكة المكرمة"

مؤيد الدين شيبان

الشيخ محمد أبو هلال
دفين قاسمية "دمشق"

الشيخ يونس الشيباني
دفين ماردين / باب الأسد

الأستاذ الشيخ أحمد
الشيباني دفين ريحه

براوقة الشهير، عام 541 من أعمال حلب الشهباء

الأستاذ أحمد
دفين جنين

الأستاذ يونس الأصغر
دفين دمشق

الشيخ محمد الشيبي
الشرباتي

عبد الله

الشيخ حسين الشرباتي
دفين حلب

محمد الشرباتي

الشيخ مزيد

الشيخ سعد الدين الجباوي دفن
براواقة بقرية رواحة

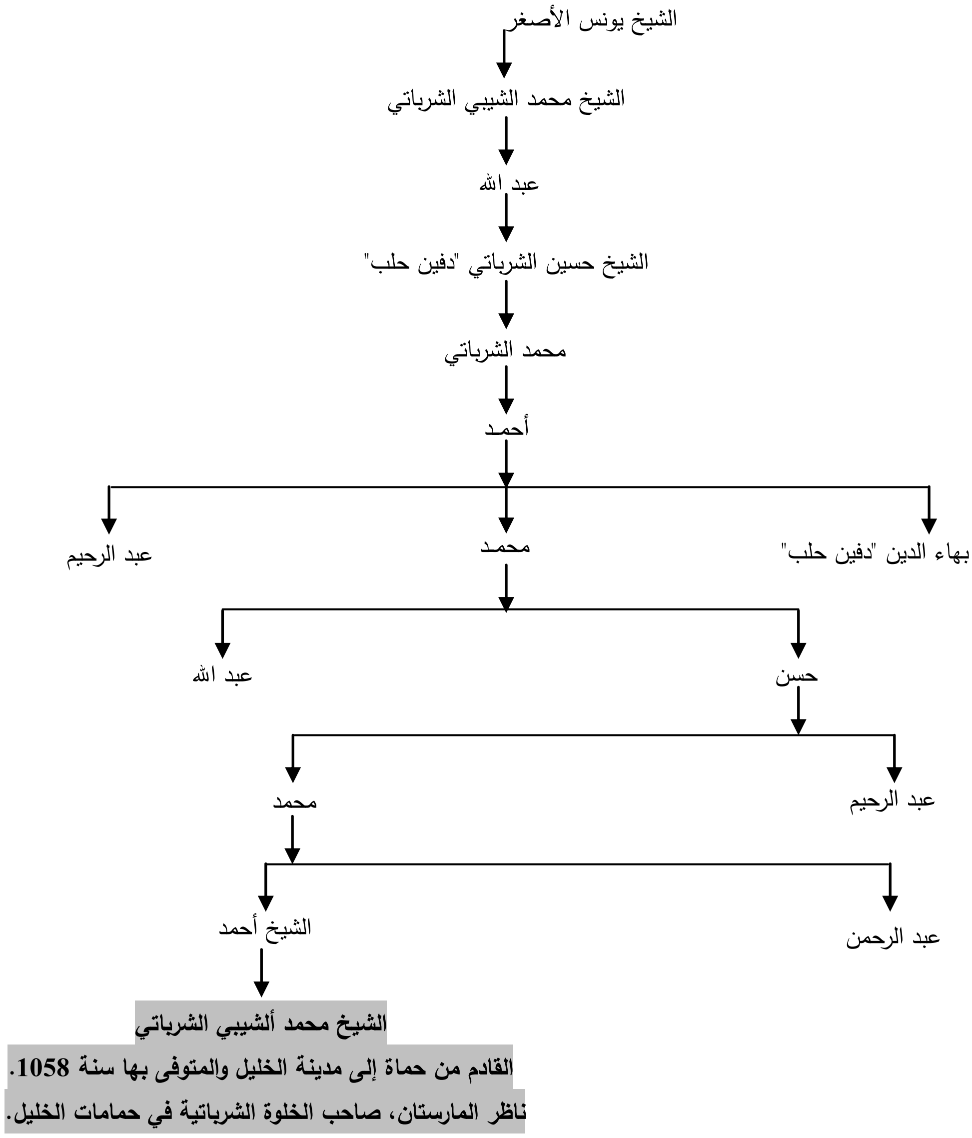
الأستاذ يونس
دفين مصر، من نسله جماعة
نهار بالصعيد

الشيخ محمد
شمس الدين

الشيخ علي الأكحل

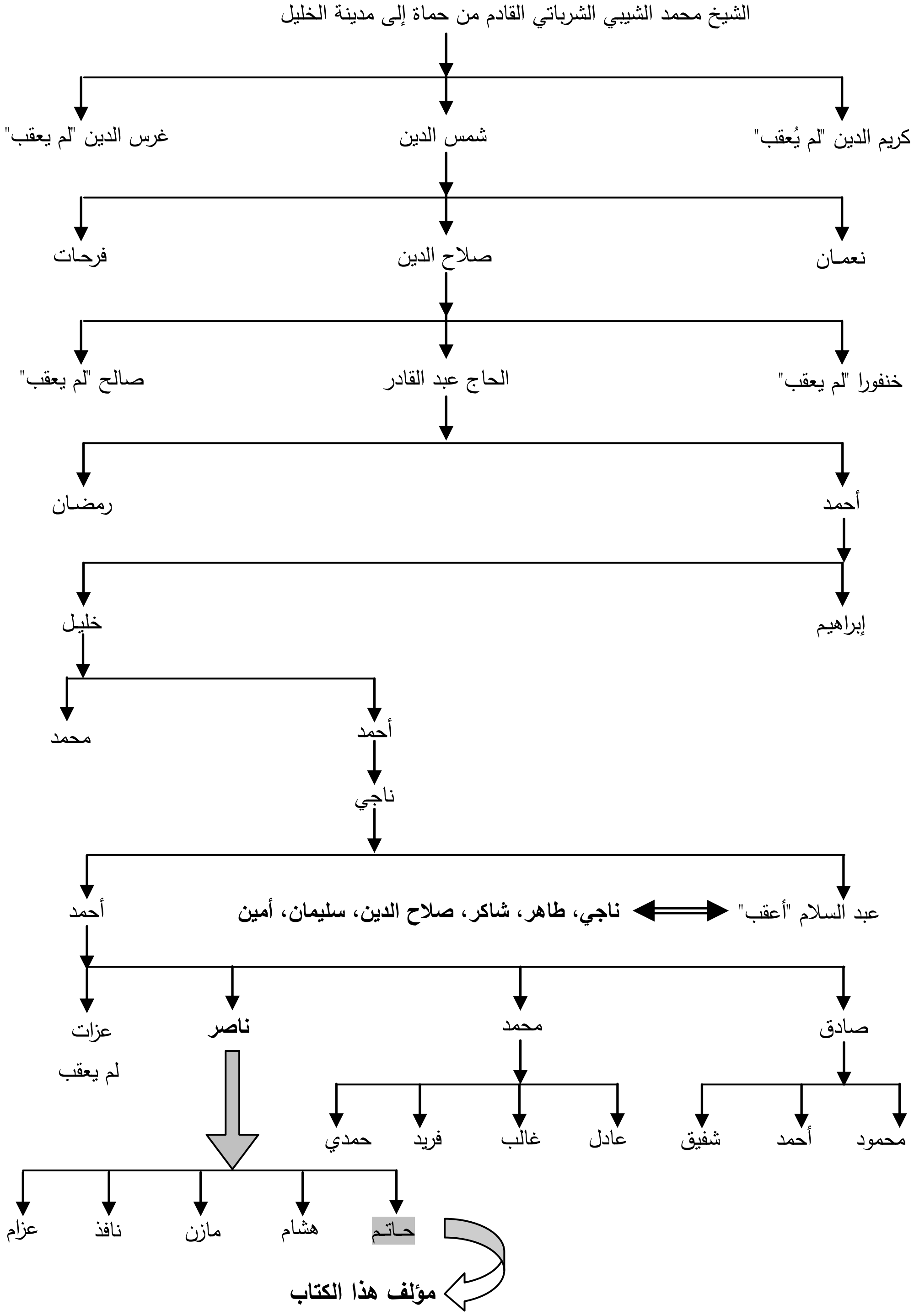
الشيخ إبراهيم الأنور
ومن عقبة السادة
السعديين

10. نسب آل الشرباتي الشيبي حتى قدوم الخليل[732]

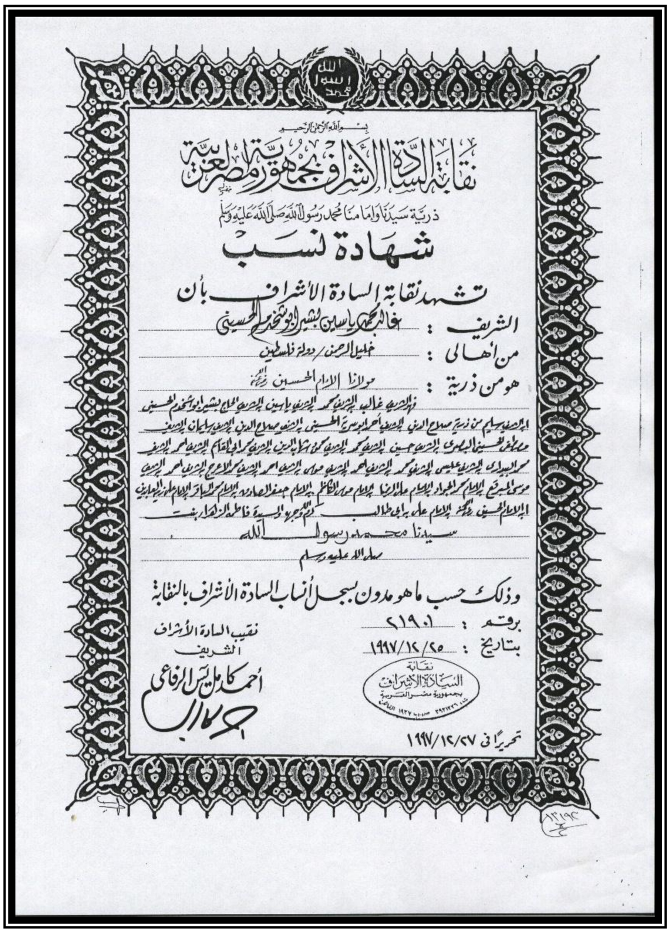


[732] تابع الصفحة السابقة – الشيخ إبراهيم الأنور بن الشيخ علي الأكحل، ومن نسله [السعديون] سكان قرية المزار من أعمال جنين، نسبة إلى المتصوف الشهير الشيخ سعد الدين الجباوي المتوفى سنة 621هـ/1224م، وهو من أهل جبا من أعمال القنيطرة في الجولان، ومن السادة السعديين آل كمال والسعدي في صفد وعكا وجنين وسيلة الحارثية، من مشاهيرهم الشهيد الشيخ [فرحان السعدي] المعروف بتقواه وبطولته، كان رحمة الله بطليعة المجاهدين في فلسطين، نفذ به الكفرة الصليبيين الإنجليز حكم الإعدام شنقاً في 27 رمضان 1357هـ/1938م، زمن انتدابهم البغيض على فلسطين وهو صائم وقد تجاوز الثمانين، منهم قوم بصعيد مصر يعرفون بجماعة [نهار] في سفط وما يليها.

11. نسب آل الشرباتي الشيبي سكان محلة القزازين / الخليل



[*12*] صورة شهادة نسب صادرة عن نقابة الأشراف بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

نقابة السادة الأشراف بجمهورية مصر العربية

ذرية سيدنا وإمامنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

شهادة نسب

تشهد نقابة السادة الأشراف بأن

الشريف : غالب محمد ياسين بشير ابو شخدم الحسيني

من أهالي : خليل الرحمن / دولة فلسطين

هو من ذرية : مولانا الإمام الحسين رضي الله عنه

فهو الشريف غالب ابن الشريف محمد ابن الشريف ياسين ابن الشريف الحاج بشير ابو اشخدم الحسيني
ابن الشريف سليم من ذرية صلاح الدين ابن الشريف أحمد ابو سرية الحسيني ابن الشريف صلاح الدين ابن الشريف سليمان ابن الشريف
مصطفى الحسيني البصري ابن الشريف حسين ابن الشريف محمد ابن الشريف محمود شهاب الدين ابن الشريف محمد ابي القاسم ابن الشريف احمد ابن الشريف
محمد البيداري ابن الشريف عيسى ابن الشريف محمد ابن الشريف احمد ابن الشريف موسى ابن الشريف احمد ابن الشريف محمد الاعرج ابن الشريف احمد ابن الشريف
موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين
ابن الإمام الحسين رضي الله عنه ابن الإمام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت
سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

وذلك حسب ما هو مدون بسجل أنساب السادة الأشراف بالنقابة

برقم : ٢١٩٠١

بتاريخ : ١٩٩٧/١٢/٢٥

نقيب السادة الأشراف

الشريف

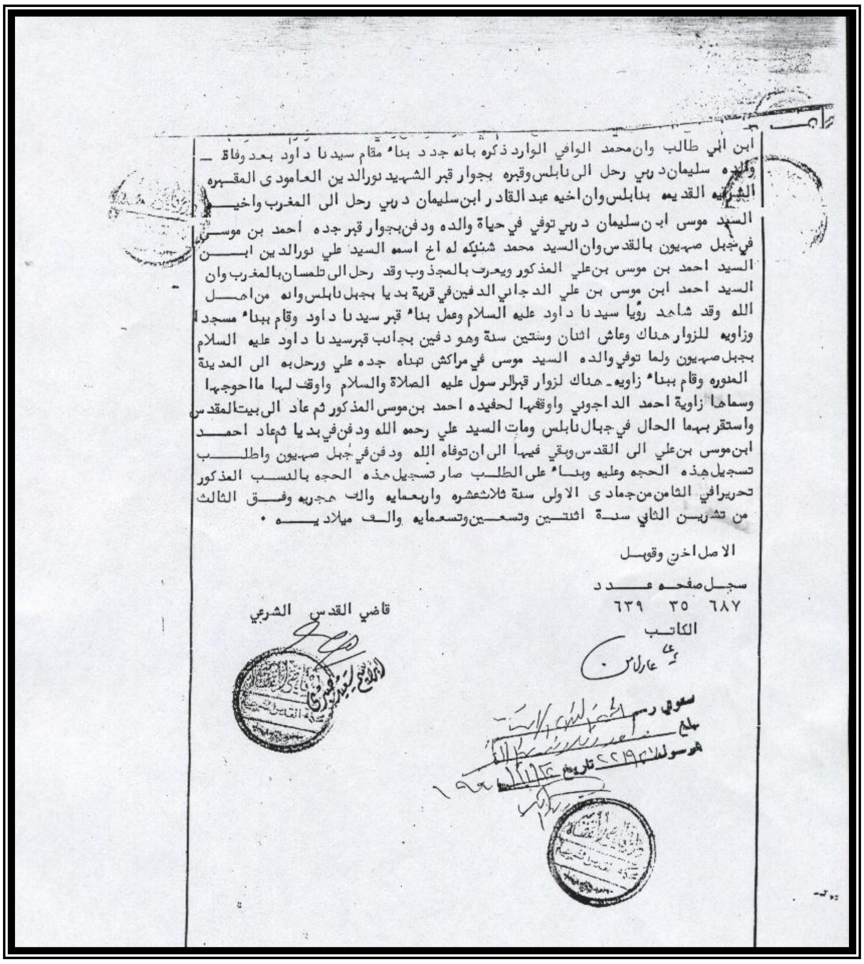
أحمد كامل يس الرفاعي

نقابة السادة الأشراف بجمهورية مصر العربية

تحريراً في ١٩٩٧/١٢/٢٧

[*13*] صورة حجة نسب صادرة عن محكمة القدس الشرعية

الصفحة الثانية من الشهادة



ابن ابي طالب وان محمد الوافي الوارد ذكره بانه جدد بناء مقام سيدنا داود بعد وفاة والده سليمان دربي رحل الى نابلس وقبره بجوار قبر الشهيد نورالدين العامودي المقبره الشرقيه القديمه بنابلس وان اخيه عبد القادر ابن سليمان دربي رحل الى المغرب واخيه السيد موسى ابن سليمان دربي توفي في حياة والده ودفن بجوار قبر جده احمد بن موسى في جبل صهيون بالقدس وان السيد محمد شنيكه له اخ اسمه السيد علي نورالدين ابن السيد احمد بن موسى بن علي المذكور ويعرف بالمجذوب وقد رحل الى تلمسان بالمغرب وان السيد احمد ابن موسى بن علي الدجاني الدفين في قرية بديا بجبل نابلس وانه من اهل الله وقد شاهد رؤيا سيدنا داود عليه السلام وعمل بناء قبر سيدنا داود وقام ببناء مسجد وزاويه للزوار هناك وعاش اثنان وستين سنة وهو دفين بجانب قبر سيدنا داود عليه السلام بجبل صهيون ولما توفي والده السيد موسى في مراكش تبناه جده علي ورحل به الى المدينة المنوره وقام ببناء زاويه هناك لزوار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام واوقف لها مااحوجها وسماها زاوية احمد الداجوني واوقفها لحفيده احمد بن موسى المذكور ثم عاد الى بيت المقدس واستقر بهما الحال في جبال نابلس ومات السيد علي رحمه الله ودفن في بديا ثم عاد احمد ابن موسى بن علي الى القدس وبقي فيها الى ان توفاه الله ودفن في جبل صهيون واطلب تسجيل هذه الحجه وعليه وبناء على الطلب صار تسجيل هذه الحجه بالنسب المذكور تحريرا في الثامن من جمادى الاولى سنة ثلاثعشره واربعمايه والف هجريه وفق الثالث من تشرين الثاني سنة اثنتين وتسعين وتسعمايه والف ميلاديه .

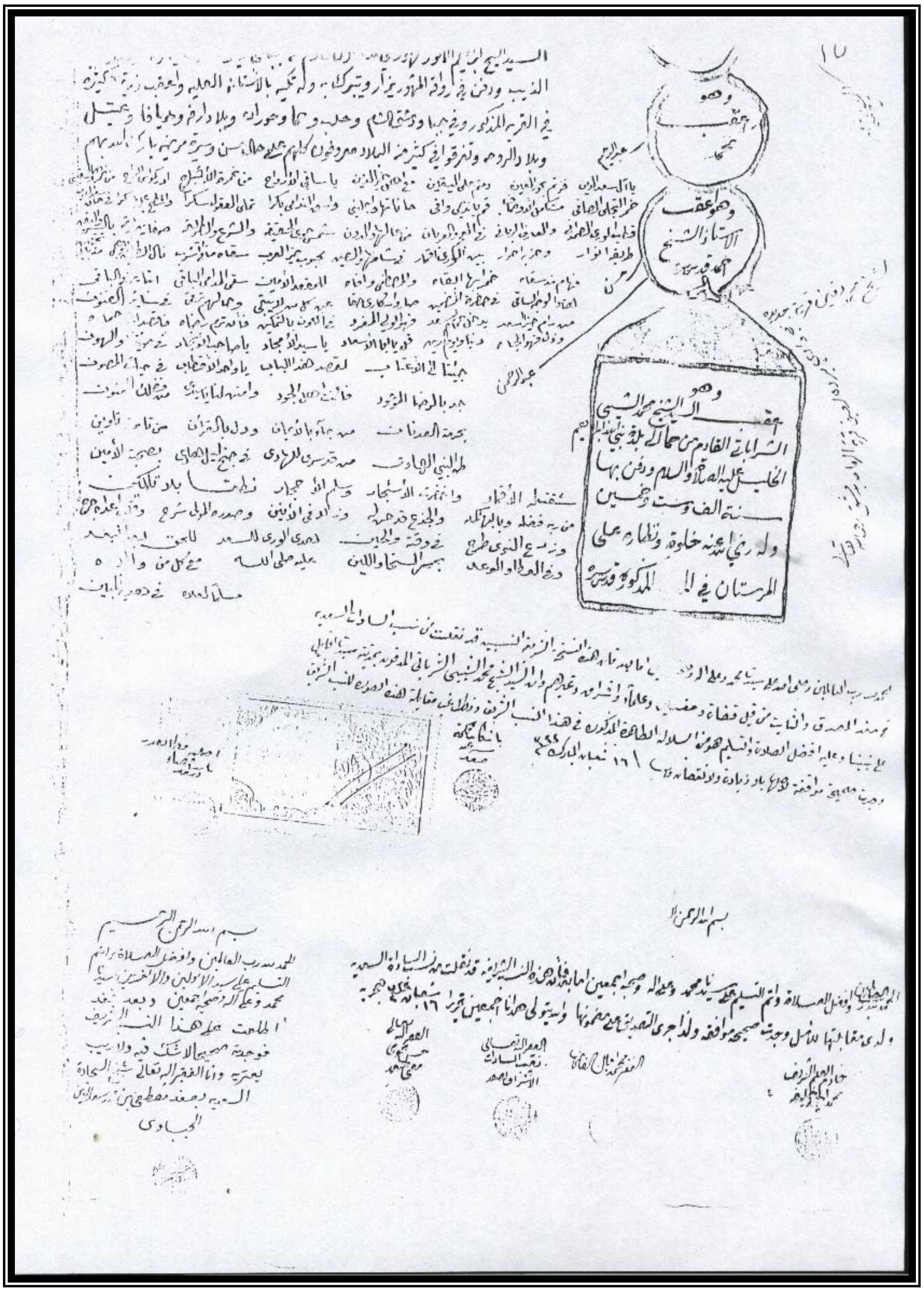
الاصل اخذ وقوبل

سجل	صفحه	عدد
٦٨٧	٣٥	٦٣٩

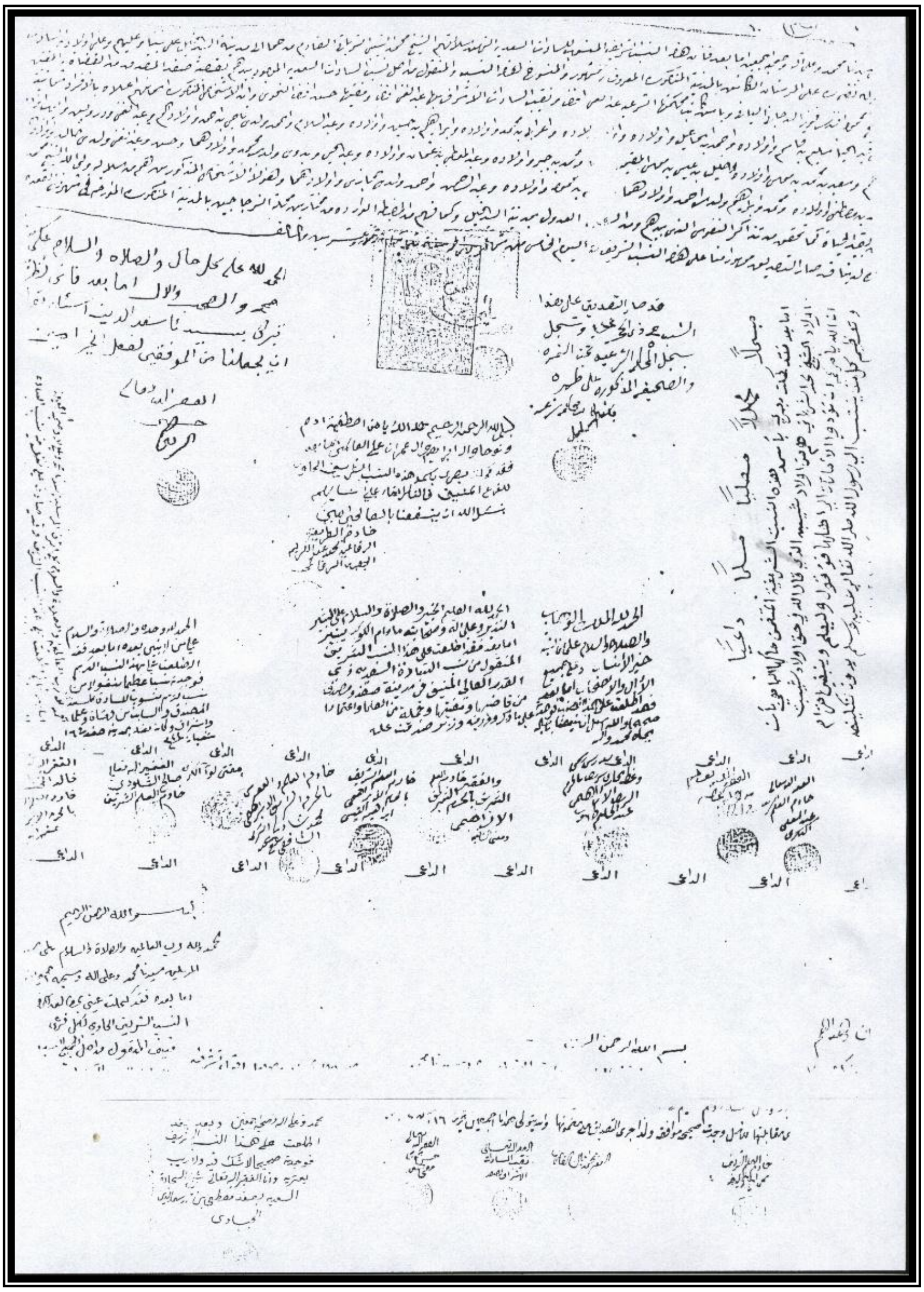
الكاتب

قاضي القدس الشرعي

[*14*] صورة تصديق محكمة صفد الشرعية على صحة نسب السادات السعدية



[*15*] صورة تصديق محكمة الخليل الشرعية على صحة نسب آل الشرباتي



الباب الخامس
الفصل الأول : الإدراك الفكري والتمييز الغريزي

1. عملية الإدراك الشعوري.
2. الإسترجاع ونقل المعلومات.
3. تجارب الإنسان الأول.
4. المعلومات السابقة وحتميتها.
5. التفكير وعوامله الأربعة .
6. التمييز الغريزي في الحيوان.

الفصل الثاني : الحياة والموت والأحكام الشرعية المتعلقة بهما

1. وقفة مع التطورات العلمية
2. الحياة والروح
3. الأحكام الشرعية المتعلقة بالجنين
4. الموت
5. الأحكام الشرعية التي تترتب على إنتهاء حياة الإنسان
   - إستعمال أجهزة الإنعاش الطبية الحديثة
6. الإستنساخ
7. نقل الأعضاء
8. أطفال الأنابيب

الإدراك الفكري والتمييز الغريزي

رداً على ما يطرحه علماء التطور المادي من مشاهدات شاهدوها لدى بعض الحيوانات (وخاصة القرود والسعادين) والتي أوردوها كشواهد وإثباتات على قرابة الإنسان للحيوان أو تطوره من سلالة القردة والسعادين، نظراً لبعض المشابهة في الأفعال والتصرفات التي شاهدوها في قطعان القرود وأفرادها مع التصرفات البشرية، والوارد في فصل "على هامش نظرية التطور والارتقاء المادي".[733] لذا فقد استحدثت هذا الباب لأبين هل هذه التصرفات الصادرة من الحيوان تعني عقلاً وتفكيراً أم ماذا؟. وهذا الفصل بالكامل جرى نقله مع بعض التعديلات والتصرف البسيط بالنص من كتاب "التفكير" للعلامة الشيخ تقي الدين النبهاني، مع الاقتباس من مصادر أخرى.[734]

[1] عملية الإدراك الشعوري:

إنّ الإدراك الشعوري هو ناتج عن الغرائز والحاجات العضوية، والذي يحصل عند الحيوان، كما أنّه يحصل عند الإنسان أيضاً، فيعرف من تكرار إعطائه التفاحة والحجر، أنّ التفاحة تُؤكل والحجر لا يؤكل، كما يعرف الحمار أنّ الشعير يؤكل وأنّ التراب لا يؤكل، ولكن هذا التمييز ليس فكراً ولا إدراكاً، إنّما هو رجع للغرائز والحاجات العضوية، وهو موجود عند الحيوان كما هو موجود عند الإنسان، لذلك لا يمكن أن يحصل فكر إلا إذا وجدت المعلومات السابقة مع نقل الإحساس إلى الدماغ بواسطة الحواس.

أما ما يشتبه على الكثيرين هو أنّ المعلومات السابقة قد تحصل من تجارب الشخص نفسه، وقد تحصل من التلقي عن الغير، فعندهم أنّ التجارب الأولى هي التي أوجدت معلومات، فتكون التجارب الأولى هي التي أوجدت العملية العقلية. وهذا الاشتباه يُزال بمجرد لفت النظر إلى ما بين دماغ الإنسان وبين دماغ الحيوان من فرق من ناحية الربط، وبمجرد لفت النظر إلى ما بين ما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية وبين ما يتعلق بالحكم على الأشياء ما هي.

---

[1] الفصل (11)، من الباب الأول.

[2] – النبهاني – تقي الدين، التفكير، الصفحات: (19 – 26).

- عبده – محمد محمد إسماعيل، الفكر الإسلامي، الصفحات: (45 – 50) و (58 – 60).
- الزين – سميح عاطف، لمن الحكم ؟ ، الصفحات: (5 – 33)، ومصادر أخرى.

أما الفرق بين دماغ الحيوان وبين دماغ الإنسان، فإنّ دماغ الحيوان لا يوجد به ربط للمعلومات، إنما يوجد به استرجاع الإحساس ولا سيما إذا تكرر، وهذا الاسترجاع – من حيث قيام الحيوان بالفعل طبيعياً – خاص فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية ولا يتعداها لغيرها، فأنت إذا ضربت الجرس وأطعمت الكلب عند ضرب الجرس، فإنه إذا تكرر ذلك يفهم الكلب إذا قرع الجرس أنّ الأكل آتٍ ولذلك يسيل لعابه، وكذلك إذا رأى الحمار حماره تتحرك فيه الشهوة، وأيضاً فإنّ البقر وهي ترعى تتجنب الأعشاب السّامة والأعشاب التي تضرها. وكل هذا وأمثاله إنما هو تمييز غريزي.

وكمثال على التمييز الغريزي، يقول د. أمين رويحة، في كتابه "التداوي بالأعشاب": **[**كنت سجيناً عند الإنجليز في سجن سالسبوري عاصمة روديسيا الجنوبية في جنوب أفريقية، وذات يوم كنت وبعض الزنوج من زملائي السجناء في مزرعة تابعة للسجن، ومعنا عدد من الحراس الأوروبيون البيض والزنوج، فشاهدت كلباً يطوف مهرولاً في المزرعة متنقلاً من عشب إلى آخر يشمه ثم يغادره، حتى وقف عند أحد الأعشاب وأخذ يأكل، وعلى وجهه علائم الإمتعاض من ثمره، وهو حب بحجم ثمرة الجوز أصفر اللون، وبعد أن أكل بضع حبات منه خرج من المزرعة مسرعاً، فاستغربت هذه الظاهرة خصوصاً وأني أعرف أنَّ الكلاب من فصيلة الحيوانات آكلة اللحوم التي لا تأكل الأثمار والأعشاب، فأخذت بضع حبات من الثمار وعرضتها على ناظر المزرعة – وهو بويري خبير بالزراعة – وعلمت منه أنها ثمار سامة وأنّ من أعراض التسمم بها القيء والإسهال، فالكلب ما أكل منها إذاً إلا وهو بحاجة إلى مسهل ينظف أمعائه، وقد اهتدى إليها بغريزته وميزها عن باقي الأعشاب الكثيرة التي ليس لها هذا التأثير.**]**[735]

أما ما يُشاهَدَ مِن تعلم بعض الحيوانات حركات أو أعمالاً تقوم بها وهي لا تتعلق بالغريزة، كالألعاب التي تقوم بها بعض الحيوانات الأليفة والمتوحشّة من قفز ورقص وغيره والتي نشاهدها على حلبات ألعاب السيرك مثلاً، فهي إنّما تقوم بذلك تقليداً ومحاكاة وليس عن عقل وإدراك. فدماغ الحيوان لا توجد فيه خاصية ربط المعلومات، وإنّما عنده تذكر الإحساس والتمييز الغريزي. فكل ما يتعلق بالغريزة يُحسه، وكما يحسه يستطيع استرجاع إحساسه لا سيما إذا تكرر هذا الإحساس. فما يتعلق بالغريزة يقوم به الحيوان طبيعياً سواء أحسه أو استرجع الإحساس به. أمّا ما لا يتعلق بالغريزة فلا يمكن أن يقوم به طبيعياً إذا أحسه، ولكن إذا كرَّرَ هذا الإحساس واسترجعه فإنه يمكن أن يقوم به تقليداً ومحاكاة وليس قياماً طبيعياً.

ولا بُدّ من الانتباه إلى أنّ ما يقوم به تقليداً ومحاكاة والذي لا يعتبر قياماً طبيعياً، لا يصبح مثل هذا العمل عادة في جنس ذلك الحيوان يتوارثها عنه نسله، فقيام نمر أو أسد أو حصان أو فيل أو قرد

---

[1] رويحه – الدكتور أمين، التداوي بالأعشاب، صفحه (6 – 7).

بأعمال الرّقص والقفز في السيرك لا ينقل تلك العادة منه إلى غيره من القطيع، كما لا ينتقل ذلك بالوراثة ليصبح عملاً من أعمال نسله، فترويض أحد الوحوش للقيام بتلك الأعمال لا يعني إطلاقاً ترويض جنس ذلك الحيوان وانتقاله من شراسة الوحوش إلى وداعة الحيوان الأليف.

وكمثال على الإيلاف والترويض فقد اختص الله سبحانه وتعالى جنس "الببغاء" بتقليد صوت الإنسان، على أنّ ذلك لا يتم إلا بالترويض والإيلاف من الإنسان لذلك الطير عليها ويتقن التقليد والمحاكاة، ومن المعلوم بداهة أنّ هذا الإيلاف يصدق على ذلك الفرد فقط، مع القابلية الممنوحة لكافة الجنس على ذلك، ولا يكفي تدريب فرد من هذا النوع كي يأتي جنسه مُروضاً على ذلك، فلا بد من إيلاف وترويض وتدريب كل فرد من أفراد ذلك الجنس على تقليد الإنسان في عادة الكلام. ورغم القابلية على المحاكاة الممنوحة لذلك الجنس فإنّ التدريب اللازم لكل فرد من أفراد الجنس هو لازم ليصبح عملاً من أعمال الجنس وليس الانتقال بالوراثة.

ربــط المعلومـــات

أما في الإنسان: فإنّ في دماغه بخلاف دماغ الحيوان توجد فيه خاصية ربط المعلومات وليس مجرد استرجاع الإحساس فقط، فالشخص يرى إنساناً في بغداد، ثم بعد عشر سنين يراه في دمشق، فيسترجع إحساسه به، ولكنه لعدم وجود معلومات سابقة عنه لا يربط به أي شيء، بخلاف ما لو رأى هذا الرّجل في بغداد وأخذ معلومات عنه، فإنّه يربط حضوره لدمشق بالمعلومات السابقة عنه ويدرك معنى حضوره لدمشق.

وهذا بخلاف الحيوان فإنه لو استرجع الإحساس بذلك الرّجل لا يدرك معنى حضوره، إنّما يحس فيما يتعلق بالغرائز لديه عند رؤية ذلك الرجل. فالحيوان يسترجع الإحساس ولكنه لا يربط المعلومات ولو أعطيت له بالتعليم والمحاكاة. أمّا الإنسان فإنه خلافاً لذلك يسترجع الإحساس ويربط الإحساس بالمعلومات. فدماغ الإنسان فيه خاصية الربط واسترجاع الإحساس، أمّا الحيوان فلا توجد لديه خاصية الربط، وغنما يوجد لديه استرجاع الإحساس فقط.

[2] الاسترجاع وربط المعلومات:

أما الفرق بين ما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية وبين ما يتعلق بماهية الأشياء والوقائع والحكم عليها: فإنَّ ما يتعلق بالغرائز يمكن للإنسان بتكرار الإحساس أن يسترجع الإحساس، ويمكنه بخاصية الرّبط أن يُكوّنَ من مجموع ما يحسه وما يسترجعه من إحساس معلومات، وأن يسترجع تلك الاحساسات بمعلوماتها فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية، ولكنه لا يمكن أن يربط هذه المعلومات في غير ما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية، أي لا يمكنه أن يربطها بالحكم على ماهية الشيء.

ولقد اشتبه على الكثيرين التفريق بين عملية الاسترجاع وبين عملية الرّبط، فعملية الاسترجاع لا تكون إلا فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية، ولكن عملية الربط تكون في كل شيء: سواء فيما يتعلق بالغرائز والحاجات العضوية أو في الحكم على ماهية الشيء. فالمعلومات السابقة لا بد منها في عملية الربط، وميزة الإنسان على الحيوان إنما هي في خاصية الربط. ولذلك فإنّ كون الإنسان يعرف من عوم الخشبة أنّه يمكن أن يجعل من الخشب سفينة، هي مثل كون القرد يعرف أنّ إسقاط الموزة من قطف الموز بعصا أو غير ذلك من الأدوات. فكل ذلك متعلق بالغرائز والحاجات العضوية، وحصوله حتى لو تمّ بربط معلومات فهو عملية استرجاع وليس عملية ربط، ولذلك لا يكون عملية عقلية ولا يدل على أنّ هناك عقلاً أو فكراً.

أما ما يكون عملية فكرية حقاً فإنما هو الحكم على ماهية الأشياء، والحكم على ماهية الأشياء لا يتم إلا بعملية ربط بمعلومات سابقة. ومن هنا لا بد من وجود معلومات سابقة لأية عملية ربط حتى يوجد العقل أو الفكر، أي حتى تكون العملية العقلية.

[3] تجارب الإنسان الأول:

إنّ كثيراً من الناس يحاولون الإتيان بالإنسان الأول، وكيف اهتدى من تجاربه، ومن تكوين معلومات من تلك التجارب إلى الفكر والتفكير، ليصلوا من ذلك إلى أنّ الواقع نفسه بانعكاس الدماغ عليه، أو بإحساس الإنسان به، قد جعل الإنسان يفكر وأوجد لديه عملية عقلية، أي أوجد عنده فكراً وتفكيراً. وبالرغم مما قدمناه من أنّ هذا استرجاع وليس ربطاً، وأنه خاص بالغرائز والحاجات العضوية، ولا يمكن بحال أن ينطبق على الحكم على ماهية الأشياء، كافٍ لنقضه والرد عليه.

لكن الموضوع ليس بحثاً في الإنسان الأول، ولا هو متعلق بفروض وتخمينات وتصورات واستنتاجات، وإنّما هو متعلق بالإنسان من حيث هو إنسان، فبدل أن نبحث في الإنسان الأول ونستكشف عاداته وتقاليده في المغاور والكهوف وعلى شواطيء البحار ومن صفحات الصخور لنقيس عليه الإنسان الحالي – الماثل شامخاً أمامنا نشاهده ونحس به – فنقيس الغائب على الشاهد. فلننظر في الإنسان الحالي الموجود، وندرس تصرفاته وأعماله وطريقة عيشه. وما ينطبق على الإنسان الحالي بالحس والمشاهدة ينطبق على كل إنسان كان، حتى على ما يطلقون عليه الإنسان الأول. ولذلك لا يصح أن نعكس البرهان بل يجب أن نسوقه على الوجه الصحيح.

إنَّ الإنسان الحالي أمامنا نشاهده ونحس به، فلنقم بإجراء العملية العقلية عليه فيما يتعلق بالحكم على ماهية الأشياء، ثم نرى الاسترجاع والربط والفرق بينهما. فنشاهد أنَّ المعلومات السابقة لا بد منهما في الربط عند الإنسان، إذ لا بد منها في إجراء العملية العقلية. بخلاف استرجاع الإحساس فإنّه موجود عند الإنسان كما هو موجود عند الحيوان، وهو لا يشكل عملية عقلية، وهو ليس عقلاً ولا فكراً

ولا تفكيراً. والطفل الصغير الذي لا يعرف الأشياء وليست لديه معلومات سابقة، والذي يمكن أن يأخذ المعلومات هو البرهان الصادق على معنى العقل.

[4] المعلومات السابقة وحتميتها:

إنَّ العقل أو الفكر أو الإدراك بمعنى واحد، ألا وهو الحكم على الشيء أو الحكم على الواقع، والعقل غير موجود بتاتاً إلا عند الإنسان والجان، إذ هو معدوم عند غيرهم من المخلوقات، فالعملية العقلية أي عملية التفكير لا يمكن أن يقوم بها إلا الإنسان والجان. أما الغرائز والحاجات العضوية فهي موجودة عند كل من الإنسان والحيوان، وكذلك إحساساتها فهي موجودة عند كل من الإنسان والحيوان، ولكن كل ذلك ليس عقلاً ولا إدراكاً ولا تفكيراً، إنّما هو تمييز غريزي ليس إلا. أمّا العقل أو الفكر فإنه يحتاج إلى دماغ فيه خاصية ربط المعلومات، وهذا الدماغ الصالح ليس موجوداً إلا عند الإنسان والجان.

وعليه فإنَّ العملية العقلية لا يمكن أن تحصل إلا بوجود خاصية الربط، وخاصية الربط إنما تربط المعلومات بالواقع، ولذلك لا بد لأي عملية عقلية سواء أكانت لدى الإنسان الأول أو الإنسان الحالي من وجود معلومات سابقة عن الواقع، ويشترط وجودها قبل وجود هذا الواقع أمام الشخص الذي يريد أن يعقله.

من هنا فلا بد أن تكون لدى الإنسان ألأول معلومات سابقة عن الواقع من قبل أن يعرض عليه هذا الواقع، وهذه المعلومات لآبد أن تصل إليه عن طريق التلقي من الغير، أي لا بد لهذا الإنسان أن يزود بتلك المعلومات، حتى يستطيع أن يحكم على الواقع حين يستلزم الأمر هذا الحكم، وهذا يشير إلى قوله تعالى عن تزويد آدم "الإنسان الأول" بالمعلومات السابقة: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كلها}**[736] **{قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ}**[737] **{عَلَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ}**[738] وعلى ذلك فالمعلومات السابقة هي شرط أساسي ورئيسي وحتمي لا بد من وجوده حتى تتحقق العملية العقلية، أي العقل والفكر.

[5] التفكير وعوامله الأربعة:

لقد سار علماء الشيوعية شوطاً كبيراً نحو إدراك العقل أي التفكير، فأدركوا في محاولتهم تلك أنَّه لا بد من وجود واقع حتى تتم العملية العقلية، وأدركوا أنّه لا بد من وجود دماغ سليم "أي دماغ إنساني" حتى توجد العملية العقلية. وبذلك فقد ساروا في أول الطريق المستقيم، لكنهم أخطأوا التعبير في ربط الدماغ بالواقع وعبروا عنه بالانعكاس وليس بالإحساس، إلا أنَّهُم قد انحرفوا عن الصواب كلية حين

---

[1] البقرة: (31).

[2] العلق: (4).

[3] البقرة: (33).

أنكروا ضرورة وجود المعلومات السابقة حتى تتم العملية العقلية، إذ بدون توفر تلك المعلومات لا يمكن أن يتم التفكير ولا بوجه من الوجوه. وعلى ذلك فإنَّ الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى معرفة معنى العقل معرفة يقينية جازمة هو أنّه لا بد من وجود عناصر أربعة حتى تتم العملية العقلية أي حتى يوجد العقل أو الفكر:

1. لابد من وجود واقع.
2. لا بد من وجود دماغ سليم.
3. لابد من وجود إحساس.
4. لا بد من توفر معلومات سابقة عن هذا الواقع.

فلا بد من تحقق هذه العناصر الأربعة مجتمعة، ولا بد من تحقق اجتماعها حتى تتم العملية العقلية، أي حتى يوجد عقل أو فكر أو إدراك. وعليه فالعقل أو الفكر أو الإدراك الذي هو الحكم على الواقع، أو الحكم على ماهية الشيء يكون هو: **{نقل الحس بالواقع إلى الدّماغ بواسطة الحواس مع توفر معلومات سابقة يُفسَّر بواسطتها هذا الواقع}** لذا فإنَّ عدم توفر عناصر التفكير الأربعة كاملة ومجتمعة لا يؤدي إلى العملية التفكيرية. وبالتالي فلا يتم الحكم على الواقع أو على ماهية الشيء.

[6] التمييز الغريزي في الحيوان:

نعود ثانية إلى موضوع الإدراك الشعوري أو التمييز الغريزي، فالتمييز الغريزي يحصل عند الحيوان من جراء تكرار إحساسه بالواقع. ذلك أنّ الحيوان لديه دماغ ولديه حواس كما هو الحال عند الإنسان، إلا أنَّ دماغ الحيوان خالٍ من القدرة على الربط. وإنّما فيه مركز للإحساس فقط، فلا توجد عنده معلومات سابقة يربطها بالواقع أو الإحساس، وإنَّما توجد عنده انطباعات عن الواقع، ويستعيد هذه الانطباعات حين الإحساس بالواقع. وهذه الاستعادة ليست ربطاً وإنّما هي تحرك لمركز الإحساس من جراء الإحساس بالواقع الأول أو بواقع جديد يتصل بالواقع الأول. فيحصل من هذه الاستعادة للإحساس تمييز غريزي هو الذي يعين سلوك الحيوان نحو إشباع الغريزة أو الحاجة العضوية. ويكون هذا السلوك للإشباع أو عدم الإشباع فقط، ولا يكون لأكثر من هذا مطلقاً.

وعلى هذا فإنَّ الذي يحصل عند الحيوان هو إحساس بالواقع فقط مهما تعدد ذلك الإحساس أو تنوع. وهذا الإحساس هو الذي يدفعه للإشباع أو عدم الإشباع. فمثلاً إذا قدِمَ لِطيرٍ أو حيوان طعام فإنّه يميز فيه كونه يؤكل أو لا يؤكل، ثم يعين سلوكه نحوه فيأكله أو يُعرِضُ عنه، ولا يزيد على ذلك. وإذا وصل لهذا التمييز من ناحية الإشباع وقف عند حده، فهو لا يستطيع أن يزيد على ذلك ولا يحاول أن يزيد على ذلك، فلو قدم لحصان شعير وتراب فهو يحاول أن يختبر أيهما فيه إشباع، فإذا وجد ذلك في

الشعير لا في التراب تركز عنده الإحساس بأنَّ الشعير يُشبِعُ حاجته والتراب لا يُشبِع، فيقوم بعد ذلك وفي كل المرات التي يقدم له فيها طعام بترك التراب لمجرد الإحساس به، وأخذ الشعير بمجرد الإحساس به إن كان جائعاً.

إنَّ هذا التمييز حصل عند الحيوان من تجربة حاصلة بواسطة الإحساس، وتكفي تلك التجربة ولو لمرة واحدة، وسواء أحصلت معه أو مع غيره مع إحساسه لما حصل مع غيره، وسواء أكان ذلك من تجربة شيء واحد أو تجارب أشياء متعددة مختلفة، فإنّها كلها تُحْدِث "التمييز الغريزي"، إلا أنَّ تجربة الشيء الواحد هي التي تظهر عند الحيوان أكثر من غيرها، وقد تحصل عنده تجارب متعددة كالتجربة على الشعير والتراب أو كالتجربة على الحلو والمر والحامض، وقد تحصل عنده تجارب معقدة فيصدر عنه استعادة الإحساس بما يشبه التفكير ولكنه حقيقةً استعادة لما سبق أن أحسه وليس ربطاً بمعلومات.

مثال ذلك تجربة سرقة الفئران للبيض: فإنه شوهد أنَّ فأرين يذهبان إلى سوق البيض، فينبطح أحدهما على ظهره، ويدفع الآخر البيضة على بطن الفأر المنبطح فيقبض ذاك رجليه عليها ويسحبه الفأر الآخر من ذنبه إلى وكرهما حتى يضعا البيضة فيه، ثم يرجعان للإتيان بغيرها على الوجه السابق.

إنَّ هذه العملية معقدة، ولكنها نتجت عن تجارب في استعادة المحسوسات لا عن ربط المعلومات، وهذه التجارب لا تحصل إلا بما يحصل فيه الإشباع، أو يتصل بما يحصل فيه الإشباع، فلا تحصل تجربة الفئران بغير ما يُؤكل، لكن قد تحصل في غير البيض مما يحصل فيه إشباع.

إنَّ هذا الذي حصل من الفأر والحصان، وما حصل لكلب مزرعة سجن سالسبوري، وما حصل لسعادين برهم،[739] وما يحصل من القرد والجمل وغيرهما، ليس تفكيراً وإنّما هو تمييز غريزي، وهو خاص بما يُشبع جوعات الغريزة فقط، ولا يتعدى التمييز، فلا يمكن أن يؤدي إلى معرفة ماهية الشيء الذي أشبع نفسه، وما هو الشيء الذي يحصل به إشباع، ومن هنا كان ذلك تمييزاً غريزياً وليس فكراً ولا عقلاً ولا إدراكاً.

ومثل الحيوان الطفل حين يولد فإنّه وإن كان دماغه فيه قابلية الربط، إلا أنّه لا يوجد عنده معلومات حتى يربطها بالإحساس بالواقع الجديد ليميزه، ولذلك لا يحصل عنده لا فكر ولا عقل ولا إدراك، وإنَّما الذي يحصل عنده تمييز غريزي فقط من حيث كون الشيء يُشبِع أو لا يُشبِع، وهذا التمييز الغريزي لا يجعل عنده معرفة عن حقيقة الشيء الذي ميز الإشباع فيه، فهو لا يعرف ما هو هذا الشيء الذي أشبع ولا يعرف ما هو هذا الشيء الذي لم يُشبِع، وكل ما يحصل عنده هو تمييز في حدود الإشباع فقط متمثل في هل هذا يُشبِع أو لا يُشبع فقط، فإذا عرضت على طفل تفاحة وحجر جرّب أحدهما فما يجدُ فيه الإشباع يأكله ويرمي الآخر ، فتحصل عنده من ذلك تجربة يستطيع أن يأخذ بها

[1] ألفصل الحادي عشر من الباب الأول " على هامش نظريات التطور والارتقاء المادي ". صفحه (95).

التفاح ويترك الحجر، بتمييز غريزي حصل من التجربة فقط، وذلك لأن المعلومات لم توجد عنده بعد، فإذا وجدت عنده المعلومات استعملها استعمالاً طبيعياً لأنَّ الرَّبْطَ جزء من تكون دماغه، فإحساسه بالشيء مرتبط بربطه المعلومات حتماً، فيكون وجدود المفهوم عن الشيء مربوطاً ربطاً حتمياً بالإحساس به، فيبدأ حينئذٍ عند الطفل الفكر والعقل والإدراك بمجرد وجود المعلومات اللازمة لكي يربط بها.

وعلى ذلك فالتمييز الغريزي هو: إحساس بالواقع بواسطة الحواس يحصل من جرائه تمييز الشيء من كونه يُشبِع أو لا يُشبِع . بخلاف الفكر فإنَّه نقل الواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس مع وجود معلومات سابقة تفسر هذا الواقع. فالفكر هو حكم على واقع أو على الشيء ما هو. والتمييز الغريزي هو تبيان أنّ الشيء يشبع أو لا يشبع لا غير .

وعلى هذا فإنَّ كل ما شوهد ويشاهد من تمييز غريزي لدى الحيوانات إنّما هو تمييز غريزي فيما يُشبِع أو لا يُشبع من الأشياء لا يتعداها، وإنّ كل ذلك لا يُشكِلُ عقلاً ولا تفكيراً، وإنَّ من السَّذاجَة الرَّبط بين تلك المشاهدات وبين طريقة التفكير في الإنسان، أو لإثبات وتأكيد القرابة بين القرود والإنسان، فالتمييز الغريزي هو إدراك شعوري بلا فكر موجود في الفأر والحمار كما هو موجود في القرد والسعدان وكما هو موجود بكل الحيوانات بلا استثناء.

الحيــاة والمـــوت

[1] وقفه مع التطورات العلمية

نشرت وكالة "اسوشتيتد برس" من واشنطون الخبر التالي تحت عنوان (البيت الأبيض يعلن معارضته. عالِم أمريكي يؤكد تصميمه على بدء تجارب في مجال الاستنساخ البشري):

{قال طبيب من شيكاغو أنَّه مصمم على بدء العمل في حقل استنساخ البشر على الرغم من المعارضة الواسعة النطاق لاستخدام هذه التقنية المطورة على الناس، فيما أعلن البيت الأبيض رسمياً معارضته الكاملة لإجراء مثل هذه العمليات. وقال "ريتشارد سيد" في مقابلة بثها راديو "ناشيونال بإبلك" أمس الأول: إنَّ هدفنا، وهدفي أنا هو إقامة عيادة استنساخ بشرية في منطقة شيكاغو الكبرى وجعلها عيادة إخصاب مربحة.

وقال "ريتشارد سيد": أنَّه يعتزم استخدام نفس التقنيات التي استعملها علماء اسكتلنديون عام *1966* في استنساخ النعجة "دوللي" وهي أول حيوان ثديي مستنسخ. وسوف تستخدم تقنيات مجهرية لعزل المادة الوراثية "*DNA*" من بويضة امرأة لتحل محلها مادة "*DNA*" مأخوذة من الشخص الذي سيتم استنساخه. وبمجرد الإخصاب فإنّ البويضة ستنقسم إلى ما بين *50* – *100* خلية، ثم يمكن بعد ذلك نقل الجنين إلى رحم امرأة وإذا نجحت التقنية فسيولد أول طفل مستنسخ بعد *9* شهور.

وأخبر "سيد" جريدة "صن تايمز" التي تصدر في شيكاغو أنّ هدفه الآن هو إحداث حمل مدته شهران في أنثى خلال عامين ونصف العام.

وذكر "سيد" الذي تحدث لأول مرة عن خططه في مؤتمر لتقنيات التكاثر عقد في شيكاغو لصحيفة "بوسطن كلوب" أنَّه سيتوجه إلى المكسيك إذا حُظِرَ عليه إجراء تجارب في الولايات المتحدة. وكانت لجنة قومية قد أوصت العام الماضي غداة استنساخ النعجة دوللي بأن يُصدِر الكونغرس قانوناً يحرم استنساخ البشر لأنَّ هذه التقنية تشكل مخاطر واحتمالات للتشوه وتثير قضايا أخلاقية مقلقة.

وصرح "سيد" لصحيفة "واشنطون بوست" بأنه تمكن بالفعل من تجميع عدد من الأطباء الراغبين في العمل معه، كما أنَّ لديه أربعة أزواج تطوعوا للاستنساخ ورفض ذكر أسماء أي منهم، وأضاف: قلت مراراً بأنّ أحداً لا يستطيع إيقاف مسيرة العِلم، وقد خلق الله الإنسان في أحسن صورة

ليكون خليفته على الأرض، والاستنساخ وإعادة البرمجة هي أول خطوة نحو الاستخلاف في الأرض، وقال عالِم البيولوجيا من جامعة شيكاغو "هاريت هاسون": إنَّ ريتشارد رجل لامع إلا أنّه أحمق إلى حَدٍ ما، وإذا استطاع إنسان تحقيق الاستنساخ البشري فلن يكون سوى ريتشارد سيد.

وفي واشنطون كرَّرَ البيت الأبيض أمس معارضته الكاملة لأي اختبار حول الاستنساخ البشري، دون أن يحدد ما إذا كان سيحاول التدخل لمنع الباحث ريتشارد سيد من بدء اختبارات من هذا النوع. وقال المتحدث باسم البيت الأبيض "مايكل ماكاري": "إنَّ وجهات نظرنا التي تعارض بشدّة الاستنساخ سبق وعبّر عنها الرئيس بيل كلينتون بشكل واضح جداً. "ويشير ماكاري في كلامه إلى مرسوم أصدره كلينتون العام الماضي حظر فيه استخدام الأموال الفدرالية لإجراء تجارب على الاستنساخ البشري. وكان كلينتون قد أصدر هذا المرسوم بعد إعلان ولادة النعجة "دوللي" في مختبرات "بي. بي. إل تيرابوتيكس" الاسكتلندية في أول عملية استنساخ حيوان بالغ}}[740]

كما تسابقت عدة محافل رسمية وغير رسمية ودينية غربية وعربية في إعلان المعارضة التامة لإجراء أي تجارب في مجال الاستنساخ البشري مطالبة إصدار تشريعات صارمة لمنع ذلك. فقد وقعت *19* دولة أوروبية بتاريخ *1998/01/12*م. في باريس اتفاقاً يحظر استنساخ الكائنات البشرية، وذلك خلال حفل نظم في وزارة الخارجية الفرنسية، ويرفض الاتفاق أي استثناء لحظر تكوين كائنات بشرية مطابقة وراثياً لكائن آخر حي أو ميت، أياً تكن التقنية المستخدمة.[741]

ويرى البروفسور "أكسيل كان" المتخصص في علم الوراثة أن تطبيق الاستنساخ إلى البشر يعني ظهور نوع جديد من البشر إلى جانب المولودين بشكل طبيعي، أي نوع جاء بناء على رغبة أناس آخرين وطبقاً لمواصفات معينة يخشى أن تحولهم على أناس خاضعين لصانعيهم. كما يرى البروفيسور"كان" أن الاستنساخ البشري سيشكل تراجعاً بالنسبة للمجتمع وانكفاءً اجتماعياً وانكماشاً على الذات.[742]

ويبرر مؤيدو استنساخ البشر في الولايات المتحدة وبريطانيا موقفهم بالمنفعة التي يمكن أن تُجبى منه، مثل تعويض عائلة فجعت لفقدها طفل... ويقول البروفيسور"كان": (إنَّ الخلايا البالغة التي ستستخدم في الاستنساخ ربما تكون مشوهة بسبب التلوث والأشعة الكونية أو التدخين، وليس هناك ما يؤكد أنَّ المولود المستنسخ سيكون طبيعياً وغير مصاب بتشوهات أو أمراض أو معرض لشيخوخة مبكرة)[743]

---

[1] جريدة " القدس " / الصادرة في فلسطين يوم الخميس 8 / 1 / 1998، نقلاً عن وكالة " اسوشيتدبريس ".

[1] جريدة القدس الصادرة بتاريخ 1989/1/13 م. نقلاً عن وكالة " فرانس برس ".

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

وإذا كان الرئيس بيل كلينتون فرض حظراً على تجارب الاستنساخ في الولايات المتحدة لخمس سنوات فإنّ قراره هذا لا يشمل المختبرات الخاصة. إلا أن وزيرة الصحة الأمريكية "دونا شلالا" أكدت أنَّ الولايات المتحدة لن تسمح للطبيب "ريتشارد سيد" الذي وصفته بأنه مجنون باستنساخ بشر على أراضيها مؤكدة أنّ العمل جارٍ لإصدار قانون بهذا الصدد.[744]

وقد كشف كل من الدكتور "أحمد جلال الليثي" والدكتور "علي عليان" أستاذ أمراض النساء والولادة بكلية الطب / جامعة عين شمس، عن إجراء تجارب لاستنساخ البشر في ايطاليا. فقد قالا في تصريح لمجلة "العِلم" المصرية: أنَّ العالِم "د. انتي نوري" أجرى عملية استنساخ بشري في تكتم شديد وسرية تامة بمعمله الخاص. وأنَّ هذه العملية أجريت على سيدة إنجليزية وهي حالياً حامل بهذه الطريقة.[745] ويعلق "د. محمد فريد الأسمر" أستاذ الهندسة البيولوجية والوراثية بكلية الطب / جامعة عين شمس" (إنَّ ما أعلن مؤخراً عن استنساخ النعجة دولي والقردين في أمريكا هو أحد تطبيقات تكنولوجيا البيولوجيا الجزئية... إنَّ لهذه التكنولوجيا أخطاراً ومساوئ تستدعي الحذر ووضع بروتوكولات وقوانين ملزمة... حيث أنّ عواقبها قد لا يمكن التحكم فيها وتؤدي إلى ما تعرف له حدود حتى الآن!!!... إنّه لا يمكن قبول أن تجمع البشر صفات وأشكال واحدة... فهذا ضد القوانين السماوية ولا نعلم هل سيكون النتاج به عيوب خلقية متضاعفة مما يؤدي إلى ظهور أمراض يمكن أن تقود إلى فناء الجنس البشري لأنه عادة بالتزاوج بين الأفراد المتباعدين في القرابة تخف حدة الأمراض الوراثية)[746]

ويعلق الدكتور عادل الناظر – أستاذ مساعد أمراض النساء بطب عين شمس:

(إنَّ الاستنساخ حرام شرعاً، وهي مسألة ضد القوانين السماوية وضد الطبيعة والأخلاقيات، وهي تكنولوجيا تشكل مفاهيم جديدة في عالَم الحمل والولادة والتكاثر. وأعتقد أنّ قصرها على النباتات لإنتاج وتحسين المحاصيل أفضل، وكذلك على الحيوانات للحصول على سلالات جيدة....)[747]

أمّا الدكتور "أحمد جلال الليثي" – أستاذ أمراض النساء والولادة بكلية الطب / جامعة عين شمس فيقول: (نحن بلد إسلامي نرفض استنساخ البشر لأنّ هذا يُعد كفراً بالدين ومرفوض أخلاقياً واجتماعياً، وضد كيان الأسرة وصحة الإنسان، ومخالفة صريحة للشريعة والمبادئ الأخلاقية...)[748]

وبتاريخ *1998/1/19*م. أعلنت إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية أنّ القانون الأمريكي يخولها **وحدها** تنظيم الأبحاث العلمية في الولايات المتحدة. جاء ذلك في تصريحات نقلتها صحيفة "واشنطن

---

[1] المصدر السابق.

[2] دورية " العِلم " المصرية، عدد (247)، ابريل 1997، صفحه (4).

[3] المصدر السابق، صفحه (5).

[1] المصدر السابق، صفحه (6).

[2] المصدر السابق.

بوست" عن مسئول في الإدارة وعقب فيها على تأكيد وزيرة الصحة "دونا شلالا" قبل عشرة أيام بأنّ الحكومة الأمريكية لن تسمح للباحث "ريتشارد سيد" بخوض مضمار استنساخ البشر كما أعلن في وقت سابق من هذا الشهر. وقال "مايكل فريدمان" المسئول عن إدارة الأغذية الأمريكية للصحيفة أنّ: (القانون الخاص بالأغذية والأدوية ومستحضرات التجميل يخولنا تنظيم استنساخ البشر ونحن على استعداد لممارسة ذلك) وقال فريدمان "إنّ أي شخص يريد إجراء مثل هذه التجارب عليه أن يقدم طلباً إلى الإدارة التي ستبحث كل ملف بالتفصيل قبل الموافقة عليه أو رفضه." مشيراً إلى أنّ المخالفين سيتعرضون لملاحقات قضائية.[749]

وفي نبأ من دانيا/فلوريدا نقلته وكالة "اسوشيتدبرس"، قال العالِم الاسكتلندي الذي قاد فريق العلماء في استنساخ النعجة "دوللي" بنجاح: أنّ التفكير في الاستنساخ البشري أمر مرعب ومذهل، وأضاف "أيان دولمت" في محاضرة قامت برعايتها جامعة "ساوت ويستيرن": (الاستنساخ محزن بما فيه الكفاية إذا طبق على حيوانات المزرعة ولكنَّ التفكير في تطبيقه على البشر يُثير الهلع في نُفوسنا) وقال أنّ أي محاولات لاستنساخ البشر من المحتمل أن تُسْفِرَ عن أجِنّة مُشوهة قد تموت عقب ولادتها مباشرة، وانتقد "ديلموت" إعلان الطبيب "ريتشارد سيد" مؤخراً من شيكاغو عن خطط لإقامة عيادة لبدأ الاستنساخ البشري خلال عامين. ووصف الفكرة بأنها خالية تماماً من الإحساس بالمسؤولية. وقال أن فريق البحث الذي ترأسه في معهد روزلين بمدينة أدنبره تلقى رسائل من آباء توفي أبنائهم أرادوا استنساخ أعزائهم المتوفين. وكانت إجاباتنا أننا بالطبع عاجزون عن ذلك.[750]

وبعد نجاح عملية الاستنساخ بولادة النعجة دوللي "اللعبة" وتصريحات العالِم الأمريكي "ريتشارد سيد" قفز الموضوع ليتصدر العناوين الرئيسية في الصحف والمجلات العالمية، خاصة بعد الإعلان عن إطلاق اسم "مستر جيفرسون" وهو أحد رؤساء الولايات المتحدة على أول عجل مستنسخ[751] ففي عنوان تحت صورة "فوتي كوبي" ورد عنوان: – هل يأتي الغد بماكينة لصنع البشر؟ – وبلغت حمى المبالغات في ذلك – أعظم من القنبلة الذرية – أفظع من اكتشاف كوبر نيكوس – أهم اكتشاف في القرن العشرين – بدأ العلماء يخلقون الإنسان –.. إلى درجة أنّ مجلة "ايما *Imma*" الألمانية بشرت بمجتمع النحل الإنساني الأنثوي الجديد لإزالة تسلط الذكور كما تصفه المجلة المذكورة.[752]

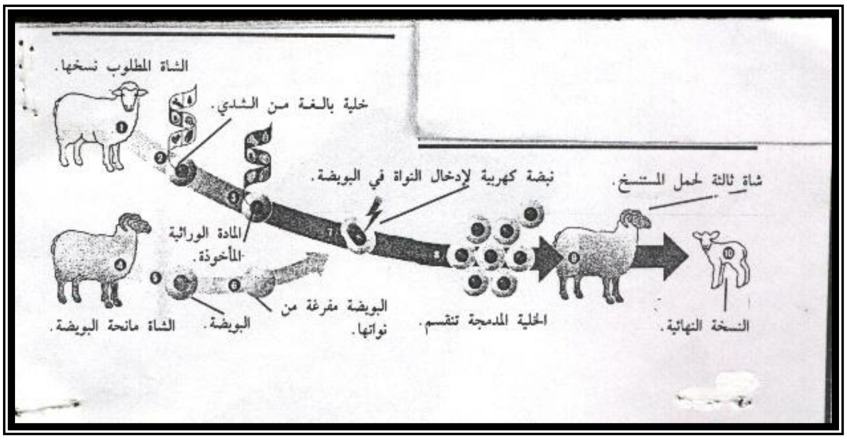
---

[3] جريدة " القدس " / فلسطين، بتاريخ 1998/1/20، نقلاً عن: (أ ف ب).

[1] جريدة " القدس " / فلسطين، بتاريخ 1998/1/23، نقلاً عن: (اسوشيتدبرس).

[2] جريدة " القدس " / فلسطين، بتاريخ 1998/2/24.

[3] دورية " العربي " / الكويت، العدد (463)، يونيو 1997.





ريفر سايد - الينوي- الدكتور ريتشارد سيد يجيب على اسئلة الصحفيين هنا امس حول نيته اجراء تجربة استنساخ بشري.
صورة من اسوشيتدبرس خاصة بـ القدس

إن التطورات العلمية الهائلة التي توصل إليها العُلماء في مجال البيولوجيا "الأحياء"، وعلم الأجنة البشري، والجينات، والبيولوجيا الطبية، والهندسة الوراثية، وأخيراً وليس أخراً الاستنساخ البشري، قد فاقت كلّ التوقعات وأذهلت العقول.

إنّ هذه التطورات العلمية الهائلة واستخداماتها بفضل التكنولوجيا بالغة التطور، إن دَلت على شيء فإنّما تدل على عظمة الله وقدرته، وحكمته وإتقان صنعه، وأنّه هو الخالق المبدع لهذه الكائنات، وأنّها لم تخلق صدفة، لأنّ ما فيها من نظام دقيق تسير عليه، وقوانين دقيقة تضبطها وتسيرها، وخواص مهيأة لما تصلح له، وما خلقت لأجله ينفي أن تكون قد خلقت صدفة، لأنّ الصدفة لا توجِد القوانينَ الدقيقة والنظام المحكم. فالقوانين الدقيقة والنظام المحكم يقتضي وجود المنظم المبدع القدير الحكيم. قال تعالى: **(إنّا كلّ شيء خلقناه بقدَر)**[753] وقال تعالى: **(وَخَلَقَ كلّ شيء فقدّره تقديراً)**[754]، أي خلق كل شيء خلقاًً مراعىً فيه التقدير والتسوية، وهيأه لما يصلح له، فكان خلقاً بتقدير حكيم وليس خلقاً من غير تقدير. وإنّ هذا الخلق هو خلق من عدم، وليس إيجاداً من موجود، لأنّ الإيجاد من الموجود ليس خلقاً.

---

[1] القمر: (49).

[2] الفرقان: (2).

إنّ ما توصل إليه العلماء من تطورات علمية، ومن استخدام مدهش لهذه التطورات العلمية، والتي ساعدهم على القيام بها والتوصل إليها التطورُ المذهل للتكنولوجيا، سواء في الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد، ما هو إلا قليل من كثير مما هو موجود في الكون من أسرار، ومن أنظمة وقوانين تتحكم في الأشياء وتنظم سيرها ومن خاصيات أودعها الله في الأشياء لتكون صالحة لما خلقت له، وصدق الله تعالى حيث يقول: **(وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً)**[755] وإنّ ما توصل إليه العلماء وما قاموا به ما هو إلا اكتشاف بسيط لبعض القوانين والأنظمة والخاصيات وإبراز لها، وليس فيه أي خلق، لأنه ليس إيجادا من العدم وإنّما هو إبراز لما هو موجود. وإنه كلما تقدم العِلم والعُلماء في ذلك ازدادت الدلالة على عظمة الخالق وعلى كامل قدرته وبالغ حكمته، وازدادت قوة الإيمان به. وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله: **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق)**[756]

إنّ هذه التطورات العلمية المذهلة التي وصلت إلى حد استنساخ النبات والحيوان، والتي تواصل طريقها للوصول إلى استنساخ الإنسان، قد أصبح لها حضور في الساحة، مما يقتضي التصدي لها من باب رعاية الشؤون والقوامة على المجتمع، لأنّ لها مساساً بحياة المسلمين.

وهي وإن كانت نَتاجَ تجارب علمية، والعِلم عالمي لا يختص بوجهة نظر معينة، إلا أنّ استعمالاتها والأخذ بها تكون مبنية على وجهة النظر في الحياة. ولكون هذه الإنجازات العلمية ظهرت في العالم الغربي ابتداءً، فإنّه أخذ بها باعتبارها نافعة، على أساس أنه يتبنى وجهة النظر المبنية على فصل الدين عن الحياة، لأنّ الشعب هو صاحب السيادة، ولأنّ الشعب يملك العقل القادر على إدراك المصالح والمفاسد والمنافع والمضار، وقد جعل القيمة المادية التي هي النفعية مقياسَه في الحياة، وجعلها هي القيمة المعتبرة من بين جميع القيم، ولم يُقِم وزناً للقيم الأخرى من روحية وخلقية وإنسانية. وحين يقوم بعمل يحقق منفعة له، فإن لم يرَ أنّ فيه منفعة له فإنّه لا يقوم به ولا يعيره أي اهتمام.

لذلك فإنّهُم عندما يستخدمون ما توصل إليه العِلم، لا ينظرون إلا إلى كونه يحقق لهم القيمة المادية، أي يحقق لهم المنفعة، بقطع النظر عن كونه يتفق مع القيم الروحية والخلقية والإنسانية أو يتناقض معها، لأنّ هذه القيم ليست مقياساً للأعمال عندهم ولا اعتبار لها في تصرفاتهم. ومقياسهم الوحيد هو القيمة المادية المتمثلة بالنفعية.

إنّ وجهة النظر الغربية الصليبية هذه سببت للعالم أشد الكوارث، وكانت الحربان العالميتان من نَتاجها، لأنهما أشعلتا لفرض السيطرة والاستعمار الغاشم لتحقيق المنافع واستغلال الشعوب ونهب

[3] الإسراء: (85).
[4] فصلت: (35).

ثرواتها. كما أنّ الحروب التي أشعلوها بعد ذلك كحرب الخليج وحرب الإبادة الصليبية التي شنوها على المسلمين في أفغانستان هما أيضاً من نَتاج وجهة النظر الغربية تلك.

وتبنى وجهة النظر هذه لفكرة النفعية والحريات ومنها الحرية الشخصية، انفلت سُعار الجنس، حتى صارت المجتمعات في العالم الصليبي الغربي كقطعان الحيوانات، وأصبح الزنا والمعاشرة الجنسية خارج نطاق الزوجية والشذوذ الجنسي فيها أمراً عادياً، ومسموحاً به قانوناً، مما ترتب على ذلك كثرة أولاد الزنا وكثرة الولادات غير الشرعية، حتى وصلت نسبتها إلى ما يزيد عن خمس وأربعين في المائة من الولادات حسب الإحصاءات التي تنشرها الصحف في العالم الغربي بين الحين والآخر. وهذا يعني أنّ ما يقرب من نصف أولاد العالم الغربي أولاد زنا، ومنهم من هم في مراكز الحكم والقيادة والقرار. حتى عندما تم الكشف عن الفضائح الخلقية التي قام بها رئيس الدولة العظمى في العالم الرئيس المراهق "بيل كلينتون" قامت العاصفة في الدولة وكادت تطيح به كرئيس دولة لا لأنه قد زاول الزنا والفاحشة، بل لأنه كذب وأنكر قيام علاقاته مع "مونيكا" وغيرها من العاهرات. وعندما ظهر هذا الرئيس المراهق على المنصة الرئيسية لمؤتمر اللوطيون في واشنطن فقد مر ذلك دون أي اعتراض لأنه لا ضير في ذلك العمل المشين بناء على قاعدة الحرية الشخصية!!!!

وبذلك ضاعت القيم الروحية والخلقية والإنسانية في مجتمعات العالم الغربي الجاهلي، وهدمت الأسرة وقضي على العفة، ولم يعد هناك عندهم شيء اسمه شرف، فترتب على ذلك وعلى كثرة الولادات الناتجة عن الزنا وعن المعاشرة خارج نطاق العلاقة الزوجية، إباحة الإجهاض قانونياً في كثير من دول العالم الغربي. وهذا يتيح الفرصة لمن تريد من النساء أن تتخلص من حملها خاصة إن كان ناتجاً عن علاقة غير زوجية. وأخذت هذه الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة تسوقه إلى مجتمعات العالم الإسلامي، مع تسويق فكرة تقليل النسل كما حصل في "مؤتمر السُّكان" الذي عقد في القاهرة، وفي "مؤتمر المرأة" الذي عقد في بكين، لتصبح المجتمعات في العالم الإسلامي مثل المجتمعات في العالم الغربي، ليقضى فيها على القيم والأخلاق الإسلامية الباقية في هذه المجتمعات، ولتهدم الأسرة ولينفلت فيها سُعار الجنس، ما دام يُمَكِن العالَمَ الغربي وعلى رأسه أمريكا من الهيمنة على العالم الإسلامي، ومن تركيز مفاهيمه وحضارته ووجهة نظره عن الحياة في مجتمعات العالم الإسلامي. وقد تبين ذلك بوضوح أيضاً أثناء الحرب الصليبية على أفغانستان الهجمة الوقحة في وسائل الإعلام التي قادتها الولايات المتحدة وبريطانيا على تقيد المسلمين هناك باللباس المحتشم للمرأة معتبرين ذلك تخلفاً وانتهاكاً لحرية المرأة وحطاً من كرامتها يجب مقاومته وإزالته بكل الوسائل، فسارعوا من اليوم الأول لاحتلال كابول بنشر أسطوانات الغناء والإباحية والفجور، والطلب بكل صفاقتهم المعهودة بحلق اللحى وخلع الملابس المحتشمة للمرأة.

إنّ وجهة النظر تلك هي وجهة نظر كفر، وهي تتناقض مع وجهة النظر في الإسلام تناقضاً كلياً. فوجهة النظر في الإسلام تقضي أن يسير الإنسان جميع أعماله في الحياة وَفْقَ أوامر الله ونواهيه، وأن يقيس كافة أعماله بمقياس الإسلام الذي هو الحلال والحرام فقط. والحلال هو ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، وأحكام الحلال والحرام تؤخذ من النصوص الشرعية المأخوذة من الكتاب والسُّنة وما أرشدا إليه من قياس وإجماع صحابة، والحلال يؤخذ والحرام يُترك بقطع النظر عن المصلحة والمفسدة، وعن المنفعة والمضرة، لأنّ العبرة هي بشرع الله، فالله سبحانه هو المُشرع وليس الإنسان، وعقل الإنسان عمله فهم النصوص وليس تشريع النصوص والأحكام. لذا فينبذ نبذ النواة فتاوى مشايخ السلاطين المجترئين على دين الله والمحلين لما حرّم الله المحرمين لما أحل.

والناحية العلمية وإن كانت عالمية وغير مختصة بوجهة نظر معينة، إلا أنّ ما يتوصل إليه العلم من نتائج، يكون استعمالها حسب أحكام الشرع بنص صريح أو اجتهاد مستكملاً لشروطه، فإن أباحها الشرع أخذت، وإن حرمها تركت وحَرُمَ أخذها. هكذا يجب أن تكون نظرتنا لكل ما ينتجه العِلم.

لذا فقد تعاملنا مع موضوعات هذا الفصل على هذا الأساس، فقد عرضناها على النصوص الشرعية، وبذلنا الوُسع في ذلك، وعلى هدي النصوص الشرعية وفهمنا لها بينا ما يحل لنا أخذه وما يحرم علينا أخذه حسب ما تقتضيه تلك النصوص، دون أي اعتبار لأي شيء آخر من مصالح ومفاسد، أو منافع ومضار، فالمصلحة المعتبرة عند المسلم هي ما اعتبرها الشرع مصلحة، وأما ما لم يعتبرها الشرع مصلحة فيحرم أخذها على الإطلاق.[757] فقد كان هذا هو الأساس في تناولنا كافة مواضيع هذا الفصل وهي:

الاستنساخ ـ نقل الإعضاء ـ الإجهاض ـ أطفال الأنابيب ـ أجهزة الإنعاش الطبية ـ الحياة والموت .

لقد بُذِل الوسع في ذلك، ونسأل الله تعالى إصابة الحكم الشرعي الصحيح في كل ما تناولناه من أبحاث. فإن تحقق القصد فالحمد والشكر لله تعالى، وإن خفي علينا شيء فندعوا الله تعالى المغفرة والصفح، ونسأله تعالى أن يُلهم المسلمين جميعاً الالتزام التام بالإحكام الشرعية. والله نسأل حُسْن العمل وخير الثواب.

لقد تم نقل معظم مواضيع هذا الباب من كتاب الأستاذ عبد القديم زلوم (حكم الشرع في....)، بتصرف. كما تم الاستئناس ببعض المصادر الفقهية التي تناولت مواضيع الحياة والموت، ومصادر منوعه أخرى تناولت مواضيع البحث.

---

[1] الشويكي – محمد، الواضح في إبطال المصالح، ط (1)، 1418 هـ ~ 1997 م.

[2] الحياة والروح :

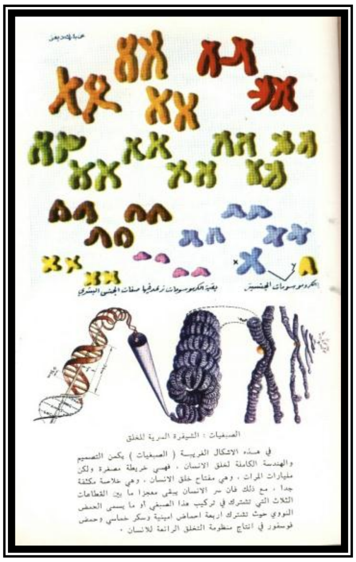
الحياة في اللغة نقيض الموت، والحياة هي مظهر سر الحياة، فَسِر الحياة لا يُعرَف، ولكن الحياة تُعرَف لأنها مظهر لهذا السر، فالشخص يعرف أنّ العود يابساً أو أخضر، ولكن لا تعرف ما هو سر حياته، فالحياة لها مظاهر وآثار، تدل عليها، **منها**: الحسّ والحركة والنمو والغذاء. والحياة تظهر في الإنسان والحيوان والنبات، وتظهر آثارها ومظاهرها في هذه المخلوقات الحية الثلاثة، غير أنّ الإنسان والحيوان فيهما القدرة الذاتية على الانتقال من مكان إلى آخر، وهذا غير موجود في النبات.

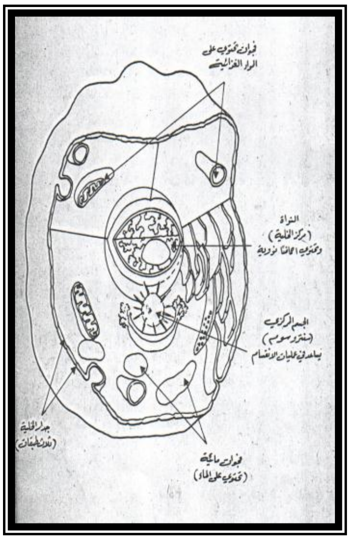
والحياة في الإنسان والحيوان والنبات قائم على نظام الزوجية (أي تزاوج وتلاقح بين ذكر وأنثى)، وهذا مضطرد وشامل لجميع هذه المخلوقات الحية، فكلها يحصل بين الذكر والأنثى. (سبحن الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم)[758] (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)[759]

والحياة في الإنسان تكون حياة إنسانية نامية، وفي الحيوان تكون حياة حيوانية نامية، وفي النبات تكون حياة نباتية نامية، فهي مختلفة حسب كل نوع من هذه المخلوقات الثلاثة.

والحياة موجودة في الحيوان المنوي لكل من الإنسان والحيوان، وفي بويضات الإناث لكل من الإنسان والحيوان، كما هي موجودة في بيوض الطير وبعض الحيوانات كالزواحف، كما أنها موجودة في أجنة بذور النباتات. أما الحياة الموجودة في الحيوان المنوي في كل من الإنسان والحيوان، فكلتاهما تتميزان بالحركة والحياة، بخلاف الحياة في أجنة بذور النباتات إذ هي كامنة لا تظهر فيها الحركة.

والله تعالى جلت قدرته قد جعل في الحيوان المنوي لكل من الإنسان والحيوان، وفي بويضات إناث الإنسان والحيوان، وفي بيوض بعض الحيوانات، وفي بيوض الطير، وفي أجنة بذور النباتات، عناصر التخطيط النووي للخلية، بحيث لا تنتج إلا نوعها من إنسان أو حيوان أو نبات، وتكون فيها عناصر الوراثة، تتسلسل إليها جيلاً بعد جيل.





---

[1] يسن: (36).

[2] الذاريات (49).

فالحيوان المنوي للرجل، وبويضة المرأة، فيهما عناصر الوراثة للآباء والأجداد صعداً حتى آدم عليه السلام، ولا يمكن بحال أن تحصل حياة إنسانية دون تلاقح بين الحيوان المنوي للرجل وبويضة المرأة – يستثنى من ذلك ما اختص الله تعالى أدم وحواء وعيسى عليهم السلام – ولا ينتجان إلا إنساناً متميزاً، ويكون هذا الإنسان حائزاً على صفات من آباءه وأجداده، من مثل الأشكال والألوان والتكوين الخلقي.

وكذلك الحال بالنسبة للحيوان، فإنّ حيوانه المنوي لا يمكن أن ينتجَ إلا بتلاقحه مع بويضة الأنثى من الحيوان، وكذلك الحال بالنسبة لبيوض الطير والحيوان فلا بد فيها من لقح الذكور لها حتى تُنتج، وانه يوجد لكل نوع من هذه الأنواع الحيوانية مخططات جنينيه أصيلة أودعها الله في حيواناتها المنوية، وفي بويضات إناثها وبيضها، وبهذه المخططات العجيبة يتميز كل نوع عن الآخر بصفاته وخلقه وخواصه.

كما أنّ الله تعالى قد جعل في بذور النباتات عناصر التخطيط النووي للخلية حسب نوع النبات، وبهذا التخطيط يتبع سيره في تكوين النباتات والأشجار المختلفة الثمار والأكل، على اختلاف في ألوانها وثمراتها وأنواعها. فبذرة القمح لا تنتج إلا قمحاً، وبذرة الشعير لا تنتج إلا شعيراً، كما أنّ بذرة اللوز لا تنتج جوزاً ولا بلوطاً ولا تفاحاً.

إنّ العناصر التي تتألف منها النباتات معلومة، وكلها بلا استثناء تمتص غذاءها من الأرض من تراب واحد، وتسقى بماء واحد، ومع ذلك تخرج مختلفة، حتى لو زرعنا في مساحة متر مربع من الأرض الحلو والمر والحامض والحار والسّام، وسقيناها بماء واحد، نجد أنّ كل صنف يخرج ثماره المختلفة المميزة عن غيره، دون أي اختلاط أو امتزاج.

هذه هي الحياة .... أمّا الروح فإنّها غير الحياة .... إذ هي سر الحياة وقوامها، وحقيقة الروح من الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى، فلا يعلمها غيره، إذ هي من المغيبات، ومما لا يقع عليه الحس، لذلك لا يمكن أن تجري عليها التجارب والاختبارات، وفي الروح قوله تعالى: **(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العِلم إلا قليلاً)**[760]

وللروح مظاهر وآثار تدل عليها، فالفقه والعقل والاستماع والإبصار والحركة الإرادية هي من مظاهر الروح، ولا توجد إلا بوجود الروح، فإذا نزعت الروح فقدت كل الآثار والمظاهر، وقد خلق الله تعالى آدم جسداً، ولكنه لم يتمتع بالعقل والفقه والسمع والإبصار والحركة الإرادية إلا بعد نفخ الروح فيه، قال تعالى **(فإذا سَوَيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)**[761]

---

[1] الإسراء: (85).

[2] الحجر: (29).

وفي النوم يتوفى الله الأنفس ويقبض الأرواح، لذلك فالنائم يفقد مظاهر الروح من الفهم والإدراك والإبصار والاستماع والحركة الإرادية. وفي ذلك قوله تعالى: **(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها بالموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إنّ في ذلك لآيات يتفكرون)**[762] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين ناموا عن الصلاة: (إنّ الله قبض أرواحكم حيث شاء وردها حيث شاء)[763]

والروح تحل في الجنين الحي، فالحياة في الجنين سابقة على حلول الروح فيه، لأنّ الجنين تكوّن مع التلاقح بين الحيوان المنوي للرجل وبويضة المرأة، والحيوان المنوي فيه حياة قبل أن يتصل ببويضة المرأة ويتلاقح معها ليكونا جنيناً، والحيوان المنوي الذي لا حياة فيه لا يمكن أن يتلاقح مع بويضة المرأة ويكون معها جنيناً، وكذلك بويضة المرأة فيها حياة قبل أن يلتقي بها الحيوان المنوي، والبويضة الفاسدة التي لا حياة فيها لا يمكن أن يلقحها الحيوان المنوي، وبالتالي لا يمكن أن يحدث بينهما إخصاب ولا يمكن أن يكون جنيناً.

لذلك فالحياة موجودة في الحيوان المنوي للرجل، وفي بويضة المرأة قبل أن يحصل التلاقح بينهما، وعند حصول التلاقح بينهما يبدأ العمل المشترك منهما في السير لتكوين الإنسان المتميز، فيمشج كل منهما ما عنده من عناصر التخطيط النووي مع ما عند الآخر، وما فيهما من الخِلَق المُخلقة التي خطها الله سبحانه وتعالى للإنسان المتميز الذي سيخلق من هذا التلاقح ومن هذا الاختلاط تتكون النطفة الأمشاج. قال تعالى: **(أنأ خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)**[764] ثم تقوم تلك النطفة بقدرة أودعها الله فيها بتقسيم نفسها تقسيماً بعد تقسيم، وتبدأ الخلايا التي تكون الجنين سيرها في تطورها من نطفة إلى علقه إلى مضغة على الترتيب الذي ورد في القرآن الكريم، والذي سبق لنا بيانه في الباب السابق من هذا الكتاب. وهو ما ورد في قوله تعالى من سورة الحج: **(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فآنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ونقر في الأرحام ما نشاء)**[765]

وفي فترة هذا التطور من نطفة إلى علقه إلى مضغة تكون الحياة في الجنين موجودة ولكن بدون روح، وتكون حياة خلوية فيها خصائص الحياة المطلقة من نمو والغذاء وتشَكُل وحركة غير إرادية، وتختلف حياة الحياة الخلوية عن حياة النبات، لأنّ حياة الجنين هذه حياة نامية إنسانية، وحياة النبات فيها نامية نباتية وليس فيها جهاز حركة فعال ولا جهاز عصبي كما هو موجود في الجنين، وتختلف

---

[1] الزمر: (42).

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] الإنسان: (2).

[1] الحج: (5).

عن الجنين في طريقة الغذاء، فالنبات يقتات بما تمتصه من الأرض، فيحوله بواسطة الضوء والمادة الخضراء "اليخضور أو الكلوروفيل"[766] إلى غذاء، ويستهلك ثاني أكسيد الكربون ويفرز الأكسيجين.

وعليه فالحياة في الجنين وفي أعضاء الإنسان لا يتوقف وجودها على وجود الروح، فتوجد قبل وجود الروح، وفي حالة وجودها، وبعد فقدها عند الموت، بدليل أنّ أعضاء الميت كالقلب والكلية والعين والأطراف يمكن أن تنقل بعد موته وخروج روحه إلى إنسان آخر قبل أن تفقد تلك الأعضاء الحياة، غير أنّها لا يكون فيها روح، وتبقى حية مع الإنسان الآخر الذي نقلت إليه.

هذه هي حياة الجنين في تطورها من لحظة الإخصاب إلى ما قبل نفخ الروح، فإذا ما اكتمل سير الجنين في تطوره من نطفة إلى علقة إلى مُضغة مخلقة وغير مُخلقة، تحولت المضغة إلى عظام ثم كسيت العظام لحماً، وعندها يصبح الجنين على صورة إنسان، وبعدها يُنفخ فيه الروح، فيصبح بذلك إنساناً سوياً، مختلفاً عن الخلق السابق، فيظهر فيه الإحساس، وتصبح حركته في بطن الأم الحامل حركة إرادية. قال تعالى: **(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مَكين، ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)**[767]

وفيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق قال: (إنّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله مَلَكاً فيُؤمر بأربع كلمات، ويقال له أكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله الذي لا إله غيره أنّ أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وما بينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها)[768] ومفهوم الحديث أنّ نفخ الروح في الجنين يكون بعد مرور مدة *120* يوم أي أربعة أشهر.

---

[2] اليخضور، الكلوروفيل *chlorophyll:–Chlorophyl* المادة الخضراء الملونة الموجودة في جميع النباتات باستثناء الفطور وبعض النباتات الطفيلية. وهي تتألف من صبغين: الكلوروفيل الأخضر الضارب إلى الزرقة أو كلوروفيل (أ)، والكلوروفيل الأخضر الضارب إلى الصفرة أو كلوروفيل (ب). وكثيراً ما يشتمل اليخضور على صبغين آخرين هما الجزرين و اليصفور. – المؤمن نوراً أساسياً في عميلة التخليق الضوئي *photosynthesis*، محولاً طاقة الضوء المشعة إلى طاقة كيميائية ومُمَكِناً النباتات من صنع المواد الكربوهيراتية من الماء وثاني أو كسيد الكربون.

[1] المؤمنون : (12 – 14) .

[2] رواه الشيخان.

[3] الأحكام الشرعية المتعلقة بالجنين:

لقد سَنَّ الإسلام أحكاماً شرعية بهدف المحافظة على المجتمع، وتلك الأحكام اعتبرت كأهداف عليا للمحافظة على المجتمع وصيانته، ومن تلك الأهداف المحافظة على النفس الإنسانية. فهل يعتبر الجنين في بطن أمه نفساً إنسانية يجب الحفاظ عليها أم لا؟ وباستقراء الأحكام الشرعية المتعلقة بالجنين في بطن أمه الحامل وجد أهمها ما يلي:

أ - الإجهاض (الإسقاط) .

الإجهاض مشكلة من مشاكل المجتمعات الجاهلية في العالم الغربي، دعا إليه فساد تلك المجتمعات وكثرة الولادات غير الشرعية الناتجة عن عمليات الزنا التي لا تُحصى، وعن عمليات المعاشرة خارج نطاق العلاقة الزوجية، حتى بلغت نسبة هذه الولادات خمساً وأربعين في المائة من مجموع الولادات، حسب إحصاءات تنشرها صحف الغرب، وكانت هذه النسبة تنقص أحياناً وتزيد أحياناً أخرى، حتى وصلت الزيادة أحياناً في بعض الدول إلى نسبة سبعين في المائة. وهذه الولادات غير الشرعية، وجدت نتيجة انطلاق سُعار الجنس قي هذه المجتمعات الجاهلية لتبنيها عقيدة فصل الدين عن الحياة، ولفكرة الحريات التي منها الحرية الشخصية، التي تبيح للإنسان أن يتمتع في هذه الحياة بجميع متع الحياة، حتى أصبح الزنا والمعاشرة خارج نطاق العائلة "خارج العلاقة الزوجية" عادياً وأمراً مشروعاً قانونياً، حتى أصبحت المجتمعات الغربية كقطعان الحيوانات نتيجة تلك الحرية ونتيجة هذا السُّعار الجنسي.

إنَّ كثرة الولادات غير الشرعية التي جعلت ما يُقارب نصف أولاد المجتمعات الغربية أولاد زنا، قد دفعت كثيراً من دول العالم الغربي إلى إصدار قوانين تبيح للمرأة التي تريد أن تتخلص من حملها، خاصة إذا كان من عمليات زنا، أو عمليات معاشرة خارج نطاق العلاقة الزوجية بأن تُسْقِط حملها، لأنّ الأم في المجتمعات الغربية هي التي تتكفل بتربية أولادها الذين حملت بهم من عمليات الزنا، أو عمليات المعاشرة خارج نطاق العلاقه الزوجية.

وقد أخذت الدول الكافرة في العالم الغربي وعلى رأسها أمريكا، تسوق لنا إباحة الإجهاض، من ضمن حضارتها لتشيع الفاحشة بين المسلمين ولتهدم الأسرة ويقضى على البقية الباقية من القيم والأخلاق الإسلامية في مجتمعات العالم الإسلامي.

هذا هو واقع الحال في مجتمعات العالم الغربي، أما في مجتمعات العالم الإسلامي فإنّ الإجهاض قليل الوقوع لقلة الزنا، ولعدم وجود المعاشرة خارج نطاق العلاقة الزوجية فيها، وإذا حصلت عمليات إجهاض فإنّما تكون على الأعم الأغلب لإنقاذ حياة الأم.

الإجهاض في اللغة: هو إسقاط الجنين من الرحم، يُقال أجهضت الناقة: ألقت ولدها قبل تمام. وعرفه الفقهاء بأنه إنزال الجنين قبل أن يستكمل مدة الحمل. وعُبّر عنه بألفاظ عدة تؤدي نفس المعنى: الإملاص، الإسقاط، الإلقاء، الإخراج.

ويكون الإجهاض بعمل إرادي من المرأة: بشرب دواء، أو بحمل شيء ثقيل، أو بحركات عنيفة، أو بعملية إجهاض يجريها طبيب أو ممرضة أو قابلة، كما يكون الإجهاض بفعل تعدٍ من الغير، كما يكون لا إرادياً.

والإجهاض إما أن يكون بعد نفخ الروح في الجنين، وإمّا أن يكون قبل نفخ الروح في الجنين. فإن كان الإجهاض بعد نفخ الروح في الجنين، فإنّه لا خلاف بين فقهاء المسلمين جميعاً في أنّه حرام، سواء حصل من الأم أو من الأب أو من الطبيب أو من أي كان، لأنه تعدٍ على نفس إنسانية معصومة الدّم.

وهو جناية توجب الدّية، ومقدارها غُرّة "عبد أو أمة"، وقيمتها عشر دية الإنسان الكامل.[769] وذلك لقوله تعالى: **(ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق)**[770] وعن أبي هريرة **(**قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بغرة: عبد أو أمة...**)**[771] وأقل ما يكون السقط جنيناً فيه غرة أن يتبين في خلقه شيء من خلق الآدمي، من إصبع أو يد أو رجل أو ظفر أو عين. وبذلك يكون إسقاط الجنين الذي نُفِخَت فيه الروح حراماً عند جميع فقهاء المسلمين دون خلاف.

أما إن كان إسقاط الجنين قبل أن تُنفخ فيه الروح، فقد اختلف الفقهاء في حكمه، فمنهم من أباح الإسقاط، ومنهم من حرَّمَ على تفصيل بالنسبة لمراحل تخلق الجنين. والذي يغلب على الظن أن الإسقاط إن حصل بعد أربعين يوماً أو اثنتين وأربعين يوماً من الحمل، أي عند بدء تخلق الجنين فإنه يكون حراماً، ويأخذ حكم إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه من الحرمة، ووجوب الدية التي هي عُشر دية الإنسان الكامل، وذلك لأنه إذا ما بدأ تخلق الحمل وظهرت بعض الأعضاء فيه كاليد أو الرجل أو العين أو الظفر، فإنه يتأكد عندها أنه صار جنيناً في طريقه لأن يصبح بشراً سوياً، وبذلك يكون الاعتداء عليه اعتداء على حياة إنسانية معصومة الدّم ويكون وأداً له. وقد حرّم الله ذلك. قال تعالى: **(وإذا الموؤدة سُئلت بأي ذنب قتلت)**[772] لذا يحرم اسقاط الجنين بعد مرور أربعين يوماً، يحرم ذلك على الأب وعلى

---

[1] الدية: هي المال الذي يجب على الجاني بسبب الجناية ويؤدى إلى المجني عليه أو وليه. والغرة من كل شيء أنفه، وهي خمسمائة درهم أو مائة شاة.

[2] الإسراء: (33).

[3] رواه الشيخان.

[4] التكوير: (8).

الأم وعلى الطبيب وعلى القابلة وعلى غيرهم. ومن يقم بذلك يكون مرتكباً إثماً وقائماً بجناية، وتلزمه دية الجنين المسقط، وهي عبد أو أمة، أو عُشر دية الإنسان الكامل.

أمّا إسقاط ما في الرّحم قبل مرور أربعين يوماً على الحمل فإنه جائز، لأنه لم يصبح بعد جنيناً، لأنه في مرحلة النطفة ولا ينطبق عليه حديث إسقاط الجنين. وإسقاط النطفة قبل أن تصبح جنيناً هو مثل العزل عن المرأة إذ يُتخذ العزل للحيلولة دون الحمل. والعزل هو قذف مني الرجل خارج الفرج، والقذف خارج الفرج يؤدي إلى موت الحيوانات المنوية كما يؤدي بالتالي إلى ضياع بويضة المرأة، وبالتالي إلى ضياع الحمل، وقد أباحه الرسول صلى الله عليه وسلم. عن جابر بن عبد الله قال: (كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فلم ينهنا)[773] وعن جابر أيضاً: (كنا نعزل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل)[774]

ويباح إسقاط الجنين سواء في دور التخلق أو بعد نفخ الروح فيه، إذا قرر الأطباء المهرة أنّ بقاء الجنين في بطن الأم سيؤدي إلى موت الأم وموت الجنين معها، ففي هذه الحالة يُباح إسقاط الجنين وإنقاذ الأم. وإنقاذ الحياة دعا إليه الإسلام، ويعتبر هذا الإسقاط من قبيل التداوي، والرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالعلاج والتداوي.

ب- الإملاص :

أمّا الاملاص الذي هو: إسقاط جنبن المرأة الحامل بالتعدي الجنائي عليها، فهو إثمٌ وجناية. وفيه الدية: عبد أو أمة، وقيمة ذلك عُشر دية الإنسان الكامل. فقد ورد في الصحيحين أنّ عمر بن الخطاب استشار أصحابه في إملاص المرأة التي ضُربَ بطنها فأسقطت جنينها، فقال المغيرة بن شعبة: (قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالغرة عبد أو أمة)[775] وشهد على ذلك محمد بن مسلمة.

ت- استحقاق الميراث والوصية :

إنَّ الجنين في بطن أمه منذ ثبوت الحمل يكتسب أهلية وجوب ناقصة ~ كما يعبر الفقهاء عن ذلك ~ فتصبح له بهذه الأهلية الحق في الميراث والوصية إن وُلِدَ حياً. فإذا مات مورثه وهو في بطن أمه لا تقسم التركة حتى يولد، وإن قسمت يترك له النصيب الأوفر "وهو نصيب الذكر"، فإن وُلِدَ حياً يثبت له الميراث، فإن كان أنثى اخذ نصيب الأنثى، وإن كان ذكر أخذ نصيب الذكر، وإن ولد ميتاً لا يثبت له الميراث، ويقسم الميراث أو النصيب الذي ترك تحفظاً ~ إن كانت التركة قد قسمت ~ على جميع الورثة دونه. عن جابر بن عبد الله والمسور بن مخرمة قالا: (قضى رسول الله صلى الله عليه

---

[1] رواه مسلم.

[2] متفق عليه.

[3] متفق عليه.

وسلم أنّه لا يرث الصبي حتى يستهل)[776] وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إذا استهل المولود ورث)**[777]

ث- التأثير في عدة المطلقة والأرملة :

إذا طُلِقت المرأة أو مات عنها زوجها وثبت أنّها حامل، فإنَّ عدتها تكون بوضع الحمل طالت المدة أو قصرت، وبمجرد أن تلد ولو بعد يوم واحد من طلاقها أو موت زوجها فإنَّ عدتها تصبح منتهية، ويجوز لها أن تستقبل الخطاب وأن تتزوج. وكذلك الحال فيما لو أسقطت المرأة سقطاً قد نفخت فيه الروح ولكنه قد بدأ في التخلق وظهر فيه أعضاء الإنسان كاليد أو الإصبع أو العين أو الرجل أو الرأس، أو إذا رؤي عِلم من رآه من الأطباء العدول أو القوابل العدول أنّه لا يكون إلا خلق آدمي فإنّ المرأة المطلقة أو المتوفي عنها زوجها تصبح عدتها منتهية بمثل هذا السقط، وتحل للخطاب ويجوز لها أن تتزوج، لأنّ مثل هذا السقط يعلم أنه حمل فيدخل في عموم قوله تعالى: **(وأولات الحمل أجلهنَّ أن يضعن حملهُنَّ.)**[778]

ج- التأخير في تنفيذ عقوبة القتل

إذا حُكِمَ على امرأة بعقوبة القتل لأي سبب من الأسباب الموجبة القتل، كالردة أو القتل العمد أو الزنا للمحصنة، فإن كانت المرأة غير حامل نُفِذت فيها عقوبة القتل دون تأخير، أمّا إن كانت المرأة حاملاً فإنَّ تنفيذ عقوبة القتل في حقها يتأخر حتى تضع حملها، وحتى ترضع وليدها إن لم يكن لهم من ترضعه. (فقد روى هريرة أنَّ امرأة من بني غامد قالت: يا رسول الله طهرني. قال: وما ذاك؟ قالت أنها حُبلى من زنا. قال: أنت؟ قالت: نعم. فقال لها: ارجعي حتى تضعي ما في بطنك. قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقد وضعت الغامدية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذاً لا ترجعها تدع ولدها صغيراً ليس من يُرضعه. فقام رجل من الأنصار قال: إليَّ رضاعَه يا رسول الله، قال: فرجمها)[779] وروي أنَّ إمرأة زمن عمر بن الخطاب زنت، فَهَمَّ برجمها وهي حامل، فقال معاذ: إن كان لك سبيل عليها فليس لك سبيل على حملها. فقال له عمر: عجزت النساء أن يلدن مثلك. ولم يرجمها حتى ولدت.

[4] المـــــوت :

الموت لغة هو نقيض الحياة. جاء في لسان العرب: (الموت ضد الحياة)، وما دام الموت نقيض الحياة فإنّ مظاهره تكون مناقضة لمظاهر الحياة، ومظاهر الحياة تبرز في الإدراك والحس والحركة والتنفس والنمو والاغتذاء. وعليه تكون مظاهر الموت عكسها أو نقيضها، فتبرز في فقدان الإدراك والإرادة وفي عدم الحس وعدم الحركة وعدم التنفس وتوقف النمو والاغتذاء. فقد وردت آيات وأحاديث تدل على أنَّ الإنسان يموت عندما تقبض روحه وتمسك نفسه من قِبَل الخالق سبحانه وتعالى.

---

[1] سنن إبن ماجه 2751، كنز العمال، السنن الكبرى للبيهقي، مجمع الزوائد للهيثمي.

[2] سنن ابو داوود، السنن الكبرى، المستدرك للحاكم، شرح السنة للبغوي.

[3] الطلاق: (4).

[1] رواه الشيخان.

قال تعالى: **(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيُمْسِك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجَلِ مُسَمى)**[780] وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر.)[781]

والنفس والروح لا يعلم حقيقتهما إلا الله تعالى، وإنَّ أمر قبضهما ورجوعهما إلى خالقهما من المُغيَبات التي لا تخضع لِلعِلم التجريبي، وإنَّما يظهر أثر ذلك على الجسم المادي بإمارات تدل على حُصول المَوْت. والآيات والأحاديث وإن دَلت على أنَّ انتهاء حياة الإنسان يكون بقبض روحه وإمساك نفسه، إلا أنّها لم تحدد اللحظة التي تقبض فيها الروح وتُمْسَكُ فيها النفس وتنتهي فيها الحياة، وكل ما ورد في الحديث السابق، وكما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإنَّ البصر يتبع الروح)[782] لذلك فإنَّ تحديد اللحظة التي يَحْصُل فيها انتهاء الحياة يحتاج إلى تحقيق المناط فيمن ينطبق عليه أنّه مات وانتهت حياته، وهذا يحتاج للخبرة والمعرفة.

إنَّ الأطباء قبل تقدم الطب واكتشاف الأجهزة الطبية الدقيقة، وأجهزة الإنعاش الصناعي، كانوا يعتبرون أنَّ توقف القلب يدل على موت الإنسان وانتهاء حياته، بينما نراهم اليوم قد رجعوا عن ذلك، وأصبحوا يقولونَ أنَّ توقف القلب عن العمل لا يدل بالضرورة على موت الإنسان، وهو حي، وإنَّ عملية القلب المفتوح تقتضي توقيف القلب، وقالوا أنَّ الذي يَدُلُ على موت الإنسان وانتهاء أجله إنما هو موت جذع المخ[783]

فإذا ما مات جذع المخ مات الإنسان وانتهت حياته إنتهاءاً كلياً، ولو كان قلبه ينبض ورئتاه تتنفسان طبيعياً أو بالأجهزة. وقد يحصل موت للمخ قبل موت القلب في حالة وقوع ضربة مباشرة على المخ أو في حالة نزيف المخ أو في حالة قطع جذع المخ، وفي حالة المرض يكون توقف القلب وموته قبل توقف المخ وموته.

وقد حصلت حوادث حَيَّرَت الأطباء يتوقف فيها المخ مع بقاء أجهزة الجسم الأخرى تعمل. فقد نُشِرَ أنَّ امرأة فنلندية وَضَعَتْ طفلاً وهي في حالة غيبوبة تامة منذ شهرين ونصف، وكانت قد دخلت في هذه الغيبوبة إثْرَ إصابتها بنزيف في المخ، والغريب أنَّها قد توفيت بعد أن وَضَعَتْ طفلها بيومين، وقد

---

[1] الزمر: (42).

[2] صحيح مُسْلِم، مُسْنَد الإمام أحمد، إبن ماجه، السنن الكبرى للبيهقي.

[3] رواه أبن ماجه، مسند الإمام أحمد، الزيلعي في نصب الراية، تلخيص الحبير.

[4] جذع المخ : الذي هو على شكل جذع أو ساق يقع في مؤخر المخ من أسفل، متصل بالنخاع ألشوكي في الرقبة داخل نسيج شبكي، وهو حلقة اتصال بين المخ وسائر أعضاء الجسم والعالم الخارجي، بواسطته ترد إلى المخ جميع الأحاسيس، وبواسطته ترد إلى المخ جميع الأحاسيس، وبواسطته توزع جميع الإشارات الصادرة عن المخ لتنفيذ المهام، ويكون على علم بمجريات الأمور، وهو آخر ما يتوقف في المخ إذ أنَّ موت المخ وموت قشرة المخ يحصل قبل موت جذع المخ.

كانت في حالة غيبوبتها تتنفس تنفساً اصطناعياً وتتغذى بالأنابيب، وَيُنقل لها دم مرة أسبوعياً لمدة عشرة أسابيع، وقد وضعت طفلها بصحة جيدة ووزن طبيعي.

هذا بالنسبة للأطباء، أمّا الفقهاء فإنَّهم لا يحكمون بالموت إلا بحصول اليقين بموت الإنسان، وقد ذكروا علامات يُسْتَدَلُ بها على الموت منها: انقطاع النفس، وانفراج الشفتين، وشخوص العينين، وانحراف الصدغين، وميل الأنف، وانفصال الزندين، وارتخاء القدمين حتى لا ينتصبان. وإذا حصل شكٌ في موته بأن أصابته سكتة قلبية أو صُعِقَ أو دخل في غيبوبة تامة لأي سببٍ من الأسباب، فإنَّه يجب الانتظار حتى يُتأكد من مَوْتِهِ بظهور إمارات المَوْت أو بتغير رائحته.

والذي يغلب على الظن ويلزمنا العمل به أنَّه لا يُحْكَمُ بالمَوتِ إلا بحصول اليقين في مَوْتِهِ بظهور الإمارات الدالة على الموت والتي تنتهي بها الحياة كما ذكرها الفقهاء، لأنَّ حياة الإنسان كانت متيقنة فلا يُحْكم بزوالها إلا بيقين فلا يجوز أن يحكم بزوالها بالشَك، لأنَّ اليقين لا يزول إلا بيقين مثله ولا يزول بالشك، ولأنَّ الأصلَ بقاء ما كان على ما كان حتى يأتي يقين يبطله، ولأنَّ الموت نقيض الحياة، فلا بُدَّ من ظهور إماراته المناقضة لإمارات الحياة، من ذهاب الإدراك والوعي وذهاب الحس والحركة، وتوقف النمو والاغتذاء.

وعليه فإنَّ ما ذهب إليه الأطباء من أنَّ موت جذع المخ هو موت للإنسان وانتهاءٌ لحياته طبياً، ولو بقيت فيه بعض الأجهزة الرئيسية تعمل وفيها حياة. إنَّ ما ذهب إليه الأطباء هذا لا يتطابق مع الحكم الشرعي الذي يقضي بتوقف جذع المخ وجميع الأجهزة الرئيسية، كالقلب والرئتين والكبد، ولا يُحكم بموت الإنسان شرعاً إلا بتوقف جميع أجهزته الرئيسية عن العمل وانتهاء جميع مظاهر الحياة فيه.

[5] الأحكام الشرعية التي تترتب على انتهاء حياة الإنسان :

هناك حالتان تستوجبان إنزال الحكم الشرعي على كل منهما لترتب حقوق وواجبات في كلتاهما، وهما حالتي حصول اليقين بالموت، وحالة عدم حصول اليقين بالموت فعلاً وإن كان المريض يُعاني سكراته، وحكم استعمال الأجهزة الطبية للإنعاش في الحالة الثانية أو رفعها.

(أ) في حالة الشخص الذي يموت جذع مخه وتبقى بعض أجزاءه الرئيسية تعمل، والذي يعتبر الأطباء أنَّه مات "طبياً"، وحالة هذا الشخص الذي وصل إلى سَكرات الموت، والذي يطلق عليه الفقهاء أنَّه وصل إلى "حركة المذبوح" التي لم يبقَ معها إبصارٌ ولا نطقٌ ولا حركة إرادية، ويقطع بأنَّه سيموت ولن يعيش، فإنّ مثل هذا الشخص في هذه الحالة تتعلق به بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بتلك الحالة، **وأهمها:**

1. أنَّه لا يرث غيره ولا يرثه غيره وهو على هذه الحالة لفقده الحياة المستقرة.

2. إذا جنى شخص على آخر فقطع جذع مخه أو أوصله إلى سكرات الموت، فجاء شخص آخر فأجهز عليه، فالقاتل هو الشخص الأول، أمّا الشخص الثاني فلا يُعتبر قاتلاً ويُعاقب عقوبة تعزيرية لأنَّه اعتدى على حُرْمَة آدمي. أمّا إذا لم يوصِل الاعتداء الأول إلى سكرات الموت إنّما أدى إلى جراح بالغة، فالقاتل هو الثاني. ويُعاقب الأول عقوبة اعتداء.
3. إذا كان من وصل إلى حالة المذبوح خليفةً فلا يُعَيَن خلفاً له حتى يُجذم بموته.

(ب) في حالة الجزم بالموت فَأبرز الأحكام التي تترتب على حصول اليقين بالموت هي:

1. وجوب الإسراع بتجهيزه من غسل وتكفين وصلاة عليه ودفنه.
2. الإسراع بتسديد ما عليه من ديون قبل تقسيم تركته.
3. الإسراع بتنفيذ وصيته قبل تقسيم تركته.
4. تقسيم ما بقي من تركته حسب الأنصبة التي جاءت بها النصوص الشرعية.
5. دخول زوجته في العدة .

(ج) استعمال أجهزة الإنعاش الصناعية الحديثة

إنَّ معرفة حكم استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الحديثة ومعرفة حكم رفعها، متوقف على معرفة حكم التداوي من حيث هو، هل هو واجب أو مندوب أو مباح أو مكروه. وحتى نأخذ الحكم عن بينة لا بُدَّ من استعراض الأدلة الواردة في التداوي. روى البخاري من طريق أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء) وروى مسلم عن جابر بن عبدا لله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء بريء بإذن الله) وفي المسند لأحمد بن حنبل من حديث بن مسعود يرفعه (إنّ الله عز وجل لم يُنزل داءً إلا أنزل له شفاءً علمه من علمه وجهله من جهله).

فهذه الأحاديث الثلاثة، فيها إخبار بأن الله سبحانه أنزل الداء، وأنزل الدواء، وأنَّ لكل داء دواء، وأنِّ الدواء إذا اهتدي إليه برئ الداء بإذن الله تعالى، علم ذلك من علمه وجهله من جهله. وهذه الأحاديث فيها إرشاد بأن لكل داء دواء يشفيه ليكون ذلك حاثاً على السعي لحصول التداوي الذي يؤدي إلى شفاء الداء بإذن الله سبحانه، فالداء منه والدواء منه والشفاء بإذنه وليس من الدواء، وإنما جَعَلَ في الدواء خاصية الشفاء إذا لامس الداء. وهذا إرشاداً وليس إيجابا.

روى أحمد عن أنس قال: (إنّ الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا) وروى أبو داوود وابن ماجة عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: (نعم، يا عباد الله تداووا، فإنّ الله عز وجل لم يضع داءاً إلا وضع له شفاء.....) ففي الحديث الأول أمر بالتداوي، وفي الحديث الثاني إجابةً للأعراب بالتداوي، ومخاطبة للعباد بأن يتداووا، فإنّ الله ما وضع داءً إلا وضع له شفاءً. وقد جاءت المخاطبة في الحديثين بصيغة

الأمر، والأمر يفيد مطلق الطلب، ولا يفيد الوجوب إلا إذا كان أمراً جازماً، والجزم يحتاج إلى قرينة تدل عليه، ولا يوجد في الحديثين أية قرينة تدل على الوجوب. أما الأحاديث الثلاثة السابقة فليست إلا مجرد إخبار وإرشاد، مما يجعل طلب التداوي في هذين الحديثين ليس للوجوب. إضافة إلى أنّه وردت أحاديث تدل على جواز ترك التداوي مما ينفي عن هذين الحديثين إفادة الوجوب. فقد روى مسلم عن عمران بن حصين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يَسْترقونَ ولا يتطيرونَ ولا يكتوونَ وعلى ربهم يتوكلونَ) وروى البخاري عن ابن عباس قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فأدع الله لي، قال: إن صبرتِ فلكِ الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يُعافيكِ، فقالت: أصبر، وقالت إني أتكشف فأدعُ الله أن لا أتكشف. فدعا لها) فهذان الحديثان يدلان على جواز ترك التداوي. ففي الحديث الأول وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنّهم لا يسترقون ولا يكتوون، أي لا يتداوون بل يتركون الأمر لربهم ويتوكلون عليه في أمورهم. والرُّقية والكي من التداوي. وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التداوي بالرقية، وقد رقاه جبريل، كما أنه قال فيما رواه البخاري عن طريق ابن عباس: (**الشَّفاء في ثلاثة:** في شَرْطةِ مِحْجَم أو شُربَةِ عَسَل أو كيَةِ نار، وأنهى أمتي عن الكي) وفي الحديث الثاني خيّر الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة السوداء بين الصبر على الصَّرَع الموجود عِندَها ولها الجنة، وبين أن يدعو الله لها أن يعافيها من صرعها، مما يدل على جواز ترك التداوي. وبذلك يكون هذان الحديثان صارفين للأمر بالتداوي الوارد في حديث إجابته للأعراب، وفي الحديث الذي قبله على الوجوب، ولشدة حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التداوي، يكون الأمر بالتداوي الوارد في الأحاديث هو للندب .

وإذا ما عرفنا أنّ حُكم التداوي هو الندب، سَهُلَ علينا أن نعرف حكم استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الصناعية الحديثة، فيكون حُكمها حكم التداوي، أي هي مندوبة، خاصة لمن يرى الأطباء أنّها لازمة لِتُركبَ على جسمه. وما دام استعمالها مندوباً، فإنّ بقاءها مُشَغلَة على من رُكِبَت على جسمه حتى تموت أجهزة جسمه الرئيسية فليس بواجب. ومتى قرر الأطباء أنَّ المريض مات مخه فلهم أن يوقفوا تشغيل هذه الأجهزة، وأن ينزعوها عن جسمه، لأنَّ موت مخ المريض معناه اليأس من عودة الحياة إليه. وأنّ بقاء بعض أجهزة جسمه الرئيسية الأخرى تعمل سوف لا تُعيد له الحياة، لأنها سريعاً ما تتوقف.

وبناءً عليه يكون حُكم استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الصناعية الحديثة هو الندب . خاصة لمن رأى الأطباء أنَّها لازمة له .ويكون رفعها بعد موت المخ جائزاً لا حُرْمَة فيه على الطبيب، ولا يلحقه إثم بعد رفعها عنه ، ولا تلحقه أية مسؤولية في ذلك .

[6] الاستنساخ :



البيت الابيض يعلن معارضته

عالم اميركي يؤكد تصميمه على بدء تجارب في مجال الاستنساخ البشري

واشنطن/اسوشيتدبرس - قال طبيب من شيكاغو انه مصمم على بدء العمل في حقل استنساخ البشر على الرغم من المعارضة الواسعة النطاق لاستخدام هذه التقنية المطورة على الناس فيما اعلن البيت الابيض رسميا معارضته الكاملة لاجراء مثل هذه العمليات. وقال ريتشارد سيد في مقابلة بثها راديو «ناشيونال بابلك» امس الاول، ان هدفنا، وهدفي انا هو اقامة عيادة استنساخ بشرية في منطقة شيكاغو الكبرى وجعلها عيادة اخصاب مربحة.

19 دولة اوروبية تحظر الاستنساخ البشري

باريس (اف ب) - وقعت 19 دولة اوروبية امس في باريس اتفاقا يحظر استنساخ الكائنات البشرية، وذلك خلال حفل نظم في وزارة الخارجية الفرنسية.

ويشكل هذا الاتفاق، وهو اول اداة قانونية دولية - البقية ص 18 -

19 دولة اوروبية / بقية

ملزمة، استكمالا للمعاهدة الاوروبية حول الطب الحيوي التي وقعتها 22 دولة من اصل اربعين دولة اعضاء في مجلس اوروبا.

ويرفض الاتفاق اي استثناء لحظر تكوين كائنات بشرية مطابقة وراثيا لكائن اخر، حي او ميت، ايا تكن التقنية المستخدمة.

ووقع الاتفاق كل من الدنمارك واستونيا وفنلندا وفرنسا واليونان وايسلندا وايطاليا ولاتفيا ولوكسمبورغ ومولدافيا والنرويج والبرتغال ورومانيا وسان مارينو وسلوفينيا واسبانيا والسويد ومقدونيا وتركيا.

الاستنساخ تقدم علمي مذهل كفيل بقلب المجتمعات البشرية

باريس (اف ب) - يثير اعلان طبيب اميركي عزمه البدء باستنساخ بشر لمساعدة ازواج يواجهون مشكلات في الانجاب بعد اقل من عام على ولادة اول حيوان مستنسخ مخاوف من قلب تنظيم المجتمعات البشرية.

ورأى البروفسور الفرنسي العالمي اكسيل كان المتخصص في علم الوراثة ان وليد بشر طبقا لمواصفات يحددها بشر اخرون سيؤدي بلا شك الى اعادة نظر انتروبولوجية اساسية.

نوع جديد من البشر

وقال كان لوكالة فرانس برس ان تطبيق الاستنساخ على البشر يعني ظهور نوع جديد من البشر الى جانب اولئك المولودين بشكل طبيعي، اي نوع جاء بناء على رغبة اناس اخرين وطبقا لمواصفات معينة يخشى ان تحولهم الى اناس خاضعين لصانعيهم.

الا ان البروفسور المعارض بشدة لاستنساخ البشر يرى في الوقت نفسه انه اذا تم التوصل الى وسيلة لتطبيق ذلك فانه سيطبق بلا شك وان كان سيشكل تراجعا بالنسبة للمجتمع وانكفاء اجتماعيا وانكماشا على الذات.

واكد اعلان الطبيب الاميركي ريتشارد سيد عزمه استنساخ بشر وجود اتجاهين مختلفين تماما في التعاطي مع هذا الموضوع خصوصا انه جاء بينما كان مجلس اوروبا يستعد للاحتفال بالتوقيع على نص ملزم يحظر ذلك حظرا تاما.

وقال كان ان «المنطق الاوروبي يقوم على احترام كرامة الانسان وحريته واستقلاليته، اما في الولايات المتحدة وبريطانيا فان المذهب النفعي هو الغالب».

منفعة

ويبرر مؤيدو استنساخ البشر في الولايات المتحدة وبريطانيا سواء من الاطباء او العلماء او القانونيين والاخلاقيين موقفهم بالمنفعة التي يمكن ان تجنى منه، مثل تعويض عائلة فجعت لفقدها طفل. ويقوم هذا المنطق على اعتبار انه اذا كان من الممكن اعادة توليد الطفل نفسه عبر اخذ خلية من الاصل فما الضرر من ذلك.

ويتمسك مؤيدو استنساخ البشر ايضا بحجة تقديم خدمة الى الازواج العاجزين عن الانجاب. وهم يؤكدون ان اخذ بضع خلايا من خد رجل عاجز عن الانجاب لتوليد نسخة منه لن يسبب ضررا لاحد.

275 محاولة فاشلة

وبانتظار تحرك السياسيين والقانونيين فان ما يحول حاليا دون البدء بتطبيق الاستنساخ على البشر هو الاخفاق الذي يمكن ان تمنى به هذه التجارب. فالفريق الاسكتلندي الذي توصل الى توليد النعجة دولي في اسكتلندا من خلية اخذت من ثدي نعجة اصبحت في ما بعد امها وشقيقتها التوأم، اجرى 275 محاولة انتهت جميعها بموت الجنين.

الا ان مختبرا اميركيا اكد انه سيعلن قريبا توصله الى تقنية جديدة تؤدي الى خفض نسبة الاخفاق بشكل كبير. وتقوم هذه التقنية على زرع الخلايا المأخوذة من الاجنة ثم استنساخها.

السؤال الكبير

ويبقى السؤال الكبير المطروح هو مدى جودة الطفل الذي سيتم توليده بالاستنساخ. ويقول البروسور كان ان «الخلايا البالغة التي ستستخدم في الاستنساخ ربما تكون مشوهة بسبب التلوث والاشعة الكونية او التدخين، وليس هناك ما يؤكد ان المولود المستنسخ سيكون طبيعيا وغير مصاب بتشوهات او امراض او معرض لشيخوخة مبكرة». واوضح كان انه من بديهيات الحرص اجراء تجارب مطولة لعشر سنوات على الاقل على الحيوانات. واذا كان الرئيس بيل كلينتون فرض حظرا على تجارب الاستنساخ في الولايات المتحدة لخمس سنوات فان قراره هذا لا يشمل المختبرات الخاصة.

الا ان وزيرة الصحة الاميركية دونا شلالا اكدت ان الولايات المتحدة لن تسمح للطبيب ريتشارد سيد الذي وصفته بانه مجنون باستنساخ بشر على اراضيها مؤكدة ان العمل جار لاصدار قانون بهذا الصدد.

مستنسخ النعجة دوللي : استنساخ البشر مرعب ومذهل

دانيا - فلوريدا - اسوشييتدبرس - قال العالم الاسكتلندي الذي قاد فريق العلماء في استنساخ النعجة دوللي بنجاح ان التفكير في الاستنساخ البشري امر مرعب ومذهل.

واضاف ايان ديلموت في محاضرة قامت برعايتها جامعة ساوث ويسترن: «الاستنساخ محزن بما فيه الكفاية اذا طبق على حيوانات المزرعة ولكن التفكير في تطبيقه على البشر يثير الهلع في نفوسنا».

وقال ان اي محاولات لاستنساخ البشر من المحتمل ان تسفر عن اجنة مشوهة قد تموت عقب ولادتها مباشرة.

وانتقد ديلموت اعلان الطبيب ريتشارد سيد من شيكاغو مؤخرا عن خطط لاقامة عيادة لبدء الاستنساخ البشري خلال عامين.

ووصف الفكرة بانها خالية تماما من الاحساس بالمسؤولية.

وقال ان فريق البحث الذي ترأسه في معهد روزلين بمدينة ادنبرة تلقى رسائل من اباء توفي ابناؤهم ارادوا استنساخ اعزائهم المتوفين.

واختتم بالقول، كتب الينا عدد قليل من الناس ليسألوا عن امكانية عودة ابنائهم وكانت اجابتنا اننا بالطبع عاجزون عن ذلك.

ادارة الاغذية الاميركية تعلن انها المخولة بتنظيم استنساخ البشر في الولايات المتحدة

واشنطن - اف ب - اعلنت ادارة الاغذية والادوية الاميركية ان القانون الاميركي يخولها وحدها تنظيم الابحاث الخاصة باستنساخ البشر كونها الادارة التي تشرف على تنظيم الابحاث العلمية في الولايات المتحدة. جاء ذلك في تصريحات نقلتها صحيفة «واشنطن بوست» عن مسؤول في الادارة وعقب فيها على تأكيد وزيرة الصحة دونا شلالا قبل عشرة ايام بان الحكومة الاميركية لن تسمح للباحث الاميركي ريتشارد سيد بخوض مضمار استنساخ البشر كما كان اعلن في وقت سابق من هذا الشهر. وقال مايكل فريدمان المسؤول عن ادارة الاغذية الاميركية للصحيفة ان «القانون الخاص بالاغذية والادوية ومستحضرات التجميل يخولنا تنظيم استنساخ البشر ونحن مستعدون لممارسة ذلك». وقال فريدمان ان اي شخص يريد اجراء مثل هذه التجارب عليه ان يقدم طلبا الى الادارة التي ستبحث كل ملف بالتفصيل قبل الموافقة عليه او رفضه، مشيرا الى ان المخالفين سيتعرضون لملاحقات قضائية.

الاستنساخ تقدم علمي مذهل كفيل بقلب المجتمعات البشرية

باريس (اف ب)- يثير اعلان طبيب اميركي عزمه البدء باستنساخ بشر لمساعدة ازواج يواجهون مشكلات في الانجاب بعد اقل من عام على ولادة اول حيوان مستنسخ مخاوف من قلب تنظيم المجتمعات البشرية.

ورأى البروفسور الفرنسي العالمي اكسيل كان المتخصص في علم الوراثة ان توليد بشر طبقا لمواصفات يحددها بشر اخرون سيؤدي بلا شك الى اعادة نظر انتروبولوجية اساسية.

نوع جديد من البشر

وقال كان لوكالة فرانس برس ان تطبيق الاستنساخ على البشر يعني ظهور نوع جديد من البشر الى جانب اولئك المولودين بشكل طبيعي، اي نوع جاء بناء على رغبة اناس اخرين وطبقا لمواصفات معينة يخشى ان تحولهم الى اناس خاضعين لصانعيهم.

الا ان البروفسور المعارض بشدة لاستنساخ البشر يرى في الوقت نفسه انه اذا تم التوصل الى وسيلة لتطبيق ذلك فانه سيطبق بلا شك وان كان سيشكل تراجعا بالنسبة للمجتمع وانكفاء اجتماعيا وانكماشا على الذات.

واكد اعلان الطبيب الاميركي ريتشارد سيد عزمه استنساخ بشر وجود اتجاهين مختلفين تماما في التعاطي مع هذا الموضوع خصوصا انه جاء بينما كان مجلس اوروبا يستعد للاحتفال بالتوقيع على نص ملزم يحظر ذلك حظرا تاما.

وقال كان ان «المنطق الاوروبي يقوم على احترام كرامة الانسان وحريته واستقلاليته، اما في الولايات المتحدة وبريطانيا فان المذهب النفعي هو الغالب».

منفعة

ويبرر مؤيدو استنساخ البشر في الولايات المتحدة وبريطانيا سواء من الاطباء او العلماء او القانونيين والاخلاقيين موقفهم بالمنفعة التي يمكن ان تجنى منه، مثل تعويض عائلة فجعت لفقدها طفل. ويقوم هذا المنطق على اعتبار انه اذا كان من الممكن اعادة توليد الطفل نفسه عبر اخذ خلية من الاصل فما الضرر من ذلك.

ويتمسك مؤيدو استنساخ البشر ايضا بحجة تقديم خدمة الى الازواج العاجزين عن الانجاب. وهم يؤكدون ان اخذ بضع خلايا من خد رجل عاجز عن الانجاب لتوليد نسخة منه لن يسبب ضررا لاحد.

٢٧٥ محاولة فاشلة

وبانتظار تحرك السياسيين والقانونيين فان ما يحول حاليا دون البدء بتطبيق الاستنساخ على البشر هو الاخفاق الذي يمكن ان تمنى به هذه التجارب. فالفريق الاسكتلندي الذي توصل الى توليد النعجة دولي في اسكتلندا من خلية اخذت من ثدي نعجة اصبحت في ما بعد امها وشقيقتها التوأم، اجرى ٢٧٥ محاولة انتهت جميعها بموت الجنين.

الا ان مختبرا اميركيا اكد انه سيعلن قريبا توصله الى تقنية جديدة تؤدي الى خفض نسبة الاخفاق بشكل كبير. وتقوم هذه التقنية على زرع الخلايا المأخوذة من الاجنة ثم استنساخها.

السؤال الكبير

ويبقى السؤال الكبير المطروح هو مدى جودة الطفل الذي سيتم توليده بالاستنساخ. ويقول البروسور كان ان «الخلايا البالغة التي ستستخدم في الاستنساخ ربما تكون مشوهة بسبب التلوث والاشعة الكونية او التدخين؛ وليس هناك ما يؤكد ان المولود المستنسخ سيكون طبيعيا وغير مصاب بتشوهات او امراض او معرض لشيخوخة مبكرة». واوضح كان انه من بديهيات الحرص اجراء تجارب مطولة لعشر سنوات على الاقل على الحيوانات. واذا كان الرئيس بيل كلينتون فرض حظرا على تجارب الاستنساخ في الولايات المتحدة لخمس سنوات فان قراره هذا لا يشمل المختبرات الخاصة.

الا ان وزيرة الصحة الاميركية دونا شلالا اكدت ان الولايات المتحدة لن تسمح للطبيب ريتشارد سيد الذي وصفته بانه مجنون باستنساخ بشر على اراضيها مؤكدة ان العمل جار لاصدار قانون بهذا الصدد.

مستنسخ النعجة دوللي: استنساخ البشر مرعب ومذهل

دانيا - فلوريدا - اسوشييتدبرس- قال العالم الاسكتلندي الذي قاد فريق

واضاف ايان ديلموت في محاضرة قامت برعايتها جامعة ساوث ويسترن: «الاستنساخ محزن بما فيه الكفاية اذا

كير

في

نفوسنا».

وقال ان اي محاولات لاستنساخ البشر من المحتمل ان تسفر عن اجنة مشوهة قد تموت عقب ولادتها مباشرة.

وانتقد ديلموت اعلان الطبيب ريتشارد سيد من شيكاغو مؤخرا عن خطط لاقامة عيادة لبدء الاستنساخ البشري خلال عامين.

ووصف الفكرة بانها خالية تماماً من الاحساس بالمسؤولية.

وقال ان فريق البحث الذي ترأسه في معهد روزلين بمدينة ادنبرة تلقى رسائل من اباء توفي ابناؤهم ارادوا استنساخ اعزائهم المتوفين.

واختتم بالقول، كتب الينا عدد قليل من الناس ليسألوا عن امكانية عودة ابنائهم وكانت اجابتنا اننا بالطبع عاجزون عن ذلك.

ادارة الاغذية الاميركية تعلن انها المخولة بتنظيم استنساخ البشر في الولايات المتحدة

واشنطن - اف ب - اعلنت ادارة الاغذية والادوية الاميركية ان القانون الاميركي يخولها وحدها تنظيم الابحاث الخاصة باستنساخ البشر كونها الادارة التي تشرف على تنظيم الابحاث العلمية في الولايات المتحدة. جاء ذلك في تصريحات نقلتها صحيفة «واشنطن بوست» عن مسؤول في الادارة وعقب فيها على تأكيد وزيرة الصحة دونا شلالا قبل عشرة ايام بان الحكومة الاميركية لن تسمح للباحث الاميركي ريتشارد سيد بخوض مضمار استنساخ البشر كما كان اعلن في وقت سابق من هذا الشهر. وقال مايكل فريدمان المسؤول عن ادارة الاغذية الاميركية للصحيفة ان «القانون الخاص بالاغذية والادوية ومستحضرات التجميل يخولنا تنظيم استنساخ البشر ونحن مستعدون لممارسة ذلك». وقال فريدمان ان اي شخص يريد اجراء مثل هذه التجارب عليه ان يقدم طلبا الى الادارة التي ستبحث كل ملف بالتفصيل قبل الموافقة عليه او رفضه، مشيرا الى ان المخالفين سيتعرضون لملاحقات قضائية.

١٩ دولة اوروبية تحظر الاستنساخ البشري

باريس (اف ب) - وقعت ١٩ دولة اوروبية امس في باريس اتفاقا يحظر استنساخ الكائنات البشرية، وذلك خلال حفل نظم في وزارة الخارجية الفرنسية.

ويشكل هذا الاتفاق، وهو اول اداة قانونية دولية

- البقية ص ١٨ -

١٩ دولة اوروبية / بقية

ملزمة، استكمالا للمعاهدة الاوروبية حول الطب الحيوي التي وقعتها ٢٢ دولة من اصل اربعين دولة اعضاء في مجلس اوروبا.

ويرفض الاتفاق اي استثناء لحظر تكوين كائنات بشرية مطابقة وراثيا لكائن اخر، حي او ميت، ايا تكن التقنية المستخدمة.

ووقع الاتفاق كل من الدنمارك واستونيا وفنلندا وفرنسا واليونان وايسلندا وايطاليا ولاتفيا ولوكسمبورغ ومولدافيا والنرويج والبرتغال ورومانيا وسان مارينو وسلوفينيا واسبانيا والسويد ومقدونيا وتركيا.

ما هو الاستنساخ ؟

الاستنساخ (*Cloning*) قضية لاقت اهتمام كل المستويات العلمية والدينية وكأنّه شبح قد ظهر فجأة، ورأينا كثيراً من المجتهدين والكتاب والعلماء يُدلون بآرائهم فمنهم من أيده ومنهم من عارضه، لذلك كان لا بد من إلقاء الضوء على هذا الموضوع وإزالة الغموض والوقوف على حقائق الأمور.

إنَّ الاستنساخ لا يزيد عن كونه عملية تجري منذ وقت طويل في كثير من المعامل المتخصصة في مختلف مجالات الحياة *(Biology)*. وهو في معناه العام ليس سوى طريقة من طرق التكاثر البدائية الشائع في بعض الكائنات الأولية وحيدة الخلية مثل البكتيريا والخميرة والأميبا، ولكن في الكائنات الأكثر رقياً كالإنسان فيتم بطريقة أكثر رقياً للتكاثر تؤدي إلى حصول تباين واختلاف في الأنواع والأشكال. هذه الطريقة تتمثل في التزاوج بين ذكر وأنثى، فلكي نحصل على كائن جديد لا بد من اتحاد خلية تناسلية ذكرية "الحيوان المنوي" مع خلية تناسلية أنثوية "البويضة" لإنتاج خلية ملقحة تحمل الصفات الو راثية لكل من الذكر والأنثى معاً، ومن هنا يحدث التباين.

ولو تحدثنا عن الإنسان فإنّ الجسم البشري يحتوي على نوعين من الخلايا: خلايا جسدية *(Somatic Cells)*، وهي خلايا متخصصة توجد في كل أعضاء الجسم ما عدا الأعضاء الخاصة بالتكاثر، حيث تحتوي على نوع آخر من الخلايا تسمى الخلايا التناسلية أو الجنسية *(Germ Cells)* وتحتوي كل منها على عدد من الكروموسات سوف نرمز لها بالرمز "ن" والتي ينتج منها الحيوان المنوي في الذكر والبويضة في الأنثى، وعند اتحاد هما تنتج خلية تحتوي على "ن+ن" أي "*2*ن". خلية الإنسان عموماً تحتوي على "*2*ن" حيث "ن" تساوي *23* كروموسوماً ***Chromosomes***أي أن "*2*ن= *46* كروموسوماً" والتي تحمل في طياتها ما يسمى بالجينات الوراثية، وهي المسئولة عن نقل الصفات الو راثية من إنسان إلى آخر. والخلايا الجسدية تنقسم بالتضاعف حيث تتضاعف المادة الوراثية داخل الخلية "*2×46*" ثم يحدث تخصر في جدار الخلية لتنقسم من جديد إلى خليتين كل منها تحتوي على *46* كروموسوماً، وهذا يحدث في كل الخلايا الجسدية، ولكن في الخلايا التناسلية *Germ Cells* نجد أن كلاً من الحيوان المنوي والبويضة يحتوي كل منهما على نصف عدد الكروموسات الموجودة في الخلية الجسدية، لذلك فعند التقاء الذكر بالأنثى فإنّ الخلايا الناتجة عن الانقسام تحتوي على *46* من الكرموسومات "أي العدد الكامل من المادة الوراثية"، وتسمى "الزيجوت *Zegote*" الذي له القدرة على الانقسام ليعطي جنيناً يحتوي على خلايا جنينية غير متميزة *" Undifferentiated Embryonic Cells"* التي تتطور وتتميز إلى أن تتحول في النهاية إلى خلايا ناضجة كاملة التميز *Adult Differentiated* وتقوم بوظيفة محددة وهذا النوع من الخلايا يوجد في الأعضاء المختلفة للجسم مثل الكبد والكلية والجلد... إلخ، من هنا إذا عُدنا مرة أخرى إلى تعريف الاستنساخ فإننا يمكن أن نقول أنه من خلية واحدة *Somatic Cell* مأخوذة من عضو من الجسم وتحتوي على العدد الكامل للكروموسات "المادة الوراثية".

وسواء كانت هذه الخلية من جنين أو من شخص ناضج فإنه يمكننا الحصول على ملايين من هذه الخلية التي يمكن أن تستمر في الانقسام والنمو مؤدية إلى " نسخة طبق الأصل *Carbon Coppy* " من الكائن الذي أخذت منه الخلية الأم، وتحتوي على كل الصفات الوراثية للكائن المعطي من لون الشعر والعين والجلد .... ألخ.

الجينات وتنشيطها :

من الناحية العلمية فالاستنساخ من خلايا جنينية ربما يكون أسهل من الاستنساخ من الخلايا الناضجة كاملة التميز، لأنَّ الخلايا الجنينية بطبيعتها قابلة للتخصص، أمّا الخلايا الناضجة أي المأخوذة من كائن كامل النمو فهي خلايا تخصصت أي تحتوي على جينات متخصصة. والجينات هي مجموعة من التراكيب التي تتحكم في وظائف الأعضاء عن طريق إفراز مجموعة من البروتينات. ففي عضو مثل الكبد نجد أنَّ بعض الجينات تكون نشطة (*Turn On*) لكي تؤدي خلايا الكبد وظيفتها، ونفس هذه المجموعة من الجينات تكون غير نشطة (*Turn Off*) في عضو آخر كالكلية والعكس ، فهناك جينات تكون نشطة في خلايا الكلية وغير نشطة في خلايا الكبد. وقد اعتقد العلماء أنَّ هذا النوع من الخلايا من الصعب إعادته إلى مرحلة الخلايا الجنينية لتعاود الانقسام والتميز من جديد لاستغلالها في تكوين كائن جديد، ولكن حاجة العلماء إلى استخدام خلايا معروفة الهوية كاملة التميز محددة المعالم والصفات أدت إلى محاولات عديدة لجعل هذه الخلايا تعمل وكأنَّها خلايا جنينية. ومن هنا كانت بداية "دوللي".

عكف فريق "روزلين" باسكتلندا على دراسة الخلية، حيث أنَّ الدكتور "ويلموت" الباحث بالمعهد ذكر أنَّ ما جعله يُقدِم على هذه التجربة هو نجاح تجارب النقل النووي(*Nuclear Transfer*) من خلية ناضجة من خلايا الضفدعة، والتي استطاع العلماء أن يجعلوها تصل إلى مرحلة "أبو ذنيبة *Tad Pole*" ولكنه مات قبل أن يصل إلى ضفدعة ناضجة، **وهذه التجربة فرضت سؤالاً وهو : هل فعلاً نستطيع إعادة برمجة الخلية الناضجة (** *Adult Differentiated Cell* **) لتعمل كخلية جنينية (** *Undifferentiated Embronic Cell* **) غير متميزة؟**. أثبت ويلموت وفريقه هذه الإحتمالية حيث تم استخدام خلية ناضجة من ضرع نعجة حبلى *Pregnant Ewe* من سلالة فنلندية بيضاء اللون (*Finn Dorset*) ولكي يتمكن من إعادة برمجة المادة الوراثية لهذه الخلية (*Donor Cell*) كان لابد من أن نجعلها تخرج من أطوار النمو (*Growth Phase*) إلى طور الثبات والراحة (*Resting Phase, Go*)، هذه العملية تؤدي إلى حدوث تغيرات في تراكيب نواة الخلية وذلك يسهل عملية إعادة برمجة الجينات (*Reprogramming of Gene Expression*).

ولكي يفعل ويلموت ذلك فقد قام بتجويع الخلايا بأن زرعها في المعمل*In vitro* في وسط غذائي يحتوي على نسب قليلة من المواد اللازمة لنموها لمدة خمسة أيام، وبالتالي خرجت الخلية من

طور النمو (*Gorwth Phase*) إلى طور الراحة*Go*، بعد ذلك بدأت عمليات النقل النووي *Nuclear*) *Transfer*) حيث تم الحصول على بويضة (*Oocyte*) من سلالة أخرى من النعاج الاسكتلندية سوداء الوجه (*Scottish Black Face*) وفرغوها من النواة ولكن تحتوي فقط على المادة الخلوية؛ (*Cytoplasm*، وعندئذ وضعوا البويضة منزوعة النواة (*Recipient Ova*) مع نواة الخلية التي تم تجويعها (*Starved Donor Cell*) أي الخلية المعطية، ثم وضعوا هاتين الخليتين تحت تأثير نبضات كهربية ضعيفة (*Electric Impulses*) جعلت البويضة المفرغة تستقبل نواة الخلية المعطية والتي تحتوي على الشفرة الوراثية الكاملة للنعجة الفنلندية، وكذلك أدت إلى حدوث تغييرات كيميائية أدت إلى بداية انقسام الخلية (*Cell Division*). وبالرغم من أنّ ميكانيكية حدوث عملية إعادة البرمجة لنواة الخلية المعطية غير معروفة بدقة فإنه من المحتمل أن سيتوبلازم البويضة المفرغة ربما يحتوي على عوامل مساعدة على إعادة البرمجة (*Reprogramming Factors*) ومع استمرار عمليات الانقسام والنمو تطورت الخلية إلى جنين (*Embryo*) ثم وضعه في رحم نعجة اسكتلندية سوداء الوجه (*Scottish Blackface*)، وبعد *150* يوماً هي فترة الحمل انتهت بمولد "دوللي" وهي نسخة طبق الأصل من النعجة الأم التي أخذ من ضرعها الخلية المعطية (*Donor Cell*).

ولا بُدَّ أن نعرف أنَّ هذه المحاولة تم إجراؤها *277* مرة، منها *29* محاولة أدت إلى إنتاج أجنة عاشت أكثر من ستة أيام ماتت جميعها إلا دوللي والتي كانت في شهرها السابع وتتمتع بصحة جيدة جداً عند نشر نتيجة البحث في المجلات العلمية والإفصاح عنه إعلامياً لغير المتخصصين، **ولكن هل أحد يعلم هل ستظل كذلك أم أنها ستواجه مشاكل ؟؟**
وهل ستعيش دوللي عمراً يماثل عمر النعجة الأم ؟ أم ستعيش أقل .
حيث أنّ هذه النعجة: "دوللي" قد نتجت من خلية عمرها ست سنوات، وهل معنى ذلك أنَّ السنوات الست ستحسب من عمرها، عندها قد تعاني دوللي من شيخوخة مبكرة؟ وهل من الممكن أن تصاب دوللي في وقت لاحق ببعض الأمراض الوراثية؟

فعملية النقل النووي قد يصحبها تلف في المادة الوراثية للنواة المنقولة، إذا حدث ذلك فإنّ دوللي من الممكن أن تُعاني من بعض الأمراض، ولكن ذلك لم يثبت حتى الآن، والزمن كفيل بالإجابة عن هذه الأسئلة.

ليس الأمر بجديد

قال الله تعالى في كتابه الكريم: **(إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)**[784] وقال الله تعالى: **(وما اوتيتم من العلم إلا**

[1] العلق : (1 – 5) .

قليلاً)[785]، وهذا يعني أن ذلك العلم القليل الذي أمدنا به الله تعالى، لا بُدَّ أن نستغله لنفع البشرية، والتجارب العلمية التي هي نتاج العلم الذي أمدنا الله به لا بد أن يكون لها احترامها، كما لا بد أن نعطي العلماء الفرصة للبحث والتفكر والتجريب، والقيد الوحيد الذي يجب أن يحول دون الأخذ بنتائج العلم وتجاربه هو ألا يخالف العقيدة والأحكام الشرعية. وبمراعاة ذلك فيجب ألا يكون عليه أي قيود أو شروط أخرى، وقد أطلق الله للعلماء الحرية ليستغلوا علمهم كيفما شاءوا ومدحهم بقوله تعالى: **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)**[786] كما بَيَّنَ وتحدى محاولة الوصول بغير إرادته بقوله: **(يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)**[787] وحين قال: **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)**[788] فقد وضع قيود ذلك العِلم بقوله: **(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)**[789] وقد توعد من يخل بنظام الكون أو يأخذه الغرور حين قال: **(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وآزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا)**[790] وبناء عليه فلا يوجد شرعاً ما يحرم التجارب العلمية أو يتحدى الاكتشافات ~ إلا ما خالف العقيدة منها أو ما خالف الأحكام الشرعية ~، فالطب الآن يستطيع أن يتعرف على نوع الجنين داخل رحم الأم، وقد يظن البعض أن هناك تعارضاً بين ما توصل إليه العِلم وبين قوله تعالى: **(إنَّ الله عِندَهُ عِلم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام)**[791] إلا أنّ الله تعالى قال: **(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)**[792] إذ لا بُدَّ أن نعلم أنّ كل ما يتوصل إليه العلم ليس بمشيئتنا نحن ولكن بمشيئة الله ثم باجتهاد العلماء. وتجربة الاستنساخ التي نجحت أخيراً ليست إلا واحدة من التجارب التي يجب أن تأخذ فرصتها لنفع البشرية، فإنّه من الممكن أن يكون لها فوائد كثيرة، وعلى سبيل المثال فإنّ تجارب الاستنساخ لها فوائد عظيمة في عالم النبات كإنتاج سلالات مقاومة للأمراض إلى غير ذلك من الصفات،[793] كما يمكن استخدامها في عالم الحيوان، حيث أنه يمكن تحسين الصفات الحيوانية، وإن

---

[2] الإسراء: (85).

[1] الزمر: (39).

[2] الرحمن: (33).

[3] الإسراء: (85).

[4] البقرة: (255).

[5] يونس: (24).

[6] لقمان: (34).

[7] البقرة: (255).

[1] فقد تم بفضله إنتاج سلالات جديدة من النباتات، خاصة في معظم أنواع الخضار " مثل البندورة والكوسا والخيار والفلفل والقرنبيط "، حيث تم التوصل إلى سلالات " هجين *Hybrid* " تتمتع بصفات ومواصفات عالية بالنسبة لجودة ومظهر الثمار وغزارة الإنتاج. وبفضله أيضاً تم مؤخراً التوصل إلى سلالات مقاومة لأمراض النبات، وعلى سبيل المثال فقد تم التوصل في مزروعات الكوسا والبندورة إلى سلالات قادرة على مقاومة مرض البياض ألدقيقي وأمراض الفيروس المختلفة، بالأخص نوع من الفيروس الخطير فيها، إذ كان هذا الفيروس من الأمراض التي فتكت بمزارع الخضار في السنوات السابقة. ومن هذه السلالات المحسنة مثلاً ما أنتجته مؤخراً " شركة بيتوسيد الأمريكية *PETOSEED INC.* " وهو نوع من سلالات الكوسا المقاومة لمرض الفيروس باسم : " *Hyb Katia Ati Virus Squash* " كما قامت الشركة المذكورة وغيرها من الشركات بإنتاج أنواع أخرى من الخضار مثل البندورة والخيار قادرة على مقاومة الأمراض، مما يوفر على المزارعين تكاليف المقاومة الكيماوية.

شاء الله سوف يتمكن العلماء من إنتاج بويضات مستنسخة بعدد هائل لبعض الأبقار مثلاً، وزرعها في أرحام أبقار من سلالة أخرى لإنتاج لحوم وألبان بكميات هائلة وبصفات خاصة، بالإضافة إلى أنّه يمكن استغلال ذلك طبياً حيث أنّه من الممكن جعل ألبان هذه الأبقار تحتوي على أنزيمات معينة أو عقاقير مضادة لبعض الأمراض وهذا ممكن وجائز علمياً.

وعلى مستوى الإنسان فستؤدي تجارب الاستنساخ إلى فتح المجال إلى تجارب شيطانية تؤدي إلى اختلاط الأنساب وغيرها من المشاكل الاجتماعية الخطيرة، لذلك فالاستنساخ في الإنسان هي مسألة ليست متعلقة ببحث علمي مجرد، فلا تبحث بتاتاً على هذا الأساس. إنّما هي قضية تتعلق بوجهة النظر في الحياة لتعلقها بأنساب الإنسان واختلاطها، مما يُلزم دراستها وبحثها بناء على وجهة النظر في الحياة بغض النظر عن كونها بحث علمي.

وإذا تكلمنا عن الاستنساخ في الإنسان فإنني أقول إنّ محاولات كثيرة لاستنساخ خلايا بشرية للحصول على أجنة حدثت من أعوام مضت. ففي عام *1993* قام علماء الأجنة في "جامعة جورج واشنطون" باستنساخ أجنة بشرية غير مكتملة، ثم قاموا بتقسيم هذه الخلايا إلى أجزاء زرعت في المعمل لتنمو من جديد حتى وصلت إلى الحجم الذي يمكن وضعه في رحم المرأة ولكن ذلك لم يتم.

في عام *1950* قام العلماء بتجميد خلايا ملقحة لأبقار معينة عند درجات حرارة منخفضة تحت الصفر، وذلك لكي تنقل في أرحام أبقار أخرى، تلتها محاولة لنسخ ضفادع في سنة *1963* حيث قام العالِم "جون جارون" باستنساخ ضفادع إلى أن تطورت أفكار العلماء لاستنساخ الإنسان، وقد أدى ذلك إلى ظهور فيلم الخيال العلمي عن استنساخ الزعيم "هتلر"، وظهر ذلك في فيلم "أولاد من البرازيل" في أواخر السبعينيات.

تلت هذه الأفكار محاولات عديدة وناجحة لعمليات التلقيح الصناعي، ففي سنة *1983* كانت هناك أول أم تحمل في بطنها أول طفل بالتلقيح الصناعي، والتلقيح الصناعي هو أن يتم تلقيح البويضة بالحيوان المنوي بواسطة تقنيات معملية، ثم يتم زرع البويضة المخصبة في المعمل *(In Vitro)* وبعدها تنقل إلى رحم الأنثى. ولم يُحَرم الإسلام التلقيح الصناعي لأنّ الله تعالى قال: **(أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)**[794]

فالتحدي الحقيقي في خلق الحيوان المنوي أو البويضة، فالعلماء لا يخلقون شيئاً بل أجروا التلقيح في المعمل ثم وضعوا الجنين داخل الرحم فقط. وأيضاً في الاستنساخ فالعلماء لم يخلقوا الخلية بل أخذوها حية وأثروا عليها بمؤثرات جعلتها تنقسم ثم وضعوها في الرحم فصارت جنيناً بإذن الله. إذن فهناك فرق كبير بين الخلق وبين الاستنساخ.

التحريم والتقنين

[1] الواقعه: (58).

لقد أثيرت أسئلة عديدة حول قضية الخلق والاستنساخ، منها من يفترض أنّ حواء – التي خلقها الله من أب بلا أم – استنسخت من خلية من آدم عليه السلام، وأيضاً عيسى عليه السلام – الذي خلقه الله من أم بلا أب – استنسخ من خلية من السيدة مريم العذراء.

وهذا غير صحيح فلو كان كذلك لكانت حواء ذكراً وعيسى أنثى، إذ لا بُدَّ أن يُشابه المُسْتنسَخ المُسْتنسَخ منه، أمّا خلق حواء وعيسى فهذا هو الإعجاز، وتلك هي قدرة الله سبحانه وتعالى.

ومن النظرة العلمية فإنني أقول إنَّ العلماء قد نجحوا في استنساخ النعجة "دوللي" وتحريم تجارب الاستنساخ لن يمنع من الاستمرار في محاولة إجرائها على الإنسان، لذلك فعلينا أن نستعد للمرحلة القادمة، ببحثها بحثاً واعياً لإعطائها الحكم الشرعي المتعلق بواقعها. وهذا ما سنقوم به في بحث "الحكم الشرعي في الاستنساخ" إن شاء الله تعالى.

وأود أن أشير إلى أنَّ هذا البحث بالكامل "**الاستنساخ ما هو؟**" مقتبس بتصرف عن مقال بقلم "الدكتور عبد الفتاح محمد عطا الله" أستاذ المناعة والوراثة بجامعة "جورج واشنطون" الأمريكية، ومدير مركز أبحاث التقنية الحيوية بدمياط الجديدة – مصر. وردت بعنوان "الاستنساخ مرة أخر " الوارد في دورية "العربي" العدد *467* . أكتوبر *1997* م.

وعن مقال أخر بعنوان "الاستنساخ آخر قنابل هندسة التناسل" بقلم "الدكتور مصطفى محمود حلمي" والمنشور في دورية "العربي" العدد *463* – يونيو *1997*.

وأنوه أنَّ جميع ما ورد في بحث "الاستنساخ ما هو؟" هو وجهة نظر الكاتبين، أمّا رأينا المعتمد فهو ما سيرد لاحقاً في بحث "الحكم الشرعي في الاستنساخ".



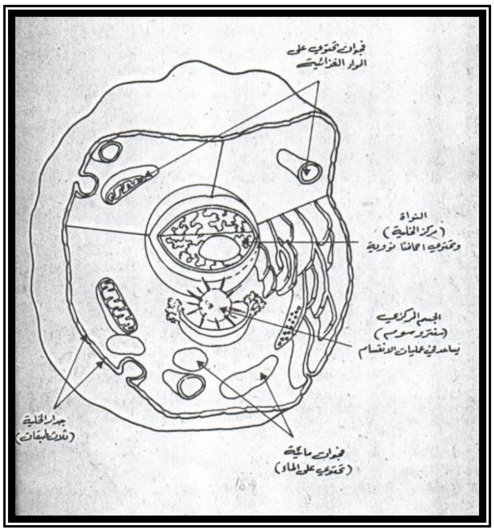
ظل العلماء يعتقدون أنّ استنساخ حيوان من خلية بالغة (أي غير جنينيه) يُعَدُّ أمراً مستحيلاً. فعلى الرغم من أن كل خلية تحتوي على شفرة وراثية كاملة لنسخ حيوان جديد، فإنّ هذه الشفرة ظل يعتقد في استحالة قراءتها في الخلايا البالغة. لكن الفريق البحثي الاسكتلندي الذي نجح في استنساخ النعجة "دوللي" أثبت إمكان إيقاظ الشفرة الكاملة، الكامنة، اللازمة لتكوين كائن كامل. وهو إنجاز خطير. تظل تتردد أصداؤه في آفاق الحاضر والمستقبل. ـ مجلة "العربي" العدد *463* صفحة *64* .

الحكم الشرعي في الاستنساخ

الاستنساخ " *Cloning* " هو إيجاد نسخة طبق الأصل عن شيء ما من الكائنات الحية نباتاً أو حيواناً أو إنساناً.

والاستنساخ الإنساني هو: إيجاد نسخة طبق الأصل عن الإنسان نفسه، ويتم إيجاد نسخة طبق الأصل عن الإنسان نفسه، بأخذ خلية جسدية من جسم ذلك الإنسان، ثم أخذ نواة هذه الخلية وزرعها في بويضة امرأة بعد إفراغ هذه البويضة من نواتها بعملية تشبه التلقيح أو الإخصاب الصناعي[795] يتم بموجبها إدخال نواة الخلية التي أخذت من جسد ذلك الشخص داخل البويضة المأخوذة من المرأة، بواسطة مواد كيماوية خاصة وتيار كهربائي معين، لكي يتم دمج نواة الخلية مع البويضة، وبعد إتمام عملية الدمج تنقل البويضة التي دُمِجَت بنواة الخلية إلى رحم امرأة لتأخذ بالتكاثر والنمو والانقسام والتحول إلى جنين كامل، ثم يولد ولادة طبيعية، فيكون نسخة طبق الأصل عن الشخص الذي أخذت منه الخلية التي زرعت نواتها في بويضة المرأة.[796]

إنَّ التلقيح والإخصاب في عملية الاستنساخ الإنساني يكون بين خلايا الإنسان الجسدية "*Somatic Cells* " وليس الخلايا الجنسية " *Germ Cells*". والإنسان في جسده ملايين بل بلايين الخلايا، كل خلية منها تحتوي *46* كروموسوماً.[797] عدا الخلايا الجنسية والتي مكانها الخصية في الرجل والمبيض في المرأة. وتحوي كل خلية من هذه الخلايا الجنسية *23* كروموسوماً، أي نصف كروموسومات الخلايا الجسدية.



---

[1] التلقيح أو الإخصاب fertilization: في الحيوانات والإنسان، اتحاد الخلية الجرثومية الذكرية " الحييوين المنوي " والخلية الجرثومية الأنثوية " البويضة " بحيث ينشأ عن ذلك بيضة مخصبة *fertilized* تُعرف فيما بعد " الزيغوت أو اللاقحة zegote ".

أما الإخصاب الصناعي " *Artificial Insemination* " فهو طريقة صناعية لنقل المني من الذكر إلى الأنثى تسهيلاً للإخصاب من غير اتصال جنسي. تستخدم على نطاق واسع في مزارع الماشية وزرائب الدواب. وقد تستخدم على النطاق البشري أيضاً حين يكون الإخصاب الطبيعي متعذراً. – للاستزادة في بحث " أطفال الأنابيب " في نهاية هذا الفصل إن شاء الله.

[2] للاستزادة : ارجع إلى البحث السابق " الاستنساخ ما هو ؟ " – ومقال بعنوان " هل يأتي الغد بماكينة لنسخ البشر؟ الطريق إلى دوللي " مجلة " العربي " عدد 463، صفحه 71 وما بعدها.

[3] الكروموسات *Chromosomes*: هي المادة الوراثية التي تحتوي جميع الصفات الوراثية للشخص.

وفي التلاقح الطبيعي يلتقي الحيوان المنوي من الرجل الذي يحتوي *23* كر وموسوما مع بويضة المرأة التي تحتوي *23* كر وموسوما أيضاً. وعند التلاقح بين الحيوان المنوي والبويضة يصير فيها *46* كر وموسوما،[798] نصفها من الرجل ونصفها من المرأة، فيأخذ المولود من صفات الرجل ومن صفات المرأة.

أمّا في عملية الاستنساخ فإنَّ الخلية التي تؤخذ من جسم الشخص تكون فيها *46* كروموسوما، أي جميع الصفات الوراثية للشخص، وبذلك يأخذ المولود الناتج عن عملية الاستنساخ صفات هذا الشخص الذي أخذت منه نواة خليته وحده، ويكون هذا الولد نسخة طبق الأصل عنه، مثل عملية أية ورقة على جهاز التصوير الفوري مع الألوان، فتكون صورة طبق الأصل دون أي اختلاف.

إنَّ عملية التلاقح الطبيعي لا يمكن أن تتم إلا بذكر وأنثى وبالخلايا الجنسية. أمّا عملية الاستنساخ فيمكن أن تتم بوجود ذكر، وتتم بالخلايا الجسدية لا الجنسية. وذلك بأنَّ تؤخذ خلية جسدية من أنثى – في حالة عدم وجود الذكر – ثم تنزع نواتها منها، والتي تحتوي *46* كروموسوماً، أي تحوي جميع الصفات الوراثية، ثم تزرع هذه النواة في بويضة أنثى بعد أن تفرغ هذه البويضة من نواتها، ثم تنقل هذه البويضة إلى رحم أنثى بعد أن تتم عملية دمج نواة الخلية بالبويضة المفرغة من نواتها، ويزرع هذه البويضة في رحم أنثى تبدأ في التكاثر والإنقسام والنمو، وتتحول إلى جنين ثمَّ إلى جنين كامل، ثم تولد، وتكون نسخة طبق الأصل عن الأنثى التي أخذت منها الخلية، وبذلك تكون عملية الاستنساخ في هذه الحالة قد تمت في جميع مراحلها دون وجود ذكر.

إنَّ عملية الوراثة في التلاقح الطبيعي للصفات تكون من ناحية الأب والأم، لذلك فالأولاد يكونون على نسق واحد، والتشابه بين الأولاد والآباء والأمهات وبين الأخوة يأخذ أشكالاً مختلفة من حيث الشكل طولاً وعرضاً ولوناً، ومن حيث القدرات العقلية والنفسية الخَلقية.

أمّا الوراثة في عملية الاستنساخ فإنها تنقل الصفات نفسها للشخص الذي آخذت الخلية منه ذكراً كان أم أنثى، ويكون الولد نسخة طِبْق الأصل عنه في الشكل طولاً وعرضاً ولوناً، وفي القدرات العقلية والنفسية الخَلقية، أي يرث جميع الصفات الخَلقية. أما الصفات المكتسبة فليست موضوعاً للوراثة، فإن أخذت الخلية من عالِم قدير أو مجتهد كبير أو طبيب فذ فلا يعني أن الولد سيرث هذه الصفات، لأنها صفات مكتسبة وليست صفات خَلقية.

---

[1] وهي العدد الكامل من المادة الوراثية وتسمى " الزيجوت *Zegot* " الذي له القدرة على الانقسام ليعطي جنيناً كاملاً يحتوي على خلايا جنينية غير متميزه " *undifferentiated Embryonic Cells* " التي تتحول في النهاية إلى خلايا ناضجة كاملة التميز " *Adult Differentiated Cells*".

إنّ التوصل إلى عملية الاستنساخ كشفَ قانوناً من القوانين التي أودعها الله سبحانه وتعالى في خلايا جسم الإنسان والحيوان إذ كشفت عملية الاستنساخ أنَّ أية خلية جسدية من خلايا جسم الإنسان والحيوان فيها قابلية إنتاج أولاد إذا ما زرعت نواتها في بويضة أنثى أفرغت من نواتها ، مثل الحيوان المنوي للذكر عندما يتلاقح مع بويضة الأنثى.

هذا هو واقع الاستنساخ الحيواني. وهناك نوع آخر من الاستنساخ هو الاستنساخ الجنيني، وهو إيجاد نسخة طبق الأصل من الجنين المتكون في رحم الأم، وبه يستطيع الإنسان أن يستنسخ عن أطفاله أثناء المرحلة الجنينية. ففي بداية تكون الجنين في رحم الأم يستطيع الطب أن يقسم هذا الجنين إلى خليتين، ثم إلى أكثر من ذلك، وبالتالي إنتاج أكثر من خلية جنينية متطابقة مع الجنين، فتولد التوائم المكونة من هذا الاستنساخ الجنيني، ومتطابقة تطابقاً كلياً مع الجنين الذي نسخت عنه.

لقد حصل الاستنساخ فعلاً في النباتات، كما حصل مؤخراً في الحيوان، لكنه لم يحصل في الإنسان، فما حكم هذا الاستنساخ في الشرع؟

إنَّ الغاية من الاستنساخ في النبات والحيوان هي تحسين النوعية في النبات والحيوان، وزيادة الإنتاجية فيهما، وإيجاد علاج طبيعي لكثير من الأمراض الإنسانية، خاصة المستعصية منها، بدلاً من العقاقير الكيميائية التي لها مردود مؤذٍ على صحة الإنسان.

إنّ تحسين نوعية النبات والحيوان وزيادة الإنتاجية فيهما لا حرج فيه من الناحية الشرعية، وهو من المباحات. كما أنَّ استخدام النبات والحيوان لعمليات الاستنساخ كدواء لمعالجة أمراض الإنسان، خاصة المستعصية منها أمر يجيزه الإسلام، بل يندب إليه لأن التداوي مندوب وتصنيع الدواء للتداوي مندوب كذلك. فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء، فتداووا) وروى أبو داوود وابن ماجه في صحيحيهما عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت الأعراب فقالوا: أنتداوى؟ فقال: (نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء...)

لذلك يجوز استخدام عمليات الاستنساخ لتحسين نوعية النباتات وزيادة إنتاجها، كما يجوز استخدام عمليات الاستنساخ لتحسين نوعيات البقر والغنم والإبل وغيرها. ولزيادة إنتاجية هذه الحيوانات وتكثيرها، وجعلها صالحة لمعالجة أمراض الإنسان، خاصة المستعصية منها.

هذا هو حكم استنساخ النبات والحيوان. أما حكم استنساخ الإنسان - على فرض أنه سيحدث إذ لم يحدث بعد - فهو كما يلي:

إن كان الاستنساخ جنينياً لخلية تناسلية تكونت في رحم الزوجة من لقاء الحيوان المنوي لزوجها ببويضتها، وقسمت تلك الخلية التناسلية بعملية تكثيرية إلى عدة خلايا قابلة للانقسام والنمو، وفصلت تلك الخلايا لتصبح كل خلية جنيناً مستقلاً مطابقاً للخلية الأولى التناسلية الملقحة التي أخذت منها تلك الخلايا، وزرعت تلك الخلايا في رحم امرأة أجنبية، أو في رحم زوجة ثانية لزوج المرأة صاحبة الخلية التناسلية الملقحة، **كان** هذا الاستنساخ لهاتين الصورتين حراماً، لأن فيه اختلاط للأنساب وضياعاً لها، والإسلام قد حرم ذلك.

أما إذا زرعت هذه الخلايا أو خلية منها في رحم نفس الزوجة صاحبة الخلية التناسلية، **فإنَّ** هذا الاستنساخ يكون جائزاً شرعاً، لأنه تكثير للجنين الموجود في رحمها بعملية طبية لتتجب توائم متطابقة. هذا هو الحكم الشرعي في الاستنساخ الجنيني.

أما الاستنساخ الإنساني فإنه وإن لم يُتوصل إليه بعد، فالعلماء يقولون إنّ التوصل إلى استنساخ الحيوان هو مقدمة إلى التوصل إلى استنساخ الإنسان.

واستنساخ الإنسان يكون بوجود ذكر وأنثى في عملية الاستنساخ، وذلك بأن يؤخذ خلية من جسد ذكر، وتنزع منها نواتها لتدمج مع بويضة أنثى بعد إفراغها من نواتها، ثم تنقل هذه البويضة بعد دمجها بنواة الخلية إلى رحم امرأة، لتتكاثر وتنمو وتتحول إلى جنين ثم إلى وليد يكون نسخة طبق الأصل عن الذكر الذي أخذت الخلية من جسده.

كما يكون الاستنساخ بين إناث فحسب دون أن يكون معهن ذكر، وذلك بأن تؤخذ من خلية من جسد أنثى، ثم تنزع نواتها لتدمج مع بويضة أنثى، ثم تنقل هذه البويضة إلى رحم أنثى بعد دمجها مع نواة الخلية، لتتكاثر وتنمو وتتحول إلى جنين ثم إلى وليد يكون نسخة طبق الأصل عن الأنثى التي أخذت منها الخلية من جسدها، كما حصل بالفعل في الحيوانات مع النعجة "دوللي"، فقد أخذت النواة من خلية نعجة، أخذت من ثديها ونزعت من هذه النواة عوامل اختصاصها بالثدي، ثم وضعت داخل غلاف بويضة نعجة بعد نزع نواة هذه البويضة، ثم زرعت هذه البويضة في رحم نعجة لتتكاثر وتنمو وتتحول إلى جنين ثم إلى وليدة هي النعجة دوللي، وكانت نسخة طبق الأصل عن النعجة الأولى التي أخذت الخلية من ثديها.

وهذا الاستنساخ عن الذكور أو الإناث من الإنسان، سواء أريد منه تحسين النسل وانتخاب النسل الأذكى والأقوى والأشجع والأكثر صحة والأكثر جمالاً، أو أريد بالاستنساخ تكثير النسل لزيادة عدد أفراد الشعب لتقويته وتقوية الدولة، **فإنَّ هذا الاستنساخ إن حصل، سواء أريد به التحسين أو التكثير ، سيكون بلاءً على العالم ومصدر شر فيه ، وهو محرم لا يجوز القيام به ، وذلك لما يلي:**

[1] لأنَّ إنتاج الأولاد فيه يكون عن غير الطريق الطبيعي التي فطر الله الناس عليها، وجعلها سنة في الأولاد والذرية. قال تعالى: **(وَأنه خلق الزوجين الذكرَ والأنثى من نطفة إذا تُمْنى)**[799] وقال: **(ألم يَكُ نطفة مِن مَنِي يُمنى، ثم كانَ عَلقة فخلق وسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى)**[800]

---

[1] النجم: (45).

[2] القيامة: (37 – 39).

[2] عدم وجود آباء للأولاد المستنسخين من إناث دون أن يكون معهن ذكر، وعدم وجود أمهات لهم عندما توضع البويضة المندمجة مع نواة الخلية في رحم أنثى غير الأنثى التي أخذت البويضة منها، إذ تكون هذه المرأة التي وُضِعَت البويضة في رحمها مجرد وعاء للبويضة ليس أكثر، وفي هذا إضاعة للإنسان، فلا أب ولا أم، وهو مناقض لقوله تعالى: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)**[801] ولقوله تعالى: **(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)**[802]

[3] **ضياع الأنساب:** في حين أنّ الإسلام قد أوجب حفظ الأنساب وصيانتها.عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.)[803] وعن أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعداً وأبا بكرة وكل واحد منهما يقول: سمعت أذناي ووعى قلبي محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام.)[804] وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أنزلت آية الملاعنة: **(أيما امرأة أدخلت على قوم نسباً ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يُدخلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين)**[805]

فالاستنساخ لإيجاد الأشخاص المتفوقين ذكاءً وقوةً وصحةً وجمالاً، يقتضي اختيار من تتوفر فيهم هذه الصفات من الذكور والإناث بقطع النظر عن كونهم أزواجاً أو غير أزواج، وعن كونهم متزوجين أو غير متزوجين، وبذلك تؤخذ الخلايا من الذكور الذين تتوفر فيهم الصفات المطلوبة، وتؤخذ البويضات من نساء مختارات، وتوضع في نساء مختارات تتوفر فيهن الصفات المختارة، فتضيع بذلك الأنساب وتختلط.

[4] إنَّ إنتاج الأولاد بعملية الاستنساخ يمنع تنفيذ كثير من الأحكام الشرعية كأحكام الزواج والنسب والنفقات والأبوة والبنوة والميراث والحضانة والمحارم والعصبات وغيرها من الأحكام الشرعية، وتخلط الأنساب وتضيعها، كما أنها تخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها في الإنجاب. فهي عملية شيطانية شريرة تقلب كيان المجتمع.

---

[3] الحجرات: (13).

[4] الأحزاب: (5).

[5] رواه ابن ماجه.

[1] المصدر السابق.

[2] رواه الدارمي.

لذلك فإنَّ عمليات الاستنساخ الإنساني محرمة شـــرعاً، ولا يجوز القيام بها. قال تعالى على لسان إبليس اللعين: (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله)[806] وخلق الله يعني الفطرة التي فطر الناس عليها، والفطرة في الإنجاب والتكاثر عند الإنسان أن تكون من ذكر وأنثى وعن طريق تلقيح الحيوان المنوي للذكر لبويضة الأنثى، وشرع الله سبحانه وتعالى أن يكون من ذكر وأنثى بينهما عقد نكاح صحيح. وليس من الفطرة أن يتم الإنجاب والتكاثر عن طريق الاستنساخ، عدا عن كونه يتم بين ذكر وأنثى ليس بينهما عقد نكاح صحيح.

نقـــل الأعضـــاء

المقصود من "نقل الأعضاء" هنا هو: نقل أي عضو من أعضاء الجسم من إنسان إلى آخر، كنقل اليد أو الكلية أو العين أو القلب، ونقل عضو أو أكثر من إنسان حال حياته أو بعد موته إلى إنسان آخر، **ويكون حكمه كالتالي:**

أ) نقل الأعضاء في حالة حياة المنقول منه :

يجوز شرعاً للشخص حال حياته أن يتبرع – بمحض اختياره وإرادته – بعضو أو أكثر من جسمه إلى شخص آخر محتاج إلى ذلك العضو المتبرَّع به كاليد أو الكلية مثلاً، وذلك لأن الشخص يملك إذا قطعت يده أو قلعت عينه من قبل إنسان آخر أن يأخذ الدِّية، ويملك أن يعفو عن قطع يده أو قلع عينه. والعفو عن قطع اليد أو قلع العين هو تبرع بالدّية، والتبرع بالدِّية يعني ملكية الدّية، وبالتالي ملكية العضو الذي تبرع بديته، وملكيته لأعضائه تعطيه حق التصرف فيها، وبالتالي جواز التبرع بعضو منها لشخص آخر يكون في حاجة لذلك العضو. وقد أجاز الله سبحانه وتعالى العفو عن القِصاص وعن الديات فقال: **(فمَن عُفِيَ لهُ من أخيهِ شيْ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)**[807]

شروط التبرع بالأعضاء حال الحياة :

يشترط لجواز التبرع بالأعضاء حال الحياة، أن لا يكون العضو المتبرَّع به مما تتوقف عليه حياة المتبرِّع، كقلبه أو كبده أو رئتيه مثلاً، لأنَّ التبرع بعضو من هذه الأعضاء يؤدي إلى موته، فيكون قاتلاً لِنفسه، ولا يجوز لشخص أن يقتل نفسه أو يجعل غيره يقتله برضاه. قال تعالى: **(ولا تقتلوا أنفسكم)**[808] وقال: **(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)**[809] وهذا يشمل قتل نفس الغير وقتل الإنسان نفسه. وروى مسلم في صحيحه عن طريق ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله صلى الله

---

[3] النساء: (118).

[1] البقرة: (178).

[2] النساء: (28).

[1] الإسراء: (33).

عليه وسلم: (.... ومن قتل نفسه بشيء عذبه الله به في نار جهنم) وروى البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم...).

كذلك لا يجوز للإنسان أن يتبرع بخصيتيه، وإن لم يؤدِ التبرع بهما إلى موته، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الخِصاء – والخصاء يؤدي إلى العقم – فقد روى البخاري من طريق عبد الله بن مسعود قال: (كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك).

وينطبق هذا الحكم على التبرع بخصية واحدة، وإن كانت لا تجعل الإنسان المتبرع بها عقيماً، ذلك أن الخلايا الجنسية التي هي خلايا الأعضاء التناسلية، أي الخصية عند الذكر والمبيض عند الأنثى، هي التي تنتج الأولاد، فنسل الإنسان إنّما يكون في الخلايا الجنسية. ففي الخصية توجد الخلايا المنتجة للحيوانات المنوية، فهي المصنع الذي ينتجها، وتبقى الخصية هي المخزن، وهي المصنع المنتج للحيوانات المنوية من خلاياها، سواء أكانت في صاحبها أو في الشخص الآخر الذي نقلت إليه.

وعلى ذلك فإنّ الأولاد الذين ينتجهم الشخص الذي نقلت إليه الخصية، تكون كروموسوماتهم أي "المادة الوراثية" من كروموسومات الشخص المتبرع بالخصية، لأن خصيته التي تبرع بها هي التي أنتجت الحيوانات المنوية التي تمون منها الأولاد، لذلك فإنّ هؤلاء الأولاد يرثون صفات الشخص المتبرع ولا يرثون من الشخص المتبرع له بالخصية شيئاً من صفاته، ويكون المتبرع بالخصية من الناحية البيولوجية[810] أباً للأولاد، لذلك لا يجوز التبرع بنقل الخصية الواحدة، كما لا يجوز التبرع بنقل الخصيتين، وذلك لأن التبرع بالخصيتين يؤدي إلى عقم المتبرع، كما أن التبرع بالخصيتين أو الخصية الواحدة يؤدي إلى اختلاط الأنساب وضياعها.

إن الإسلام قد نهى وحرّم اختلاط الأنساب وضياعها، وأمر بحفظ النسل، ونهى عن أن ينتسب الشخص لغير أبيه. روى ابن ماجة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) كما روى أيضاً عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعداً وأبا بكرة وكل واحد منهما يقول: سمعت أذناي ووعى قلبي محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام).

---

[1] البيولوجيا – علم الأحياء " *biology* " علم يعنى بدراسة الحياة أو الكائنات الحية في جميع أشكالها وظواهرها. من فروعه: علم النبات، علم الحيوان، علم الوراثة، علم الطيور، علم الأسماك، علم الحشرات، علم الأحياء المجهري، علم الأحياء النفسي. أما علم الوراثة " وهو أحد فروع البيولوجيا الرئيسية " فهو يبحث في انتقال الصفات من جيل إلى آخر ويعنى بتفسير الظواهر المتصلة بهذا الإنتقال.

كما نهى الإسلام المرأة عن أن تدخل على قومها نسباً ليس منهم، أو أن يجحد الرجل ولده. فقد روى الدارمي عن أبي هريرة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أيما امرأة أدخلت على قوم نسباً ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين).

ب) نقل الأعضاء بعد انتهاء الحياة :

إنَّ نقل عضو من شخص انتهت حياته إلى شخص آخر، يختلف حكمه عن حكم التبرع بالعضو حال الحياة. وللوصول إلى تبين حكم نقل الأعضاء حال انتهاء الحياة يقتضي أولاً معرفة حكم ملكية جسم الميت وحكم حرمة الميت، وحكم حالة الاضطرار.

بخصوص حكم ملكية جسم الشخص بعد أن تنتهي حياته نقول: إن جسم الشخص بعد أن تنتهي حياته لا يكون مملوكاً لأحد من البشر، فالشخص بمجرد انتهاء حياته يخرج من ملكه وسلطانه كل شيء سواء ماله أو جسمه أو زوجته، لذلك فإنّه لا يملك التصرف في جسده، فلا يملك أن يتبرع بأي عضو من أعضائه ولا أن يوصي به، وبناء عليه لا يجوز تبرعه به ولا تصح وصيته في ذلك.

أمّا جواز ايصائه بجزء من ماله مع كون المال سيخرج من ملكيته عند انتهاء حياته، فذلك لأن الشارع أذِنَ للإنسان أن يوصي من ماله إلى حد الثلث دون إذن من الورثة، وبما زاد عن الثلث بإذن منهم. وهذا الإذن من الشارع خاص بالمال، لا يتعداه إلى غيره، فلا يتعداه إلى جسمه، لذلك لا يجوز له الوصية بالتبرع بعضو من أعضائه بعد وفاته.

أمّا الورثة فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد ورثهم مال المورِّث ولم يورثهم جسمه، لذلك فإنّهم لا يملكون التبرع بعضو من أعضائه لكونهم لا يملكون جسمه، كما لا يملكون حق التصرف فيه، **وشرط صحة التبرع أن يكون المتبرع والمتصرف مالكاً لما يتبرع به، وله حق التصرف فيه.** وما دام قد انتفى عن الورثة حق التصرف في جسم مورثهم الذي انتهت حياته فيكون حق التصرف في جسمه منفياً عن غيرهم مَهما كان موقعهم من باب أولى. وعليه فلا يملك الطبيب أو الحاكم أن يتصرف بأي عضو أو أعضاء من انتهت حياته لنقله إلى شخص آخر في حاجة إليه.

أما حكم حرمة الميت وإيذائه، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد جعل للميت حرمة مصونة مثل حرمة الحي، وجعل إيذاء الميت مثل إيذاء الحي. فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كسر عظم الميت ككسره حياً)[811] وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متكئ على قبر فقال: (لا تؤذ صاحب القبر)[812] وعن أبي هريرة قال: قال

---

[1] رواه أحمد وأبو داوود وابن حبان.

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرقه خير له من أن يجلس على قبر)[813]

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أنّ للميت حرمة الحي، كما تدل على أن التعدي على حرمة الميت وإيذاءَه مثل التعدي على حرمة الحي وايذاءَه، فكما لا يجوز التعدي على الحي بشق بطنه أو قطع عنقه أو قلع عينه أو كسر عظمه، فكذلك لا يجوز التعدي على الميت بشق بطنه أو قطع عنقه أو قلع عينه أو كسر عظمه. وكما يحرم إيذاء الحي بشتم أو ضرب أو جرح، فكذلك يحرم إيذاء الميت بشتم أو ضرب أو جرح، إلا أنّ التعدي على الميت بالكسر أو القطع أو الجرح لا ضمان فيه، كما يُضمَن ذلك في التعدي على الحي، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُضمّن من كسر عظم ميت أمامه وهو يحفر القبر شيئاً، واكتفى بأمره بدس العظمة في التراب، وبين له أنَ كسر عظم الميت مثل كسر عظم الحي في الإثم فقط.

إنَّ قلع عين الميت أو شق بطنه لأخذ قلبه أو كليته أو كبده أو رئتيه لنقلها لشخص آخر هو في حاجة إليها يعتبر تمثيلاً بالميت، والإسلام نهى عن المُثلة. عن عبد الله بن زيد الأنصاري قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النُّهبى والمُثلة)[814] وعن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فقال: (سيروا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً)[815]

حالة الاضطرار :

حالة الاضطرار هي الحالة التي أباح الله فيها للمضطر الذي فقد الزاد وأصبحت حياته مهددة بالموت، أن يأكل مما يجده من المطعومات التي حرمها الله: كالميتة والدَّم ولحم الخنزير وغير ذلك. **فهل في هذه الحالة يُباح نقل عضو من أعضاء الميت لإنقاذ حياة شخص آخر يتوقف بقاء حياته على نقل العضو إليه؟**

وللجواب على ذلك لا بُدَّ من معرفة حكم الاضطرار لنتوصل إلى حكم نقل الأعضاء من شخص انتهت حياته إلى شخص آخر في حاجة إليها.

أما حكم الاضطرار:

فإن الله سبحانه وتعالى قد أباح للمضطر الذي فقد الزاد وأصبحت حياته مهددة بالموت أن يأكل ما يجده من المطعومات التي حرَّم الله أكلها، حتى يحفظ حياته، كالميتة والدّم ولحم الخنزير وغير ذلك من كل مطعوم حرّم الله أكله. قال تعالى: **(إنّما حُرّم عليكم الميتة والدّمَ ولحْمَ الخِنزير وما أهِلَّ بهِ لغير الله، فمن أضطرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه)**[816] فللمضطر أن يأكل مما يجده من هذه المطعومات

---

[2] رواه مسلم والإمام أحمد.

[3] رواه البخاري.

[4] رواه أحمد وابن ماجة والنسائي.

[1] البقرة: (173).

المحرمة ما يسد رمقه ويبقي حياته، فإن لم يأكل منها ومات يَكن آثِماً وَيَكن قاتِلً لنفسِهِ، والله سبحانه وتعالى يقول: **(ولا تقتلوا أنفسكم)**[817]

وبناءً على ما تقدّم من حكم الاضطرار، فهل يمكن أن يطبق هذا الحكم على حالة نقل الأعضاء من شخص انتهت حياته إلى شخص آخر محتاج إليها لإنقاذ حياته بطريق القياس؟[818]

والجواب على ذلك فيه نظر، إذ أنّ شرط تطبيق حكم القياس في هذه المسألة يقتضي أن تكون العلة الموجودة في الفرع المقيس – الذي هو في حالة نقل الأعضاء – مشاركة لعلة الأصل المقيس عليها – الذي هو حالة الاضطرار لمن فقد الزاد – إمّا في عينها أو في جنسها، لأنّ القياس إنّما هو تعدية حكم الأصل إلى الفرع، بوساطة علة الأَصل، فإذا لم تكن علة الفرع مشاركة لها في صفة عمومها ولا في صفة خصوصها، لم تكن علة الأصل موجودة في الفرع، وبذلك لا يمكن تعدية حكم الأصل إلى الفرع.

وهنا بالنسبة لحالة نقل الأعضاء، فإنّ هذه الأعضاء المنقولة، إمّا أن تكون من الأعضاء التي يتوقف عليها إنقاذ الحياة بغلبة الظن: كالقلب والكبد والكليتين والرئتين، وإمّا أن تكون من الأعضاء التي لا يتوقف عليها إنقاذ الحياة: كالعين والكلية الثانية لمن عنده كلية صحيحة واليد والرجل وأمثالها.

أمّا الأعضاء التي يتوقف على نقلها إنقاذ حياة الإنسان بغلبة الظن ، ففيها ناحيتان:

الأولى: أنّ العلة الموجودة فيها – والتي هي إنقاذ الحياة وابقاؤها – غير متأكدة الحصول كما هي في حالة الاضطرار، لأنّ أكل المضطر لما حرّم الله أكله من المطعومات يؤدي حتماً إلى إنقاذ حياته، غير أنّ نقل القلب أو الكبد أو الرئتين أو الكليتين لا يؤدي حتماً إلى إنقاذ حياة من نقلت هذه الأعضاء إليه، فقد يحصل الإنقاذ وقد لا يحصل. والوقائع الكثيرة التي حصلت مع من نقلت إليهم هذه الأعضاء تثبت ذلك. ولهذا فالعلة غير مكتملة.

أما الناحية الثانية، فتتعلق بشرط آخر من شروط الفرع في القياس، وهو أن يكون الفرع خالياً من مُعارِضٍ راجح يقتضي نقيض ما اقتضته علة القياس. وهنا في الفرع – وهو حالة نقل الأعضاء – فقد ورد نص راجح يقتضي نقيض ما اقتضته علة القياس، وهو تحريم الاعتداء على حرمة الميت أو ايذائه أو التمثيل به، وهو نقيض ما اقتضته علة نقل الأعضاء من الجواز.

---

[2] النساء: (28).

[1] ان مما ابتلي به المسلمين حديثاً ظاهرة تأويل النصوص الشرعية إلى غير ما نصت عليه، وقد درج قسم من أشباه العلماء على تبرير القيام ببعض ما حرم الله بحجة الاضطرار، دون إعمال شروط القياس الصحيحة في ذلك، وذلك اجترءا منهم على شرع الله واتباعاً للهوى، ولإرضاء أسيادهم من الحكام والكفار. – ومن الفتاوي الشاذة في ذلك كان ما قام به فريق من " مشايخ السلطان " أصحاب العمائم واللحى والألقاب الجامعية من فتوى نشرتها وسائل الإعلام بجواز أن يقاتل المسلم الأمريكي إخوانه المسلمين في أفغانستان في صفوف الجيش الأمريكي في الحرب الصليبية المعلنة على الإسلام والمسلمين بحجة الاضطرار لئلا يحرموا من تلك الجنسية، ولكي يتاح لهم الاستمرار في العيش في بلاد الكفار، ونسوا أو تناسوا بأن الشرع يحتم عليهم ترك العيش في بلاد الكفار إذا تسبب ذلك في فتنتهم عن دينهم، لا ارتكاب الكبائر بقتال إخوانهم في جيش الكفار في سبيل السماح لهم بالعيش في بلاد الكفر !!!!.

وبناءً على هاتين الناحيتين، فإنه لا يجوز نقل الأعضاء التي يتوقف على نقلها إنقاذ الحياة: كالقلب والكبد والكليتين والرئتين من شخص فقد الحياة، وهو معصوم الدّم، مسلماً كان أو ذمياً أو معاهداً أم مستأمناً إلى شخص آخر تتوقف حياته على نقل ألأعضاء إليه.

أطفـــال الأنـــابيـــب

إنَّ عملية التلقيح بوساطة الأنابيب بين الحيوان المنوي للزوج والبويضة للزوجة، هي عملية علاج طبي لتمكين إيصال الحيوان المنوي للزوج إلى بويضة الزوجة، ليلقحها في غير مكان التلقيح الطبيعي، ومن ثمَّ وضع البويضة الملقحة في رحم الزوجة بعملية، حتى يتم الحمل طبيعياً في الرحم.

والأصل أن يتم التلقيح طبيعياً في الرّحم بالطريق الطبيعي التي فطر الله سبحانه الناس عليه، لكن إذا تعذر التلقيح بالطريق الطبيعي،[819] فهذا التعذر يمكن تلافيه عن طريق علاج لإحداث تلقيح في غير المكان الطبيعي بين الحيوان المنوي للزوج وبين بويضة الزوجة، بعد تمكين الحيوان المنوي للزوج من الوصول إلى بويضة الزوجة، وتلقيحها في أنبوب يخضع لنفس ظروف الرحم الطبيعية، ومن ثم تنقل البويضة الملقحة إلى مكانها الطبيعي في رحم الزوجة، ليتم الحمل الطبيعي فيه، ومن ثمَّ الولادة.

هذه العملية هي عملية طبية علاجية، وهي جائزة شرعاً، لأنها علاج لتحقيق ما ندب الإسلام إليه، وهو التناسل والتكاثر، والذي هو هدف أساسي من أهداف النكاح. عن أنس أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (... تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة).[820] وعن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انكحوا أمهات الأولاد فإني أباهي بكم يوم القيامة).[821]

فإذا حصل العلاج لإيجاد التلقيح والحمل والولادة طبيعياً، ولم يُثمر ذلك العلاج، وكان بالإمكان إحداث التلقيح في غير مكانه الطبيعي، ثمَّ إعادة البويضة الملقحة من الزوج إلى مكانها الطبيعي في رحم الزوجة ليتمَّ الحمل جاز ذلك، لأنَّ العلاج مندوب إليه، ولأنَّ فيه تحقيقاً لما ندب الإسلام إليه من التناسل والتكاثر. وفي العادة لا يُلجأ لهذا العلاج لإحداث التلقيح غير الطبيعي، إلاّ إذا تعذر إحداث التلقيح الطبيعي في رحم المرأة، بين بويضتها وبين الحيوان المنوي لزوجها. ويُشترط لجواز هذا التلقيح غير الطبيعي في الأنبوب لإنتاج النسل أن يكون هذا التلقيح بين الحيوان المنوي للزوج وبويضة الزوجة فقط، وأن توضع بويضة الزوجة بعد تلقيحها في الأنبوب بالحيوان المنوي للزوج في رحم الزوجة.

ويحرم أن توضع في رحم امرأة أخرى غير الزوجة، وهو ما يسمونه **بالحمل عن الغير**. كما يحرم أن يكون هذا التلقيح غير الطبيعي في الأنبوب بين الحيوان المنوي للزوج وبويضة غير الزوجة،

---

[1] بأن كانت القناة التي تسير فيها البويضة إلى رحم الزوجة مسدودة أو تالفة ، ولم يُتمكن بالعلاج من فتحها أو إصلاحها ، أو كانت الحيوانات المنوية للزوج ضعيفة أو قاصرة عن أن تصل إلى رحم الزوجة لتلتقي في البويضة فيه ، ولم يتمكن العلاج من تقويتها ، آو إيصالها إلى رحم الزوجة لتلتقي بالبويضة فيه ، مما يؤدي إلى تعطيل النسل والتكاثر الذي حض الإسلام عليه ورغب فيه ، وندب المسلمين إليه .

[2] رواه الإمام أحمد في المسند.

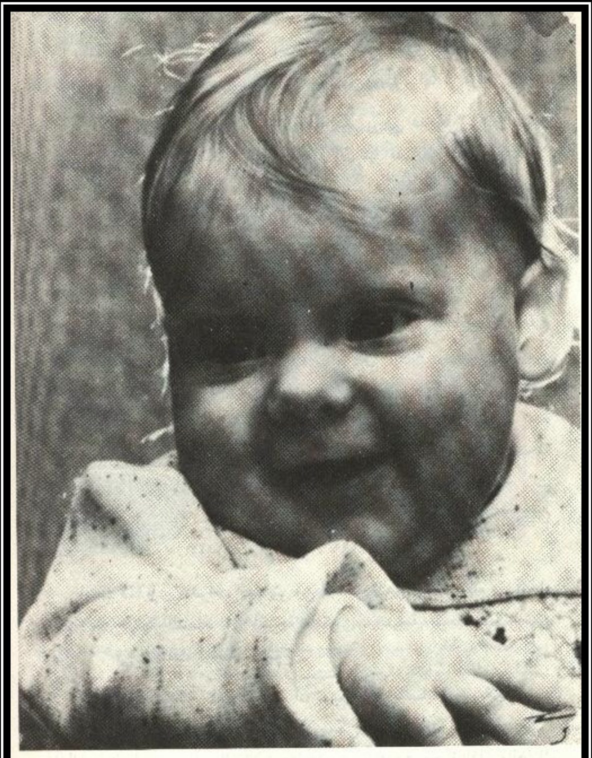
[3] المصدر السابق.

حتى لو وُضِعَت البويضة بعد تلقيحها في الأنبوب في رحم الزوجة، كما يحرم هذا التلقيح بين مني غير الزوج وبويضة الزوجة، حتى لو وضعت البويضة بعد تلقيحها في الأنبوب في رحم الزوجة.

فكل هذه الصور الثلاث محرمة شرعاً، لأنَ فيها اختلاطاً للأنساب وضياعاً لها، وهو محرم شرعاً. وهذه الصور الثلاث تشبه الحمل والإنجاب بطريق الزنا، سوى أنَّه لا ايلاج فيها، لذلك لا تُحَدّ[822] المرأة ولا الرجل للقيام بهذه العمليات، ولكن توقع عليهما عقوبة التعزير، وتقديرها متروك للقاضي.

عن أبي هريرة أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أنزلت آية الملاعنة: (أيما امرأة أدخلت على قوم نسباً ليس منهم فليست

من الله في شيء، ولن يُدخِلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين)[823] وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[824]



صورة للطفلة لويز براون التي أسموها طفلة الانبوب والتي ولدت في ٢٥ يونية ١٩٨٠ نتيجة تلقيح بويضة أمها في أنبوب في ١٠ نوفمبر ١٩٧٧ واعيدت البويضة الملقحة الى رحم أمها ليزلي براون في ١٢ نوفمبر ١٩٧٧ حيث نمت نموا طبيعيا.

---

[1] أي لا يقام عليها حد الزنا.

[1] رواه الدارمي.

[2] رواه ابن ماجة.

[المراجع والمصادر]

[*1*] المصادر العربية

1. القرآن الكريم.

2. أبن الأثير – الإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجوزي.
– جامع الأصول من أحاديث الرسول. طبعه (*4*) *1404* هـ/*1984* م.

3. أبن أنس – الإمام مالك بن أنس.
– موطأ الإمام مالك، دار الحديث – القاهرة.

4. ابن الجوزي – زاد المسير في علم التفسير.

5. ابن حجر العسقلاني – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
– فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الفكر – بيروت.

6. ابن حنبل – الإمام أحمد بن حنبل.
– مسند الإمام أحمد بن حنبل، تعليق الألباني. طباعة بيروت.

7. ابن حزم – علي بن أحمد.
– المحلى، طباعة دار الفكر – بيروت.

8. ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون المغربي.
مقدمة بن خلدون، كتاب التحرير – *1386* هـ/*1966*م.

9. أبن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم.

10. ابن رشد – أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.
– بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة السادسة – دار المعرفة– بيروت.

11. ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر.

12. ابن العماد – أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن كثير بن العماد.
– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (*6*) أجزاء، طباعة بيروت.

13. ابن خلكان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي.
– وفيات الأعيان وأنباء الزمان، (*6*) أجزاء – طباعة القاهرة – *1948*.

14. ابن قدامة – موفق الدين أبي محمد أحمد بن قدامة المقدسي.
– المغني والشرح الكبير على متن المقنع، دار الفكر – بيروت.

15. ابن قتيبة – أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري.
– تفسير غريب القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت – *1398*هـ/*1978*م.

16. ابن قيم الجوزية – شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي.
– التبيان في أقسام القرآن.
– أعلام الموقعين عن رب العالمين.
– طريق الهجرتين.

17. ابن كثير – أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.
– تفسير ابن كثير، دار زهران – القاهرة.
– البداية والنهاية، مكتبة المعارف – بيروت – الطبعة الرابعة *1402*هـ.
– قصص الأنبياء، المكتبة التوفيقية – القاهرة.

18. ابن مسكويه – أبي الفداء علي بن أحمد بن محمد بن مسكويه الخازن.
– الفوز الأصغر.
– تهذيب الأخلاق.

19. ابن منظور – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.
– لسان العرب، دار الفكر – بيروت، ودار صادر – بيروت.

20. ابن الهمام – محمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري.
– شرح فتح القدير، طبعة ثانية – *1397*هـ/*1977*م، – دار الفكر – بيروت.

21. أبو داوود – سليمان بن الأشعث السجستاني.
– صحيح سنن المصطفى، دار الكتاب العربي – بيروت.

22. أبو زيد – أحمد.
– نوابغ الفكر الغربي "تايلور"، دار المعارف بمصر – القاهرة *1958*.

23. "إخوان الصفا".
– رسائل إخوان الصفا، الرسالة العاشرة. المجلد الرابع – طبعة بومباي.

24. إسماعيل – محمد محمد إسماعيل عبده.
– الفكر الإسلامي. مكتبة الوعي – بيروت *1377*هـ/*1958*م.

25. الألوسي – شهاب الدين السيد محمود الألوسي.
– روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، المطبعة المنيرية – القاهرة *1270*هـ.

26. أنيس – د. إبراهيم أنيس وآخرين.
– المعجم الوسيط، الطبعة الثانية – دار الفكر – بيروت.

27. البار – محمد علي البار.
– خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الطبعة الثالثة، *1402*هـ/*1981*م.
الدار السعودية للطباعة والنشر – جدة.

28. بارنيت – لنكولن بارنيت.
– العالم واينشتاين، ترجمة محمد عاطف البرقوقي، طباعة القاهرة.

29. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري.
– صحيح البخاري، طبعة دار الشعب – مصر.

30. بدران – د.عدنان بدران وآخرين.
– البيولوجيا، عِلم الحياة، طباعة وزارة التربية والتعليم – عمان – الأردن.

31. البدري – المُلا عبد العزيز البدري.
– حكم الإسلام في الاشتراكية، الطبعة الثانية *1384*هـ/*1965*م.

32. بدوي – د. محمد بدوي.
– التطور، طباعة مصر.

33. البلدي، أحمد بن محمد بن يحيى البلدي.
– تدبير الحبالى والأطفال والصبيان... تحقيق: د. محمود الحاج قاسم محمد.
الطبعة الثانية – *1987* – سلسلة خزائن التراث – بغداد.

34. البستاني.
– دائرة المعارف العربية.

35. البطراوي، د. أحمد البطراوي.
– الجنس البشري في معرض الأحياء، سلسلة الألف كتاب المصرية – العدد (*62*) *1958*م.

36. البعلبكي – منير.
– موسوعة المورد العربية، طبعة أولى – دار العِلم للملايين – بيروت.

37. البغدادي – الشيخ أبو الفوز محمد الأمين البغدادي الشهير بالسويدي.
– سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار القلم – بيروت.

38. البغوي.
– المصباح المنير.

39. أبو بكر – أمين مسعود أبو بكر.
– "قضاء الخليل *1864*&*1918*م."

40. تيلور – د. كينيث تيلور.
– التطور حقيقة أم نظرية، تعريب: سعيد باز، مطبوعات الشرق الأوسط – بيروت – لبنان.

41. الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي.
- سنن الترمذي، مطبعة الصاوي – القاهرة – الطبعة الأولى 1353هـ.

42. التل – الكولونيل عبد الله التل.
- جذور البلاء، طباعة بيروت.

43. توماس – جوان توماس.
- خرافات عن الأجناس.

44. الثعالبي – أبي اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعالبي.
- قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، مكتبة الجمهورية المصرية – القاهرة.

45. الجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.
- كتاب الحيوان، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب – بيروت – الطبعة الثالثة 1402هـ.

46. جامبو – جورج جامبو.
- تاريخ الأرض.

47. جراي – جيمس جراي.
- العِلم يزحف.

48. الجزيري – عبد الرحمن الجزيري.
- الفقه على المذاهب الأربعة، دار الفكر – بيروت.

49. جلبي– د. خاص كنج جلبي، الطب محراب الإيمان، مؤسسة الرسالة 1399هـ/ 1979م.

50. الجميلي – د. السيد الجميلي، الإعجاز الطبي في القرآن، الطبعة الأولى – دار مكتبة الحياة – بيروت.

51. الجندي – أنور الجندي.
- أخطاء المنهج الغربي الوافد. دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى 1974م.
- سقوط نظرية داروين، دار الاعتصام بمصر.
- شبهات التغريب في غزو العالم الإسلامي، المكتب الإسلامي 1398هـ.
- مفاهيم العلوم الاجتماعية.

52. جولدزبي – ريتشارد م. جولدزبي.
- البيولوجيا، الجزء الأول، ترجمة: مجمع اللغة العربية الأردني– طباعة عمان.

53. جينز – سير جيمس جينز.
- عالم الأسرار.

54. الحاكم النيسابوري – أبي عبد الله محمد النيسابوري.
– المستدرك على الصحيحين، طبعة الرياض.

55. حتي – د. يوسف حتي.
– قاموس حتي الطبي، مكتبة لبنان – الطبعة الرابعة *1980*م.

56. حداد – إبراهيم حداد.
– الشيوعية والديموقراطية في الشرق والغرب، دار الثقافة – بيروت *1958*.

57. حقي – د. إسماعيل حقي.
– خلق لا تطور.

58. خان – وحيد الدين خان.
– الإسلام يتحدى، تعريب: ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية – بيروت.

59. خليل – د. فؤاد خليل وآخرين.
– عِلم الحيوان العام، "لطلبة الجامعات والمعاهد العليا"، مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة – الطبعة الرابعة *1976*م.

60. دار مكتبة الحياة.
– الرجولة والزواج، دار مكتبة الحياة – بيروت "المجموعة الجنسية"

61. داروين – تشارلس داروين.
– أصل الأنواع، ترجمة: محمد إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة– بيروت وبغداد.

62. الدباغ – مصطفى مراد الدباغ.
– بلادنا فلسطين، الجزء الثالث، رابطة الجامعيين – الخليل.

63. الرازي – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.
– مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني – بيروت *1967*.

64. رويحة – د. أمين رويحة.
التداوي بالأعشاب، طباعة دار الأندلس، بيروت.

65. رينان – أرنست رينان.
– تاريخ الأديان.

66. ريتشارد – ابفانز ريتشارد.
الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة: أحمد أبو زيد، طباعة الإسكندرية *1958*.

67. الزركلي – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي.

- الأعلام (*10*) أجزاء، طباعة القاهرة *1954* – *1956*.

68. زلوم – عبد القديم يوسف زلوم.
- حكم الشرع في .... دار الأمة – بيروت، طبعة أولى *1418*هـ/ *1997*م.

69. زاهدة – عطية عبد المعطي زاهدة.
- أصحاب الكهف والرقيم، طباعة القدس *1977*.

70. الزين – سميح عاطف الزين.
- معجم البيان الحديث. "قصص الأنبياء". طبعة أولى، دار الكتاب اللبناني–بيروت.
- معجم البيان الحديث. "تفسير مفردات القرآن الكريم". طبعة أولى، دار الكتاب اللبناني*1980*.

71. زينو – المهندس حسن زينو.
- التطور والإنسان.

72. سابق – الشيخ سيد سابق.
- العقائد الإسلامية. طبعة ثالثة، دار الكتب الحديثة – القاهرة.

73. السباتين – يوسف أحمد محمود السباتين.
- العقيدة الإسلامية وأثرها في حياة المسلمين، الطبعة الأولى، *1455* هـ.

74. السرخسي – شمس الدين السرخسي.
- المبسوط، دار الفكر – بيروت، *1409*هـ/*1989*م.

75. ستوكلي . جيمس ستوكلي .
. العِلم يَزحف . ترجمة : محمد الشحات .

76. سوليفان – ج. سوليفان.
- حدود العِلم، الدار العلمية – بيروت، *1972*.

77. سينوت – أدموند و. سينوت.
- حياة الروح في ضوء العِلم. ترجمة: إسماعيل مظهر، *1960*.

78. الشهابي – الأمير مصطفى محمد سعيد الشهابي.
- معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان – بيروت، الطبعة ألأولى *1978*.

79. الشويكي – محمد الشويكي.
- الواضح في إبطال المصالح، الطبعة الأولى، القدس، *1418*هـ/*1997*م.

80. الصابوني – محمد علي الصابوني.
– صفوة التفاسير. المكتبة الفيصيلية – مكة المكرمة.

81. الطبري – محمد بن جرير الطبري.
– جامع البيان في تفسير القرآن، طباعة بيروت.

82. عوده – عبد القادر عوده.
– التشريع الجنائي في الإسلام مقارناً بالقانون الوضعي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة.

83. عويضة – محمود عبد اللطيف عويضة.
– حمل الدعوة الإسلامية، واجبات وصفات. دار الأمة – بيروت، الطبعة الأولى 1996.

84. الغزالي – أبي حامد محمد بن محمد الغزالي.
– إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت.

85. الغزي – نجم الدين الغزي.
– الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة. دار الآفاق الجديدة – بيروت، 1979.

86. الفخر الرازي – محمد فخر الدين الرازي.
– التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" طباعة بيروت.
– المباحث الشرقية، طباعة بيروت.

87. الفيروز أبادي – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي.
– القاموس المحيط. دار الجيل – بيروت.

88. قايماز – محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الفاروقي.
– كتاب الكبائر، دار الكتب العلمية – بيروت.

89. القرطبي – محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي.
– الجامع لأحكام القرآن، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني. الطبعة الثانية.

90. القزويني – زكريا القزويني.
– عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

91. القزويني – محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجة.
– سنن ابن ماجة، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة الحلبي بمصر.

92. قطب – سيد قطب.

– في ظلال القرآن، الطبعة التاسعة، دار الشروق – بيروت.
– خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق – بيروت.

93. قطب – محمد قطب.
– جاهلية القرن العشرين، دار الشروق – بيروت.

94. القلقشندي.
– نهاية ألأرب في معرفة أنساب العرب، طباعة القاهرة، *1959*.

95. كلارك – د. كلارك.
– أدلة المستحاثات على تطور الإنسان.

96. الكلبي – أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي.
– جمهرة النسب. "رواية السكري عن ابن حبيب". تحقيق: د. ناجي حسن. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، *1413* هـ/*1993*م.

97. ماكسويل، المدعي العام الفرنسي ماكسويل.
– الظواهر النفسية.

98. المالكي – المحامي عبد الرحمن المالكي.
–نظام العقوبات. الطبعة الأولى، مكتبة الوعي – بيروت، *1385*هـ/*1965*م.

99. محكمة صفد الشرعية. "سجل *1*" صفحه (*249*) (*108*)
"نسب السادات السعدية والبهجة السنية".

100. محكمة الخليل الشرعية. "سجل *19*" ، ح*2*، *5*، ذ

101. تفسير المراغي.

102. موريسون. أ. كريسي موريسون.
– العِلم يدعو للإيمان. ترجمة: محمود صالح الفلكي. الطبعة الأولى *1958*، دار القلم.

103. مونسما – جون كلوفر مونسما.
– الله يتجلى في عصر العلِم. ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان. مؤسسة الحلبي بمصر *1958*.

104. ميلرش. تاريخ الإنسان.

105. النبهاني – الشيخ تقي الدين النبهاني.
– التفكير. الطبعة الأولى، بيروت، *1393*هـ/*1973*م.
– سرعة البديهة. الطبعة الأولى، بيروت، *1396*هـ/*1976*م.

– الشخصية الإسلامية "الجزء الأول". الطبعة الثانية، القدس، *1372*هـ.
– نظام الإسلام. الطبعة الخامسة، القدس، *1372*هـ/*1953*م.
– النظام الاجتماعي في الإسلام. الطبعة الرابعة، دار الأمة – بيروت.
– النظام الاقتصادي في الإسلام. الطبعة الرابعة، دار الأمة – بيروت.

106. النجار – عبد الوهاب النجار.
– قصص الأنبياء. الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

107. نسب آل الشرباتي الشيبي. "مخطوطة"

108. نصر الله – د. محمد عزت نصر الله.
– الرّد على صادق العظم. طبعة أولى، بيروت، *1970*م.

109. النوري – محمد الموسوي النوري.
– عرض نظرية داروين وتطورها. الطبعة الأولى، كربلاء.

110. النووي – محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي.
– صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر – بيروت.

111. النيسابوري – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.
– الجامع الصحيح "صحيح مُسْلِم". دار المعرفة – بيروت.

112. هال – و.ج. هال و ج.ب. مرغام.
– معجم البيولوجيا. ترجمة: هلا فلاح الخنساء. نشر "أكاديميا " بيروت.

113. هاولز – وليام هاولز.
– ما وراء التاريخ. ترجمة: أحمد أبو زيد. مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة نهضة مصر، القاهرة *1965*م.

114. وجدي – محمد فريد وجدي. دائرة المعارف العربية.

115. ولاس – روسل ولاس. عالم الحياة.

116. ويتكرز – شامبرز ويتكرز. الشهادة.

117. الشرباتي – حاتم الشرباتي. نسب آل الشرباتي الشيباني (تحت الطبع).

[2] المصادر الأجنبية

118. A.M. Winchester :
- Biology Ama Its Relation to Man .

119. Ashley Monaga :
- Les Premiers Ages de L'Homme.

120. Charles Darwin :
- The Origin of Species .

121. Cresy Morrison :
- Man does not stand alone .

122. Bier :
- Charles Darwen.

123. F. Marsh :
- Evulation or special Creation .

124. Gorge Gaylord Simpson .
- La Geographia de' L'Hommme.

125. Hall S. Lesser :
- Review textin Biology .

126. B.F., B.B., Vance Miller :
- Biology for you .

127. H.W. Dowdesweel :
- The Mechamnism of Evolution .

128. Ivar Lissner :
- Dieu e'tait De'ja La'.

129. John Rostan :
- Evolution .

130. Julian Huxley :
- Evolution as a Process.

131. John Clover Monma :
- The Evidence of God .

132. Jean Baptiste De Mont :
- Chevalier de Lamark .

133. Osborn :
- From the Yreeks to Darwin .

134. Robert L. Lehrman :
- The long road to Man .

135. Rute Ford Platt :
- Le flave de vie .

136. T. Dobzhansky :
- Genetics and the origin of Species .
- The Biological Basis of Human Freedon.

137. Waheeddin Khan :
- Iume Jadeed ka' challenge .
- The Mysterious Universe .

138. - World book Encyclopedia – 1966 .

139. Millton , Mark , A. Hull , S. Lesser .
- Review text in Biology .

140. Downs , R. :
- Books that changed the World . " Menetor books , N.Y. 1956 ".

141. Hofstadter , R.,
- Social Darwinism in American Thought .

142. Lewontin , R.C., :
- The Cocept of Evolution in International Encyc lopedia of social science ,
Ant. " evolution .

كما تمّ الاقتباس عن عدد من الدوريات والجرائد والمجلات، وقد أشير إليها في مواضعها.

[الفهـرس]

الموضوع	الصفحة